شخصيات فلسفية

(١)

# كيركجور

## رائد الوجودية





[حياته ومؤلفاته]

الجزء الأول

تأليف

دكتور إمام عبد الفتاح إمام

دار الثقافة للطباعة والنشر
القاهرة

شخصيات فلسفية
١

# كيركجور

## رائد الوجودية

تأليف
دكتور إمام عبد الفتاح إمام
أستاذ الفلسفة المساعد
كلية الآداب ـ جامعة الكويت

الجزء الأول

حياته ومؤلفاته

١٩٨٢

دار الثقافة للطباعة والنشر
بالقاهرة

٢١ شارع كامل صدقى ـ الفجالة
ت ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة

# فهـــــرس

صفحة

# الاهـــــداء

الى أستاذى الدكتـور فـؤاد زكريا

أعـــلم أن بينك وبين كيركجور ما بين العقلانيـــة واللاعقلانيـــة من خـلاف وتناقض ...

لكنى أود أن أعبـر لك عن حبى وامتنانى ...

تحيـة تقـدير ، واجـلال ، وعرفان ..

فاليك أهـدى هـذا البحث ، بجزأيه ...

# مقدمة

فى النصف الثانى من القرن الماضى انحلت امبراطورية الفكر الهيجلية(١) ـ كما يحلو لبعض لباحثين تسميتها ـ وتفككت أوصالها ، وظهر تيار فكرى قوى يطالب بالاهتمام « بالانسان » ويلح على دراسته : « فقد كانت هناك موجة اقتناع عميق بأن الفلسفة قد وصلت الى نهايتها ، وانتشرت هذه الموجة فى العقود الأولى بعد وفاة هيجل · وذاع اعتقاد مؤكد بأن تاريخ الفكر قد بلغ مفرق طرق حاسما ، وأنه لم يتبق الا وسيط واحد يمكن الاهتداء بواسطته الى « الحقيقة » وتطبيقها فعليا ألا وهو الوجود المادى العينى للانسان(٢) ··· » ·

ولقد ظهر أولا « لودفيج فويرباخ ١٨٠٤ ـ ١٨٧٢ ) **L. Feurbach** الذى اعتنق فى بداية حياته المذهب الهيجلى ثم نبذ المثالية المطلقة ليعتنق المادية ، وليقول فى كتابه : « جوهر المسيحية **Essence of Christianity**» : أن الشعور الدينى يتولد عن أمانى الانسان ، وأن الدراسة الفلسفية الصحيحة هى دراسة الانسان نفسه » ـ فمثل بذلك فترة انتقال حاسمة ، اذ كان جسرا عبر عليه الفكر الفلسفى من المطلق الى الانسان(٣) · من

---

(١) الواقع أن الهجوم على الهيجلية بدأ وبعنف بعد وفاة هيجل بتسع سنوات أى عام ١٨٤٠ عندما تلقى شلنج العجوز تكليفا صريحا من الامبراطور فردريك فلهم الرابع بأن يحطم « بذرة الافعوان » فى المذهب الهيجلى · وبدأ شوبنهور يصف هيجل » بالحمق والتهريج والسوقية · وراح « ترندلبرج » يكتب « بحوث منطقية » ينتقد فيها المنهج الجدلى ··· الخ قارن : **Robert Heiss: Hegel, Kierkegaard, Marx P. 188 - 9**

(٢) هـ · ماركيوز « العقل والثورة : هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية ص ٢٥٧ ترجمة د · فؤاد زكريا ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة عام ١٩٧٠ ·

(٣) لاحظ أن كلمة فويرباخ نفسها ········ **Feurbach** كلمة ألمانية مكونة من مقطعين الاول بمعنى « النار » والثانى بمعنى الطريق

الروح المطلق الى الانسان المتواضع بلحمه وعظمه وحدوده ، وبينته · ثم تشعبت دراسة الانسان ، فظهر تياران عظيمان · الأول هو التيار الوجودى الذى قاده « سرن كيركجور ( ١٨١٣ ـ ١٨٥٥ ) ···· S. Kierkegaard وان كان هذا التيار قد ظل طوال القرن الماضى ارهاصات مفككة لم يكتب لها الكمال الا فى القرن الحالى ـ وهو تيار اهتم أساسا بدراسة الانسان من الداخل ، أو الوجود الداخلى للانسان الفرد ·

أما الثانى فهو تيار مقابل أعنى أنه اهتم أساسا بدراسة الانسان من الخارج ، أى بالظروف الموضوعية الخارجية لحياة الجماهير ، وهو التيار الذى كان على رأسه كارل ماركس ( ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ ) ويكفى أن نقول انه فى عام واحد ـ وهو عام ١٨٤٣ ـ ظهرت كتب ثلاثة تلخص هذه التيارات ، وتعبر عن ارهاصات العصر الجديد وهى « مبادىء فلسفة المستقبل » لفويرباخ ، و « نقد فلسفة هيجل السياسية » لماركس ، و« اما ·· أو » فى جزأين لكيركجور ·

شهد القرن التاسع عشر ، اذا ، روح عصر جديد يسعى حثيثا الى خلق فلسفة جديدة عن طريق تفتيت النتيجة التى انتهت اليها الهيجلية ، وتمثل هذا الروح الجديد فى تيارين عظيمين لايزالان يتقاسمان الفكر المعاصر حتى يومنا هذا وهما : الوجودية التى ترتكز على الفرد ، والماركسية التى ركزت اهتمامها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للانسان · وان كان سارتر ···· J. P. Sartre 1980 قد حاول فى « مشروعة الانثروبولوجى الذى عرضه بالتفصيل فى كتابه « نقد العقل الجدلى » عام ١٩٦١ أن يوفق جدليا بين هذين التيارين بأن « يكسر » مافى الماركسية من جمود ، وشكلية ، وقوالب جاهزة ويجعلها تهتم « بالفرد »

---

=

أو الممر أو البرزخ ـ وهذا هو السبب فى أن ماركس K. Marx الذى تأثر به تأثرا قويا كان يقول : ان المرء لا بدله بعد ان يدرس هيجل من المرور « بفويرباخ » أى لابد له من التطهر بالنيران ، كعادة القبائل البدائية ، قبل أن يقيم لنفسه فلسفة جديدة ·

(٤) K. Lowith : L'achévement de la Philosophie Classique par Hegel et sa Dissolution chez Marx et Kierkegaard (Recherches Philosophiques Vol. IV; 1934 - 1935).

عندما تصبح الفلسفة الوجودية قطعة أرض ( أو جيب Enclave بلغة العسكريين ) داخل الماركسية نفسها(٥) .

واذا كانت الوجودية كتيار فلسفي قد نجحت في جذب اهتمام الناس بعد الحرب العالمية الثانية بفضل الجهود التي قام بها هيدجر ، وسارتر ، وسيمون دي‌بوفوار ، وكامي ويسبرز ، ومارسل .. الخ الخ .. فان هذا التيار يعترف صراحة بدينه الكبير « لسرن كيركجور » الذي كان بحق الرائد الأول‌للوجودية : مؤمنة وملحدة على حد سواء .ومع ظهور هذا التيار الجديد بدأت تظهر موضوعات جديدة تختلف عن الموضوعات الأكاديمية المألوفة ، فعلى حين مثلا أن مشكلات المنطق ، ونظرية المعرفة تبدو ضخمة في المدارس الفكرية الأقدم عهدا من الوجودية ، فان هذه الفلسفة مالت الى التغاضي عن المشكلات ربما في شيء من « الاستخفاف ، أحيانا ، واهتمت بموضوعات مثل : الحرية ، واتخاذ القرار ، والمسئولية .. وهي موضوعات تشكل جوهر الوجود الشخصي ، لأن مايميز الانسان عن موجودات العالم الأخرى هو ممارسته لحريته وقدرته على تشكيل مستقبله ، كذلك ظهرت مشكلات جديدة من بينها : التناهي ، والاثم ، والخطيئة والاغتراب واليأس، والقلق ، والموت .. الخ(٦) . وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية باسهاب ، في حين أنها تعالج بالتفصيل عند الوجوديين بعامة وعند رائدهم سرن كيركجور بشكل خاص .

ولماكان التيار جديدا فقد ظهرت تساؤلات حول اللقب الذي يمكن أن يطلق على المفكر حين يخرج عما جرى عليه العرف والتقليد وما اتفق عليه « جمهرة » الفلاسفة : أيمكن أن يعد كيركجور فيلسوفا في هذه الحالة ؟ أجاب البعض أنه مفكر ديني ذو اهتمامات فلسفية ، وقال آخرون انه « مصلح » بروتستانتي من طراز « لوثر » « وكالفن » حاول اصلاح الأوضاع المتردية في عصره . وقال آخرون انه استهدف اقناع القراء بفقر الحياة

---

(٥) امام عبد الفتاح امام « المشروع الانثروبولوجي عند سارتر » ص ٢٥٥ وما بعدها في كتاب « دراسات فلسفية » عام ١٩٧٩ دار الثقافة للطباعة والنشر .

(٧) Richand Schacht : Hegel And After. P. 119 University of Pittsburgh Press.

وعدم جدواها ان كانت « بغير ايمان ٠٠ الخ وفى جميع الحالات نصل الى نفس النتيجة : ليس ثمة مايدعو الى النظر اليه بوصفه فيلسوفا : « غيران هذه النتيجة مشكوك فى صحتها الى حد كبير لافقط بسبب تأثير كيركجور فى عدد من التطورات الفلسفية الهامة فى القرن الحالى ، بل لأن تحديه لوجهات نظر الفلاسفة الآخرين ( التقليدية ) لا سيما هيجل ، هى تحديات فلسفية بقدر ما هى دينية ٠٠٠ انها محاولات لنزال الفلاسفة على أرضهم(٥) ٠٠ » ٠

ومن هنا رأينا أن يبدأ بحثنا بطرح هذه القضية « هل كان كيركجور فيلسوفا ٠ ؟ »

ولما كان فالتر كاوفمان ٠٠٠٠٠٠٠٠ Walter Kaufmann هو أقوى من عبر عن وجهة النظر المعارضة فقد عرضنا رأيه وناقشناه ٠٠

ثم بدأنا فى الفصل الثانى نتعرف على الملامح الشخصية لهذا الفيلسوف أو « ذلك الفرد » ٠ كما كان يحب أن يتسمى ، العوامل المؤثرة فى بناء شخصيته ، وأهم سماتها العامة ٠

وفى الفصل الثالث بدأنا فى دراسة حياة كيركجور وأسرته « اللغز » وكيف نشأ « نشأة حمقاء » على حد تعبيره ٠٠

وعرضنا فى الفصل الرابع لقصة حبه البائس مع « ريجينا أولسن » وقدمنا مجموعة من التفسيرات المختلفة لفسخه لخطوبته مع هذه الفتاة ، ثم أنهينا الفصل بتفسيرنا الخاص ٠

وفى الفصل الخامس عرضنا للمعارك التى خاضها لا سيما معركته الشهيرة مع صحيفة « القرصان » وصراعه مع الكنيسة القائمة التى اتهمها بالتزوير والتزييف فأثارت عليه حملات عنيفة اضطرته الى اصدار جريدة خاصة يرد بها على الهاجمين أطلق عليها اسم « اللحظة » وهى تسمية ذات دلالة خاصة فى فلسفته ٠

---

(٦) الغريب أنك تجد باحثا مثل مؤرخ حياته الشهير « يوهانس هولنبرج » يقول ان مؤلفات كيركجور بلغت من السعة والعمق حدا جعلها تحتاج الى قرن كامل حتى تفهم! قارن كتابه ص ٢٧٦ ٠

ثم تساءلنا فى الفصل السادس : الا يمكن أن تجعل هذه المعارك من كيركجور بطلا دينيا ؟ أعنى ان يكون دوره دينيا أو اجتماعيا وليس فلسفيا ‥ ؟ ومن هنا وقفنا قليلا عند « كيركجور بين الدين والفلسفة والسياسة ·

وأخيراً عرضنا فى الفصل السابع « لمؤلفاته ومنهجه » · ورأينا اتماما للفائدة أن ننهى هذا الجزء بمجموعة من النصوص المختارة المنوعة التى تدور حول شخصيته وتربيته وعلاقته بريجينا والكنيسة القائمة ، ثم أخيرا عرضنا نموذجا من أسلوبه فى الكتابة اخترناه من كتابه « اما ـ أو » ·

* * *

ولما كانت حياة كيركجور هى المعين الذى استقى منه فلسفته فقد آثرنا أن نفرد لها هذا الجزء من البحث على أن نخصص الجزء الثانى لعرض فلسفته ومناقشتها والحق أننا نعتقد أن فلسفته كيركجور لا يمكن أن تفهم الا على أرض هيجلية فهو فى كثير من الأحيان يفترض هذه الفلسفة ويستخدم مصطلحاتها بحرية أكثر بكثير مما يعى ويعترف ! صحيح أنه هاجم هيجل بعنف أكثر من فيلسوف مثل ماركس الذى يعترف علانية أنه ليس الا تلميذا لهذا المفكر العملاق ! « فى حين ينظر كيركجور الى هيجل بسخرية تارة ، وباحتقار تارة أخرى ‥ الخ · لكنه يستعير منه الكثير من الافكار والمصطلحات ··· الخ بحيث تكون الهيجلية هى الخلفية التى يفترضها فيلسوفنا ! وسوف نناقش هذا الموضوع الهام فى شىء من التفصيل فى الجزء الثانى ·

* * *

بقى أن نقول إن كيركجور كره أن يدرسه أحد ، وكثيرا ماتنبأ فى يومياته بهذا المصير « المحزن » الذى ينتظره عندما يقع بين « مخالب الاساتذة والمحاضرين أو أن يوضع فى فقرة من كتاب ، أو حتى يشار اليه فى حاشية على الفقرة » ! وهذا يذكرنا بالمفكر الدانماركى الشهير « هوفدنج ····· Hoffding » الذى كان يدرس كيركجور لطلابه فى جامعة كوبنهاجن ثم ينهى محاضرته « بالاسف على المصير المحزن الذى لقيه مواطنه عندما تحققت نبؤته ! » · ويقول « هولنبرج » انه سمعه وهو طالب يرثى لحال الفيلسوف « أجل لقد سمعت هوفدنج وأنا طالب يقتبس

تلك العبارة التى يبدى فيها كيركجور تخوفه من الاساتذة ، ثم يرثى الاستاذ لحالته ملاحظا أنه لن يستطيع أن يفلت من هذا المصير(٨) » ٠

والحق أنه لا يمكن لفليسوف أن يفلت من هذا المصير فالنقد الفلسفى جزء لا يتجزء من ماهية الفلسفة ذاتها ، وبدونه لايمكن للفكر البشرى أن يتقدم ٠ وهيجل نفسه الذى اقتبس مرارا كلمات بطرس الرسول لزوجة « حنانيا » : « هو ذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب ، وسيحملونك خارجا(٩) ٠٠ مصورا بذلك مصير الفلسفات الجديدة ، لم يفلت هو نفسه من تطبيق هذه الكلمات عليه ٠ وعندما قال ماركس « ٠٠ ان أبناء الجيل الجديد أولئك الأدعيان المتهورون التافهون ، يباهون بأنهم ينظرون الى هيجل نظرتهم الى كلب ميت(١٠) « ٠٠ » ، فانه لم يكن مبالغا ، ولقد سبق أن رأينا كيف شنت الهجمات عليه من كل صوب ، وكان من بينها هجمات كيركجور نفسه ـ فكيف يمكن أن « يحزن » على موقف وقفه هو نفسه تجاه الآخرين(١١) ؟ ٠

ومن هنا فليس ثمة مايمنع من الدراسة الأكاديمية لكيركجور ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذى آمل أن يكون قد أضاف جديدا الى المكتبة الفلسفية العربية ٠

الكويت فى يناير ١٩٨٢ ٠

امام عبد الفتاح امام

---

(٨) Johannes Hohlenberg : S. Kierkegaard P. 276 Eng. Trans. by T. H. Croxall-Octagon Books N - N. 1978.

(٩) أعمال الرسل الاصحاح الخامس عدد ٩ ٠

(١٠) كارل ماركس فى كتابه « رأس المال » وقارن كتابنا ٠ « المنهج الجدلى عند هيجل » ص ٣١٥ وما بعدها ٠

(١١)قارن أيضا كتاب روبرت هيس ، كيركجور ، ماركس « ص ١٨٨ من الترجمة الانجليزية ٠

# الكتـاب الأول

## الأسـرة اللغز

« ربمـا كان فى استطاعتى أن أروى مأساة طفولتى فى قصـة أجعل عنوانها « الأسـرة اللغز » ولابد أن تبـدأ مثـل هـذه القصـة بطريقة دينية ٠٠ » ٠

س٠ كيركجور اليوميات



سـرن كيركجور فى سنواته الأخـــيرة

Soren Kierkegaard inlater years
Woodcut by H.P. Hansen

# الفصــل الأول

## هل كان كيركجور فيلسوفا .. ؟ !

« لقـــد تصـــورت ان مهمتى هى أن أخلق المشاكل والصعاب فى كل مكان .. » .

**س. كيركجور : « حاشية ختامية »**

# الفصل الأول

## هل كان كيركجور فيلسوفا ‥ ؟ !

كان سرن كيركجور ‥ S. Kierkegaard (١) ٠ يقول عن نفسه ان مهمته فى هـذه الدنيا أن يثير الاشكالات فى كل مـكان لا أن يجد لها حلا(٢) وقبل أن نبدأ فى دراسة اشكالاته الفكرية « نود أن نثير حوله » هذه المشكلة ٠ هل يمكن أن يعد كيركجور فيلسوفا ‥ ؟ ! وهل هو جديـــر ببحـث فلسفى متخصص ؟ ! أول من يجيب بالنفى عن هذين السؤالين هو كيركجور نفسه ! ، فهو يرفض أن يكون فيلسوفا أو أن توصف أفكاره بأنها فلسفة ، كما كان يخشى من ناحية أخرى أنيتناوله « الاستاذ » بعد موته بالدراسة العلمية أو البحث الأكاديمى(٣) ٠

واندفع بعض الباحثين وراء أقواله تاره مسلمين ، على عجل ، بأنه لا يمكن أن يوصف بأنه « فيلسوف » أو أن يقال عن فـكره انه « فلسفة » واضعين تارة أخرى كلمة فكر كيركجور ، على استحياء ، بدلا من فلسفته بـ مع أنه كان ينبغى عليهم قبل هذا وذاك أن يسألوا أنفســـهم : لماذا ، اذن الاهتمـــام به فى حقل الفلسفــة الأكاديمى ، ولم يجهدون أنفســـهم فى دراسته ٠٠٠؟ !

---

(١) ربما تبدأ الاشكـــالات من نطق اسمه ، فالنطق الصحيح لهذا الاسم هو « كيركجور » وليس « كيركجارد » كما هو شائع فى اللغة العربية ، فالمقطع الأخير من اسمه gaard ينطق « جور ٠٠ » gor » راجع فى نطق اسمه كتـــاب « ولترلـــورى » وهو من كبـــار المتخصصين فى هذا الفيلسوف :

Walter Lowrie: Soren Kierkegaard, Vol. I, P. 20, Torch Books

(٢) S. Kierkegaard : concluding unscientific Postscript P. 166.

(٣) Alasdi Macintyre S. Kierkegaard, art in The Encylopaedia of Philosophy Vol. 4 P. 336.

وربما كان « فالتركاوفمان ·· Walter Kaufmann أقوى من عبر عن هذه الوجهة من النظر ، فهو فى بحث له عن كيركجور « يتناوله من أربع زوايا هى : أسلوبه ، ومن حيث هو كاتب دينى ، ثم من حيث هو عالم نفسانى ، وأخيرا من حيث هو فيلسوف ، ثم يضيف قائلا « لقد كان كيركجور مبرزا فى هذه الزوايا الأربع ، لكنه كان عثرة ·· Skandalon ان شئنا استخدام لفظ محبب لديه استعاره من القديس بولس(٤) ·· »

وما يهمنا هنا هو الزاوية الرابعة التى طرح فيها « كاوفمان » هذا السؤال : « ماذا نقول عن كيركجور بوصفه فيلسوفا ؟ عندى أربعة اعتراضات ضده ـ أو قل ضد أولئك الذين يريدون أن يجعلوا منه فيلسوفا(٥) ·· » ثم يبدأ فى سرد هذه الاعتراضات : ـ

(١) أول هذه الاعتراضات ، وأكثرها أهمية ، هو أن كيركجور نفسه لم يكن فيلسوفا ولم يرد أن يكون كذلك(٦) وعند « كاوفمان » أن الفيلسوف العظيم يدرك عن وعى دوره « البناء » على نحو ما أشار هيجل فى تصديره لظاهريات الروح » ، ولهذا تراه يقول لك ، من بين ما يقول ، : « لابد لك أن تغير حياتك » ! وعنده أن هذا اللون من ألوان التحدى يتلخص فى شعار « سقراط » القائل : « بأن الحياة التى لايتم فحصها غير جديرة بأن يحياها الانسان » · انها دعوة لأن يصبح الانسان ناقدا لمجتمعه ولما فيه من عادات وتقاليد ـ فى حين أن كيركجور يقول : « ان المهم أن أفهم مصيرى أنا ، وأن أدرك ما يريد منى الله أن أفعله ، أو أجد الحقيقة التى تكون كذلك بالنسبة لى أنا ، أن أجد الفكرة التى أكرس لها محياى ومماتى ، ··· (٧) · والفلسفة ـ فيما يقول كاوفمان ـ لن تعطيه بالتأكيد هذه الفكرة ، لكنها على العكس ، تحميه من بعض الأفكار قائلة له : « ان من الأفضل لك ألا

---

(٤) Walter Kaufamann: From Skakespeare ta Existentialism P. 175 Anchor Books 1960.

(٥) Ibid, P. 189.

(٦) Ibid,

(٧) S. Kierkegaard: The Journal, P. 15 Eng. Trans. by A. Dru Oxford.

( سوف نشير بأستمرار الى هذه الترجمة على أنها طبعة أكسفورد والى الطبعة اللينة الغلاف باسم طبعة فونتانا (Fontana .

تموت من أجلها ولا تحيا » ٠٠ ! واذا كان كيركجور يقول « ان الفلسفة لا يمكن أن تقدم لنا الايمان ، ولا ينبغى لها أن تفعل ذلك ٠٠٠ ولكن ينبغى لها أن تفهم نفسها ، وأن تعرف ما الذى ينبغى عليها أن تقدمه(٨) ( لاحظ أن كاوفمان يحذف الجزء الأخير من العبارة ! ) وينبغى على الفلسفة ـ فيما يقول كيركجوز ألا تحذف شيئا ـ فى حين أن الفلسفة وممارستها تعنى أساسا أن تخرج الناس ، فيما يرى كاوفمان ، من كثير من المعتقدات الصبيانية : دينية وغير دينية لا عن طريق مهاجمتها على نحو مباشر فحسب وانما عن طريق تنمية ملكاتنا النقدية ولقد كان كيركجور بذلك معارضا للفلسفة وعلى نحو عميق(٩)

(٢) الاتهام الثانى الذى يوجهه كاوفمان الى كيركجور كفيلسوف هو أنه ، على عكس اتجاه الفلسفة الحديثة كلها ، قد أعاد الثقة الى سلطة الكتاب المقدس ، واقتبس آيات كثيرة ، وأحيانا كلمات متناثرة ليقيم عليها أفكارا معينة ، فهو مثلا وعلى ، نحو دجماطيقى ، سلم بالخطيئة الأولى فكان لاهوتيا أكثر منه فيلسوفا ، وملاحظاته السيكولوجية ، ليست أكثر من « توابل » تضاف الى موقفه !

٣ ـ والاتهام الثالث هو أن كيركجور قبل مقولات مسيحية وهيجلية وأنماطا من التفكير بغير فحص ثم راح يلعب بكلمات مثل « جدل » و « روح » و « أبدى » و « عدم » و « انعكاس لامتناه » ، و « ذات » و « حرية » و « خطيئة » ٠٠ الخ الخ ـ وكلمات كثيرة أخرى دون أن يجهد نفسه فى توضيح معانيها ! وحتى مناقشاته لوجود الله ، وللأدلة على وجوده ، و « للمجهول » فى كتابه « شذرات فلسفية » قد تحولت « بخفة يد » الى دفاع عن التعاليم المسيحية ٠٠٠(١٠) ٠

٤ ـ الاتهام الرابع والاخير ضد كيركجور بوصفه فيلسوفا هو أن ذلك اللون من الجدل الذى برع فى استخدامه يمكن أن يستخدم « للبرهنة على

---

(٨) S. Kierkegaard : Fear & Trembling P. 44 Eng. Trans by W. Lowrie Princeton University Press N.J. 1974.

(٩) W. Kaufmaan : op. cit., P. 189.

(١٠) W. Kaufmann, Ibid; P. 190.

أى شىء ! وعلى الرغم من انه كثيرا ما يتحـدث عن سقراط فانه فشـل فى فهم النقطـة المركزية فى رسالته وهى اثارة الأسئلة والشكوك التى لا ترحم حول الأوضاع السائدة ، والعمـل على اقناع الناس بأنه مهما تكن الغايات سامية فانها لا تبرر وجـود تصورات بغير تحليل أو وجود حجج ضبابية ٠ ويختتم كاوفمان بحثـه ـ كما بداه ـ بسؤال لكنه هذه المرة تهكمى : « اذا كان كيركجور نفسه يصر على انه ليس فيلسوفا ، فلماذا نصر نحن بدورنا على انه كذلك ؟ »(١١) ٠

* * *

تلك هى باختصار الخطوط العريضة فى وجهة نظر قوية ترفض اعتبار كيركجور فيلسوفا ، والحق أن المسألة كلها تتوقف ، فى رأينا ، على نظرتنا الى الفلسفة ، فاذا جعلنا : أفلاطون ، وأرسطو ، وكانط ، وهيجل ٠٠٠ الخ ٠ هم « النماذج » الوحيـدة للفلاسفة ، فان كيركجور بهذا المعنى ليس فيلسوفا بالقطع ٠ وهو نفسه أول من يعرف ذلك ، ويعترف به فى صراحة ووضوح : « كاتب هذه السطور ليس فيلسوفا ، وهو لم يفهم ما المقصود « بالمذهب » ، وهو لهـذا لا يعرف ما اذا كان هنـاك ما يسمى بالمذهب الفلسفى أم لا ، أو أو اذا كان قد اكتمل أم لا ٠٠٠٠ »(١٢) ٠ وكيركجور هنا يعارض بوضوح شديد مذهب هيجـل الذى وصل اليـه مشوها عن طريق « شلنج » كما قال « كاوفمان » نفسه فى مكان آخر(١٣) ٠ لكن الا يجـوز أن يكون كيركجور فيلسوفا بمعنى مخالف للفيلسوف الهيجلى ٠ ؟ أعنى أنه لم يكن يستهـدف معارضة كل ألوان التفلسف لكنه كان يستهدف أساسا الثورة على الفلسفة الهيجليـة التى طمحت الى تفسير كل شىء تفسيرا عقليـا خالصـا مع أن حيـاة الانسان مليئـة بألوان كثيـرة من الغموض والاسرار والألغاز التى تستعصى على كل فهم ، ولا يستطيع العقل البشـرى تفسيرها ، لأنها تحتاج الى منهج آخـر يختلف عن منهج هيجـل « فالخلط الذى أحدثتـه الفلسفـة

---

(١١) W. Kaufmann, Ibid.

(١٢) S. Kierkegaard; Fear and Trenbling P. 234 Eng. Trans. by Y. Lowrie, Princeton University Press, N.J. 1974.

(١٣) W. Kaufmann : Hegel, P. 288 University of Notre Dame press 1978

الهيجلية في الحياة الشخصية أمر لا يصدق ٠٠ »(١٤) ٠ ومن هنا كان يريد أن يحل « المفكر الذاتى » الذى ينشغل بدراسة « الصراع » و « التوتر » واليأس والقلق ، والالتزام ، والمخاطرة ، والمسئولية والمقارنة والحياة الجمالية الحسية ، والخطيئة ، والايمان والحياة الأخلاقية ، والحياة الدينية ، والعثرة ، و « اللامعقول » ٠٠٠٠ الخ الخ ـ محل « المفكر الموضوعى » أو « الفيلسوف الهيجلى » الذى حول الواقع العينى الحى الى مجموعة هائلة من التصورات العقلية ، والمفاهيم المجردة ٠ وسواء نجح أم فشل فى تحقيق هذا الهدف فذلك موضوع آخر : أنه لا يقدح فى كونه فيلسوفا ، ولا يطعن فى أنه حاول تقديم فلسفة ذاتية جديدة تعتمد على فهم جديد للمسيحية ، وتقدم منهجا مخالفا للعقلانية الصارمة عند هيجل : « ذلك هو الطريق الذى ينبغى علينا **جميعا** أن نسير فيه : أن نعبر جسر التنهدات حتى نصل الى الأبدية »(١٥) ٠ وانطلاقا من هذا المنظور الجديد لهذه الفلسفة الذاتية لم يهتم كيركجور بما يسمى بالوجود الموضوعى الخارجى : « أى فائدة يمكن أن تعود على اذا ما اكتشفت ما يسمونه بالحقيقة الموضوعية ، أى فائدة يمكن أن ترجى اذا درست جميع المذاهب الفلسفية وأظهرت ما فى كل مذهب من متناقضات وعدم اتساق ، ؟ أى فائدة تعود على لو أننى استطعت تطوير نظرية فى الدولة ورتبت جميع التفصيلات فى كل واحد ، وبنيت بهذا الشكل عالما لن أعيش فيه ٠٠ ؟ »(١٦) ألم يقل السيد المسيح « ماذا ينتفع الانسان لو أنه ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ »(١٧) ٠ فكيف يمكن اذن أن أتجه الى معرفة العالم ؟ ان ما ينقصنى فى الحقيقة هو أن أرى نفسى بوضوح ، أن أعرف ما يجب على أن أعمله ، لا ما ينبغى على أن أعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة ٠ ان المهم ن أفهم مهمتى فى هذه الدنيا ٠٠٠(١٨) ٠ وهنا تأتى العبارة التى عابها « كاوفمان » : أن أدرك تماما ما يريد منى الله أن أفعله ، أريد أن أجد

---

(١٤) S. Kierkegaard : TheJournals P. 15 (Oxford).

(١٥) Ibid, P. 37.

(١٦) Ibid, P. 15.

(١٧) انجيل مرقس : الاصحاح الثامن : ٣٦ ٠

(١٨) S. Kierkegaard : op. cit., P. 15.

حقيقة تكون لى انا ، أن أجد الفكرة التى أكرس لها محياى ومماتى »(١٩) ·
اننا هنا أمام نظرة فلسفية جديدة تجعل الذات البشرية محور اهتمامها ومدار بحثها ، وتجعل العمل ـ لا النظر ولا المعرفة ـ أساس اهتمام الفيلسوف معتمدة فى ذلك على المسيحية ، فليس فى الدين معرفة وانما عاطفة وحب ايمان ، ومن هنا قال السيد المسيح : « الذى يحبنى ، يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى »(٢٠) · وذلك يصدق على كل شىء آخر فما يحبه المرء يظهر له نفسه ، والحقيقة تظهر لكل من يحبها(٢١) · ولهذا قال السيد المسيح « من يحبنى ولم يقل من يعرفنى » ، بالحب وحده نؤمن لا بالمعرفة ، بالقلب لا بالعقل(٢٢) ·

واذا كان كيركجور يريد أن يعرف نفسه ، وأن يصل الى حقيقة ذاتية فانه لا يريد ذلك لنفسه فحسب وانما يود من الآخرين أن يسلكوا نفس الطريق : « فذلك هو الطريق الذى **ينبغي علينا جميعا** أن نسير فيه »(٢٣) ·
كما سبق أن ذكرنا الآن توا · ان كيركجور يقدم للانسان وجهة نظر عامة عن المنهج الذى ينبغى عليه أن يسير فيه ويقول له : لاتبحث عن الحقيقة الموضوعية فى الخارج وتنسى نفسك ، ان الحقيقة لكى تكون جديرة بهذا الاسم لابد أن تكون ذاتية ، فعليك ان تفكر فى ذاتك وأن تصل الى هذه الحقيقة من المقولات التى تعيشها بالفعل : « ان ما أريده وما أبحث عنه فى كل انسان أعجب به ، وفى كل شخص أعرفه معرفة حقيقية هو : ألا يفكر بالنهار الا فى مقولات حياته وأن يحلم بها فى الليل ·· »(٢٤) لأن ما تحتاجه البشرية ، فى رأيه ، هو المفكر الذاتى مثله الذى يعمل على استعادة الانسان من ضياع العالم الخارجى ، اننا لا نحتاج ـ فيما يقول كيركجور الى المفكر الموضوعى الذى يجرد كل شىء فى عالم الانسان كما يفعل الفيلسوف الهيجلى الذى نسى أن يعيش نتيجة لتفكيره العقلى فى الوجود بحثا عن

(١٩) Ibid.
(٢٠) Ibid, P. 274.
(٢١) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر : ٢١ ·
(٢٢) The Journals P. 274 (Oxford).
(٢٣) Ibid, P. 37.
(٢٤) Quoted by R. Jolivet : Introduction to Kierkegaard P. 230 Eng. Trans. by Frederek Muller, London 1950.

« الحقيقة الموضوعية » ! مثله مثل من كلف بتنظيم حفـل فقام بدعوة الناس جميعا ولكنه نسى أن يدعو نفسه ٠٠ !

اننا بالطبع لا ندافع قط عن أية نظرية من نظريات كيركجور ولا نتبنى أي موقف من مواقفه التى قد تكون فى جانب كبير منها هشة لا تصمد لنقد متأن ، وقد تكون فى جانب آخر منها معتمدة على فلسفة هيجل بحيث يمكن أن تفهم على نحو أفضل لو أننا افترضنا باستمرار الخلفية الهيجلية ـ كل ذلك قد يكون جائزا وسوف يتضح بتفصيل أكثـر طوال هذا البحث ، لكننا مع ذلك كله نرفض أن يقـذف به ـ ببساطة شديدة ـ خارج سفينة الفلسفة لأنه لم يسر على نهج معين يرتضيه الباحث فى ميدان الفلسفة !

اننا نعـلم بالطبع أن كيركجور لا يقاس بذرة من هيجل ، وهـو ليس فيلسوفا شامخا مثـل أفلاطون وأرسطو ، وقـد لا يكون « عظيما » عظمـة كانط لأنه لم يدرك عن وعى « دوره البنـاء » ـ لكن ذلك كله لا يمنعه من أن يكون فيلسوفا من طراز « بسكال B. Pascal » « أو نيتشه F. Nietzsche » الـذين مزجوا فلسفتهم بايمانهم تارة أو بدمائهم تارة أخرى ٠٠ ! ان من أعجب المبررات التى استند اليهـا « كاوفمان » قـوله : « اذا كان كيركجور نفســه يصـر على أنه ليس فيلسوفا ، فلماذا نصــر نحن بدورنا على أنه كـذلك ؟ ! » ونحن نود بدورنا أن نسـأل « كاوفمان » : متى كان الباحثون يتقيدون بما يقـوله الفلاسفـة عن أنفسهم ٠٠ ؟ ألم يرفض فلاسفة الوضعية المنطقية المعاصرون هذه التسمية فقيل عنهم : « انهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم ليســوا فلاسفة ٠٠ ؟ ! وأن موقفهم من انكار الفلسفـة موقف فلسفى لا محــاولة ٠ ؟ ! ألا تعتبر القــدرة على « رفض الفلسفة » ونقـد « المذهب الفلسفى » هى فى حد ذاتها تفلسفا مصداقا لقـول أرسطو : « ان علينـا أن نتفلسف اذا اقتضى الأمر التفلسف ، فاذا لم يقتضى الأمر التفلسف ، وجب علينـا أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضـرورة له ٠٠ » ؟ ! ؛ ألم يرفض « وليـم جيمس W. James » تسميته بالفيلسوف البرجمـــاتى ثم عـــاد وقال : « انه لقب ألصق بنا وقبلناه على مضض ؟ ! » ٠ ألم يرفض « هنرى برجسون H. Bergson » « المذهب الفلسفى » حتى أصبحت الصفــة الأولى التى ينبغى أن يتحلى بها كل برجسونى هى « صفة اللامذهبية » ٠ ؟ !(٢٥) ٠

(٢٥) د ٠ زكريا ابراهيم « برجسون » نوابغ الفكر الغربى (التصدير) ٠

بل الم يشك سارتر نفسه من أن لقب « الوجودية » أصبح خاليا من المعنى . ؟ !(٢٦) . الم يذهب هيدجر ، ويسبرز ، ومارسل جميعا الى رفض « لقب الوجودية » مع أن أى دراسة جادة لهذا المذهب لابد أن تشملهم كلهم كما يقول ماكورى بحق ؟ ! : « أصبح من الصعب أن تجد من الفلاسفة من هم على استعداد للاعتراف بأنهم أنفسهم وجوديون على الاطلاق ، حتى أولئك الذين يمكن أن ينظر اليهم على أنهم وجوديون رغم اعتراضاتهم لم يعد من الممكن النظر اليهم على أنهم يشكلون « مدرسة » بالمعنى المألوف لهذه الكلمة : فهيدجر ، وبسبرز ، ومارسل ، وهم الذين لابد أن يشملهم أى نقاش للوجودية ، قد رفضوا جميعا هذا اللقب .. »(٢٧) . بل يلاحظ بعض الباحثين من أمثال روجر شن .. R. L. Shin « أن الوجودى الذى يحترم نفسه لابد أن يرفض ان يطلق عليه لقب وجودى .. ! »(٢٨) . وهو يقصد ان الوجودى الحقيقى يرفض « التقولب » فى قالب معين بحيث يصبح فردا فى فئة تعرف بالوجوديين .. !(٢٩) .

ثم ماذا يحدث ، بعد ذلك كله ، اذا ما عرفنا أن موقف كيركجور المعلن من الفلسفة والفلاسفة و « المذهب الفلسفى » وأستاذ الفلسفة ... الخ ليس هو موقفه الحقيقى ، وأنه أخفى ـ بطريقته المعتادة ـ موقفه الحقيقى بداخله .. ؟ ! لقد كانت وظيفة أستاذ الفلسفة ، على سبيل المثال ، أمنية تداعب خياله ويتمنى لو تحققت يوما ما ، لكنه ، للاسف ، لما فشل فسر فشله ـ كالمعتاد أيضا ـ تفسيرا دينيا ! يقول يوهانس هولنبرج J. Hohlenberg مؤرخ حياته الشهير ـ أن هذه الأمنية ظلت تعتمل فى نفسه سنوات طويلة وازدادت حدة عندما توفى (فى ١٣ مارس ١٨٣٨) بول مارتن مولر Paul Martin Muller أستاذ الفلسفة الخلقية فى جامعة كوبنهاجن ،

---

(٢٦) والواقع أن سارتر لم يطلق على نفسه صفة « وجودى » فى أول الأمر ، بل انه اعترض بشدة على هذه التسمية حين وصفه بها بعض الصحفيين ـ قارن د. أحمد أبو زيد « سارتر دراسة تمهيدية » فى العدد الخاص عن « جان بول سارتر » من مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثانى عشر عدد ٢ يوليو ١٩٨١ .

(٢٧) John Macquarrie: Existentialism P. 5 - 6 Pelican Book.

(٢٨) Ibid, P. 6.

(٢٩) Ibid.

فراح يعمل بجد فى رسالته للماجستير عن « مفهوم التهكم » (التى ناقشها عام ١٨٤٠) آملا أن تفتح له هذه الرسالة أبواب التدريس فى الجامعة ، لاسيما وظيفة أستاذ الفلسفة الخلقية التى كانت شاغرة منذ وفاة مولر · لكن هذا الأمل تبدد عندما انتدب « رازموس نيلسن · Rasmus Nielsen »(٣٠) لالقاء بعض المحاضرات فى الفلسفة ، ثم عين بعد ذلك باشهر قلائل أستاذا بالجامعة فأغلق تعيينه الباب نهائيا فى وجه كيركجور(٣١) · صحيح أنه عمد خيبة الأمل ، كالمعتاد ، تعميدا دينيا ورأى فيها « اشارة » من الله توحى اليه بأن طريقه ليس سلك التدريس الأكاديمى فى الجامعة وأن عليه أن يتجه اتجاها دينيا ، لكنه مع ذلك لم ييأس ـ فبعد مناقشة رسالة الماجستير التى أحدثت دويا فى « كوبنهاجن » لما احتوت عليه من مقدرة فلسفية ، وبراعة فى التهكم والسخرية ، وبعد أن طبعها فى كتاب باسمه الحقيقى وليس باسم مستعار مثل كتبه الأخرى ـ سافر الى مدينة برلين ليستكمل دراساته الفلسفية فى جامعتها(٣٢) · وجلس يستمع الى شلنج العجوز الذى بهره بحديثه عن « الواقع » فكتب فى يومياته بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٤١ يصف حالته آنذاك :

« أنا سعيد سعادة لا توصف لسماعى محاضرة شلنج الثانية حتى أننى تنهدت طويلا بما فيه الكفاية ، وتنهدت الأفكار بداخلى ، فهو حين نطق بكلمة « الواقع » ركض جنين الفكر بداخلى فى فرح كما قفز الجنين من قبل فى بطن « اليصابات »(٣٣) ، وفى استطاعتى أن أتذكر تقريبا كل كلمة

---

(٣٠) يتحدث عنه كيركجور فى يومياته ويقول « اننى جعلت رازموس نيلسن صديقا حميما لأننى شعرت أن ذلك كان واجبا دينيا · · » قارن يوميات عام ١٨٤٩ ·
S. Kierkegaard. The Journals P. 162 (Fontana Edition) 1969.

(٣١) Johannes Hohlenberg: Soren Kierkegaard P. 1/1-102
Eng. Trans. by T. H. Croxall; Octagon Books U.Y., 1978.

(٣٢) قارن ما يقوله فثيوف برانت من أن كيركجور قد ذهب الى برلين التى كانت مركزا للفلسفة واللاهوت فى ذلك الوقت محاولا الحصول على درجات علمية جديدة تؤهله للحصول على كرسى الفلسفة الذى كان شاغرا منذ وفاة الشاعر الفيلسوف بول مارتن مولر عام ١٨٣٨ ـ ف · برانت : س · كيركجور : ص ٢٢ ·

(٣٣) اشارة الى القصة التى رواها « انجيل لوقا ، و « اليصابات »

قالها منذ هذه اللحظة »(٣٤) ٠٠ أما المبدأ الذى أعلنه مرارا من أنه لايقدم فلسفة « ولا يعرف شيئا عن « المذهب الفلسفى » وهو لا يؤلف ولا يعد بتأليف مثل هـذا المذهب الفلسفى »(٣٥) ، فاننا نستطيع أن نقول مع ر ٠ جوليفيه R. Jolivet اننا نشك كثيرا فى انه كان مخلصا دائمـا اخلاصا كاملا لكل ما يقتضيه هـذا المبدأ من صـرامة كاملة ٠٠ بل ان عناوين كثيـر من مؤلفاته تدل بوضوح على انتقاله من التحليل الوجودى الى فلسفة الوجود ، ومن أمثال هذه العناوين « مفهوم القلق » و « رسالة فى اليأس » ٠٠ حيث نحد فى جلاء ضربا من المذهبية والتعميم(٣٦) ٠٠ والحق أن كيركجور كان لديه ميل خفى لاقامة « مذهب مسيحى » رغم معارضته الشديدة للمذهب » ، وللنسق الفلسفى بصفـة عامة ، فقد استهوته « المذهبية الهيجلية » رغمـا عنه ، ولهذا نجـده فى كثير من الأحيـان يعالج تصورات مجـردة ومفاهيم عامة ثم يحاول بعد ذلك أن يربط بينها ٠ ويقول « سوء حظى : أننى حيثما أوجد لا أنشغل بالجزئى ، لكنى أنشغل باستمرار بمبدأ وبفكرة ٠ ان الغالبية العظمى من الناس على أحسن الفروض يفكرون فى الفتاة التى ينبغى عليهم أن يتزوجوا منهـا ، أما أنا فقـد كتب على التفكير فى الزواج من حيث هو زواج ، وهكذا فى بقية الأشياء ٠٠ »(٣٧) ٠

صحيح أن كيركجور أطلق على كتابين من أهم كتبه اسمين لهما دلالة واضحة هما : « الشذرات الفلسفية » ، و « حاشية ختاميـة غير علمية » ٠

---

=

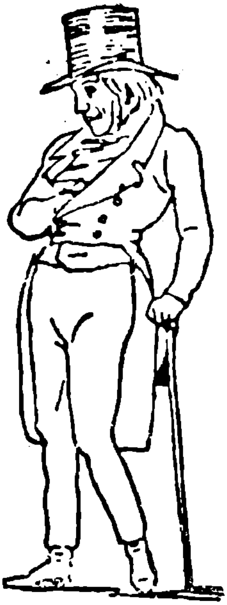
هى زوجة زكريا وأم يوحنـا المعمدان وكانت عاقرا فبشـرها مـلاك الرب بغلام : « ولـما سمعت اليصابات سـلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها » ٠ لوقا الاصحاح الأول : ٤١ ٠

(٣٤) S. Kierkegaard; The Journals P. 102 (Oxford).

(٣٥) كان هانز مارتنسن (١٨٠٨ ـ ١٨٨٤ ) H. Martensen استاذ اللاهوت بجامعة كوبنهاجن ـ وهـو من كبار الهيجليين فى الدانيمارك ـ قد كتب مقالا بعنوان « أحاديث تمهيدية فى المنطق النظرى » وعـد فيه بتقديم مذهب فلسفى ، واشارة كيركجور سخرية من هذا الوعد ٠

(٣٦) ريجيس جوليفيـه : « المذاهب الوجـودية من كيركجور الى سارتر » ص٥٠ ترجمة فؤاد كامل عبـد العزيز الدار المصـرية للتأليف والترجمـة ٠

(٣٧) S. Kierkegaard : The Journals P. 314 (Oxford).



Soren Kierkegaard
After a drawing by P.C. Skovgaard
سرن كيركجور بريشة ب . س . سكفجور



Soren Kierkegaard, about 1836
سرن كيركجور حوالى عام ١٨٣٦

مشيرا بذلك الى انه يعارض مذهب الفلسفة الهيجلية ذا الصفة الشمولية(٣٨) ٠ فهو يكتب « شذرات » وليس مذهبا فلسفيا مثل هيجل ، كما أنه يكتب « حاشية غير علمية » او مجرد « حاشية » ليس لها الصبغة « العلمية » (وكان هيجل يستخدم كلمة « العلم » ٠٠٠ Wissenchaft بمعنى واسع لتشمل الفلسفة أيضا ٠٠ ) ـ ذلك كله صحيح لكن الأصح منه أنه لم يستطع أن يفلت من قبضة هيجل الحديدية(٣٩) ، وهو موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فيما بعد كما سبق أن ذكرنا ٠

* * *

أما ما يقوله « كاوفمان » من أن كيركجور وقف ضد تيار الفلسفة الحديثة كلها عندما أعاد الثقة بالكتاب المقدس ، فهو اتهام فيه الكثير من المبالغة من زاويتين : ـ

**الأولى** : أن تيار الفلسفة الحديثة لم يكن قد تخلص تماما من « لاهوت العصور الوسطى » ، أعنى انه لم يكن عقلانيا بالدرجة التى تجعله يرفض سلطان الكتاب المقدس رفضا تاما ؟ فديكارت R. Descartes « كما يقول كيركجور نفسه ـ لم يتشكك قط فى مسائل الايمان ، وهو يقتبس منه قوله ان ما ينكشف لنا بواسطة الله يجب أن نؤمن به بوصفه أكثر الأشياء كلها يقينا ، واذا ما بدا نور « العقل الطبيعى » موحيا بشىء مخالف فاننا مع ذلك لابد أن نثق فى السلطة الالهية وحدها أكثر من ثقتنا فى حكمنا الخاص ٠٠٠(٤٠) ٠

٠٠ يقول ديكارت ما نصه مترجما : ـ

« ينبغى قبل كل شىء أن نتمسك بقاعدة تعصمنا من الزلل وهى أن

---

(٣٨) John Macqurrie : Existentialism P. 1. (a Pelican Book 1972).

(٣٩) د٠ امام عبد الفتاح امام « كيركجور فى قبضة هيجل » ـ مجلة الفكر المعاصر عدد ٦٧ سبتمبر ١٩٧٠ ٠

(٤٠) د٠ ديكارت « مبادىء » الفلسفة الجزء الأول فقرة ٢٨ وفقرة ٧٦ ويستشهد به كيركجور فى كتابه « الخوف والقشعريرة » ص٢٢ ومابعدها من ترجمة لورى السالفة الذكر ٠

ما انزله اللـــه هو اليقين الذى لا يعـدله يقين أى شىء آخـر ، فاذا بدا أن ومضــة من ومضات العقل تشير الينــا بشىء يخالف ذلك وجب أن نخضع حكمنا لما يجىء من عند الله ٠٠ »(٤١) ٠

واذا كان أبو الفلسفة الحديثــة يلزمنا بمـا أنزل اللـــه ـ أى الكتاب المقدس ـ الذى هو يقين ما بعده يقين ، فان تلاميذه « أعلام الفلسفة الحديثة » يسيرون فى نفس التيار ، تشهد على ذلك خواطر ، بسكال ٠٠ B. Pascal » (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) التى تكاد تذكر آياته الكتاب المقدس فى كل صفحة تقريبا دون أن تمل مطلقا من الاستشهاد بنصوصه ٠٠(٤٢) ٠

أمـا ليبنتز G.W. Leibniz (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) الذى يفتتح كتـــابه « أحاديث عن الميتافيزيقا » بالتفرقة بين « أعمال الله وأعمال المخلوقات » ٠ فانه يختتمه بتبرير العنـاية الالهيـــة بالالتجـاء الى الانجيـل ـ يقـول : لم يعرف الفلاسفة القـــدامى الا القليـل عن هـــذه الحقـائق ، يســوع المسيح وحـده هو الذى عبر عنهـا بطريقة الهية وعلى نحــو واضح جدا ومألوف للغاية لدرجة أن أبسط العقول تستطيع ادراكهـا ، كما أن انجيله غير تماما وجــه الأرض ٠٠ » ، ثم يستشهد بنصــوص كثيــرة من العهـد الجديد(٤٣) ٠

---

(٤١) مبادىء الفلسفة لديكارت ترجمة الدكتور عثمان أمين ص١٨٠ مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٦٠ ٠

(٤٢) قارن « خواطر بســـكال B. Pascal: Pensées » ص٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ و ص ٣٧ ، و ص ٤٨ ، ٤٩ ، ص ٥١ ٠٠ الـخ الـخ من الترجمـــة الانجليزية بقـلم A.J. Krailsheimer عـام ١٩٧٧ طبعـة Penguin Books .

(٤٣) قارن الفقـــرة رقم ٣٧ من أحاديث فى الميتافيزيقا ـ وتقـــول المترجمة الانجليزية مارى موريس Mary Morris ان هذه الفقرة عبارة عن سلسلة من النصوص المقتبسة من الكتــاب المقدس (العهد الجديد) حيث يوضح « ليبنتز » كيف كشف يسوع للناس عن الأسرار والقوانين العجيبة فى مملكة السماء والسعادة القصوى التى أعدها الله للذين يحبونه :
G.W. Leibniz : Philosophical Writings P. 247 Eng. Trans. by Mary Morris and G.H. Parkinson; Rowman and Littlefield, totowa, N. J. 1979.

واذن فإن تيار الفلسفة الحديثة ، لم يكن قد تخلص تماما من سلطان الكتاب المقدس حتى يقوم كيركجور باعادته اليه ٠٠ !

**الزاوية الثانية :** حين كان كيركجور يلجأ الى الكتاب المقدس فانه لم يكن يفعل ما يفعله رجل الدين التقليدى حين يعظ الناس بما جاءت به الاناجيل ويدعم ثقتهم فى نصوصه كما يوحى نقد « كاوفمان » ، لكنه كان فيلسوفا دينيا ينظر الى هذه النصوص بمنظور « وجودى » يحتم على المرء أن يعيشها ويفهمها فهما ذاتيا ـ ولقد أدى هذا المنظور الى نشوب معركة عنيفة بينه وبين الكنيسة القائمة لم تنته الا بموته وهى معركة سوف نعود اليها فى فصل خاص عنوانه « الصراع حتى الموت » ٠٠

ان كيركجور لم يسلم ، على نحو دجماطيقى ، بالخطيئة » لكنه ذهب الى أن « الخطيئة » هى أقوى تعبير عن الوجود ، لأن شعورنا بها ليس شيئا آخر سوى شعورنا العميق بوجودنا ٠ وحينما يقول كيركجور ان : « الوجود هو الشعور بالخطيئة » فانه يعنى أن الذات تؤكد نفسها فى الخطيئة باعتبارها موجودا مستقلا عن الله ،ولكنها مع ذلك تشعر انها على صلة بالله بمقتضى ذلك الفعل نفسه الذى به انفصلت عن الله ٠

وحينما يستولى الشعور بالخطيئة على النفس الآثمة المنسحقة أمام الله ، فانها لابد أن تجد نفسها بازاء الله وجها لوجه ـ وبهذا المعنى ذهب كيركجور الى القول بأن الوجود فى أعلى درجاته هو ألم وعذاب ، أو هو على وجه التحديد عذاب دينى لأن الخطيئة هى التى تقودنا الى أعتاب الوجود الدينى الصحيح ، والرجل المذنب أو الخاطىء يجد نفسه وحيدا أمام الله ، وهو لابد أيضا أن يتأمل حريته فى صميم تلك الخطيئة التى وقع تحت عبوديتها(٤٤) ، وهكذا يؤدى الشعور بالخطيئة الى الشعور « بالقلق » وهو موضوع يصفه « فيجلينوس هوفينتز » ـ الاسم المستعار الذى ألف مفهوم القلق ـ بأنه من أصعب الموضوعات السيكولوجية بالاضافة طبعا الى « المعانى الدينية » التى يحملها الموضوع ، ومن ثم كان الكسندر درو A. Dru « مترجم يوميات كيركجور الى الانجليزية ، على حق تماما ،

---

(٤٤) د٠ زكريا ابراهيم « الفلسفة الوجودية » ص ٤١ ـ ٤٢ ٠

عندما أشار فى تصديره لهذه الترجمــة الى أن كيركجور استخدم « مفهوم القلق » بمعنى سيكولوجى ودينى وفلسفى « فاستخدام كيركجور لهذا المصطلح يتضمن استخداما ميتافيزيقيا بمعنى الكلمة ٠٠ »(٤٥) ٠

أما موضوع البرهنة على وجود الله فسوف نعود اليه فيما بعد عندما نتحدث عن « الايمان والمفــارقة » في الجزء الثانى من هذا البحث ــ ويكفى الآن أن نقول مع « ارك فرانك ٠٠ E. Frnak » أن كيركجور حاول أن يلجــأ الى الانسان الحديث عندما افترض منذ البداية أن الله لا يمكن البرهنة عليه بالعقل ، لأن الله يظل أمام عقــل الانسان الحديث مجــرد مفارقة خارجية ، ولا يقوم وجوده الا على أساس ايماننا أعنى على قرارنا الحر الذى لا يدعمه أى دليل خارجى ٠ ومن هنا كان الله هو « المجهول The Unknown » أو كان حجر عثرة Scandal أمام العقل(٤٦) ٠ ولهذا فان علينا أن ندرب العقل حتى يتقبــل الله بوصفه موضوعا حقيقيا ووجودا صادقا حتى ولو كان ذلك يعنى أن نقوم « بقفزة فى الظلام » ! ٠ ان الطبيعة الحقيقيــة للايمان هو ألا يحمــل يقينا « والا لما كان الايمان على نحو ما هو عليه بالفعل : أعنى فعلا حرا(٤٧) ٠ يحمل « المخاطرة » ومن ثم المسئولية المترتبة على الفعل الحر ــ ومن هنا جاء

---

(٤٥) A. Dru Preface to English Translation of the Journals (Oxford).

(٤٦) كثيرا ما يترجم هــذا المصطلح فى اللغة العربية بالفضيحة وهو خطأ ، أى على أقل تقدير يبتعد عن المعنى الدينى المراد ، فهو يصف اصطدام العقل البشــرى (أى ما يسميه هيجــل بالفهم) ــ بالمفــارقة التى هى التناقض الظاهرى المتحقق فى العالم بالفعل ٠ أى أنه وجود حقيقى لكن لا يقبله العقل مثــل أن تكون الســيدة مريم اما وعذراء فى وقت واحد ؛ وأن يكون المسيح الها وبشرا ، أبدى وزمانى فى آن معا ٠ ولقد كتب كيركجور جزء عن العثرة « فى كتابه » المرض حتى الموت ٠٠٠ Sickness unto Death... » ٠ ص٢١٤ وما بعــدهما ٠ والمصطلح مأخوذ من قــول السيد المسيح « طوبى لمن لا يعثر فى » ٠ متى ١١ : ٦٠ وقــول القديس بولس « لأننــا نكرز بالمسيح مصلوبا ، لليهــود عثــرة ، ولليونانيين جهالة » ٠ كرونثوس الأولى ــ الاصحاح الأول آية ٢٢ ــ ٢٣ ــوهى بالانجليزية Scandal, Offense, Stumbling block وبالفرنسية le Scandale

(٤٧) Erick Frank : Philosophical Understanding and Religious Truth P. 40 - 41 Oxford University Press, London, 1952.

قول القديس بولس « طوبى لم آمن ولم ير ٠٠ » ! ان الايمان الحقيقى لا يعتمد على الرؤية حسية كانت أم عقلية وانما يقوم على « اللايقينى » الذى هو العلامة الحقيقية الأصيلة على يقين الايمان ـ وهو موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فيما بعد ٠

والحق أننا نستطيع هنا أن نقارن بين فلسفة كيركجور وفلسفة ترتليان قديما Tertullian (١٦٠ ـ ٢٢٠) التى دمغت الايمان بأنه ايمان بالمفارقة واللامعقول ، لكن كيركجور كان يمزج هذه الفكرة بالفلسفة الهيجلية ! لقد كان الفيلسوف القرطاجنى يدعو ، أحيانا ، مثل كيركجور الى الابتعاد عن « الفلسفة » التى يصفها بأنها « عدو للدين » ومن هنا نراه يتساءل أحيانا : « هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين أورشليم وأثينا(٤٨) ؟ (أى بين الفلسفة والدين) ويجيب بالنفى لكنه يعود ، أحيانا أخرى ، فيرى أن هناك « تحالفا » واتحادا بينهما فيقول : « لقد كان سينكا ٠٠٠ Seneca واحدا منا ٠٠ »(٤٩) ٠ « وترتليان » فى الحالتين يدعو الى لون جديد من الفلسفة المسيحية ، والى فهم جديد لما ينبغى أن يكون عليه الايمان المسيحى الذى يتطلب الغاء العقل تماما ـ والعقل المرفوض هنا هو العقل الأرسطى الذى يؤمن بالهوية ويستبعد التناقض ! لقد أحب « ترتليان » المفارقة والتناقض حتى أنه جعلهما صريح الايمان ـ أى التعبير الصريح عن الايمان الحقيقى ومن هنا ذهب الى أن تجسد المسيح « مؤكد لأنه مستحيل ٠٠ Certum est quia impossibile » ، ثم انتهى الى وضع الصيغة الشهيرة للايمان باللامعقول والتى ارتبطت باسمه فى تاريخ الفلسفة : « أومن لأنه لامعقول ٠٠ Credo ad absurdum .

وعلى هذا الدرب سار كيركجور ٠٠ يقول جون ماكورى J. Macquarrie « فى نفس الطريق الذى سلكه ترتليان من قبل سار كيركجور فذهب الى أن المسيحية عثرة Offense أمام العقل ، لكننا نستطيع أن نتغلب على هذه العثرة بفعل من أفعال الارادة وليس بفعل من أفعال العقل أعنى بقفزة

(٤٨) The Encyclopaedia of Philosophy Vol. 8.
(٤٩) Ibid.

« الايمان · انها أيضـــا « اللحظة » أمام الله ـ أعنى اللحظة التى يتصل فيها الأزل بالزمان اتصـــالا وثيقا ، ولا يعنى ذلك أن المؤمن يتحرر من الزمان وما فيه من صراع ، وانما تعنى أن هناك بعدأ أبديا فى صميم حياته »(٥٠) ·

لو أن « كاوفمان » ذهب الى أن كيركجور أراد أن يحيى هـذه الفلسفة القديمة « فلسفة اللامعقول » أو « المذهب اللاعقلانى » القـديم ـ فى صـورة ذاتية حديثة مستعينا فى رسم هذه الصورة بخلفية هيجلية واضحة لقلنا انه أصاب · اما أن يقول ان كيركجور اقتبس مقولات من المسيحية وأفكارا من من هيجل ـ ثم راح يلعب بكلمات مثل « جدل » و « روح » و « ذات » ··· الخ فربما أمكن أن نعتبر ذلك فى أحسن صوره نقدا للفلسفة المسيحية الجديدة التى قدمها كيركجور لكنه لا يمكن أن يكون حكما باعدامه فلسفيا ·

نحن لا ننـكر ان كيركجور كان يعكس فى كثيـر من كتـاباته حالاته النفسية المرضية فـكان هناك لون من الخلط الفـكرى فى معالجة الأفـكار الميتافيزيقية والدينية والنفسية فى وقت واحد ـ وهو اضطراب يعلله هايكر Haecker بأن : « كيركجور كان يفـكر فى وقت واحـــد فى الشعـر وفى الفلسفة وفى علم النفس وفى اللاهوت ! ولقــد وصــل الارتباك الى أقصــاه عندما اختلط الموضوع بالشخص ،والجزء بالكل ، والفكر بالوجود »(٥١) · لـكن ذلك كله ، وغيره كثير ، ليس سـوى نقد يمكن أن يوجه الى فلسفـة كيركجور ، والى غيـرها من الفلسفات التى مزجت فـكرها بدم صاحبهـا وبخلجات نفسه ! وفى استطاعتك أن توجه هـذا النقـد نفســه الى فيلسوف مثل « نيتشه F. Nietzsche » لكن لا يمكن أن يكون هـــذا النقد مبررا لكى تقـذف به من سفينة الفلسفة ـ التى استوعبت كسفينة نوح ـ أنماطا لا حصر لها من التفلسف ! ذلك لأن الفلسفة فى النهاية هى « أثارة السؤال » حول الانسان : مسيره ومصيره انها تعبير فكرى عن وجـوده فى كل زمان ومـكان !

* * *

(٥٠) Jahn Macquarrie : Existentialism P. 170 - 171 (A Pelican Book).

(٥١) Cité Par Jean Wahl : Etudes Kierkegaardiennes P. 1 Librairie Philosophique J. Vrin Paris, 1967.

تنقلنا هـذه المناقشـة الى ما يقـوله « كاوفمان » من أن كيركجور لم يعمل على تنمية ملكاتنا النقدية ، أو يمارس ملكة النقد فى نقـد « الأوضاع القائمة » ، وأنه لم يفهم لب الفلسفـة السقراطية وهو انهـا اثارة للسؤال ـ والحق أن هذا الأتهام فيـه الكثير من الافتئـات على كيركجور ! فاذا كان الرجل قـد أخـذ على عاتقه اثارة « المشـاكل » فى كل مكان ، « وتصعيب السهل » على حـد تعبيره ـ فكيف يمكن أن يعـد ذلك تقديما لجواب وليس اثارة لسؤال ٠٠ ؟ واذا كان قـد دأب طوال حياته على التهكم والسخرية ـ وكان موضوع اطروحته للماجستير ـ من الاوضـاع الموجـودة فى مجتمع الدانيمارك ، ومن الجيل الموجـود ـ أفلا يكون تجنيا عليـه أن يتهم بعـدم اثارة السؤال ؟ واذا كان كيركجور يصب حمـلات نقـدية لاذعة لا تخلو فى كثير من الأحيان من السخرية المؤلمـة ـ على أعظم تيـار فكرى فى عصره وأعنى به تيار الفلسفة الهيجلية ، ألا يكون ذلك ممارسة لملكة النقـد ؟ واذا كان قـد شن هجوما مماثلا على التيـار الدينى المتمثل فى الكنيسة القائمة حتى أنه أصدر نشرة صحفية خاصة هى « اللحظة » لتلاحق نقـل هجماته المتلاحقة ضد رجال الدين ـ ألا يكون ذلك ممارسة لملكة النقد أنقول بعد ذلك انه آثر الجواب لا السؤال ، وبحث عن الحـل ولم يطلب الاشكال ؟ يقـول كيركجور :

« انطلاقا من حبى للبشر ، ومن اليـأس الذى أشـعر به ازاء موقفى المحير ، ونظرا لاننى لم أنجز شيئا ، ولعجزى عن أن أجعـل الاشياء أكثـر سهولة مما هى عليه بالفعل : فقـد تصورت أن مهمتى هى أن أخلق المشاكل والصعاب فى كل مكان ٠٠(٥٢) » وهو يقـول فى تأملاته التى لخص فيهـا جوهر مؤلفاته المستعارة كلها تحت عنوان : « خاتمة محتملة لجميع أعمالى ذات الاسماء المستعارة بقلم نقولاس نوتابن Nicolaus Notabene (٥٣) ٠ ـ

---

(٥٢) S. Kierkegaard : Concluding Unscientific Postscript; P. 166 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٥٣) هو المؤلف المستعار لكتاب كيركجور « المقدمات ٠٠ «Prefaces
ولقد عبر « أونامونو » الذى تأثر تأثرا قويا بكيركجور ـ عن هـذه الوجهة من النظر فوصف دوره بأنه يطلب الحرب ، ولهذا يقول : أنا السيف وحجر الطاعون ، وأنا أرهف السيف فى نفسى » وأيضـا ان اللـه لم يبعثنى فى الدنيا رسـولا للسلام ، ولا من أجـل حصـاد التعاطف ، بل أرسلنى لأبذر
=

يقول « سوف أخبر الجمهور الكريم الآن كيف أصبحت مؤلفا ، القضية بسيطة للغاية ..

« لقد أنفقت بعض سنوات عمرى طالبا كسولا متعطلا الى حد ما : أقرأ قليلا وأفكر قليلا . غير أن سنوات المراهقة كانت لها عندى اليد الطولى ، وقد حدث أن جلست بعد ظهر يوم من أيام الآحاد فى مقهى فردريكسبرج Frederisksberg أدخن سيجارا وأتأمل الفتيات العاملات ، وفجأة خطر لى خاطر فقلت لنفسى : أنت لاتزال تضيع وقتك عبثا ، مع أن العباقرة قد ظهروا ، فى كل جانب ، واحدا أثر الآخر ، وحاول كل منهم أن يجعل الوجود والحياة ، ووسائل الاتصال عبر التاريخ ، والاتصال بالسعادة الأبدية : أسهل وأسهل ، **فماذا تفعل أنت ؟** ألا يمكن أن تكتشف طريقة ما تستطيع بواسطتها **أن تعين الأجيال** وتساعدهم ؟ عندئذ سألت نفسى لم لا أجلس وأجعل كل شىء أكثر صعوبة ؟ اذ لابد للمرء أن يكون نافعا بطريقة ما ، وحتى اذا لم يرد الجيل (هذا التصعيب للاشياء) فسوف أكون محبوبا من أولئك الذين يريدون تسهيل كل شىء لأنه اذا لم يكن هناك من هو على استعداد لجعل الاشياء أكثر صعوبة لأصبح من السهل أكثر مما ينبغى أن تجعل الأشياء سهلة ! منذ تلك اللحظة أدركت أن متعتى تكمن فى هذا العمل .. »(٥٤) .

على هذا النحو يفهم كيركجور الدور الذى أراد أن يقوم به بمؤلفاته أن يثير المشكلات ، وأن يصعب السهل ، فتلك هى العبقرية الحقيقية كما يراها : « عندما يبحر الربان بسفينة شراعية فانه فى العادة يعلم مقدما مسار رحلته . أما رجل الحرب فانه لا يتلقى الأوامر الا وهو في عرض البحر ـ وهذا ما يحدث للعبقرى أنه يغوص الى الأعماق قبل أن تصله الأوامر .. »(٥٥) .

---

=

أنواع القلق والمضايقات ، واحتمال الكراهية ، وهذه الكراهية هى ثمن نجاتى » . قارن د. عبد الرحمن بدوى « دراسات فى الفلسفة الوجودية » دار الثقافة ـ بيروت ط ٣ عام ١٩٧٣ ص١٤٧ .

(٥٤) S. Kierkegaard : The Journals P. 92 - 93 (Fontana).

(٥٥) Ibid, P. 93.

الى هذا الحد كان العبقرى عند كيركجو « رجل حرب » ولقد خاض هو نفسه الكثير من المعارك لعل أهمها معركته مع « صحيفة القرصان » ثم معركته مع « رجال الدين » ، وسوف نتحدث عنهما فى الفصل الخامس الذى جعلنا عنوانه « الصراع حتى الموت » ، كما خاض أيضا معركة كبرى ضد الهيجلية سوف نتحدث عنها أيضا فى الجزء الثانى من هذا البحث ٠ ولما كانت الهيجلية قد انتشرت فى الدانيمارك انتشارا واسعا حتى سيطرت على الكنيسة اللوثرية التى ينتمى اليها كيركجور نفسه فقد وجه فيلسوفنا مدافعه نحو العصر كله ، والجيل الجديد الذى اندفع وراء الهيجلية الى الاعتزاز بالعقل والايمان به حتى بدا وكأنه مغروز فى طين العقل على حد تعبيره يقول :

« هل حدث لك أن رأيت قاربا جانحا فى الطين ٠ ؟ ! انه يستحيل عليك فى الغالب أن تجعله يعوم من جديد ـ يستحيل عليك أن تدفعه اذ لا توجد مدارة يمكن أن تصل الى العمق البعيد بحيث تستطيع دفعه من جديد ، تلك هى حال الجيل كله ، ذلك الجيل الملتصق بطين العقل ، ولا أحد يحزن عليه ، ولن تجد فيه الا غرورا ورضا ينبعان دائما من خطايا العقل ٠٠ »(٥٦) ٠

هل يمكن بعد ذلك كله أن نوافق « كاوفمان » على قوله أن كيركجور لم يمارس ملكة النقد ولم يطورها ؟ !

وفضلا عن ذلك كله فان « كاوفمان » لم يفسر لنا كيف يمكن أن يتسق ما يقوله لنا مع ما يقوله المؤرخون ـ وهم فيه على اجماع بأن كيركجور هو مؤسسة ذلك النمط الجديد من التفلسف المسمى باسم « الفلسفة الوجودية » ٠٠٠ ؟ ! يقول ديفيد روبرتس ـ مثلا ـ D.E. Roberts « سوف يكون سرن كيركجور فى أى مناقشة للوجودية المسيحية ـ الشخصية الرئيسية بغير جدال »(٥٧) ٠ وحتى لا يخطر ببال القارىء أن كيركجور

---

(٥٦) S. Kierkegaard : The Journals P. 461 (Oxford), Fontana P. 214 - 215.

(٥٧) David E. Roberts : Existentialism and Religious Belief P. 63 (Oxford University Press 1968).

هو مؤسس الوجودية المؤمنة فقط فان روبرتس يستطرد قائلا « لم يقتصر أثره على ميدان اللاهوت وانما امتد الى أولئك الكتاب الذين سوف نعرض لهم فيما بعد بوصفهم ممثلين للوجودية غير المسيحية (كالوجودية اليهودية) وكذلك للوجودية الملحدة (كوجودية سارتر مثلا) ففى خلال جيل واحد قفزت مؤلفاته من ظلمات النسيان الى مركز السيادة · فحتى بداية القرن الحالى لم يكن أحد يعرف عنه شيئا خارج البلاد الاسكندنافية · ولم يكن أحد يعرف عنه الكثير حتى فى أوربا نفسها »(٥٨) ·

ويكمل روبتشك P. Roubiczeck الفكرة نفسها فيقول « لم يكن هناك فيما يبدو أدنى احتمال أن تبقى مؤلفات كيركجور بعد وفاته عام ١٨٥٥ ذلك لأن هذه المؤلفات قد كتبت باللغة الدانماركية ، وهى لغة يندر أن يعرفها أحد خارج الدانيمارك ، كما أنه كان مجهولا تماما خارج بلاده نفسها التى كان فيها شخصية معروفة ، لكنه حتى داخل بلاده لم يكن معروفا بسبب مؤلفاته وانما بسبب هجومه على الكنيسة القائمة وبسبب بعض المسائل الشخصية الأخرى · أما اليوم ، وبعد أكثر من مائة سنة على وفاته ، فاننا نستطيع أن نقول بغير مبالغة انه واحد من أهم الفلاسفة واللاهوتيين ـ ان لم يكن أهمهم جميعا ـ فى عصرنا الحاضر · ان مدى تأثيره على الفكر الفلسفى واللاهوتى الحالى يدفعنا الى أن نقول انه يجب أن تكون لفلسفته مغزى خاصا بالنسبة لنا فى اللحظة الرأهنة ، فهو الذى نحت مصطلح « الوجودية ··· Existentialism... وهو الذى تصدى للمحاولات التى بذلها الفلاسفة لخلق مذاهب ميتافيزيقية تجريدية وصلت الى قمتها فى بداية القرن التاسع عشر ـ كيركجور هو الذى تصدى لهذه المحاولات عندما هاجم هيجل بصفة خاصة الذى زعم أنه وجد تفسيرا لكل شىء ـ وأصر كيركجور على أن لا تكون الفلسفة تجريدية بل أن تقوم على التجربة الشخصية وعلى الموقف التاريخى الذى يجد المرء نفسه فيه ، وعلى هذا النحو يمكن أن تكون الفلسفة الأساس ـ لا للفكر النظرى التأملى ـ بل لحياة كل انسان ·

وبفضل هذا المنحى الجديد فهم كيركجور أفضل من معظم الفلاسفة

---

(٥٨) Ibid.

احدى مشكلاتنا الرئيسية وأعنى بها مشكلة الانسان الحديث عندما يريد أن يقبل الايمان الدينى لاسيما فى المسيحية .. »(٥٩) .

وباختصار : اذا كانت الوجودية فى نظر المؤرخين جميعا أسلوبا جديدا فى التفلسف يتسم بسمات خاصة منها أنه يبدأ من الانسان لا من الطبيعة ، ومنها أيضا أن تفلسفه ينصب على الذات لا على الموضوع . ومنها أن الذات الوجودية ليست ذاتا مفكرة وانما هى ذات فاعلة .. الخ الخ ..(٦٠) . اذا كان هذا التيار يمثل فلسفة جديدة ، واذا كان كيركجور هو المؤسس الأول لهذه الفلسفة الجديدة فكيف يمكن أن يستبعده كاوفمان من مجال التفلسف ؟ ! ربما كان الأدنى الى الصواب أن نقول مع هربرت ماركيوز : « ان أعمال كيركجور تمثل آخر محاولة كبرى لاسترجاع الدين بوصفه الأداة النهائية لتحرير الانسانية من التأثير الهدام لنظام اجتماعى ظالم . وفلسفته تنطوى فى كل جوانبها على نقد قوى لمجتمعه ، يدينه بوصفه مجتمعا يشوه الملكات الانسانية ويحطمها . أما العلاج فنجده فى المسيحية وفى تحقيق طريقة الحياة المسيحية . ولقد كان كيركجور يعلم أن مثل هذه الطريقة فى الحياة تحتاج ، فى هذا المجتمع ، الى صراع لا ينقطع ، وتنتهى الى المذلة والانهزام .. »(٦١) . ولهذا فقد ظل يصارع هذا المجتمع الى آخر يوم فى حياته . ومات وعلى مكتبه « العدد العاشر » من نشرة كان يصدرها ليهاجم بها الكنيسة القائمة التى اتهمها بأنها مؤسسة حكومية تكتفى بتصدير الناس الى الحياة الأخرة ! « فقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها . فكما أنها تقوم برصف الطرق ، واقامة الجسور وتنظيم مجارى المياه ... الخ . فانها فى نفس الوقت أقامت مؤسسة مهمتها تقديم سعادة العالم الآخر بأبخس الأثمان ..... »(٦٢) .

* * *

(٥٩) Paul Roubiczek : Existentialism : For and Against, P. 55 - 56 Cambridge Univ. Press 1966.

(٦٠) J. Mackuarrie: Existentialism; P. 2 (A Pelican Book).

(٦١) هـ .. ماركيوز « العقل والثورة » ص٢٦٠ ترجمة د. فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة عام ١٩٧٠ (الطبعة الأولى) .

(٦٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes; P. 43.

يمكن أن نقول فى النهاية ان « كاوفمان » وقع فيما يمكن أن نسميه بخطأ الفيلسوف ٠ وهو خطأ يرتكبه الفلاسفة عندما يؤرخون لغيرهم أو يكتبون عنهم فاما أن يتفقوا معهم فى الرأى والمذهب أو يحرموا من لقب الفيلسوف ٠ اذ تراهم يرفعون شعار : « من ليس معنا فهؤلا شيء على الاطلاق » تلك سنة استنها عمالقة الفكر اليونانى سقراط وأفلاطون وأرسطو عندما سخروا من السوفسطائيين وجردوهم من لقب الفلاسفة لانهم خالفوهم فى الرأى بل وقفوا فى معسكر مضاد تماما ثم زادوا اثما عندما تناولوا أجرا على تعاليمهم وليس تلك هى السنة التى جرى عليها عرف الفلاسفة فحققت عليهم اللعنة فى كل كتاب !

وتلك هى نفسها نظرة المذاهب الفلسفية فى القرن العشرين فعلى هذا النحو ينظر الفيلسوف الماركسى أو البرجماتى أو الوضعى المنطقى ٠٠ الخ الى غيره من الفلاسفة « لست ماركسيا ، ذلك يعنى أنك لست شيئا على الاطلاق » ٠ أو « لست برجماتيا فلا نصيب لك عندنا » ! أو « من لم يكن وضعيا منطقيا فانه لايعرف شيئا عن فلسفة العصر ٠٠ ! الخ ٠ وليس ذلك « نقدا » بالطبع لأن نقد المذهب الفلسفى انما يأتى من داخله لا من الخارج والا لكنا نضرب المذاهب بعضا ببعض ٠٠٠ بل اننى أستطيع ان أقول أن هذه النظرية الضيقة نفسها هى التى طبقها تلاميذة هيجل بعد وفاته وأثارت سخط المفكرين والفلاسفة جميعا ، ذلك لأنهم اندفعوا فى غمرة الحماس الجارف للهيجلية الى رفع شعار غريب عن الهيجلية نفسها وهو « من ليس هيجليا فهو احمق وجاهل » ! ففى الوقت الذى حرص فيه هيجل على أن يجمع الفلاسفة جميعا الى حظيرة الفلسفة على اعتبار أن كل فكرة مهما تكن بسيطة قالها فيلسوف أو قام عليها مذهب انما هى لبنة فى صرح الفلسفة الهائل،ومن يرفضها على أنها ليست فلسفة يكون: « أشبه بالمريض الذى نصحه الأطباء بالأكثار من تناول الفاكهة ولكنه رفض أن يأكل ما قدم اليه من كمثرى وعنب وبرقوق ، زاعما أنها ليست فاكهة وانما بعضها كمثرى ، وبعضها الآخر عنب وبرقوق ! »(٦٣) ٠

(٦٣) Hegel: Lectures on the History of Philosophy Vol. 1, P. 18 Eng. Trans. by E.S. Haldane.

تلك نظرة « أحادية » حاربها هيجل وتمرد عليهـا كيركجور وكانت من بين الاسباب التى جعلته يشن حملة عنيفـة على الهيجلية بوصفها الفلسفة السـائدة التى يرى أصحابها أن من ليس هيجليا فهو « أحمق » ! ومادامت الهيجليـة هى « الفلسفة » بألف لام التعريف فقـد هاجم كيركجور الفلسفة بصفة عامة والمذهب بصفة خاصـة لأنه « قيـد » ينبغى للمفـكر الذاتى أن يتخلص منه ، وهو موضوع سوف نعرض له فى نهاية هذا البحث ٠

# الفصل الثانى

## ذلك الفـــــرد

«لــو سئلت عن العبـــارة التى أتمنى أن تكتب على قبــرى ، فلن أطلب الا عبـــارة واحــدة هى : ذلك الفرد ٠٠ » ٠

س٠ كيركجور : اليوميات

## الفصل الثانى

# ذلك الفــــــرد

كان « كيركجور » يتمنى أن يكتب على قبره بعـد وفاته عبـارة غريبة هى : « ذلك الفرد ٠٠ »(١) ٠ فما الذى كان يرمى اليه من وراء هذه العبارة الغامضة ؟ أكان يريد أن يقول انه « الفرد » بألف لام للتعريف أى أنه « الفرد الحقيقى » ، أو « الأمثل » أو أنه « الأوحــــد » « و المستثنى » « الخارق للعادة » ٠ ؟ أم كان يريد أن يقول أنه ذلك الفرد الشقى البائس الذى عاش وحيدا ، ومات وحيدا دون أن يشعر بطعم الحيـــاة الحقيقية التى كثيرا ما تحدث عنها ٠٠ ؟ أم تراه قد احتفظ لنفسه بمغزى العبارة كسر ينضاف الى رصيدة من الأسرار ٠٠ ؟ وأنه أراد أن يكون بعد وفاته ، كما كان طوال حياته ، لغزا يستعصى على الفهم ) مصداقا لقوله ، « نقد منحنى الله القدرة على أن أعيش لغزا ٠٠ » ( يوميات ١٨٤٨ ) ٠ أتراه كان يعتقد أنه سـوف ينام قرير العين كلما ازدادت حيرة الباحثين فى أمره دون أن يجدوا خيطا يرشدهم أو ضوءا ينير لهم الطريق فى دراستهم له : ٠

« عزائى أن أحدا لن يستطيع بعد وفاتى أن يجد بين أوراقى تفسيرا واحــدا لما كان يملأ حياتى كلهـا ، لن يجـد الكلمـات التى تفسر له كل شىء ٠٠ »(٢) ٠

الحق أن هذا الرجل كان « خارقا للعادة » بالمعنى الحرفى للكلمة أى أنه كان شاذا غريبـــا من زوايا متعددة ، واذا كان هو نفسه قد أطلق على أسرته اسم « الاسرة اللغز » فربما كان فى استطاعتنا أن نقول عنه أيضا انه : « ذلك الفرد اللغز ٠٠ (٣)أوتلك « الشخصية الغامضة » ٠ فكيف يمكن

---

(١) A. Kierkegaard Anthology P. 258 ed. by P. Bretall & Ency. of Philosophy Vol. 4 P. 336.

(٢) S. Kierkegaard : The Journals, P. 115 (Oxford).

(٣) كتب فى ٣ مارس ١٨٤٧ كتابا بعنوان « أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة » وأهــداه الى « ذلك الفرد ٠٠ » كما كتب فى يومياته تدوينة عــام =

للباحث أن يتناول هذه « الشخصية » بالدراسة والتحليل ‥ ؟ ما هى أهم مفاتيحها ، أعنى أهم سماتها البارزة وملامحها الرئيسية ‥ ؟ ما هى العوامل التى لعبت دورا « حاسما » فى تكوينها على هذا النحو الخارق‥؟ تفسيرات كثيرة ، وآراء متعددة : « جورج براندز Georg Brandes يقول ان العامل الحاسم والاساسى فى شخصية كيركجور انما يكمن فى قدرته على الجمع فى مركب واحد بين « الاحترام والاحتقار » أو « التوقير والازدراء » فى حين يذهب هوفدنج ‥ H. Hoffding الى أن العامل الحاسم فى تكوينه هو الاكتئاب أو « المزاج السوداوى » الذى ورثه عن أبيه . أما أ . ب . مونراد O.P. Monrad فيقول أن هذا العامل انما يوجد فى الانفعالات الجياشة والعاطفة المتوهجة التى كان يحملها فى صدره(٤) وربرت هيس ‥ R. Heiss يرى أنه التمزق النفسى أو الانشطار الداخلى انصح التعبير(٥) فى حين يذهب آخرون الى أن العامل الحاسم فى تكوين « الشخصية اللغز » هو ذلك الصراع الذى كان يعانى منه طوال حياته بين روحه وجسده ، بين طاقة روحية هائلة وجسد شائه سقيم ـ وهو ما كان يسميه أحيانا باسم « الشوكة فى الجسد » والتى يقول عنها « هيرش E. Hirsh انها : « الدونية التى تحولت الى علو ‥ » . (٦)لأنها جعلته يقفز الى أعلى ، ويرى آخرون أنها عزلته التى فرضها على نفسه وانعدام صلته بالواقع الحى الذى ظل طوال حياته يتطلع اليه . أو أنها خبراته الضئيلة الذى كان يجترها صباح مساء تلك هى مكونات شخصيته والمفاتيح فى دراسة « هذا الفرد » ‥

* * *

الحق أننا نستطيع أن نقول ان شخصية كيركجور كانت مزيجا من هذه

---

= ١٨٤٦ حول الاهداء الى ذلك الفرد ‥ » ، ثم كتب كتابا عن « الفرد : ملاحظتان حول أعمالى كمؤلف » نشر بعد وفاته عام ١٨٥٩ ـ مما يدل على أهمية الفرد عنده مما جعله يقول « الفرد هو المقولة التى لابد أن ينتقل اليها ـ من وجهة النظر الدينية ـ جيلنا وجنسنا مع تاريخه ، » اليوميات ص ١٣٣ طبعة فونتانا ‥

(٤) A. Grieve : S. Kierkegaard, art in: The Ency. of Ethics & Religion : Vol. VII ed. by James Hastings.

(٥) R. Heiss Hegel, Kierkegaard, and Marx P. 206.

(٦) Cité par Jean Wahl : Etudes Kierkeg. P. 22.

العوامل جميعا فهى تجسيد حى « للمفارقة » التى جعلها مقولة رئيسية فى فلسفته بعد ذلك ، وهو يعنى بها « التناقض المتحقق فى عالم الواقع » خلافا للتناقض المنطقى أو التناقض المجرد الذى لا يكون الا فى عالم الفكر وحده ٠ ان وجوده الفعلى « وجوده العينى » انما هو نسيج من عوامل كثيرة متناقضة ومتنافرة تفاعلت معا وانصهرت فى « ذلك الفرد ٠٠ »وهو نفسه يدرك أنه يحمل فى جوفه متناقضات لا حصر لها : فهو فى أعماقه حزين مكتئب يعانى من آلام وعذاب داخلى مستمر ونظرة سوداوية قاتمة ، لكنه من خارجه مرح يضحك ويسخر ويلقى النكات فى كل مكان ٠ فرغم المزاج السوداوى الذى أنقض ظهره يحاول أن يسعد الآخرين ويضحكهم ، « أنا أشبه بجانوس ...Janus (٧) ذى الوجهين : أضحك بوجه وأبكى بالآخر ٠٠ »(٨) فاذا التقى بالناس أظهر لهم الوجه الضاحك لكنه عندما يختلى بنفسه يقول : « أبانا الذى فى السموات ! افتح مصادر عينى واجعل سيل الدموع ينهمر ليغسل حياتى الماضية التى لم تكن فاضلة امام عينيك ٠٠ »(٩) ٠ فهو مع الناس مرح ضاحك ، لكنه مع نفسه لا يجد سوى الدموع ، فكأنما كتب عليه ألا يضحك لما كان يلقيه من نكات وسخريات لاذعة يسحر لها الآخرون ٠ ولهذا فكثيرا ما نجده يتساءل : « أصحيح أننى ينبغى على ألا أضحك من نكاتى الخاصة ؟ ! ٠ (١٠)وهو يسجل عام ١٨٣٦ بعد عودته من حفل مرح هذه التدوينة العجيبة : « عدت الآن توا من حفل كنت فيه الحياة والروح ـ ذكاء لماح ينساب من شفتى ، كل من بالحفل يضحك ويعجب بى ـ لكنى خرجت ـ وينبغى أن أرسم خطأ طويلا بطول مدور الكرة الأرضية

---

كم أشتهى أن أقتل نفسى برصاصة ٠ ! « ٠ (١١)الى هذا الحد

---

(٧) جانوس Janus اله البوابات عند الرومان ، وكانوا يصورونه حارسا بين السماء والأرض ، فهو القائم على فتح البوبات الرئيسية التى تفصل بين هذين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض ٠ ومن اسمه جاء فى اللغات الأوربية شهر يناير January لأن يفتح سنة جديدة ويفصلها عن السنة القديمة ٠

(٨) S. Kierkegaard: The Journals P. 55 (Fontana).

(٩) S. Kierkegaard: Ibid, 69 (Oxford).

(١٠) Ibid, P. 51 (Fontana).

(١١) Ibid, P. 50 - 51 (Fontana).

العجيب يبلغ التناقض بين الظاهر والباطن عنده جانب المرح الظاهرى فى الحفل ثم يخرج ويرسم خطا فاصلا طويلا ليظهر بعده ما يخفيه فى أعماقه : الرغبة فى الانتحار ! ولقد فكر بالفعل أكثر من مرة فى أن يتخلص من حياته ، كما أوشك مرات كثيرة على الجنون ، حتى أنه درس طويلا العلاقة الوثيقة بين « العبقرية والجنون » ، « وبين الحقيقة والجنون » « والذاتية والجنون » ورأى أنها من مشكلات المفكر الذاتى وحده(١٢) . ولقد كتب فى يومياته يقول : » أريد أن اكتب قصة يصبح أحد أبطالها مجنونا ، وأظل اكتب واكتب .. حتى أتحدث آخر الأمر بلسانه ، أو أجعله يتحدث بلسانى .. ! » . (١٣)ليس غريبا اذن أن يقول فى ١٤ يوليو ١٨٣٧ عن نفسه : « أنا أجمع بين المأساة والملهاة ، أقول كلمات فيضحك الناس ، وأبكى أنا ! . » (١٤)واذا كان : كل انسان ينتقم لنفسه من العالم ، فان انتقامى يكمن فى محافظتى على آلامى وهمومى داخل نفسى عميقة مطمورة وأن أسلى الأخرين جميعا بضحكى .. « (١٥)واذا كان يحمل فى أعماقة هذا التناقض » المتحقق بالفعل « فان جميع علاقاته : بالناس ، وبالواقع ، وبالحياة سوف تدمغ بهذه السمة البارزة : (١٦)فهو مثلا يحب أباه ويحترمه لكنه يشعر أنه المسئول عن مأساته ، « يا أرحم الراحمين ! كم أخطأ أبى فى حقى : أجل لقد اقترف فى حقى خطأ مروعا بكآبته : شيخ طاعن يحمل طفلا مسكينا كل كآبته ، وبرغم ذلك فهو أفضل الآباء ! « ( يوميات ١٨٤٧(٧) وهو يلخص هذه العلاقة المتناقضة فى عبارة جامعة حيث يقول : ـ

---

(١٢) قارن مثلا حاشية ختامية غير علمية « ص ١٧٢ ـ ١٧٥ من الترجمة الانجليزية بقلم ديفيد سوينسون وولتر لورى .

(١٣) S. Kierkegaard: The Journals P. 46 (Oxford).

Ibid, P. 50

Ibid, P. 47.

(١٦) يقول لورى لا شك أن كيركجور كان مريضا وهو أول من يعترف بأنه وصل الى حافة الجنون وأنه كان يخشى على نفسه الجنون بالفعل وقد يكون غريبا أنه أستطاع أن يحافظ على اتزانه وهو فى الخوف والقشعريرة يقتبس عبارة لسنكا Seneca اقتبسها بدوره عن أرسطو يقول فيها لم يوجد قط عبقرى عظيم يخلو من مس من الجنون « قارن كتابه عن كيركجور حـ ١ ص ٩٧ .

(١٧) قارن النصوص الكثيرة التى يسوقها جان ثال لتوضيح هذه العلاقة =

« كل شيء يتعلق بوالدى الرجل الذي أحببته كثيرا ، وماذا يعنى ذلك ..؟ ! يعنى أنه هو بالضبط الرجل الذى جعلنى شخصا بائسا ، لكن بسبب الحب ، لم تكن غلطته فى افتقاره الى الحب وانما كانت فى خلطه بين الرجل العجوز والطفل الصغير ٠٠ » (١٨)وعندما مات الأب فى أغسطس ١٨٣٨ مر الابن بتجربة جديدة لكنها لم تغير موقفه : « أنه لم يبتعد عنى بموته ، كلا ! لقد مات من أجلى ، حتى يستطيع ، اذا أمكن، أن يجعل منى شيئا ما ٠٠٠»(١٩) أنا مدين لأبى بكل شيء : أفكر فيه منذ موته ، وسوف أفكر فيه حتى يضمن القبر اليه فى وحدة سعيدة ٠٠ « ( يوميات ١٨٤٨ ) » لقد تعلمت منه كيف يكون الحب الأبوى ، وتعلمت عن طريق ذلك كيف يكون الحب الأبوى لله ، الركن الوحيد الذى لا يتزعزع من أركان الحياة ، والنقطة الأرشميدية الحقة ٠٠ « (٢٠)وهكذا نشأ ازدواج Ambivalence الذى يحبه ويكرهه فى آن معا ! يحترمه ويعتبره مسئولا عن مزاجه السوداوى وتربيته الغريبة التى وصفها هو نفسه بأنها « نشأة حمقاء » اذ بدلاً من أن يظفر من أبيه بالمعاملة التى يظفر بها الأطفال عادة فى مثل سنه ، اعتبره أبوه منذ البداية شخصا طاعنا فى السن ، فلم يعرف كيركجور معنى الطفولة وكأنه لم يمر بهذه المرحلة من عمره فقد سيطرت عليه افكار الواجب والشعور الدينى والخطيئة ، وسوف نعود الى الحديث عن علاقته بوالده « ونشأته الحمقاء » فى شيء من التفصيل فى الفصل القادم ٠

كان كيركجور يريد لفلسفته أن تكون تعبيرا عن وجوده الخاص الذى هو نسيج من المتناقضات ، وأن يستخرج من أعماقه ما يشعر به من ألم وتوتر وعذاب ومعاناة ليكون نظرية عن الانسان بصفة عامة ، فما يعانيه من « قلق » و « يأس » و « شعور بالخطيئة » « و » مرض نفسى » ٠٠ الخ ليس حالة خاصة به هو وحده ، لكنها تمثل عوامل « تتألف منها الذات البشرية » ٠٠ وسوف نتحدث عن نظريته عن الذات البشرية « فيما بعد ٠

---

=

فى الفصل الأول من كتابه « دراسات كيركجوردية » لاسيما ص٢ وما بعدها ٠

(١٨) Quoted by F. Brandt : S. Kierkegaard: his lifeand his Works, P. 9 Eng. Trans. by Ann Bonn.

(١٩) S. Kierkegaard: The Journals P. 60 (Fontana).

(٢٠) S. Kierkegaard: The Journals P. 61 (Fontana).

وما يهمنا ابرازه هو انه كان يعتمدفى صيـاغة هذه « النظريات » على تأملاته الذاتيه واستبطانه لنفسه وما يستشعره بداخله من خلجات وأحاسيس ـ • وهو فى كثير من الأحيان يعتمد على « المنولوج » أو « الحوار الذاتى» الذى يجريه مع نفسه ثم يصبه على الورق فى شكل « يوميات » يدونها يوما بيوم أو ساعة بساعة ، وهو فى أحيان أخرى يقطع ذاته شرائح ليخلق منها مجتمعا بديلا عن المجتمع الذى افتقده فتراه يتحدث الى شخصياته المستعارة كما يتحدث أحيانا عنها ، بوصفـها شخصيات حقيقية واقعية « : يوحنا كليماكوس « ، » وفكتور ارمتيا « و » يوحنـا المغـوى •• الخ حتى أنه يجمعهم معا حين يدعوهـم الى وليمة فى كتـابه « • مراحل على طريق الحياة » ويجعل هذه الوليمة باسم محاورة أفلاطون الشهيرة « المأدبة The Banquet » •• ويجعل كلا منهم يعرض آراءه للنقاش فى مواجهة الآخرين بعد أن عرضها قبل ذلك فى كتاب مستقل !(٢٢) •

والحق أن كيركجور حطم القاعدة التى تقول انه اذا كان الانسـان يولد وحيدا ويموت وحيدا فهو لا يعيش الا مع الآخرين ، فقد عاش وحيدا ومات وحدا وقضى حياته القصيرة فى عزلة رهيبة لا يصاحبه فيها سوى ذاته : يدور حولها تارة ويتطلع اليهـا فى المرآة تارة أخرى ، وينفخ فى جذورة النار التى يحملها فى صدره حتى يتعالى لهيبها ثم يتألم : « آه ! اندلعت النيران فى شىء لا يمكن أن يحترق : اندلعت داخل نفسى •• !»(٢٣) وكم كان يلـذ له أن يشـاهد وهج النيران وهى تشتعل ، ويتـأمل السـنة اللهب وهى تتصاعد دون أن تحرق شيئا « ! لقد تكاتفت عليه ظروف كثيرة لتشكله فى هذا الثوب القاتم الذى ظهر به فى كل كتاباته : حتى اسمه نفسه كان قاتما كروحه ، فكلمة كيركجور تعنى حرفيا : « المقبرة ! » (٢٤)واذا

---

(٢١) R. Verneau : Leçons Sur L'Existentialisms P. 22.

(٢٢) كتاب « مراحل على طريق الحياة » تأليف مجموعة مختلفة من الاشخاص ـ هكذا نشـرة س • كيركجور فى ٣٠ ابرايل عام ١٨٤٥ انظر مثـلا :

S. Kierkegaard Anthology P. 172 - 173 edited by Robert Bretall, Princeton University Press.

(٢٣) S. Kierkegaard: The Sickness Unto Death, P. 151.

(٢٤) W. Lowvie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 20.

كان فى استطاعة الباحث أن يجمع العديد من العوامل التى كونت شخصيته ودفعته الى هذه العزلة الرهيبة ، فانه لا بد أن يضيف أن المحصلة النهائية هى أن كيركجور ـ « استسلم » لها ، وسوف يجعل هذا « الاستسلام » مقولة هامة فيما بعد ! وسوف يكون فارس الاذعان والاستسلام Knight of Resignation هو نفسه فارس الايمان Knight of faith وسوف يجعل مثله الأعلى « ابراهيم » و « أيوب » والصابرين جميعا(٢٥) ! وهذا « الاستسلام » يعنى بالطبع العزلة القاتلة حتى يجتر آلامه ، وهو يعنى أيضا الانسحاب من دنيا الناس ومن تيار الحياة الصاخب ـ هكذا قطع كيركجور جميع الخيوط التى تربطه بالواقع « ٠٠ صحيح أنه ظل يتغنى بهذا الواقع » طوال حياته ، ويحلم بالحياة الممثلة بالخبرات والتجارب ، ويعيب على « الآخرين » انهم لا يعلمون شيئا عن شئون الحياة التى يتحدثون عنها لأنهم جمعوا أفكارهم ومعلوماتهم من « الكتب » لا من الواقع الحى ! : « هناك كثرة من الناس يصلون الى نتائج حياتهم مثل تلاميذ المدارس » : بأن يغشوا أستاذهم وينقلوها من الكتب بدلا من أن يمروا بها بأنفسهم ـ »(٢٦) ٠ هذا كله صحيح ٠ لكنه لم يتعد مجال « التمنى » ولم يتخط الحلم والخيال الى دائرة الواقع الحى ـ كان كيركجور ـ فى مراحل حياته يريد أن يجمع أفكاره عن الحياة بنفسه عن طريق الغوص فى أعماقها حتى يسبر مكنوناتها عن قرب :

« أجل ! أنا أريد أن أترك نفسى للشيطان ليظهرنى على كل رجس أو كل خطيئة فى أكثر صورها رعبا ! : ذلك هو المذاق الكامن فى غموض الخطيئة ٠٠ » (٢٧)لكن ذلك لم يكن سوى رغبة تعتمل فى نفسه ، فهو فى الواقع لم يمر الا بخبرات ضئيلة للغاية ، ومجموعة محدودة جدا من

---

(٢٥) عالج موضوع الاذعان والاستسلام فى كتابه « الخوف والقشعريرة » ـ وفى كثير من يومياته ـ قارن مثلا قوله : « ان ما أظفر به فى الاستسلام هو وعيى الأبدى وتلك خطوة فلسفية أجرؤ على القول اننى قادر عليها لو طلبت منى ٠٠ » ص٥٩ وقوله « الاستسلام اللامتناهى هو المرحلة الأخيرة التى تسبق الايمان ومن لم يمر بهذه الخطوة لا أيمان له ٠٠ » ص٥٧ « فى الاستسلام اللامتناهى يوجد السلام والراحة » ص٥٦ من ترجمة لورى السالفة الذكر ٠

(٢٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 53 (Fontana).

(٢٧) Ibid, P. 41 (Oxford).

التجارب ، وفى اعتقادى أنها لم تزد « ثروته » من الخبرات ولكنها ضاعفت رصيده من الوســـاوس فقد كان يؤلمه مثلا ـ عندمـــا يستعيد هذه هذه الذكريات القليلة أن يكون قدأنجب فى ليلة من ليالى الضياع طفلا دون أن يدرى ! وكان هذا الهاجس من المنغصات الاساسية فترة طويلة من حيـاته وسنعود اليه فى فصل قادم !

مزق كيركجـور ، اذن جميع الخيوط التى تربطه بالحيـــاة ونسف الجسور التى تصله بالواقع وأسدل على نفسه ستائر كثيفة أختفى وراءها وراح يتلصص بين الحين والحين من وراء النافذة ليختلس النظـــر الى المارة فى الشارع ! وهو ينصح قراءه بأستدال الستائر حتى علم عواطفهم وانفعالاتهم : « ان أردت أن تكون ذاحميــة ، وأن تظل كذلك ، فان عليك أن تسدل الستائر الحريرية على سخريتك ، وبالتالى تخفى حميتك ‥ !(٢٨) وهكذا نستطيع أن نقول فى اطمئنان ان كيركجور لم تكن له صلة بالحياة الا فى جانب ضئيل منها وأنه عاش طوال حيـــاته مفكرا منشغلا بمقولاته الذاتيــة ، وهــو نفسه أول من يعترف بذلك يقــول : « لم أعش قط بالمعنى الانسانى لهذه الكلمة ‥ لكنى كنت فكرا من البداية الى النهـــاية »(٢٩) فحتى الفترة التى حاول أن ينغمس فيها فى الحياة الحسية وهى التى أطلق عليها اسم « طريق الضياع » ـ لم يستفد منها كثيرا ولقد كان صادقا تماما عندما قال : « كنت أشــــارك فى جميع المتع الممكنة لكنى لم أستمتع بشىء قط ‥ » (٣٠)لقد حاول أن يستمتع بما فى الحياة من لذائذ ويعرف تلك الجوانب البعيدة من دنيا الناس لكن ذلك كله لم يفده شيئا : « فى بحر من الملذات ليس له قرار ، وفى هاوية المعرفة ، فتشتت عبثا عن نقطة ألقى فيها بمرساتى ‥ » (٣١)

والواقع أن شخصية كيركجور ، رغم ظاهرها الذى يوحى بالعكس

---

(٢٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 126 (Fontana).

(٢٩) S. Kierkegaard: The Point of View of My Work as an auther P. 80 Eng. Thans. by W. Lowrie.

(٣٠) Ibid. P. 79.

(٣١) S. Kierkegaard: The Journals P. 17 (Oxford).

كانت مثلها مثل شخصية « نيتشه » ضحلة التجارب صلتها بالواقع الحس هزيلة وخبرتها بالحياة سطحية · غير ان الافتقار الى التجـارب الحية يعوضه عندما تجسيم للمشكلات الفكرية واضفاء الحياة عليها ، فكل ما فى هذه التجارب من عنف كان راجعا الى أنها هى وحدها عاطفية وانفعالية جعلتها تبدو مليئة بحق ·(٣٢)وكيف يمكن أن يقال خلاف ذلك عن حياة يمكن أن تعد تجاربها كلها على أصابع اليد الواحدة ·· ؟

يقول « جان ڤال ·· J. Wahl فى هذا المعنى » لقد كان « روتنبك Ruttenbeck على حق تماما حين كتب يقول ان هذه الحياة ( أى حياة كيركجور ) فى مجموعها فقيرة الأحداث الخارجية لكنها مغلقة على ثروة فى الافكار ل نظير لها ·· »(٣٣) لكن علينا أن نلاحظ أن ثروة الأفكار هذه انما جاءت عن طريق اثراء الفكر وبعث الحياة فيه لا عن طريق امتلاء الحياة واستخلاص الفكر منها فنحن نجده يتوقع على مشكلاته الخـاصة يجترها صباح مساء · والنتيجة الطبيعية هى الفرار من الحياة والابتعاد عن واقع الناس الحى ليجد ملاذة فى الدين : « سـوف أبتعد عنهم ، أولئك الذين لا هم لهم سوى التلصص عما اذا كان المرء قد ارتكب نقيصة بطريقة ما · سوف أذهب اليه وحـده : الى « السيد » الذى يبتهـج بهجة عظمى بعودة التائب أكثر مما يبتهج لتسع وتسعين حكيمـا ليسوا بحـاجة الى التوبة ·· »(٣٤)

كان كلما خطا خطـوة نحو الارتباط بالواقع أو الاتصـال بالحيـاة والناس عـاد وسحب قدمه بسرعة كالطفل الذى يخشى نزول البحر لأول مـرة ، فيكتفى بالجلوس على الشاطىء ليبنى بيوتا من الرمال يلهو بها ويسعد بالتطلع الى منظر البحـر الصاخب الذى يراه ولا يحس بأمواجه المتلاطمة ! ولو أنك تأملت علاقته « بريجينا أولسن Regina Olsen » لرأيت مثلا واضحا على ذلك ، فهو يظل سنتين يحلم بها منذ رآها أول مرة وتعيش فى خياله ، لكنه ما أن يخطبهـا حتى يدون أسفه وندمه على هذه

---

٣٢ ـ د ·فؤاد زكريا « نيتشه » سلسلة نوابغ الفكـر الغربى العـدد الأول ص ١٥ و ص ٣٨ من الطبعة الأولى ·

(٣٣) Jean Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 46.

(٣٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 43 (Oxford).

الخطوة فى اليوم التالى للخطوبة مباشـــرة يقول فى معرض استعراضـه لعلاقته بها : « فى اليوم التالى شعرت أننى قمت بخطوة خاطئة ··» (٣٥) انظر : ما أن يمد قدمه ليرتبط بالواقع حتى يعود فيسحبها بسرعة ويشعر أنه ارتكب خطأ ! ما الذى كان يخشاه « كيركجور » بالضبط فى بحر الحياة الصاخب ·· ؟ لا أحديدرى ، ولا هو نفسه ! وها هنا يستخرج مقولة أخرى من مقولاته الفلسفية التى أفرد لها كتابا خاصا وأعنى بها مقولة « القلق » فهذا هو الفارق الهام فى رأيه بين الخوف والقلق : الخوف يعنى أنك تعرف الأشياء التى تخاف منها فهو خوف من وجود « متعين » ، فأنت تخـــاف الظلام ، والسكون أو الأماكن المغلقة أو المرتفعة ، أو من حيوانات بعينها أو أمراض محددة ــ الخ الخ ــ باختصار أن تخاف شيئا محددا ومعروفا لك أو للآخرين ولكن القلق أمر مختلف أتم الاختلاف « انه الخوف من مواجهة الواقع كله » هكذا بغير تحديد أو تعيين : انه الخوف من الوجود بأسره ، من الوجود بما هو وجود : وماذا عسى أن يكون هذا الوجود اللامتعين ان لم يكن هو العدم كما قال هيجل فى بداية منطقه ؟ اذن القلق عند كيركجور هو الخوف العام من لا شىء ، ومن هنا ارتبط القلق عنده بالعدم !

عاش كيركجور اذن ، مقطوع الصلة بالواقع : فلم تكن له مهنة ، ولا زوجة ولا ولد ، ولم يسع الى وظيفة ( باستثناء أشهر قليلة عمل فيها مدرسا للغة اليونانية فى المدرسة الابتدائية التى كان يديرها ميخائيل نلسن والتى تخرج منها هو نفسه ، وكان ذلك ارضاء لرغبة والده ) ــ ولكنه لم يحاول قط الانخراط فى جماعة ، بل تجنب الالتزام من أى نوع ، وفى استطاعتنا أن نقول أن كل خبراته لا تزيد عن :

١ ــ محيط الأسرة ( لاسيما علاقته بوالده على وجه الخصوص )

٢ ــ عدد ضئيل جدا من الأصدقاء وفترة قصيرة حاول فيها الانغماس فى الحياة الحسية لكنها كانت مشاركة سطحية ·

٣ ــ قصة حب فاشل مع ريجينا أولسن

٤ ــ معركتان أساسيتان : واحدة مع صحيفة القرصان The Corsair

---

(٣٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Fontana).

والثانية مع الكنيسة القائمة بسبب حملته على الأسقف Bishop Mynster وسوف نعود الى وقائع هذه الحياة فى الفصول القادمة · لكن ما نود أن نشير اليه هنا هو « قلة هذه الواقائع » ، والى أن ما له من أهمية راجـع الى الشحنات العاطفية القوية التى كان يسلطها عليها ثم يستخلص منهـا أفكارا عن الانسان هى التى شكلت فلسفته فيما بعد ·

ليس غريبا ، اذن، أن نقول انه قطعصلته بالواقع الحى الذى ظلطوال حياته يتغنى به والذى « ركض جنين الفكر فى بطنه » عندما سمع « شلنج » يتحدث عنه ! وليس غريبا أيضا أن نقول ان الحياة التى عاشها كيركجوز كانت « بعيدة عن الحياة » وأنها اكتفت بمداعبة الشاطىء دون أن تخطو خطوة واحدة نحو الأعماق ! وماذا تكون النتيجة سوى عزلة رهيبة : « أنا أشبه ما أكون بشجرة الصنوبر المتوحـــدة ، مغلق على نفس ، أتطلع الى السماء ، لا ألقى حوالى ظلا ، وليس ثمة سوى الخفاش هو وحده الذى يستطيع أن يبنى عشه وسط غصونى ·· » (٣٦)ويكون احساسه وسط هذه العزلة القاتلة أنه أشبه ما يكون : « بالعبد الذى حكم عليه بالتجديف فى احدى السفن ، مقيد بالموت ، لا يذكره بالحياة الاقعقعة السلاسل ثم يعود الموت ليكتسح كل شىء من جديد ·· » · (٣٧)

والواقع أن كيركجور كان فى كثير من الأحيان يقوم بسجن نفسه فيكون هو السجين والسجان معا ! فيرفض الاتصال بالناس أو الاختلاط بالمجتمعات ولم ينجح أحد فى كسر هذا الستار الحديدى الذى فرضه على نفسه فلا نعلم أن أحدا استطاع أن يحاوره وجها لوجه ، أو حتى أن يتنـاقش معه باستثناء قلة قليلة من الأصدقاء(٣٨) وحتى عندما يكون مع هؤلاء الأصدقاء فان أجمل اللحظات عنده هى لحظات صمتهم لأنها تتيح له فرصة العودة مرة ثانية الى ذاته التى اغترب عنها دقائق معدودات كتب فى ٦ مايو عام ١٨٣٥ الى بطرس لند Peter Lund يقول : ـ

---

(٣٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 46 (Oxford).
(٣٧) Ibid, P. 47.
(٣٨) Robert Heiss: Hegel, Kierkegaard and Marx P. 205. Eng. Trans. by E.B. Garside (Adelta Book U.S.A. 1975).

«... ان صمت أصدقائى يلائمنى من حيث أنه يعلمنى أن أسدد نظراتى الى نفسى ، ويحثنى على ادراك ذاتى ، تلك الذات التى هى لى ، كما يجعلنى أحافظ عليها وسط تغيرات الحياة التى لا تنتهى ، وأن أدير نحو نفسى تلك المرآة المقعرة التى كنت من قبل أسعى الى أن أتعرف من خلالها على الحياة خارج نفسى ، ان هذا الصمت يعجبنى من حيث أننى أرى نفسى فيه قادرا على بذل هذا الجهد ، ويجعلنى أشعر أننى كفء للامساك بتلك المرآة بغض النظر عما تأتى به : سواء جاءتنى بمثلى الأعلى أم بصورتى الهزيلة . اذا رأيت أحدا من أصدائى فبلغه تحياتى ، لكن لا تشجعه أبدا على الكتابة الى .. » .(٣٩)وساعده على تحقيق هذا « الحبس الانفرادى » الذى حبس فيه نفسه بارادته أنه عاش على دخله الخاص من نصيبه في الميراث بعد وفاة أبيه أو بما كان يعطيه له أبوه قبل ذلك ، فلما منع عنه المال فى « فترة الضياع » غرق فى الديون ! والمهم أنه فى جميع مراحل حياته لم يحتج الى العمل ليعيش وليواجه المتطلبات الضرورية للحياة ، فما ورثه يكفيه ويمكنه من الاستمرار فى ضرب الحصار من حوله حتى لايعرف أحداً ولا يختلط به أحد الا القلة النادرة كما قلنا ـ فليس غريبا بعد ذلك الأ يكون معه سوى آلامه : « اننى أقول عن الامى ما يقوله الانجليز عن بيتهم : أن الى هو قلعتى .. » (٤٠)ويكتب عن أصدقائه المخلصين فى كتابه الشهير « اما ـ أو » فيقول « ليس لى صديق واحد : هو الصدى . ولم كان صديقى .. ؟ ! لانى أحب آلامى وهو لا يحرمنى منها : وليس لى الا مستودع واحد لسرى هو سكون الليل ولم كان مستودع سرى ؟ لأنه صامت .. » .(٤١)

وفى استطاعتنا أن نقول انه باستثناء بعض الرحلات القصيرة التى كان يقوم بها أحيانا فى ضواحى قريبة من مدينة كوبنهاجن وهى نزهات بالعربة ـ أو بعض رحلات الى برلين : فانه ولد وعاش ، وتربى ، وتعلم ،

---

(٣٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 73.

(٤٠) "Either..or", Vol. 1, P. 21 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٤١) S. Kierkegaard: "Either..or", Vol. 1, P. 33 Eng. Trans. by W. Lowrie.

ومات ودفن فى كوبنهاجن دون أن يغادرهـا قط الا فى رحلاته القصيرة السالفة : وحتى فى هذه الحالة فانه كان يكتب من هناك كما حدث وهو فى برلين ، لصديقه الوحيد « اميل بويزن Eil Boesen يقول : « لقد رفضت أن أتكلم الألمانية ولذا عشت فى عزلة كاملة » ٠ (٤٢)ولم يشاهد قط فى أية اجتماعات عامة أو حفلات أو ندوات اجتماعية ولم يظهر أمام الجمهور ، بل كان يشترط على باعة كتبه ألا يعطوا هدايا من كتبه الى الصحف حتى لا تكتب عنه مقالات نقدية ٠(٤٣)

هناك عامل آخير نود أن نشير اليه لما كان له من أثر فى تكوين هذه الشخصية الغريبة ، لقد نشأ كيركجور فى أسرة تتألف من سبعة أفراد كان هو أصغرهم : طفلا ناضجا غريبا وشاذا حتى فى السنوات الأولى من عمره حتى لقد أطلقت عليه الأسرة فى هذه السنوات الأولى اسم « الشوكة ! » والسبب فى هذه التسمية الغريبة أنه سئل ذات مرة : ماذا تريد أن تكون فى مستقبل حياتك عندما تكبر ـ ؟ فأجاب : أريد أن أكون شوكة حتى أستطيع أن أغز كل شيء ، وحتى أكون قادرا على وخز الناس الذين يضايقوننى ! ٠ (٤٤)

ولهذا نراه يطور هذه الفكرة فى يومياته بعد ذلك فيقول : « اننى لآمل بفضل العذاب الذى أتحمله بصبر من أن أكون شوكة فى جنب العالم ٠٠(٤٥)

ولهذا فسوف نجده بعد ذلك يتحدث كثيرا عما يسميه باسم « الشوكة فى الجسد » وهو تعبير استعاره من القديس بولس الذى كان يقول : لئلا أرتفع بفضل الاعلانات أعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع ٠٠ » ٠ (٤٦)ويفسرها بعض شراح الكتاب المقدس بأنها « مرض » لم يذكره القديس بولس لكنه كان على الأرجح السبب فى امتناعه عن

---

(٤٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 120 (Oxford).

(٤٣) R. Heiss: Op. cit., P. 205.

(٤٤) R. Heiss: Op. cit., P. 204 & H. Hohlenberg S. Kierkegaard; P. 42 Eng. Trans. by T. H. Croxall.

(٤٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 27 (Oxford).

٤٦ ـ رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس اصحاح ١٢ : ٧

الزواج · وعلى أية حال فان كيركجور يستعير نفس الفكرة تقريبا ويقول : « عندى شوكة فى الجسد مثل القديس بولس · ولهذا السبب لم أستطع الدخول فى العلاقات العامة » ولهذا السبب أيضا استنتجت أن مهمتى خارقة ( يوميات ١٨٥٥ ) ·

فما المقصود بهذه « الشوكة فى الجسد » عند كيركجور ؟ هى اشارة ، فى الأعم الأغلب ، الى التكوين الفسيولوجى الذى سبب له ألوانا لا حصر لها من الصراع النفسى الحاد والآلام النفسية الشديدة فهو كما يقول جا ثال J. Wahl ··· السبب الذى جعله يتردد فى خطبة الفتاة التى أتعبها معه ـ ريجينا أولسن ـ ثم فى رفضه الزواج منها فيما بعد : فقد كان هناك لون من ألوان التنافر ـ على حد تعبير كيركجور نفسه ـ فى العلاقة بين جسده وروحه ·· » (٤٧)وها هنا نلتقى بصورة أخرى من صور « التناقض الظاهرى » المتحقق فى العالم بالفعل وهو الذى سوف يسميه باسم « المفارقة » وهو تناقض ـ لأنه متحقق ـ فيستحيل حله أو رفعه كما حاول هيجل أن يفعل · هذا التناقض الذى خبره بداخله بين الجسد والروح أضفى على شخصيته مزيدا من الاكتئاب ، ودفعه الى المزيد من العزلة والبعد عن الحياة الاجتماعية العامة · (٤٨)فلا شك أن جانبا من مزاجه السوداوى وحبه للعزلة وتقوقعه على نفسه كان يرجع الى صحته السقيمة وتكوينه الجسدى الشائه فقد كان بشع المنظر ، قمىء القامة ، ذا صوت نشاز كأنه نعيب الغراب ، احدى ساقيه أطول من الأخرى محروما من محاسن الجسد ولهذا فقد كان يشعر أن باب السعادة قد أغلق دونه ! لكن ذلك شىء ، فقد كان هناك جانب آخر هو جانب الروح : كان فيه كيركجور صعب المراس ، ساخر المزاج ، حاد الذكاء ، لاذع التهكم ، ذا خيال عجيب وعبقرية ساحرة · وفى استطاعتنا ، من ثم أن ندرك فى الحال أن كيركجور نفسه كان نموذجا للجدل العينى الحى الذى سوف يتحدث عنه فيما بعد : فقد كان مطلوبا

---

(٤٧) J. Wahl: Etudes Kierkeg. P. 17.

٤٨ ـ لسنا بحاجة الى القول أن حضوره بعض الحفلات الخاصة فى مناسبات قليلة وعند بعض الاسر مثل أسرة القسيس روردام ، الذى تعرف عندها على ريجينا أولسن لا يقدح فيما يقول :

ومتجنبا فى وقت واحد ، محبوبا ومكروها فى آن معا ، كما كانت شخصيته أشبه بالقلق المؤنس ، أو القلق اللذيذ ، الذى تحدث عنه هو نفسه ، ووصفه بأن المرء يحبه ويخافه فى واقت واحد يريده ويخشاه فى آن معا ، كذلك كان « سرن كيركجـــور » ويستدنى ويستبعد فى آن معــا · وهو يصف هذين الجانبين فى شخصيته منذ الطفولة فيقول :

« كنت رقيقا ، نحيفا ، ضعيفا ، محروما ـ تقريبا ـ من كل الشروط المطلوبة لكى أمارس حياة عادية مع غيرى من الأطفال أو حتى لكى أنشأ كرجل مكتمل اذا ما قورن بغيره من الناس ، سوداوى المزاج ، بائسا بأعمق معنى للكلمة · لكن هناك شيئا واحدا كنت أملكه : ذهنا لماحا منح لى مقدما حتى لا أكون عاجزا عن الدفاع عن نفسى · وحتى فى طفولتى كنت أعى قدرتى على حضـــور الذهن ، وأعرف أنها ملجئى وملاذى فى صــراعى مع الآخرين الذين يفوقوننى قوة » ·(٤٩)ولقد أحدث له هذا الجسد الشـــائه متاعب لا حصر لها كما ترك فى الوقت ذاته انطباعات نفسية بالغة الأثر على شخصيته وعلى فكره ، وعلى مجرى حياته كلها ، وجعل الصراع عنيفا بين الروح القوى الخلاق وبين الجسد الشائه القمىء : فهو يحاول مثلا أن يفعل ما يفعله غيره من الشباب فيذهب ليقيد اسمه فى الحرس الملكى الدانماركى ـ وكانت هذه الوظيفة أملا يتسابق اليه الشباب ، لكن طلبه يرفض لعدم لياقته الطبية نظرا لتقوس عموده الفقرى الذى كان يعانى منه والذى كان يرده الى سقوطه وهو طفل من فوق شجرة(٥٠) ·

ويذكر لورى W. Lowrie أن هذا التقوس كان كان يسبب له متاعب بين الحين والآخـر ويضعه فى مواقف بالغة الحرج ؛ فكثيرا ما كان يسقط

---

(٤٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 517 (Oxford).

(٥٠) ويبدو أن ضعف البنية كان خاصية وراثية فى الاسرة فشقيقه سرن ميخائيل مات فى سبتمبر عام ١٨١٩ وهو فى الثـــانية عشرة بسبب تناطحه بالرأس وهو يلعب مع أحد الأطفال ، كما مات خمسة من أشقـــائه بسبب عيوب جسمية مختلفة · وكان كيركجور نفسه يشعر أنه سوف يموت فى سن مبكرة ـ راجع كتاب لورى السالف الذكر حـ ١ ص ٩٤ ـ وكذلك كتاب يوهانس : « س · كيركجور » · ص ٢٧
J. Hoblenberg: S. Kierkegaard, P. 27.

خائرا على أرض الغرفة دون أن يستطيع النهوض بسهولة ولهـــذا فقد كان يكره كراهية شديدة أن يشاهد أحد هذا المنظر ، فاذا ما حدث رغمـا عنه أمام أحد فانه كان يسارع بانهاء الموقف بدعابة مؤلمة قال لهم فى دعابة مرة : « دعوا ما سقط كما هو حتى الصباح الى أن يأتى الخادم فيكنسة !(٥١) وسقط مرة أخرى وكانت دعابته هذه المرة « لودفيج الصغير سوف يلتقط نفسه ·· »(٥٢) · ولودفيج هو الشاب المسكين الذى قص علينا قصته فى الجزء الثانى من كتابه الشهير : « اما ·· أو » عام ١٨٤٣ · (٥٣)ويقول أحـــد أصدقائه القلائل هانز بروخنر · Hans Broechnerفى هذا المعنى : « لقد كان للمشى معه فى الشارع متاعب جمة بسبب عدم انتظام حركاته الذى يرجع بالطبع الى تقوس عموده الفقرى ، فلم يكن فى استطاعة المرء أن يحافظ على طريق مستقيم وهو يسير معه ، بل لا بد له من التخبط طول الطريق ، وحين كان يشير بيديه أو عصاه وهو يتحدث يصبح منظره أشبه ما يكون بمن يتخطى الحواجز ·· » · (٥٤)فقـد كان يسير على شكـــل « قفزات ، كما ود للفلسفة أن تسير فيما بعد ! من هذا كله يتضح لنا كيف كان كيركجور يشعر داخل نفسه بصراع عنيف ، وكيف كان يحس أنه تعبير حى عن التناقض « أو المفارقة » والتقاء الأضداد على نحو لا يرفع ! وسوف نرى فيما بعـد كيف ذهب الى أن الذات البشـريه تتألف من عاملين هما : « المتناهى واللامتنــاهى « أو » الامكان والضرورة « ·· الخ ولو تأملنا قليلا هذين العاملين لوجدنا أنهما يعبران عما كان يستشعره داخل نفسه من صراع بين الجسد والروح ، فالجسد هو العامل المتناهى الذى يحدد ويقيد انه عامل الضرورة ، أما للامتناهى فهو عامل القوة والخيال والامكـان ، وسوف نرى كيف ينشأ : المرض حتى الموت « نتيجة لهذين العاملين » ·

والحق أن كيركجور كان يشعر أن جسده ليس الا مرضا بغير علاج وهو

(٥١) ركزت صحيفة « القرصان » فى هجومها على على هذا التكوين الجسدى الشائه وهذا واضح فى الرسوم الكاريكاتورية التى نشرتها هذه الصحيفة ·

(٥٢) W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 95.

(٥٣) S. Kierkegaard: "Either..or" Vol. 11, P. 250 Eng. Trans. by Walter Lowrie 1974.

(٥٤) W. Lowrie : ou. cit., P. 145.

على حد تعبير جان فال J. Wahl آلة تعذيب مستمرة(٥٥) . ولقد عبر كيركجوز عن هذا الشعور أكثر من مرة وبأكثر من صورة يقول مثلا : « حالتى الذهنية سليمة تماما من الناحية الصحية ، وهى لهذا تشتاق الى اطراح ضعف الجسد تماما ، كما يشتاق المريض الى تمزيق الأربطة .. فانا مثلى مثل القائد المنتصر والذى قتل جواده فى الحرب ويريد حصانا جديدا آه :هذه الصحة الظافرة لذهنى كم تشتهى حصانا جديدا أعنى جسدا آخر ..(٥٦) ويقول فى مكان آخر » : لقد أنجزت شيئا عظيما سوف يعجب منه الناس لفترة طويلة فقد كانت لى مواهب شاذة خارقة للعادة ، أن ما ينقصى وما أحتاج اليه هو تلك الخصائص الحيوانية حين نتحدث عن واحد من الرجال ...(٥٧) ويقول أيضا أنا أشبه ما أكون بسفينة تحمل محركا أقوى بكثير جدا من بنيتها .. » فهذا الجسد الشائه الضعيف ليس هو الجسد الذى كان ينبغى أن يكون له ، ولهذا تراه يعاتب ربه فى حسرة وألم : « آه ! لو كنت قد وهبتنى جسدا غير هذا الجسد حين بلغت سن العشرين : اذن لكان حالى غير الحال ! .. » . (٥٨)ويبدو أن المحيطين به كانوا يشعرون بهذا النقص عنده وكانوا يركزون عليه أو أنه كان على أقل تقدير يعتقد ذلك : « ان الناس تجد لذة بهيمية حين يطلبون منى ما لم أحصل عليه ، ثم تراهم يسخرون مما أعطى لى .. » . (٥٩)ويبدو أن هذه « الشوكة فى الجسد » كانت من بين العوامل الكثيرة التى جعلته يحجم عن الزواج من « ريجينا أولسن » ولقد عبر عن ذلك بقوله : « لو قدر لى أن أطلعها على مكنونات نفسى ، اذن لأشركتها فى أمور مرعبة : علاقتى بأبى ، ومزاجه السوداوى ، والليل الأبدى الذى يعوى داخل نفسى ! » . (٦٠) وهذا الليل الأبدى الذى كان يستشعره بداخله هو هذا التنافر الحاد بين الجسد الذى بلغ من الضعف والوهن حدا جعله يقول : « لو أن أحدا نادانى بصوت

---

(٥٥) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 18 Paris, Vrin, 1957.

(٥٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 144 (Oxford).

(٥٧) Ibid, P. 395.

(٥٨) Ibid.

(٥٩) S. Kierkegard : Ibid.

(٦٠) S. Kierkegard : The Journals, P. 122.

فجائى مرتفع فسوف أسقط على الأرض ميتا فى الحال » ! ـ مع أن روحه كانت حية ظافرة جياشة مليئة بالحركة والنشاط حتى أنه كان يحتاج الى عشرة أقلام مجنحة ـ على حد تعبيره ـ لكى تلاحق الفيض الزاخر المتلاحق الذى ما فتىء يلح عليـــه فى وطأة ضاغطة وانثيال متدارك عنيد ، حتى أنه كان يضع فى كلحجرة دفترا خاصا يسجل فيه أفكاره · وهذا واضح أيضا من مجموعة المؤلفات الضخمة التى تركهـا لنا فى حياة قصيرة للغـــاية ( ١٨١٣ ـ ١٨٥٥ ) ·

ولقد حاول كيركجور مرات كثيرة أن يعالج هذا « النقص » أو هذا التنافر بين الجسد والروح لكنه فشل ! حاول بشتى الطرق أن يعـــــالج نفسه من هذه « الشوكة » فلجأ الى حياة اللهو والعبث والفراغ أو ما أطلق عليه اسم « طـريق الضياع » ! أو طريق اليأس الذى يرجـــع الى نقص اللامتناهى ( العامل الثانى فى تكوين الذات البشرية ) فلم يأت ذلك كله الا بنتيجة مضادة : زيادة اليأس ومضاعفة الهواجس ! · ثم حـاول أن يلجأ الى طريق آخر : « استشرت طبيبا عما اذا كان يعتقد أن التنافر بين الجسد والروح عندى يمكن أن يحل على نحو أستطيع معه تحقيق العـام ( أى ينخرط فى المجتمع ويتزوج ) ·· لكنه شك فى ذلك ·· » · (٦١)ونحن نراه يعاود المحاولة مرة ومرة يحدوه الأمل فى علاج هذا التنـافر أو فى التغلب على هذا النقص فى النهاية بقوة الارادة ، لكن خاب أمله عندمـا نزع منه الطبيب كل أمل فى الشفاء(٦٢ ) · فماذا حدث ؟ ! فلنستمع الى ما قاله تعليقا على رأى الطبيب ·· انها عبارة قد تبدو غريبة لكنها تضع أيدينا على قلب الحرية الوجودية ـ يقول : « عندئذ اخترت ! اخترت هذا النقص المؤلـــم بعذابه المنتظـر : واعتبرته شوكـة فى الجسد : حـدى وصيلبى ··» · (٦٣)أرأيت الى الحرية التى تختار حيث لا يكون هنـاك مجال للاختيار ·· ؟ هذا هو المعنى الحقيقى للاختيار عنده ، فهو دائمـــا اختيار ما لابد من اختياره : « اختيار الضرورة » أو اذا شئنا الدقة هو

(٦١) S. Kierkegaard : The Journals, P. 169.

(٦٢) J. Wahl : Etudes, P. 18.

(٦٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 170 & Fontana P. 107.

اختيار الاستسلام أو الاذعان · وهو يقول فى عبارة أصرح وأفصح يشرح فيها كيفية وجود الحرية : « لا توجد الحرية وجودا فعليا الا بسبب أنها فى نفس اللحظة التى توجد فيها هذه الحرية ( وهى حرية الاختيار ) تندفع مهرولة بسرعة لامتناهية لكى تلزم نفسها بشكل مطلق باختيار الاستسلام أو الاذعان ، وهو الاختيار الذى لا يكون فيه قط أى ظل من الاختيار ··»(٦٤) لم يكن أمام كيركجور طريق آخر يسلكه ، ولم يكن فى استطاعته أن يفعل شيئا فهو سجين هذا الجسد الشائه ، ولهذا نراه يصيح مع القديس بولس « اشتهاء للانطلاق ! » لكنه لا يستطيع أن يتحرك فالطرق مغلقة ومنافذ الحياة مسدودة : « كرقعة الشطرنج المقفلة حين يصيح الخصم ، قف ! هذه القطعة لا يمكن أن تتحرك ·· » ·(٦٥)وما الذى كان فى استطاعته أن يفعله ليتخلص من هذه « الشوكة فى الجسد » سوى أن يتقبلها باسم الحرية ؟ لم يكن أمامه سوى أن« يعمد » الضرورة ويختارها ! كلا لم يكن حرا ذلك الذى ظل طوال حياته يتغنى بالحرية ، ولم يذكر الحرية قط الا عندما يجد الطريق مغلقا وليس أمامه سوى الانصياع والاستسلام(٦٦) « فهذا هو المهر الغالى ، أو الثمن الباهظ الذى فى مقابله وهبنى الله القادر على كل شىء قوة عقلية لا نظير لها بين المعاصرين·· »(٦٧) فهو امتحان من الله ، أو هى تجربة ـ بالمعنى الدينى ( لاسيما فى المسيحية ) للكلمة ·· لابد أن يمر بها بصبر فهو « أيوب » ، بل ان عليه أكثر مما كان على أيوب من قبل ، أن يعمق هذا العذاب وان يزيد من حدة الألام : « لأنه كلما طال مقدار تحملى للألم كان الجرح الذى أحفره أكثر غورا ، اذ يبدولى أن الله يريد أن يجربنى ، وكأنه يريد أن يقول لى : أنت يا قليل الايمان لماذا لا تتحمل من العذاب قدرا أكبر قليلا من ذلك ·· ؟ » · (٦٨)فهو كما لقب نفسه »

---

(٦٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 371.

(٦٥) Ibid, P. 73.

(٦٦) قارن أيضا قوله : « لابد للمرء أن يكافح الشوكة فى الجسد بأن يستسلم لها ويقر بعجزه دون أن يحاول التخلص من وخزاتها ·· » · المرجع السابق ص ٣٩٦

(٦٧) Ibid, P. 170.

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 390 (Oxford).

« فارس الآيمان » و « فارس الأذعان والاستسلام » فى آن معا ، لأن ذلك هو « الطريق الذى ينبغى علينا جميعا أن نسير فيه : أن نعبر جسر التنهدات حتى نصل الى الأبدية ٠٠ »(٦٩) ٠ فالطريق الى الله ملىء بالأشواك والعذاب والدموع، وبمقدار تحملك للآلام تكون علاقتك بالله ، حتى « الرسول » الذى تكون علاقته بالله مباشرة فان هذه العلاقة تعتمد على مقدار تحمله لآلام تفوق طاقة البشر ٠ (٧٠) ومن هنا فانه لو قدر لكيركجور أن يتخلص من هذه « الشوكة فى الجسد » فسوف يتخلص من جميع آلامه وهمومه ، « فى هذه الحالة كنت سأكون أسعد من وجهة نظر دنيوية ، لكنى كنت سأفقد نفسى من وجهة نظر أبدية ، اذ بمساعدة الشوكة فى القدم أقفز عاليا ، أعلى بكثير من أى انسان سليم القدم ٠٠ »(٧١) ٠ فكأن العذاب ليس عذابا فحسب لكنه سعادة أيضا ٠ والألم ليس ألما خالصا وانما هو مزيج من الآلم واللذة ، أو قل ان اللذة لا يمكن أن تنفصل عن الألم فهناك ـ كما يقول جان فال J. Wahl ـ بحق غبطة جدلية « تتأكد من أعماق الألم ٠٠ » ٠ (٧٢) فكل سرور فى هذه الدنيا يصحبه الموت مثله مثل الحشرات التى تموت وهى تتناسل ! ٠(٧٣) ٠

* * *

تلك هى الملامح العامة لشخصية ذلك الفرد ٠٠ « الذى كان فقيرا » فى خبراته وتجاربة ، مقطوع الصلة بالحياة والناس ، يحمل فى جوفه ألوانا مختلفة من الصراع والتناقض الذى لا يمكن حله أو رفعه ؛ **بينه** وبين الواقع « هوة » لا يستطيع عبورها **لأنها** « **مخاطرة** » يخشى القيام بها ، **وهى** تحتاج الى « قفزة » لكى يجتازها مع أنه أحدب لايمشى الخطوات العادية الا بصعوبة بالغة وبطريقة شاذة ٠

---

(٦٩) Ibid, P. 37.
(٧٠) Ibid, P. 487.
(٧١) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 29.
(٧٢) Ibid, P, 70.
(٧٣) S. Kierkegaard: "Sickness Unto Death", P. 151 Eng. Trans. by W. Lowrie.

وأياما كانت العوامل التى أسهمت فى تكوين هذه الشخصية « اللغز » فان المحصلة النهائية انها كانت فى جميع مراحل تطورها « بعيدة عن الواقع » اذ لم تتصل به اتصالا حقيقيا أعنى « اتصالا مباشرا » !

ـ فى المدرسة الابتدائية يقف زيه الغريب جدارا صلبا بينه وبين أترابه فيهزأون به ويسخر هو منهم وتنشب المعارك الكلامية أولا ثم بالأيدى بعد ذلك ـ فى فناء المدرسة المخصص للعب !

ـ وفى البيت يمنعه والده من الخروج من المنزل ليلعب مع الأطفال فى مثل سنه ・ ويقوده من يده ليقوم برحلة خيالية بالغة الغرابة وهما يدوران فى أرض الغرفة ويصف له أثناءها بدقة ما يريد الطفل أن يزوره من أماكن وما يود أن يتعرف عليه من أشخاص ويتصبب الطفل عرقا بعد نصف ساعة من بداية الرحلة العجيبة لكن خياله يشتعل ・

ـ وعندما يكبر يسمح له أن يجلس « فى حلقة المناقشات » مصيغا بانتباه شديد وبتركيز تام لما يدور بين والده وأصدقائه من نقاش فى مشكلات الفلسفة واللاهوت ويزداد خياله اشتعالا وليلتهب حماسا لعالم الخيال وفرارا من عالم الواقع ・

ـ ويصبح الاستماع الى المناقشات من هواياته المفضلة فيجلس فى مرحلة تالية ـ يستمع الى شقيقه الأكبر « بطرس كريستيان Peter Chritian » وهو يدافع عن اللاهوت بحماس بالغ ضد علم الطبيعة » الذى يتحمس له صديقه وزميله فلهلم لند ・・ Wilhelm Lund (٧٤) ・

وهكذا تنمو عند فيلسوفنا ملكة الخيال وتقوى حتى يتعلم ـ طفلا ، وصبيا ، وشابا وناضجا ـ أن يخلق بخياله عالما من لا شىء ! عالما دقيقا فى تفصيلاته يحاكى عالم الواقع تماما ، حتى أنه يمكن بلمسات قليلة أن ينقلب الى واقع حى وتتحول الشخصيات فيه الى أشخاص من لحم ودم ・ أيكون غريبا بعد ذلك أن نجد لديه الميل الى العزلة والانسحاب من الواقع كلما اعترضت سبيله مشكلة ، ليخلق الشخصيات البديلة التى يبثها شكواه

(٧٤) قارن كتاب يوهانس هولنبرج س・ كيركجور ص٤٦ وسوف نعود الى مناقشة هذه الوقائع فى الفصول القادمة بشىء من التفصيل ・

ونجواه ؟ لقد كان كيركجور يعيب على المفكر الهيجلى أنه يعيش فى عالم خيالى يصنعه هو ، وأنه يحيا فى عزلة بين الناس ولا يعلم عن مشكلات الحياة شيئا ، وهو مفكر لو اطلعت عليه لملئت منه رعبا : « شخص ذاهل ذو وجه حزين ، يعيش بطريقة خيالية فى عالم من المجردات ناسيا مطالب الوجود عليه ، وهو حين يفقد نفسه فى عالم التجريد هذا ، لا يحتفظ بذاته الخاصة الا كما يحتفظ المرء بعصاه ٠٠ »(٧٥) ٠ ألسنا نجد كيركجور هنا يصف نفسه بدقة بالغة ٠٠ ؟ أيكون غريبا بعد ذلك ألا يكون معه « سوى ذاته » يتطلع اليها فى المرآة كما قال هو نفسه طوال حياته : فهى الرفيق والأنيس والصديق ؛ ولهذا فهو لا يتحدث الا اليها ٠٠ « أنا على نقيض غيرى من الوعاظ فبينما هم يرهقون أنفسهم بمخاطبة الآخرين فانى أتحدث الى نفسى وحدها ٠٠ »(٧٦) ٠ أيكون غريبا بعد ذلك أن يرتد الى هذه الذات فيمزقها أشلاء ويطلق على كل شلو اسما خاصا : فهذا « يوحنا كليماكوس » وذاك « فيكتور ارميتا » أو « يوحنا المغوى » أو « القاضى فلهلم » ٠٠ ؟ أو حتى يشير اليه بدون اسم فيصبح « فلانا » أو « هو » أو « الشاب » أو « خياط النساء » ٠٠ الخ أو يرمز اليه بحرف من أحرف الهجاء فهو « أ » أو « هـ » ٠٠ الخ ٠

أيكون غريبا أن يحيط نفسه بمجموعة من الشخصيات التى اخترعها خياله الخصب وكساها لحما وعظما ثم نفخ فيها نسمة حياة فأصبحت هى التى « تؤلف » الكتب وتعرض الآراء وتعبر عن المواقف المختلفة ، ويتغير أسلوبها فى الكتابة ما بين « اندفاع الشباب » أو « وقار الشيوخ » ( كيوحنا المغوى الممثل للشاب الحسى الطائش والقاضى فلهلم الرجل المتزوج المتزن ) تماما كما كانت تتغير نبرات صوت أبيه وهو يصف له ما يلقاه من مارة ومعارف أو من باعة فى السوق ٠

حقا لقد كانت هذه كلها « أسماء مستعارة » ، لكتبه لكنها تمثل فى الواقع : « مجتمعه » و « وواقعه » و « حياته » فمراحل تطوره كلها مروية بلسان هؤلاء القوم فى كتبه المختلفة من المرحلة الحسية ـ فترة الضياع ـ

---

(٧٥) F. Brandt: Op. cit., P. 63.

(٧٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 126.

الى المرحلة الأخلاقيـة ـ فـكرة الالتـزام بالزواج من ريجينـا الى المرحلة الدينيـة التى يضحى فيهـا المرء بكل شىء ليكون أمام اللـه وجها لوجه ـ (وهى مراحل تقابل عند هيجل الوعى الحس ثم مرحلة الفهم وأخيرا العقل الجدلى وسوف نعود الى هذا الموضوع فى الجزء الثانى من هذا البحث) ٠

ولما كان كيركجور لم يتصل بالحياة أو بالواقع اتصالا مباشرا فلابد أن يكون منهجه أيضـا منهج الاتصال غير المباشر فتلك هى طريقته المفضلة فى التأليف ، وفى عرض فلسفته وفى نقده لأفكار الآخرين ٠

لقد عاش كيركجور « من وراء ستار » واتصل بالواقع من وراء ستار ، فكان لابد أن يلتقى بقرائه من وراء ستار أيضا ٠ !!

علينا الآن أن ننتقل الى « وقائع » هـــذه الحيـاة وتطورها فى شىء من التفصيل ما دامت هى التى كونت فكره وألهمت فلسفته ٠

# الفصل الثالث

## نشــأة حمقــاء

« لقــد نشــأت نشــأة حمقاء وكانت تربيتى جنونيــة · اذا ما تحــدثنا من وجهــة نظر انسانية » ·

**س· كيركجور : « وجهة نظر »**

« لا أحــد يعرف الابن الا الأب ، ولا أحــد يعرف الأب الا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له ··· » ·

**انجيل متى ١١ : ٢٧**

# الفصل الثالث

## نشـــأة حمقـــاء

اذا كانت حياة « سرن كيركجور » لغزا محيرا ، واذا كان هـو نفسه يقول « ان الله منحنى القــدرة على أن أعيش لغزا ٠٠٠ » (يوميات ١٨٤٨) واذا كان يقول أيضا فى عبـارة جامعة « كل لون من ألوان الوجود يخيفنى من أصغر ذبابة الى ســر التجسيد Incarnation كل شىء عبـــارة عن لغز بالنسبــة لى ، وأكبـر ألوان الألغـــاز : أنا نفسى ! كل لون من ألوان الوجود مسموم بالنسبة لى ، وأكثرها سموما هو وجودى أنا نفسى ٠ عظيم حزنى ! والحق أنه لانهاية له ! ولا أحــد يعرف ذلك سوى الله فى السماء ، وهــو لا يريد لى أن اتعزى ، ولا أحـــد يمكن أن يعزينى ســوى اللــه فى الســماء ٠٠ » ( ١٢ مايو ١٨٣٩ ٠٠) فان ذلك يتضــاءل امام لغـز أبيه : ذلك الرجل الغريب الذى بدأ حياته بغلطة كبرى عندما لعن اللــه وهو صبى صغير ٠ ثم ختمها بغلطة كبرى أيضـــا عنـــدما تزوج من خادمتـــه بعد أن عاشرها ســرا قبل الزواج ، وفى حيــاة زوجته الأولى التى كان يكن لهــا احتــراما كبيرا ٠٠ ! وفيمــا بين البــداية والنهــاية تتوالى اخطاء وتكثر الهواجس والتفسيرات الخرافية للأحداث عملا بقول أبى نواس : « وداونى بالتى كانت هى الداء » أو مصداقا لفكرة فرويد عن « جرائم العقاب الذاتى » التى يندفع فيها الناس الى ارتكاب أخطاء وجرائم بسبب « شعورهم بالاثم » فتراهم يرتكبون الجريمة طلبا للتفكير والعقاب ، فتتوالى الجرائم واحدة أثر الأخــرى كل منهــا « تكفر » عن سابقتها وتأتى السلسلة الجــديدة لتزيد الأمر سوء لاسيما اذا كان الرجل كما يقول ابنه نفسه : « قد ولد فى العراء فى تلك الســهول الممتدة التى يشعر فيهـــا المرء شــعورا قــويا بحضــرة الله ٠٠ »(١) ٠ أعنى اذا كان الحس الدينى عند الرجل عارما وقويا فلا يغفر لنفسه « الهفوات الهينات » دع عنك أن يتسامح فى غلطة كبرى كالتجديف

(١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 67 (Fontana).

على اللـه !(٢) ها هنـا تنشط الهواجس الدينية ، والوساوس المرضيـة ، والتفسيرات الغيبية » وتؤول الأحداث لصالح هـذه التفسيرات الخرافية الغريبة التى تميل مـرة الى الاستسلام والاذعان ، وتميل مرة أخرى الى الصمود والتصدى للارادة الالهيـة وتفويت الفرصة عليها للانتقام ! وتكون لهذه الأحداث والمواقف كلها أثارها السيئة التى تنعكس على نفس فيلسوفنا بوصفه أصغر الأبنـاء كما تنعكس على هـذه الاسـرة « اللغز » كما كان يسميهـا ·

لقد كان كيركجور يود أن يكتب قصة هذه « الأسرة اللغز » على شرط أن تبدأ بطريقة دينية ، فلو أننا أردنا أن نحقق له هذه الرغبة فماذا نقول ؟ ! كيف بدأت وقائع هذه القصة ، وكيف سارت أحداثها ؟ !

استعرض النبى صموئيل ـ كما يروى الكتاب المقـدس ـ أبناء « يس البيتلحمى ··· Jesse of Bethlehem » ليعين منهم واحدا بشره الله بأنه سيكون ملـكا على بنى اسرائيل : ومـر الأبناء السبعة أمام النبى لكنـه لم يجـد فيهم الصبى الموعود ! فتساءل متعجبا : ألم يبق أحـــد ·· ؟ ! فقيل له : بقى ذلك الصبى الصغير ، الابن الثامن ، الذى يرعى الغنم فى المراعى المجـاورة ، وكان ذلك الصبى الموعود ، ذلك الراعى الصغير ، هو : النبى داود(٣) !

هذه القصـة الدينية التى رواها العهد القـديم تكررت مرة أخرى مع « ميخائيل كيركجور والد فيلسوفنا الذى بـدأ حيـاته ـ مثل النبى داود ـ راعيا للغنم فى سـهول سدنج ······ Saeding وهى قرية صغيرة تقع غربى اقليم جتلند West Jutland فى الدانيمارك · وبرم الفتى ، وكان فى الثانية عشـرة ـ بحياة الرعى القاسية وبما فيهـا من وحشة ومعاناة وشعور بالضـياع · وذات يوم راحت الهواجس تعصف بنفسـه الغضـة ، ويزداد سخطه كلما شعر بمواهبه العقلية الممتازة ! ها أنذا فى هذه السهول الواسعة يلسع البرد أطرافى حتى أكاد أتجمد ! جائع لا أجـد ما يسد رمقى ! وحيد لا رفيق ولا صديق ولا أنيس ! ماذا فعلت يالهى ! ماذا فعلت يامقسم

---

(٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes, P. 2.

(٣) صموئيل الأول : الاصحاح السادس عشر ١١ ـ ١٣ ·

الأرزاق ! أين نصيبي مما أعطيت ومنحت ؟ ! رغم حبى لك ، وشوقى اليك ، هجرتنى على هـذا النحو المزرى ! تركتنى ضائعا فى هذه السهولة الموحشة وقفز الصبى متسلقا ربوة صغيرة وراح يلعن الله وهو يلوح بقبضته الصغيرة فى الهواء ! وضاع صوته الحاد عندما ابتلعه الفضاء الواسع !

لم تمضى على هـذه الحادثة سوى أيام قلائل حتى استدعاه خاله « نلس أندرسن سدنج ٠٠٠٠٠٠ Niels Andersen Saeding » التـاجر « بكونها جن » ليعمل معه فى تجارة « البياضات والملابس الداخلية » ، لكن لماذا اختاره هو بالذات دون أخواته جميعا ٠٠ ؟ انه الطفل الرابع من أسرة تتألف من تسعة أطفـال فلماذا تم اختياره هـو بالذات دون غيره ليـكون مساعدا لخاله فى تجارته ؟ ! قد يقال انها « مجـرد صدفة » أو أنها ضربة حظ ٠٠ » تلك تفسيرات عادية لا تأخـذ بها الأسرة اللغز التى تجـد فى كل شىء واضح ، وفى أى حادثة بسيطة اشـكالا يستحق التفكير والمعاناة ! وسوف يتعلم فيلسوفنا من هذه الاسـرة كيف يثير الاشكالات من لاشىء بل كيف يصعب السهل ! ومن هنـا فان « ميخائيل كيركجور » الأب لم يفسرها كما يفسرها غيره من الناس بل رأى فيها ، كما يقول لورى "W. Lowrie" : « يد الله ، فارتعش » !(٤) اعتقـد أنها « لغز » يعبر عن ارادة الله وحكمته التى يجهلها الانسان ذو العقـل القاصر « انها نفس الحكمة ونفس المشيئـة التى اختارت الصبى « داود » ليكون ملكا على بنى اسرائيل من قبل !

ترك الصبى الصغير الريف والسهول الخضـراء ٠ وانغمس فى البيع والشراء فى تجـارة خاله أولا ثم سرعان ما استقل بتجارته الخاصة التى راجت رواجا كبيرا فـكون فى مـدة زمنية قصيرة للغـاية ثروة عريضة ٠ فبدأ « اللغز » يطل برأسه من جديد ! ويبـدو أن تطور حياته كان يكشف عن « ألغـاز مستمرة » ؛ وكلمـا ازدادت ثروته ازداد اللغز غموضا والقصـة تعقيدا : أكانت يـد الله هى التى امتدت اليه ؟ ثم ماذا كانت تريد ؟ ! أكانت تود أن تصفه على ما بدر منه أم تغـدق عليـه ما هو فيه من نعيم وثراء ؟ ها هو مقسم الارزاق يغدق عليك فلم كنت جزوعا هلوعا ؟

---

(٤) W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 21.

بــدأ فى « كوبنهاجن » بتجـــارة « البياضات والجـــوارب والملابس الداخليــة » ثم انتقل الى تجــارة « الملابس الجاهزة » ، ثم تطورت تجارته تطورا هائلا فاتسع ميدانهــا وأمتدت أفرعها على نحــو غير عادى : ففى ٤ ديسمبر عام ١٧٨٠ ، عندما كان فى الرابعــة والعشرين حصل على ترخيص يسمح بالتجارة فى مواد الطعام أيضــا ، وفى ١٧ سبتمبر ١٧٨٨ حصــل على ترخيص ملكى يمكنه من التجارة فى السلع المستوردة من الصين والهند الشرقية ، وكذلك ألوان البضائع المستوردة من جزر الهند الغربية الدانيماركية (التى ستعيش فيهــا ريجينا أولسن بعــد زواجها) مثــل السكر (قبــل وبعد تكريره) وعصير الفواكه ، والبن ٠٠٠ الخ ثم أصبح له الحــق فى بيع هذه السلع « بالجملة والقطاعى » أيضــا واستمرت التجــارة تتسع وتتسع حتى أصبح يتاجر بعـــد سنوات قليلة أى فى سن الثــلاثين : فى جميع المــواد الغذائية وبالجملة وعلى نطاق واسع ٠

نمت الثروة نموا مخيفــا حتى أصبح الحــدث أكثــر الغازا ! فمن ذا الذى يستطيع أن يفسر هــذا الذى يحــدث ؟ : فى لحظة يأس يجــدف صبى صغير على الله ، وينظر الى الكواكب فى ليلة حالكة الظلام ويلعن مكوكبها ! فيكون الجــواب : ثراء عريض ، أيعنى ذلك أن الله قد أدرك خطــأه عنــدما ترك هـــذا الصبى الصغير وحيدا فقيرا يعــانى الجــوع والبرد مع غنمه ، فعاد وصحح هذا الخطأ ؟ أم الأدنى الى الصواب أن نقول أن الله لايخطىء ، وهو قد حدد كل شىء منذ الأزل وقــد رسم لهذا الصبى الفقير طريقا آخــر ومصيرا مختلفا اتم الاختلاف عما هــو فيه ، وعما يمكن هــو أن يتخيله ، لكنه لم يكن صبورا فأضاع النعمة وخسر البركة ، بفعلته الطائشة الحمقاء ـ وأن عليــه الآن أن ينتظر العقاب الذى يمكن أن يداهمه فى أية لحظة ؟ ! ذلك هو الاشــكال الذى الح على ذهن الرجل فى وطأة ضاغطة ولم يستطع منــه فــكاكا ٠

عندما ندرك أن حسه الدينى كان متيقظا ، وانه عمل على صقله طوال مقــامه فى كوبنهاجن ســوف نستنتج فى الحــال أن التفسير الأول مرفوض فالله لايخطىء ولا يغير خططه من أجــل حمــاقة ، ومن ثم فان الاحتمــال الثانى هــو الأرجح ! أعنى ان هذه الثروة لابــد ان تتحول الى « لعنة » ! انها « نقمة » من الله سوف تحل على هذه الاسرة ! وفجــأة ـ وتحت الحاح

هذه الهواجس ـ يعتزل الرجـل ، وهو فى سن الاربعين ، التجـارة ويترك كل أعماله وحياته التجارية النشطة لابن أخيـه : ميخائيل اندرسن كيركجور Michael Andersen Kierkegaard, ولابد للمرء أن يعجب لمثـل هذا القـرار اذ نادرا ما يتقاعد تاجر ناجح فى منتصف حيـاته ، وهو فى كامل قوته وحيـويته ـ بل انه لم يكن قد وصل بالفعـل الى منتصف حيـاته تماما لأنه سوف يعيش بعد ذلك اثنتين واربعين سنة أخرى ... !(٥) .

لماذا اعتزل الرجـل تجارته ، اذن ، وهو فى قمـة النجاح .. ؟ ألانه شعر انه جمع ثروة كافية تمكنه من التقاعد ؟ هـذا أيضا هو التفسير السهل المعتاد الذى لاتلجأ اليه أسرة كيركجور أبدا ! لقد اعتزل لأنه أراد أن يضيع على الخطة الالهية فرصة الانتقام منه ، فهو عنـدما شعر أن اغداق الثروة عليه لم يكن « عفوا » أو « ضربة حظ » لكنـه خطـة مرسومة تريد أن تصل به الى قمة الثراء ثم تضرب ضربتها القوية التى تحيله من جديد الى انسان فقير لا يملك قوت يومه ـ عندئذ قرر أن يفوت على الارادة الالهيـة فرصـة الوصول الى هدفهـا(٦) . وعندما ألمت بالدانيمارك أزمة مالية طاحنة شعر أن هواجسة كانت حقيقـة وأن الضربة قادمة ـ لـكن المفاجأة كانت أكثـر غموضا فزادت المسالة الغازا وتعقيدا فتضاعفت الهواجس والوساوس !

ذلك أن الحـكومة الدانيماركية رأت حتى تتمكن من النهوض بدورها فى حروب نابليون ، أن تصدر أوراقا نقـدية بكميـات هائلة دون أن يكون لها غطاء ذهبى . ولقد أدى ذلك الى خفض قيمـة أوراق النقـد الى عشر قيمتها الأصليـة ، وأدى ذلك الى خفض قيمـة جميع الأسـهم والسندات ، وصكوك التأمين ، والحجوزات وصكوك الرهونات ... الخ . لم ينجو من هـذا الخراب الاقتصادى الشامل سوى ما يسمى باسم : « السندات الملكية »

---

(٥) W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 21.

W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 22
Vol. 1, P. 9.

(٦) يعجب « لورى » من قـرار اعتزاله فى مثـل هـذا السن لـكن يوهانس هولنبرج H. Hohlenberg مؤرخ سيرة حيـاته يرى « ان تقاعده لم يكن سوى تحد جديد لله ، أو انه تحرك جرىء ضـد الخطة الالهية التى استهدفت رفعه ثم تركه يهوى بعنف ...... » ص٢٣ .

التى كانت تضمنهــا الدول الأجنبيـــة مما اضطر الدانيمارك الى أن تدفع فوائدها بالذهب · فضلا عن أن انخفــاض قيمة السندات والأسهم الأخــرى أدى الى ارتفاع قيمة هذه السندات الملكيــة · ومن هنا أفلس فريق كبير من الاسر الغنيــة فى الدانيمارك ، وهم حملة الاسهم الأولى ، التى لحقها هــذا الدمار المــالى فى حين ازدادت ثروة فريق آخر هم حملة السندات الملكية ـ وكان ميخائيل كيركجور يضع كل ثروته فى هذا النوع الأخير من السندات ، فازداد ثراء على ثراء مصداقا لقــول الانجيــل : « من عنده يعطى ويزاد (متى ٢٥ : ٣٠ ، مرقس ٤ : ٢٥) ويستطيع الآن أن يكون على يقين من أنه ، رغم اعتزاله التجارة منذ سنوات ـ سوف يقضى بقية حياته غنيا ·· !(٧) ·

غير أن هــذا الثراء المفاجىء لم يقلل من الهواجس الملحة على ذهنه ، صحيح أن الضــربة الالهية التى كان يتوقعها فى ثروته لم يعــد لهــا وجود الآن لكن عليه أن يفكر فى الجهة الأخــرى التى يمــكن أن تــأتى منها الضربة كانت الوساوس الدينيـــة تزداد كلما سارت حياته على هـــذا النحــو الذى يستعصى على الفهم ···! فاذا كان قد سقط فى خطأ التجديف على اللــه ، واذا كانت الارادة الالهية سوف تنتقم لنفسها فلماذا زادت ثروته ؟واذا كانت الأزمة المــالية وافلاس الدولة « مقدمة » لافلاسه هو فكيف يخرج منها بثروة مضاعفة ؟ كيف يمكن تفسير « اللغز » الجديد ؟ ألسنا نجد هنا البدايات الأولى البسيطة للطابع الملغز الذى تضيفه الفلسفة الوجـودية على وجــود الانسان يقول روبتشك P. Roubiczek « التأكيد على أهمية الطابع الملغز لميلاد الانسان (وكذلك لموته) هو خاصية مشتركة بين الوجوديين وهم بذلك يحرصون على أن نظل على وعى مستمر بمدى غموض وجودنا ، وكيف أن هذا الوجود لابد أن يظل سرا ملغزا · وهمبذلك أيضا يحرمون علينا تزييفحياتنا أو تبسيطها تبسيطا مسرفا بالتغاضى عمالا يمكن تفسيره · فلن يستطيع أحد أن يفسر لى لم ولدت فى أمة دون أمة فى عصر دون عصر آخر ؟ وفى أسرة ليست من اختيــارى وكيف تكون لى شخصية غير الشخصية التى كنت أحب أن تكون لى(٨) ·

---

(٧) Ibid.

(٨) Poul Roubiczek: Existntialism: For and Against P. 57.

حياة الانسان اذن ، اذا ما تأملها بعمق ·· وجدها مليئة بالأسرار والألغاز ، والأحداث الغامضة التى يصعب جدا تفسيرها · هكذا كان يعتقد الأب ، وهكذا سوف يقول الابن فيما بعد عن طريق صب هذا الهواجس فى مقولات فلسفية !

التفسير الوحيد للغز الثروة المتزايدة رغم الخراب الشامل فى كل مكان هو أن الله لا يريد أن يوجه ضربته الى ثروة ميخائيل كيركجور وأمواله لأنه يريد أن ينتقم منه فى شىء أعز من المال : الأسرة ! ألا يروى لنا الكتاب المقدس ـ فى عهده القديم ـ أن الله كان يعاقب بنى اسرائيل فى ذريتهم ··؟! وها هى قصة الكتاب المقدس تتكرر مرة أخرى أن الله سوف يعاقبه فى أبنائه فيحرمه منهم واحدا أثر الآخر حتى يتركه فى النهاية وحيدا ـ مرة أخرى ـ يعانى من يأس قاتل ! ويبدو أن الرجل ـ تحت وطأة الهواجس الملحة والقلق الدينى الحاد ، اندفع ابان مقامه فى كوبنهاجن فى افراط جنسى شديد ، فكان الشعور بالاثم يدفعه الى اثم جديد كالمعتاد طلبا للتكفير والعقاب فيقع فيما يسميه فرويد « بجرائم العقاب الذاتى » ، فكان سقوطه الجنسى واسرافه فيه عاملا هاما فى ازدياد القلق العصابى ومضاعفته · ويعتقد الباحثون أن هذا هو السبب فى أنه **تزوج** فى سن متأخرة ، اذ تزوج لأول مرة فى السابعة والثلاثين من عمره ، رغم أن ثروته كانت تيسر له أن يعول أسرة منذ فترة طويلة · وكان ذلك قبل أن يعتزل التجارة بثلاث سنوات على وجه التقريب ـ فقد تزوج من زوجته الأولى عام ١٧٩٤ وكان يكن لهذه الزوجة احتراما كبيرا لكنها ماتت بع الزواج بعامين دون أن تنجب ، وتقاعد الرجل بعد وفاة زوجته مباشرة ، وكأن الأقرب الى المنطق ان يشعر الرجل الأرمل بالحاجة الماسة الى الانغماس فى العمل أكثر من ذى قبل(٩) لكنها الاسرة « اللغز » التى **تحتاج** « الى منطق أعلى » من المنطق المألوف لفهم تصرفاتها : منطق المفارقة واللامعقول على نحو ما سنرى فيما بعد !

وفى ٢٦ أبريل عام ١٧٩٧ ـ أى بعد شهرين من اعتزاله يتزوج الرجل من فتاة ريفية بسيطة من مسقط رأسه هى « آن سورنداثر لند Ane Sorensdaler Lund وكانت تعمل خادمة فى المنزل ابان زواجه الأول !

---

(٩) W. Lowrie: A Short P. 22.

وفى ٧ سبتمبر ١٧٩٧ انجبت له أول طفلة « مارين كريستين Maren Christine بعد الزواج بأربعة أشهر واحد عشر يوما ! • وفى السنوات الثمانى التالية ينجب أولا بنتين همـــا : نكولين كريستين Nicoline Kristine وبتريا سيفرين Petrea Severine ثم الابن الأكبـــر « بطرس كريستيان » • ثم ينجب ابنين آخرين هما « سرن ميخائيل •• Soren Michael » ـ ونلس أندريز "Niels Andreas" وهكذا يكتمل العدد ثلاث اناث وثلاث ذكور ويتوقف عن الانجاب أربع سنوات حيث لم يعـد يتوقع أطفالا جـددا لاسيما وانه قـد بلغ السادسة الخمسين وبلغت زوجته الخامسة والاربعين • لـكن الأقدار « كالمعتـاد » تتدخل بطريقة غير مفهومة فتهمس الزوجة لزوجها فى غمرة الفرحة بالنجـاة من الخراب المـالى الذى حاق بالبلاد • بأنها تنتظر حادثا سعيدا ! وتضع فى ٥ مايو عـام ١٨١٣ الطفـل الذى سـوف يخـلد لاسرة : سرن أباى كيركجور ••••• Soren Aabye Kierkegaard (١٠) •

ما أن عـلم الرجل أن زوجته تنتظر بعد هـذه الغيبـة الطويلة حادثا سعيدا حتى انقلب الحادث الى تعاسة لاتوصف ، اذ بدأت الهواجس القديمة تستيقظ فى داخله : لماذا طفل جديد ؟ ! لاطالة العقاب ! ان الله لا يريد ثروته فهو يزيدها يوما بعد يوم وانمـا يريد دم أبنائه •••• ، لقـد كانت الفتـرة من ينـاير عـام ١٨١٣ ـ الأزمة الماليـة وخروجه منهـا ظافرا حتى مجىء فيلسوفنا فى ٥ مايو ١٨١٣ فترة مليئة بالافكار القاتمة ! أيكون غريبا بعد

---

(١٠) يلاحظ لورى W. Lowrie أن طفلين فى هذه الأسرة يحملان اسما واحدا هما « سـرن ميخائيل » و « سرن أباى » ـ ويقـول ان ذلك لم يكن غريبـا فى الدانيمارك فى ذلك الوقت فالأم نفسها كانت احـدى شقيقات ثلاث يحملن اسما واحدا هو « آن Anne » والملاحظ أيضا ان كلمة « سرن Soren » التى يحملهـا طفلان هى مذكر كلمـة سفرين Severine وهو اسم واحدة من شقيقاته • والكلمتان سواء فى صـــورة المذكر « سرن » أو المؤنث « سفرين » تحريف لكلمـة Severinus وهو اسم قديس ولد فى شمال افريقيا ومات فى ينــاير عام ٤٨٢ ودفن قرب مدينـة نابلس ، لكنـه حظى بشـهرة واسعة فى الدانيمارك واصبح اسـمه يستخدم كثيرا لتعميد الأطفال فى تلك البلاد قارن •

W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 23.
W. Lowrie: A Short Life, P. 22 - 93.

ذلك أن يكتب كيركجور فى يومياته أنه « ولد فى سنة مجنونة ! » ٠٠ ؟ ! كتب مشيرا الى التضخم المالى الذى عانت منه الدانيمارك ، واستفاد منه والده : « ولدت عام ١٨١٣ فى تلك السنة المجنونة التى طرحت فيها أوراق نقدية مجنونة كثيرة للتداول ، وأفضل ما يمكن للمرء أن يفعله هو أن يقارن بينى وبين تلك الأوراق فهناك شىء مشترك ، هناك شىء فى يشير الى العظمة لكنى للحالة الجنونية التى أعانيها لا أساوى شيئا ! وأوراق نقدية من هذا النوع هى احيانا سوء حظ الاسرة كلها »(١١) ٠

استيقظت مخاوف الأب عندما علم بقدوم ضيف جديد ، وشيئا فشيئا بدأت تختمر فى ذهنه فكرة غريبة مفادها أن الطريق الوحيد للمصالحة بينه وبين الله هو أن يترك هذا الطفل محررا لله ! أن يضحى به كما ضحى ابراهيم باسحق من قبل ! ان عليه أن يربى الطفل بطريقة خاصة تمنعه من أن يهرب من مصيره المحتوم : أن يضحى بنفسه ، والا يثور فى لحظات اليأس ٠ فيكرر مأساة أبيه فهو « مخلص هذه الأسرة اللغز »(١٢) ٠

عمد الطفل بعد شهر من ميلاده فى كنيسة « الروح القدس » وأعطى اسم القديس « سرن » وشيئا فشيئا هدأت وساوس الأب وغاصت هواجسه فى أعماق اللاشعور ونسى كل شىء ! وسارت الحياة عادية جدا فى السنوات الأولى من عمر الطفل الوليد : الأب يمضى وقته فى قراءة الفلاسفة الألمان فى محاولة لاستعادة ما فاته من ثقافة ، ثم يلتقى بأصدقائه ليلا لمناقشة المشكلات الفلسفية واللاهوتية : ما قرأ فى الكتب وما سمع فى الكنيسة التى ينتمى اليها ٠ وكان قد ارتبط بالكنيسة المورافية Moravian ... Church (١٣) ٠ فكون مجموعة لابأس بها من الأصدقاء كما التقى فى هذه الكنيسة بمجموعة كبيرة من المعارف والأقارب ـ فقرر أن يصحب أولاده معه لسماع الوعظ والارشاد الدينى ٠ ولقد تأثر الرجل بقوة بوعظ هذه الطائفة البروتستانتية ـ الأخوة المورافيين ـ لاسيما وانه كان يعزف على

---

(١١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 90 (Fontana).

(١٢) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 25.

(١٣) طائفة بروتستانتية انشاها فى القرن الخامس عشر المصلح الدينى جون هس فى بوهيميا ٠٠ Bohemia ومورافيا ٠٠ Moravia

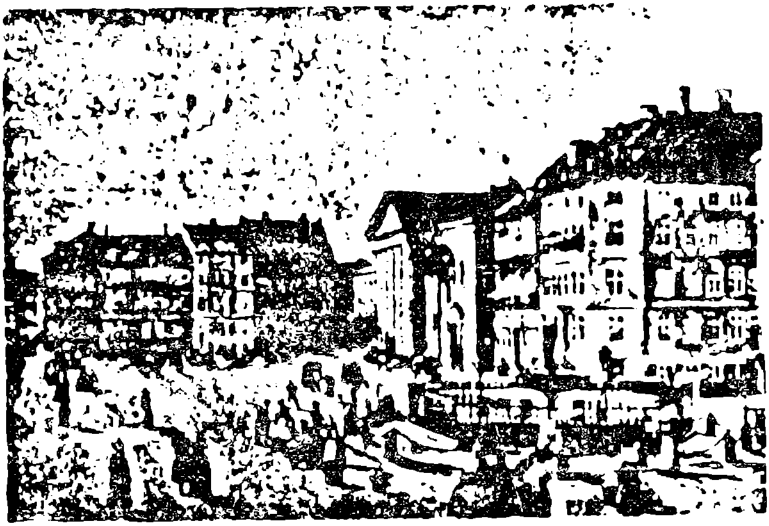
وتر حساس عنده : فكان وعظا مليئا بالدموع والجراح ودم المسيح الذى ينزف على الصليب يحيى ذلك كله ويغذيه كراهية شديدة للعالم(١٤) فصادف ذلك الوعظ القائم هوى في نفسه القاتمة وتقلبه مزاجه السوداوى بترحاب شديد!



الأب



الأم



المنزل الذى ولد فيه كيركجور الثالث من اليمين

(١٤) J. Wahl: Etudes Kierkegardiennes, P. 2.

عندما بلغ « سرن » السادسة من عمره وقعت حادثة أعادت الى الرجل وساوسه القديمة وأيقظت فيه المخاوف المطمورة فى اللاشعور. ذلك أن ابنه : « سرن ميخائيل » الطفل الخامس فى قائمة الأبناء ، وكان فى الثانية عشرة من عمره فى ذلك الوقت ، عاد فى يوم من أيام شهر سبتمبر عام ١٨١٩ وهو يشكو من صداع فى رأسه نتيجة لتناطحه بالرأس مع أحد رفاقه فى فناء المدرسة ورقد الطفل فى الفراش أياما قليلة مات بعدها « بمرض عصبى » ! وبدأ الأب يشعر من جديد أن موت الطفل ليس الا نذيرا لما سوف يحدث ، أنه الومضة الأولى فى البرق القادم من السماء ! وبعد ثلاث سنوات ماتت الابنة الكبرى « مارن كريستين Maren Kristine » عن عمر يناهز الخامسة والعشرين ! حادثتان أيقظتا هواجس الأب التى هدأت سنوات قليلة وضاعفتا قلقه ، فاندفع فى رعاية الطفل وتوجيه عناية خاصة لتربيته ، وأخذ على عاتقه الاشراف بنفسه على هذه التربية !(١٥) .

كان الطفل « سرن آباى » قد دخل فى العام السابق على وفاة شقيقته المدرسة الابتدائية التى يديرها ميخائيل نلسن .. Michael Nielsen — مدرسة الفضيلة المدنية » . لكنه حتى فى هذه الخطوات الأولى من حياته كان مقطوع الصلةبالواقع : وكما لو كانأبوه يتعمد باستمرار قطع كلالخيوط التى تربطه بهذه الدنيا ! ألم ينذره محررا لله ؟ ! عليه ، اذن ، ان أطل على العالم أن يفعل ذلك من وراء حجاب ! انظر مثلا الى أول احتكاك له بالبيئة الخارجية عندما ذهب الى « مدرسة الفضيلة » بملابس هزلية تشكل جدارا صلبا بينه وبين رفاقه مع أنه فى الخامسة حيث يندمج الأطفال معا فى لعب مستمر وحيث تكون الصلة قوية مع رفاق اللعب : لكنه يرتدى سترة من الصوف الخشن (بغض النظر عن تغير الفصول) سوداء اللون ، وسراويل قصيرة واسعة لكنها مزمومة عند الركبة ! وجوارب من الصوف تغطى ساقيه الهزيلتين وحذاء ريفيا غير متقن الصنع (وليس حذاء طويلا يغطى الساق كما كان يفعل الاطفال فى فصل الشتاء) هذا من حيث الملابس الغريبة أما تكوينه الجسمى فهو غريب أيضا : الوجه نحيف رقيق ذو أنف أفطس ، والذقن نحيلة مدببة ، والعينان واسعتان زرقاوان ، والشعر أشقر

---

(١٥) H. Hohlenberg: Soren Kierkegard, P. 27.

مرفوعا يشبه حزمة من سنابل القمح الناضجة فى حقـول الفلاحين منظره هـذا الغريب ـ زيا وشـكلا ـ جعله عرضـة للسخرية المستمرة من رفاقه فكانوا يسمونه تارة « بصبى الكورس » اشارة الى الغلام الفقير المنشـد فى جوقة الكنيسة ! وتارة أخرى يسمونه « بالقط البرى » ٠ وكتب واحـد منهم هـو « ولدنج "Welding » يقـول : « كان كيركجور بالنسبة لنـا نحن الاطفال الذين نسير فى حياة طفولة عادية طفـلا غريبـا وموضوعا للرثاء والشفقة ، لاسيما لملابسه التى لم تتغير والمصنوعة من الصـوف الخشن والتى هى مزيج من اللون القـائم والتفصيل الغريب حتى معطفه كان ينتهى بذيول قصيرة ! ٠٠ باختصـار سرن كيركجور كان بالنسبة لنـا جميعـا شخصية غريبـة لفتهـا أسرتها بمزيج من السـر الغامض والقسـوة والغرابة ٠٠ »(١٦) ٠

على هـذا النحـو كانت هناك هوة بينه وبين رفاقه فى المدرسة حتى انه لم يعرف منهم احـدا قط ، ولم يتخـذ منهم صـديقا ، لم يقترب من أى منهم ، وكل ما كان بينه وبينهم هو الصراع والتوتر : هم يسخرون من منظره الغريب ،وهو يرد الصاع صاعين بالسخرية اللاذعة والنكتة البارعة ويكشف فى هذه السن المبـكرة عن قدرة فى التهـكم وعن تفوقه عليهم من الناحيـة العقليـة ! أما الأطفال الأكبر سـنا والاقوى بدنا فقـد كان يتجنبهم بقـدر المستطاع ، لكن ليس ثمـة مايمنع ، ان دعت الحاجة ، من الرد عليهم بنكات قاسيـة وان كلفـه ذلك كثيرا ـ أعنى أنهم كانوا يضربونه ! والغريب انه لم يكن يتردد فى نزالهم حتى عنـدما يتحـول الصـراع الى اشتباك بالأيـدى مع أنه كان يعلم مقدما أنه الخاسر ! لـكن يبدو أن ثقته بنفسـه كانت بغير حد فقد كان يعتقد حتى فى هذه السن المبكرة أنه « متفوق على الجميع » !

لم يكن له ارتباط اذن برفاقه فى المدرسـة الا هذا اللون من الصراع ولم يحدث قط بعد نهاية اليوم الدراسى أن اصطحب واحـدا منهم الى منزله أو دعاه لزيارته ، كذلك لم يذهب هـو الى واحد منهم ! على هـذا النحـو كانت الجسور مقطوعة مع عالم الواقع منـذ وقت مبكر ! وان كان يلجأ الى تعويض « هذا النقص » أو هذا « الوضع الشـاذ باقناع نفسه « أنه خارق »

---

(١٦) W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 39.

« ومتفوق عليهم » وأنه « الأوحد » أو هو « ذلك الفرد » ! كما سبق أن رأينا تماما كما كان يعتقد نيتشه أنه « هو ذا الرجل ······· Ecce Homo لكن الغريب حقا أنه كان فى بعض الأحيان يعود الى رشده فيقلل من هذا التفوق حتى يصل الى درجة الصفر أو قيل أنه كان يحسن بألوان متضاربة من المشاعر · يقول « روتنبك Ruttenbek » حين كان يجلس مع صديق يطمئن اليه بحيث يستطيع أن يحدثه بثقة ويسر له ما بنفسه كان يكرر قوله « أنا لا أساوى شيئا » ·· ـ أنا لا أصلح لشىء » وكان فى مقدوره أن يبرهن على أن أكثر الرجال تفاهة يمكن أن يعد عبقرياً اذا ماقورن به »(١٧) ·

ويصف لنا كيركجور هـــذه السنوات الأولى من حيـاته على لسان « القاضى فلهلم » الشخصية الرئيسية فى المجلد الثانى من كتابه : « أما ·· أو » (ولعلك تلاحظ ، كما سبق أن ذكرنا ، أنه عنـدما يروى شيئا من حياته لاسيما ان كان شيئا للنشر على الناس ، فانه يرويه على لســان شخصيــة مستعارة يخلقها بخياله مسايرة لخطه الثابت المستمر : عدم الاتصال المباشر بالواقع أو ما يسميه هــو باستخدام « المنهج غير المباشر » ) ـ يقـول عن سنواته الأولى : ـ

« دعنى أوضح لك ما أعنيــه بمثال ، وســوف أختار لهـــذا الغرض الانطباع الذى مازلت أذكره من سنوات حياتى المبكرة :

عندما كنت فى الخامسة من عمرى ذهبت الى المدرسة ، ومن الطبيعى أن تترك هذه الحادثة انطباعا دائما فى ذهن صبى صغير · لكن المهم هو : ما هو هــذا الانطباع ·· ؟ ! ·· دخلت المدرســة وقدمت الى المدرس الذى أعطانى واجبا لليــوم التــالى وهــو السطــور العشــرة الأولى من كتاب « العبر »(١٨) للأسقف بالى "Balle" وكان على أن أحفظها عن ظهر قلب

---

(١٧) J. Wahl: Etudes Kierkegaardinnes P. (Note 2).

(١٨) مجموعة عن مبادىء الأخلاق ودروس الفضيلة جمعها الأسقف الدانيماركى بالى « "Bishop Balle" وكانت المـدارس الابتدائيـة كلهــا فى الدانيمارك تدرس هذا الكتاب ، ولهذا كثيرا ما يشير اليه كيركجور أو ربما بسببه ترسبت فى ذهنه فكرة الواجب » التى ستكون جوهر المرحلة الأخلاقية عنده فيما بعد ·

عندئذ امحى من نفسى كل أثر الا واجبى الذى ظل حيا أمام ذهنى . وكنت فى طفولتى ذا ذاكرة ممتازة ، ولهذا كنت أتعلم دروسى بسهولة وسرعة ، وكانت أختى تسمعها منى مرارا وتعترف أننى أحفظها جيدا فأغدو الى النوم ! لكنى كنت أسمعها لنفسى مرة أخرى قبل أن أنام ! ولا أنام الاوأنا عازم على تكرارها مرة أخرى صباح الغد؛ وكنت أستقيظ في الخامسة صباحا فارتدى ملابسى وأسرع الى كتاب «العبر» لأقرأ فيه مرة أخرى . ولايزال كل شيء حتى هذه اللحظة حيا أمام عينى وكأنه حدث بالأمس القريب . وبدا لى أن السموات والأرض سوف تنهار جميعا اذا لم أعرف دروسى . ومن ناحية أخرى فانه حتى لو انهارت السموات والأرض فان ذلك لن يعفينى مما قد تعين على من استذكار دروسى . (لاحظ الصرامة الأخلاقية لفكرة الواجب). وكنت فى تلك السن لا أعرف الا النزر اليسير من الواجبات فلم أكن قد تعلمتها بعد من « كتاب العبر » لبالى Balle لذا لم أكن أعرف غير واجب واحد هو أن أتعلم دروسى . ومع ذلك ففى استطاعتى أن أرد وجهة نظرى الأخلاقية كلها عن الحياة الى هذا الانطباع(١٩) .

« بعد ذلك بعامين ذهبت الى المدرسة اللاتينية ، وها هنا بدأت حياة جديدة ، لكن الانطباع الرئيسى كان أيضا التأكيد على أهمية الحياة الأخلاقية رغم اننى استمتعت بأعظم قدر من الحرية : وكنت أسمع غيرى من التلاميذ ، وأنا مندهش ، يشكون من مدرسهم حتى أن واحدا منهم فصل من المدرسة لأنه لم يحسن التعامل مع معلمه . ولولا أننى كنت قد تشبعت منذ حداثة سنى بالانطباع الذى يؤكد أهمية الأخلاق لكان لمثل هذه الحادثة أثر سيء على نفسى . لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وعرفت أن واجبى هو أن أذهب الى المدرسة ، نعم الى المدرسة التى أرسلونى اليها ، واذا كان يمكن تغيير أى شيء آخر فان ذلك لم يكن من الممكن تغييره . ولم يكن الخوف فقط من جدية والدى هو الذى رسخ هذه الفكرة فى ذهنى بل أيضا الانطباع النبيل بواجب المرء ، فحتى لو لم يكن والدى موجودا ووضعت تحت رقابة شخص آخر لكنت سأشعر شعورا لانهاية له بواجبى ... »(٢٠) .

---

(١٩) S. Kierkegaard: "Either..or" Vol. 2, P. 271.

(٢٠) Ibid, P. 273.

على هــذا النحو سارت حياة الطفل الصغير فى المرحلة الابتدائية ٠ وهنا نلاحظ أن هــذه المرحلة تتسم بخاصيتين أساسيتين : **الأولى** الانفصال عن الواقع والخوف من مجابهته لان أى احتكاك به يعنى الصراع والتوتر ، وبالتالى فان كيركجور فى الحقيقــة لم يذق طعم الطفولة ، ومن ثم كان على حق تماما عندما قال عن نفسه « لقد ولدت رجلا عجوزا بالفعل ٠٠ »(٢١) ٠

والخاصية **الثانية** : الارتداد المستمر الى الذات ، وتلك نتيجــة طبيعية للانفصال عن الواقع ، والبعــد عن دنيــا الناس بحيث لايكون له من عالم سوى ذاته بما فيها من مشاعر وعواطف وأفكار ٠ وهــو فى النص السابق يكشف عن أن « فكرة الواجب » قد شغلته وهو طفل صغير ، حتى أنه شعر أن عدم القيام بواجبه سوف يترتب عليه انهيــار السماء والأرض ! وهــذه الفــكرة سوف يصوغهــا فلسفيا فيما بعــد باسم المرحلة الأخلاقية مستعينا بمقولات وأفكار هيجلية !

وهــو فى كتيب ـ لم يكتمل وأصبح من مجمــوعة « أوراقه » عنوانه « يوحنا كليماكوس Johannes Climacus » يروى طرفا من حيــاته وهـــو طالب ـ يقول « فى مدينة هـ ـ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعى « يوحنا كليماكوس » ، لم يكن يتطلع قط أن يصبح مرموقا فى هذا العالم ، وانما كان يجـــد على العكس سعادة ومتعة فى أن يعيش حيــاة غامضــة وصامتة ، ولقد حاول المقربون منه ، وكذلك معــارفة ، أن يفســروا طبيعته المغلقة وفراره من كل اتصال لالزوم له بالنــاس ـ حاولوا أن يفســروا ذلك مفترضين أنه ـ أما سوداوى المزاج واما أنه يحب ٠ وأولئك الذين أخــذوا بالتفسير الأخيــر لم يخطئوا كثيرا على الرغم من أن انهم يخطئون ان ظنوا أن احلامه كانت تنصب على فتاة ، فأمثال هذه المشاعر كانت غريبة تماما على قلبه(٢٢) ٠وكما كان مظهره الخارجى رقيقا وأثيريا ، كذلك كانت روحه بنفس الدرجــة ، أبعــد كثيرا من أن يسحرها جمال امرأة ٠ ومع ذلك فمن الصواب أن تقــول انه كان فى حالة حب ، أو كان مأخوذا بالحب ٠٠ لكنه

---

(٢١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 169 (Oxford).
ويقول فى مكان آخر : « لقد قفزت تماما فوق الطفولة والشباب ! » ٠

(٢٢) لاحظ التباهى بالانفصال عن الحياة وعدم الاتصال بالواقع الحى الذى يعيشه الانسان العادى !

حب الافكار أو بالأحرى حب التفكير ... فحين كانت رأسه المفعمة بالفكر تميل كما تميل سنبلة القمح الناضجة ، فلم يكن ذلك بسبب سماعه صوت المحبوب ، وانما كان لأنه يصيخ السمع لهمس أفكاره الخافت ، وحين كان وجهه يبدو حالما ، فلم يكن ذلك بسبب أن صورتها كانت تحوم أمام عينيه ، بل لأن حركات الأفكار أصبحت مرئية ! لقد كانت متعته أن يبدأ من فكرة واحدة يتسلق منها خطوة خطوة عن طريق التسلسل المنطقى الى فكرة أعلى لأن التسلسل المنطقى كان بالنسبة له : « معراج الفردوس . Scala Paradisi وكانت سعادته تبدوله أعظم كثيراً من سعادة الملائكة . فعندما يصل الى فكرة أعلى كان يجد فرحة لاتوصف ، فيطرب لها فى حماس بالغ وينهمك فى السير فى الطريق نفسها حتى يصل الى المنطقة التى كان بدأ منها . ولكنه لا ينجح دائما فى تحقيق ذلك ؛ ولذا يصبح مغموما لأن حركة السير ناقصة ، وعندئذ يبدأ من جديد فان نجح هذه المرة فان روحه تطير من الفرح ، وبسبب هذه السعادة الغامرة لم يكن يستطيع النوم طوال الليل وانما يستعيد الحركة ذاتها لعدة ساعات . لأن صعود الفكر وهبوطه ، ثم صعوده وهبوطه مرة أخرى كان يشعره بمتعة لا تعادلها أى متعة أخرى ، وفى الأوقات التى يكون فيها سعيدا ، كانت خطواته رشيقة خفيفة كأنه ينساب ! أما الأوقات الأخرى فان قلقه يكن مرعبا .. وهو لم يلحظ أن الناس يبتسمون منه ، ومن ناحية أخرى نادرا ما يلتفت اليه المرء ، أو ينظر اليه بارتياح ، وهو يغذ السير بخطوات رشيقة كما لو كان يرقص ، وهو بدوره لم يعر الناس التفاتا ، ولم يفترض لحظة واحدة أنه قد يكون هناك من يلتفت اليه ، لقد كان وسيظل ، غريبا فى هذا العالم ..(٢٣) .

من هذا النص نلاحظ « التمركز الشديد حول الذات » الذى ستصبح سمة رئيسية فى فكر كيركجور بعد ذلك ، فمنذ كان طالبا وهو يدور حول نفسه وكلما انقطعت اتصالاته بالعالم الخارجى قويت علاقته بذاته وكان صادقا فى قوله « لم أعش قط بالمعنى الانسانى لهذه الكلمة ، لقد كنت فكرا من البداية الى النهاية ... وفى مرحلة الطفولة والشباب ساعدت نفسى

---

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 108 (Oxford).

بلون من ألوان الشباب المزور المصطنع ··»(٢٤) ·

« لقد ذقت الفاكهــة من شجرة المعرفة واستمتعت بمذاقهــا ، غير أن هذه اللــذة لم تمكث الا لحظــة المعــرفة فحسب ، ثم تمضى دون أن تخلف بصماتها العميقة داخل نفسى ، وانه ليبدو لى اننى لم أشرب من كأس الحكمة لكنى سقطت فى هذه الكأس ! ····»(٢٥) ·

ولمــا كان الارتداد الى الذات والتمركز حولها هــو الخبرة الاساسية الأولى التى خبــرها فى حياته فسوف يجعلها المبــدأ الحقيقى لكل فلسفة : « فالانسان ينبغى عليه أن يعرف نفسه قبل أن يعرف أى شيىء آخر ، وبعد أن يفهم الانسان نفسه من الناحية الداخليــة ، وأن يتبين طريقه على هذا النحو ها هنا فقط سوف تنعم الحياة بالسلام والمعنى ··· »(٢٦) وهكذا ينفصل الفكر عن الوجود فى حالة وجود الانسان : « فالله لايفــكر ، انه يخلق ، الله لايوجد انه أبدى ، أما الانسان فهو يفكر ويوجد والوجود الفعلى Existnce (للانسان) هــو الذى يفصل بين الفــكر والوجــود العــام Being ويعزل الواحد منهما عن الآخر على التوالى ··· »(٢٧) ·

هناك تجربتان مر بهــا كيركجور فى حياته المبــكرة دعمتا « مركزية الذات » هذه وعملتا على تنمية ملكة الخيال عنده الى أقصى حد ، وأعنى بهاتين التجربتين : « **النزهات الخيالية** » التى كان يقوم بها مع والده فى غرفة مغلقــة ، « **والاصغاء العميق** » لمناقشات الأب مع اصــدقائه فلنقف عندهما قليلا ·

لنترك كيركجور فى الكتيب الصغير الــذى سبق أن أشــرنا اليـــه « يوحنا كليماكوس » وهو الآن بين « أوراقه » ـ يصف لنا التجربة المثيرة الأولى :

« على الرغم من أن طبيعة كليماكوس تبـــدو ملحوظة لمن لا يعــرفه

---

(٢٤) S. Kierkegaard: Point of View, P. 80 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٢٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 17.

(٢٦) Ibid, P. 17 - 18.

(٢٧) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript, P. 296 Eng. Trans. by D. F. Swenson and W. Lowrie.

معرفة وثيقة فانها لم تكن قط مستحيلة التفسير لـكل من يعرف شيئا عن حياته المبكرة ، انه الآن فى الواحدة والعشرين من عمره وسوف يظل على هذا النحو باستمرار ٠

لم يكن المنزل يقـــدم له ألوانا من اللهو والتسلية ، ولم يكن يخرج الا نادرا ، لهذا تعود منذ فترة مبـكرة ان ينشغل بنفسه وبأفكاره الخاصة وحدها ولقد كان والده رجلا متجهما قاسيا ، لكنه كان يخفى تحت مظهره الجاف العابس خيالا متوهجا لم يخمدة تقدم السن ٠ وعنـدما كان يوحنا يطلب من والـده أن يسمح له بالخروج من المنـزل كان ، فى العـادة ، يرفض ٠ لـكن الوالـد كان بين الحين والحين ، وعلى سبيل التعويض ، يتناول يـد الطفل الصغير ويسير معـه فى أرض الغرفة جيئـة وذهابا ٠ كان ذلك يبدو فى البـداية بديلا هزيلا للخروج ، لكنه ، مثـل مظهر الوالد الجـاف ، كان يخفى شيئا تحته مختلف أتم الاختلاف ، وكان الأب يتـرك ليوحنا تحديد المكان الذى سيذهبان اليه ، هكـذا يخرجان من باب المنزل الى القلعة المجـاورة ، أو يذهبان الى الشاطىء أو يسيران فى الشـارع أينما يشـاء يوحنا (فالأب مستعد لكل شىء ٠ وخـلال رواحهما وغدوهما فى أرض الغـرفة يصف الأب جميع ما يشاهدانه : يحيان المارة ، يتجنبان هذه المرأة مغرية أكثر من أى وقت مضى ! كان الأب يصف أقـل التفاصيل العربات ، يستمعان الى الضوضاء الصاخبة فيخفف صوت الأب ، فطائر واصغرها بدقة متناهيـة بسرعة ووضـوح حتى ليصبح كل شىء واضحا بعد نصف ساعة من بداية هـذه النزعة كما لو كان قـد قضى يوما بأكمله أمام يوحنا وضوح النهار ! لدرجة أن الطفل كان يشعر بالارهاق والتعب خارج المنزل ٠ وسرعان ما تعـلم يوحنـا من والده كيف يمارس قـدرته السحرية ؛ فمـا كان قصصيا فى البـداية أصبح الآن دراما : وانعكست الأية ٠٠٠٠٠(٢٨) ٠

هذا نص بالغ الأهمية لأنه يظهرنا على هـــذه التجربة الغريبة التى أشعلت خيال الطفل منـذ سنواته المبكرة فيحـرم الأب على ابنه الخروج من المنزل ليلعب مع أترابه ويأخذ بيده فى نزهة فى عالم الخيـال ـ تاركا

---

(٢٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 109 - 110 (Oxford).

له حرية اختيار المكان الذى يذهبان اليه : الحديقة القلعة ، شاطىء البحر · واصفا المارة ، الباعة ، العربات ، الجلبة ···· الخ مغيرا نبرات صوته ولهجته حسب مقتضيات الحال !

« وسرعان ما تعلم يوحنا من أبيه كيف يمارس هـذا الفن الساحر ويتحول الوصف الى حوار بينهما أثناء السير ، فاذا مرا بأماكن يعرفانها جيدا يراقب كل منهما الآخر جيدا بدقة حتى يتأكد من أنه لم يغفل فى وصفه شيئا · أما اذا كان الطريق مجهولا ليوحنا فانه كان يتابع الأب فى وصفه ،وكان الأخير يمتلك قدرة هائلة على التخيل تمكنه من خلق أى شيىء · وكان الأمر يبدو ليوحنا كما لو أن العالم يخلق من جديد أو ينبثق من العدم مرة أخرى أثناء هـذا الحوار ـ وكما لو كان الأب هو « اللـه » ويوحنا هو ابنه الحبيب المرخص له بابداء أغرب الأفكار كما يحلو له ····(٢٩) ·

كانت هذه « النزهات الخيالية » قد بدأت قبل أن يذهب الطفل الصغير الى المدرسة واستمرت طوال وجوده بها وعلى هذا النحو كان التعويض عن « الحياة المدرسة المفقودة » فعندما يسخر منه زملاؤه ويشعر بأن خيوط الواقع مقطوعة لا يكون أمامه الا هـذا البديل أعنى خلق عالم خيالى ! ولهـذا فاننا نستطيع أن نتخيل الى أى حـد يكون اشتياقه للعودة الى المنزل ليقوم بهذه « النزهات » لـكى يعيد بناء العالم الذى حرم منه ! فما أن يعود الى المنزل ويفرغ من تناول طعامه حتى يهرع الى أبيه طارقا باب غرفته ليدعوه للقيام بواحدة من نزهاته الحلوة !

ترى ماذا كان يستهدف الأب من القيام بهـذه الرحلات الغريبة ؟ بعض الباحثين يقول : « كان غرض الوالد فى البداية أن يعتاد الطفل التنازل عن رغباته الخاصة والخضوع لرغبة أعلى حتى ولو كانت هذه الرغبة الأعلى « غير معقولة » ! لكن سرعان ما اكتسبت هـذه النزهات مغزى يحتمل الا يكون الأب نفسه قد فهمه !(٣٠) ·

---

(٢٩) Ibid.

(٣٠) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 33.

وقارن أيضا حول هذا الموضوع كتاب لورى عن « كيركجور » المجلد الأول ص٢٩ وله أيضا « حياة موجزة لكيرجور » ص٤٥ ·

والواقع أن هــــذه « النزهات الخيالية » قـــد أثارت بين الباحثين مناقشات طويلة : عارضهـــا معظمهم وأيدتها قلة فلنعرض بايجـــاز آراء الطرفين ثم نعلق عليه فيما بعد :

أصـــدق من يمثل وجهة النظر التى عارضت هــذه النزعات الغريبة هو جورج براندز "Georg Brandes" الذى يذهب الى « أنهـــا طريقة غير طبيعية ان تحرم طفلا موهوبا من الاحساس بالواقع ، وان تغرس فى ذهنه أحـــلاما ورؤى مريضـــة يصعب أن توجد فى دنيـــا الواقع ... »(٣١) . ويستطرد براندز قائلا : « وبالتأكيد فان أحدا لن يعجب بعـــد أن يقـــرأ عن هذه النزهات ، من أن شخصيات كيركجور : يوحنا المغوى ، الاخ الساكت وفـــلان .... الخ »(٣٢) . هى شخصيات هزيلة ميتـــة رغم شاعريتهـــا ورغم ابداعه لها بمهارة ، لقد أصبح له أشبه ما يكون بالشجرة التى تنمو داخل جدران مغلقة ...(٣٣) .

ويقارن براندز بين طفولة « سرن كيركجور » ، وبين طفولة الفيلسوف الانجليزى « جون استيورات مل J. S. Mill » الذى عاش فى فترة مقاربة (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣) وكان منذ مولـــده فى لندن فى ٢٠ مايو ١٨٠٦ يخضع تماما لنظام من التربية يقـــوم به والده الذى حجبه عن عمـــد من الارتباط بالاطفال فى مثل سنه وأخضعه منذ سنواته المبكرة لنظام عقلى صارم(٣٤) . يقول « براندز » ان مل اعتاد هو الآخر ـ فيما بين سن الرابعة والسابعة ـ أن يقوم بنزهات يومية مع والـــده ، لكنهـــا نزهات تتم فى الهواء الطلق ! وكان الطفل يروى لوالده فى هـــــذه النزهات كل ما تعلمه فى المدرســـة : « دفاع أهـــل مالطا ضـــد الترك ، ثورة الأراضى المنخفضة ضـــد طغيان

---

(٣١) Georg Brandes : S. Kierkegaard Vol. 11, P. 257 1899 (Quoted by J. Hohlenberg: op. cit., P. 33 ff).

(٣٢) شخصيات مستعارة خلقهـــا كيركجور بخيـــاله وســـوف نعود اليهـــا بالتفصيل فى الفصل السابع عنــــدما نتحـــدث عن « المؤلفات .. والمنهج » .

(٣٣) Ibd.

(٣٤) W. R. Sorley: A History of British Philosophy to 1900; P. 249 Cambridge University Press 1965.

الأسبان .. الخ » . وكان الأب صاحب الأفق الواسع والذهن الذى استوعب ثقافة العصر يرتب لابنه علوم عصره وينظم له ما وصل اليه العصر من معلومات ومعارف ويوقظ فى نفسه الاحساس بالقانون والتاريخ والطبيعة ..(٣٥) .

ويشفق براندز .. G. Brandes على كيركجور الطفل الذى شارك أباه هذه النزهات الكئيبة التى تروح وتغدو فى أرض الغرفة ، بينما الأب وابنه ـ كطفلين عجوزين يتعلق الواحد منهما بالآخر ويداهنه فى الاستمتاع برؤية مناظر الطبيعة المحيطة أو ينتقى الانطباعات كما لو كانت آتية من العالم من حوله !(٣٦) . وينتهى براندز « الى القول بأننا ينبغى ألا نعجب عندما نعرف أن اسهامات كيركجور نتيجة لهذه النزهات الخيالية هى لاشىء ! وأن ذهنه الذى استثير فوق طاقته لم يستطع أن ينتج الا ظلالا ميتة يجعلها تمر أمام عينى والده ! .

وتولى « يوهانس هولنبرج ..... Johannes Hohlenberg ـ المؤرخ الشهير لحياة كيركجور ـ تفنيد انتقادات « براندز » والدفاع عن هذه النزعات الخيالية . فذهب الى أن « براندز » ينطلق فى انتقاداته من موقف عقلى ساد الربع الأخير من القرن التاسع عشر واستمر فى القرن العشرين تحت اسم « المذهب الواقعى Realism وهو مذهب يتميز فى رأيه ، بنقص حاد فى الخيال وعجز كامل عن التخيل وبالتالى عن انتاج شىء لايراه الناس رؤية حسية مباشرة ! ان الناس فى هذا المذهب الواقعى ، فيما يرى « هولنبرج » غرباء عن هذا العالم ينظرون اليه نظرة المشاهد من الخارج . وكان « جون استيورت مل » نموذجا لهؤلاء الناس ومن ثم فان تربيته لا تقل انحرافا عن تربية كيركجور !(٣٧) . وهولنبرج يريد بذلك أن يقول انه اذا كان كيركجور فى نزهاته الخيالية مع أبيه قد حرم من « الواقع » فان « مل » فى نزهاته الواقعية مع أبيه قد حرم من

---

(٣٥) J. Hohlenberg: Op. cit., P. 33.

(٣٦) Quoted by J. Hohlenberg, P. 33 - 34.

(٣٧) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 34.

« الخيال » ! ولكن « هولنبرج » لايكتفى بهذا القدر من الرد على انتقادات « براندز » وانما يستطرد محبذا نزهات كيركجور مع والده : يقول :

« ان ما تعلمه كيركجور من خلال مناقشاته مع والده كان شيئا مختلفا أتم الاختلاف (عما تعلمه مل) اذ لم تعتمد هذه المناقشات على ملكة التفكير وانما لجأت الى القدرة الخلاقة على التخيل !

ان ما كان الاب وابنه يستحضرانه بخيالهما ليس هو الظلال الميتة التى يشير اليها « براندز » ولكنه صور من الحياة الواقعية الدقيقة المفعمة بالتلقائية · ولقد أكد التفاعل المتبادل بين هذين « السائحين » أن خصائص الحياة الواقعية تظل محفوظة باستمرار ·· فلم يكن يسمح لخيال الطفل الطفل أن يجرى هائما فى عالم من الشكوك الارتيابية أو فى مسائل هلامية لا شكل لها أو فى مناطق وعرة يصعب السيطرة عليها ، وانما كل شىء كان يشترط فيه أن يكون مرئيا ومحسوسا : شوارع كوبنهاجن الحقيقية تتستحضر الى أرض الغرفة بكل مافيها من فلاحين ، وعربات فى السوق القديم ، وباعة للفاكهة فى الميدان ، وشرطة على بوابات المدينة ، حتى الطرقات الضيقة ، وحديقة ، فرد يكسبرج ··· Frederiksberg ومعارف مختلفين يلتقى بهم الأب وابنه ويتحدثان معهم ولا يقومان لهم الا مايقولانه فى الحياةالواقعية : انها مدرسة فريدة فى الملاحظة الدقيقة واستعادة الحياة الواقعية ، انها ما كان يعنيه جوته Goethe بحديثه عن « قوة استحضار الصور المتخيلة التى ربما كانت واقعية ـ Real انها الخيال الدقيق الحاد الذى لا يمكن أن يكون مؤثرا على نحو أروع مما كان ··(٣٨) ·

وينتهى « هولنبرج » من ذلك كله الى أن يقول : « ليس من المبالغة القول بأن كيركجور ماكان يمكن أن يجد تربية أفضل من ذلك لما أنتجه من مؤلفات · لقد أدت هذه المناقشات ( فى نزاهته الخيالية مع والده ) الى تنمية قدرات الطفل فى النفاذ الى باطن الناس والى داخل أفكارهم حتى أصبحت هذه القدرة مرهفة الى أقصى حد · كذلك نمت قدرته على النفاذ

---

(٣٨) Ibid.

الى باطن أية حالة روحية والتمييز بين مايكون واقعا حقا وما لايكون · كما طورت هذه المناقشات من ملكاته النفسية ، وأضاءت معرفته بنفسه وأضفت على فكره تلك العلاقة الباطنية بالواقع التى جعلت كل أدلته حتى المجردة منها واضحة كما ساعدتنا على أن نرى أفكاره ككائنات حية واقعية ، ولم تكن الشخصيات التى خلقها خياله من أمثال يوحنا المغوى ، وفلان ·· Quidam والشاب ، ومصمم الأزياء ( خياط النساء )(٣٩)·وغيرهم خيالات ميته فى رأسه وانما كانت نتاجا للواقعية Realism التى جاوزت ظروف الحياة اليومية الخارجية الى دائرة الأفكار ····»(٤٠)·

الحق أننا نجد فى دفاع « هولنبرج » عن نزهات كيركجور الخيالية مبالغة شديدة ! ، صحيح أن « جون استيوات مل » كان يفتقر الى الخيال الذى أشار اليه « هولنبرج » ولقد كتب هو نفسه فى سيرته الذاتية ، يشكو من أن منهج والده ــ جيمس مل James Mill كان يستهدف غاية غريبة هى أن يخلق منه آلة للتفكير من الطراز الأول ، وكأنه يعد النبى سيبشر فيما بعد بانجيل المذهب النفعى(٤١) ·

لكن ذلك كله لا يخفى الحقيقة الواضحة وهى أن كيركجور انفصل عن الواقع تماما ثم جاءت هذه النزهات الخيالية لتغذى قوة الخيال التى تدعم الانفصال ( عن الحياة وتعينه على خلق عالم من لا شىء ) أن ملكة الخيال التى امتدحها « هولنبرج » تكون ذات فائدة كبرى عندما تنطلق من أرض الواقع الصلبة ، فلو كان الطفل قد ترك يلعب مع الاطفال فى مثل سنه ، يزورهم ويزورونه ، يجوس شوارع المدينة ويتعامل هو نفسه مع مع الناس ·· الخ لكان لهذه النزهات ــ وهو يستعيد تجاربه اليومية ــ

---

(٣٩) يوحنا المغوى هو ممثل دون جوان فى كتابه « اما ·· أو » المجلد الأول « وفلان » أو يوميات فلان تمثل جزء كبيرا من كتابه « مراحل على طريق الحياة » وقد جعل عنوانها « مذنب غير مذنب ؟ والشاب » شخصية فى كتابه « التكرار » · وخياط « النساء » فى الجزء المعنون باسم الحقيقة فى الخمر In Vino Veritas فى كتابه المراحل ·

(٤٠) J. Hohlenberg: op. cit., P. 35.

(٤١) W. R. Sorley: A History of British Philos., P. 9499 - 950.

فائدة لا تقدر ، أما حين تكون تجــارب الطفل معدومة ، وصلته بالحياة سطحية ، فان تنمية ملكة الخيال يكون عملا محفوفا بالمخاطر لأنه قد يقود الطفل ، على نحو ما حدث بالفعل ، الى تعميق الحياة التخيلة لا الحياة الواقعية ويزيده بعدا ونفورا من الواقع لا سيما ان صـادفته مشكلة أو اصطدم مع رغبة من رغباته ٠

اننا نعلم الطفل فى هذه الحالة أن يحل مشاكله حلا خياليا ونجعله فى النهاية مجرد شبح هائم فى دنيا الخيال لا علاقة له بالواقع ! ولا يفيد فى شيء أن يكون : كيركجور قد تعلم الدقة فى الكلام والتعبير ، لأن الأب كان عنيدا كالصخر لا يسمح الا بدقة متناهية فى سرد التفصيلات ولا يقبل مايكون منها فاترا تعوزه الحماس أو يفتقر الى الوضوح ٠٠٠(٤٢)٠ان ذلك فى الواقع لايفيد فى شيء لأن الصورة التى يرسمها فى النهاية صورة خيالية بغض النظر عما فيها من جمال ووضوح !

أما **التجربة الثانية** التى مر بها كيركجور فى حياته المبكرة وألهبت خياله أيضا فهى حضوره للمناقشات التى كانت تتم بين الاب وأصدقائه فى المنزل ، وهى كلها مناقشات فكرية تتناول قضايا الفلسفة واللاهوت ٠ ولنترك كيركجور يروى مرة أخرى على لسان يوحنا كليمــاكوس هذه التجربة الثانية : ـ

« كانت الحيــاة فى منزل الاب تسير على هذا النحو المفضى الى تطوير خياله والى أن يتذوق العطر الالهى ٠٠٠٠٠٠ ومن ناحية أخرى فقد كان الأب يحمل بداخله ، بكل قدرته اللامتناهية على الخيال ، قدرة على الجدل لاتقاوم ٠ فحين كان يشتبك الأب فى نقاش مع شخص ما كان يوحنا يتحول كله الى آذن صاغية ٠ والسبب أن النقاش كان منظما ومرتبا وجادا ، فقد كان الأب يسمح لخصمه باستمرار أن يعرض وجهة نظره كلهـــا فاذا ماانتهى من عرض دعواه سأله الأب ، بدواعى الحيطة والحرص ، عما اذا كان يريد أن يضيف شيئا آخر قبل أن يبدأ فى الرد عليه ٠ وكان يوحنا يتابع كلام الخصم بانتباه شديد ويشارك بطريقته الخاصة فى الاهتمـام بالنتيجة التى يصلان اليها ٠ ويتخلل ذلك لحظة صمت ثم يبدأ الأب فى الرد

(٤٢) Ibid, P. 35.

على خصمه · آه ! احترس ! فى لمح البصر سوف تنقلب المنضدة رأساً على عقب ·· أما كيف يحدث ذلك فقد كان لغزا أمام يوحنا وان كانت روحه تشعر بالغبطة لهذا المنظر !

ويعود الخصم الى الحديث من جديد وكان يوحنا ينتظر بفارغ الصبر ماذا سيحدث وفى مثل طرفة العين ينقلب كل شىء من جديد : ماكان سهل التفسير أصبح الآن لا يمكن تفسيره ، وما كان يقينا أصبح الآن شكا ·· وهكذا دواليك · ان سمك القرش عندما يمسك بفريسته لابد أن ينقلب على ظهره لأن فمه فى جانب البطن : والظهر مظلم أسود والبطن أبيض مضىء ، وهكذا تجد نفسك أمام منظر مدهش عندما تتبدل الألوان ! وكان يوحنا يشاهد تبديلامماثلا عندما يستمع الى أبيه وهو يصول ويجول فى احدى المناقشات · صحيح أنه نسى ماقيل ــ سواء ماقاله أبوه أو ماقاله الخصم ــ لكن قشعريرة الروح لا يمكن أن تنسى ·· ! ··(٤٣)

ما تعلمه كيركجور من اصغائه العميق لهــذه المناقشات كان شيئا مختلفا عما تعلمه فى النزهات الخيــالية ، لكنه كان على نفس القدر من الأهمية ·· لقد تعلم هنا « موسيقى التفكير » على حد تعبير « هولنبرج » فلم يعد يهم « مضمون » التفكير بقدر ما تهم صورة التعبير عنه ، فالشكل هو الذى سحره وليس المحتوى : فالتنويعــات الفكرية أو البنية واطــار المناقشة جعلته يشعر أنه يتابع بناء قطعة موسيقية !(٤٤)

غير أن أثر الأب على ابنه لم يقتصر على هاتين التجربتين ، النزهات الخيالية من ناحية ، « والمناقشات » من ناحية أخرى وانما كان أثره قويا فى الجانب القاتم الذى عرفه الطفل من المسيحية ، يقول « لقد نشأت صارمة وقاتمة منذ كنت طفلا ! كانت تربية ، من الناحية الانسانية ، جنونية بالنسبة للمسيحية · فمنذ طفــولتى المبكرة وقعت تحت وطأة الانطباع الذى كان يعانى منه ذلك الرجل العجوز الذى فرضه على ، طفل يربى بجنون على أنه رجل عجوز سوداوى : ياله من شىء مرعب ! والغريب أنه كانت هنـــاك أوقات بدت لى فيها المسيحيةعلى أنها أعظم قسوة لا انسانية رغم أننى ــ حتى

---

(٤٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 111 (Oxford).

(٤٤) J. Hohlenberg: op. cit., P. 37.

بعد أن تجاوزت هذه المرحلة ـ لم أفقد قط احترامى للمسيحية ٠٠(٤٥) ٠٠ « كم ملأ أبى روحى بالقلق ، بالقلق أمام المسيحية » (يوميات ١٨٤٨) ٠لقد عمل والده على أن تكون صـورة المسيحية التى يعرفها هى « الصورة القاتمة » التى تزيد اشتعال النيران فى صدره مما أدى الى تقوية التوتر والتمزق الداخلى عنده : فالمسيحية التى عرفها هى المسيحية الكئيبة المظلمة التى تركز باستمرار على العذاب والمعاناه : « فقد احتلت صورة المسيح ، وهو على الصليب ، مركز أفكاره فى فترة مبكرة جدا من حياته ، وكان لا هوت أبيه هو لا هوت المسيح المضرج بالدماء ٠٠(٤٦) ٠

وكان أبوه كلما رآه مكتئبا قال له : « انظر لقد أصبحت الآن تحب المسيح حبا حقيقيا ! وهو يعلمه أيضا أن الجموع بصقت على وجه المسيح الذى هو الحق والحيـــاة ٠ وهذا يعنى أن الحقيقة أهينت ! والمثل الذى تقدمه له حياة أبيه ومافيها من تقوى وورع ، وكآبة بسبب زلته وهو صبى صغير تدله على أنه لابد للمرء أن « يهجر الله لكى مختارا من الله « ! » فالله ليس اله الاتقياء ، لكنه اله الخطـــاة ، فلابد أن تكون خاطئا حتى تكون مختارا عند الله ٠٠(٤٧)ولم ينظر الى الله على أنه خالق بل غافر الذنب وقابل التوب ٠ ومن هنا أصبح غفران الخطايا هو المعجزة الحقة ، وتحول الخطاة الى قديستين هو حقا العمل الرائع ٠٠ يقول : « الله خلق الاشياء من عدم ، وهذا قول رائع حقا ، لكنه فعل ماهو أكثر روعة : لقد جعل من الخطاة قديسين ٠٠٠(٤٨) وهكذا كان كيركجور منذ حداثة سنه اذا مافكر فى المسيحية ازدادت كآبته وازداد توتره ، لكنـه من ناحية اخرى لا يتخير منهـا الا الجوانب القاتمـة التى تحتوى على عذاب وصـراع وتوتر حتى انتهى الى القول بأن المسيحية التى ينتزع منها عنصر الارتعاد والخشية ليست الا مسيحية من نسج الخيال ! وجذور هذه النظرة القاتمة تكمن فى وعظ الأخـــوة المورافيين الملىء بالدموع والجراح الذى كان يستمع اليه والده فى الكنيسة التى انتمى اليها ٠ هاهنا نجد جذور فكرتين سوف يتسم بها موقف كيركجور تجاه المسيحية فى كل أيامه الأولى : **الفكرة الأولى :**

---

(٤٦) J. Wahl: Etudes, P. 9.

(٤٧) Cité Par Jean Wahl: Etudes, P. 2.

(٤٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 59 (Fontana).

انه كان يشعر أنه مخصص للعذاب فى هذا العالم وأنه « ضحية » ، ولم يكن يتوقع أن يشارك فيما يسميه الناس عادة بالحياة السعيدة ·

**الفكرة الثانية** : شعوره بالعثرة تجاه المسيحية ومن ثم أحيـــانا بالثورة والتمرد ضد الله لأنه خلق العالم على نحو ماهو عليه وفرض على الناس مثل هذه المطالب · ومع ذلك كله قد كان يشعر أن المسيحية صادقة صدقا مطلقا لكن كانت تمر عليه لحظات يشعر أنها قاسية بطريقة لا انسانية · حتى لقد قال لسكرتيره « اسرائيل ليفين I. Levin » ذات مرة انه يعتقد أنه محظوظ لانه بوصفه يهوديا فقد تحرر من المسيح وبعد عن عذابه وآلامه ولم ينجح كيركجور قط فى حل هذا التناقض شعوره بصدق المسيحية من ناحية وقسوتها من ناحية أخرى ! (٤٩)

كم من ذلك كله يرجع الى والده وكم يرجع اليـه تلك مسألة يصعب حسمها لكن الأمر المؤكد هو أن « المعاشرة » هى الأمر الحاسم أعنى واقعة أن الاب اكتشف الابن تدريجيا وأن الابن اكتشف الاب تدريجيـــا وأن كلا منهما اكتشف نفسه وتعرف عليهـا من خلال الآخــر · وكما لو كان هناك اتفاق غير معلن مفاده أن حياة الابن ينبغى أن يضحى بها من أجل خطيئة الأب · وربما كان هذا هو السبب فى أنه الح باستمرار على ان تنطبع فى زهن الطفل صورة المسيح على الصليب : المسيح وهو يعذب ، وهو يعانى ، والجماهير تصيح فى وجهه « تبالك ! » ولم ينس الابن أبدا هذه الانطباعات كتب فى « مذنب ··· غير مذنب » فى كتابه « مراحل على طريق الحياة » يقول: ذات يوم كان هناك أب وابن · وكان الابن أشبه بالمرآة التى يرى فيها الأب نفسه فى حين أن الأب بالنسبة للابن كان أيضا المرآة التى يرى فيها ماسوف يكون عليه · ولقد نظر كل واحد منهما الى الآخر على هذا النحو لأن المناقشة المبهجة المرحة الحية كانت هى المعاشرة اليومية بينهما · مرات قليلة وقف فيها الأب أمام ابنه ووجهه يمتلىء حزنا ثم قال « ياطفلى المسكين سوف تعيش فى يأس كامل ! » ·· ولم يقل شيئا آخر عما ينبغى أن يفهم به هذه العبارة(٥٠)·

---

(٤٩) J. Hohlenberg: op. cit., P. 39.

(٥٠) S. Kierkegaard: Stages on life's way P. 191. Eng. Trans. by W. Lowrie.

« ان القلق الذى يمتلىء به صدرى يجعلنى أشعر أننى كنت دائما ، دائما خارج نفسى » ·· « من أين يتأتى للمرء ، وهو لا يزال شابا ذلك الشعور الذى لا يمكن أن يكتسبه الا بعد حياة طويلة جدا ؟ ! لو استطاع أن يكتسبه على الاطلاق ؟ ! واسفاه لم أكن شابا قط : كنت أكبر من عمرى بآلاف السنين ! ولهـذا اضررت أن أقـول عن نفسى بأسى اننى لم أكن شخصا بشريا قط ! ··· »(٥١) ·

لكن أحقا كانت النغمة الحزينة الكئيبة هى وحـدها المسيطرة على منزل كيركجور ؟ ! هل كان الاب المسيطر ذو المزاج السوداوى هو وحده الموجود ؟ ! وأين الأم ؟ ! من الغريب حقـا أن نجد كيركجور يذكر والده بكثرة لا حصر لها فى يومياته ، وفى كتبه الأخرى لكنه لايشير الى أمه قط ! فلماذا لزم الصمت بصددها على هذا النحو وما هو دورها ؟ !

لم يذكر كيركجور شيئا عن أمه لكنحفيدتها هنريتلند Henriette Lund هى التى وصفتها فقالت : « كانت امرأة صغيرة لطيفة ذات مزاج سهل مرح تحملت عبء نمو أبنائهـا ، لـكن تحلقهم العـالى وحركتهم السـريعة بدالقلبها المضطرب كما لوكان فرارا من المكان الذى تشعر أنه بيتها والتى كانت تود أن تبقيهم فيه · ومن هنا كانت تشعر بالرضا لمرضـهم المؤقت العابر الذى يجبرهم على العودة اليها ويخضعهم ولو فترة لسيطرتها · لقد كانت تشعر بالسرور بصفة خاصة وهى تضعهم فى الفراش لأنها عندئذ كانت تشعر انها تمارس سلطتها بغبطة وتجعلهم يشعرون بالدفء كما تفعل الدجاجة مع صغارها ··»(٥٢) ويبدو أنها كانت انسانة ساذجة بسيطة ولم يكن لها أثرا أخلاقى على كيركجور · فقد شعر منذ حداثة سنه ربما من معاملة والده لها ـ لأم أولاده السبعة ـ أنهـا لم تكن زوجة بالمعنى الرفيع لهـذه الكلمة ، وفى الذكريات التى سجلها راعى الأسـرة الاسقف مينستر Bishop Mynster يشير الى أن الأب ظل يشعر أن زوجته الأولى هى الزوجة الحقيقية · وهو يذكر أنه عندما تزوج للمـرة الثانية

---

(٥١) Quoted by J. Hohlenberg Op. cit., P. 41.

(٥٢) Quoted by W. Lowrie: A Short life if Kierkegaard, P. 24.

جاءه ذات يوم وهو مضطرب يقول : « ياالهى ! لقد كنت أفكر اليوم كثيرا فى زوجتى المباركة ٠٠٠٠٠٠٠ لقدفكرت فيها كثيرا ٠٠ هناك مائتين من الدولارات هلا تفضلت بتوزيعها على الفقراء ؟ ! (٥٣) ٠

من المؤكد أن الأم لم يكن لها دور كبير ف هذه « الاسرة اللغز » ولا حتى كمربية أطفال فى المنزل وهذا هو السبب فى لهفتها على صغارها فى حالة مرضهم لأنها اللحظات القليلة التى تمارس فيها دورها ! أما بقية الجوانب الأخرى فى حياة هذه الاسرة فقد كانت متروكة للأب المسيطر على كل شىء حتى أنه كان يقوم بنفسه بشراء ألوان الطعام المختلفة من السوق !

فاذا أضفنا الى ذلك أنها كانت تعمل فى الأصل خادمة فى الاسرة وأن الرجل اتصل بها اتصالا جنسيا قبل زواجها ، عرفنا الاسباب التى منعت كيركجور من أن يحترمها أو يحبها كما يفعل الأطفال عادة ! ومن المؤكد أن هذه الوقائع كانت سببا فى مأساته كما أنها تفسر جزئيا جانبا من تعاسته الخاصة التى جعلته عاجزا عن « تحقيق العـــام » « أعنى أن يتزوج من المرأة التى أحبها » ريجينا أولسن « ٠ » ان ذلك الذى كتب كثيرا عن المرأة وبأسلوب جميل ، رغم أنه كتب عنها فى النهـاية بشىء من الحنق ، كان يتصور انـــها فقط الشخصية المتممة لشخصية الرجل ، واذا ما استثنينا حديثه عن مريم « أم المسيح » فانه نادرا ما يتحدث عن الجانب النبيل فى المرأة بوصفها أما ٠٠٠٠ « (٥٤) ٠

واذا كان جانب من سوداوية كيركجور يرجع الى أنه ورثه عن أبيه الذى يصفه بقوله « انه أكبر سوداوى عرفته فى حيـــاتى » ، فانه يمكن القول بأنه ورث عن أمه الجانب المضاد : « صفة المرح » ٠ وهكذا نعرف مصدر الصفتين اللتين تحدثنا عنها من قبل : الجـــانب الداخلى المكتئب ( من الأب ) والجانب الخارجى المرح ( من الأم ) ٠٠٠

* * *

على هذا النحو اذن سارت حياة كيركجور فى ايامه الأولى المدرسة

---

(٥٣) Ibid, P. 25 & J. Hohlenberg op. cit., P.

(٥٤) W. Lowri: A Short life of Kierkegaard P. 25.

الابتدائية ثم المدرسة اللاتينية الى أن التحق بالجامعة فى سن السابعة عشرة وعلى وجه الدقة فى ٣٠ اكتوبر عام ١٨٣٠ ـ بعد أن اجتاز بنجاح امتحان القبول ، نجح بتفوق فى اللغة اليونانية ، والتاريخ واللغة الفرنسية وكتابة مقال باللغة الدانيماركية ) ، ثم اختار كلية اللاهوت تبعا لرغبة والده ( ويصعب القول أن ذلك تم رغما عنه فليس ثمة شك فى أنه كان يميل ميلا قويا الى دراسة اللاهوت فى ذلك الوقت ) وعلى الرغم من أننا لا نعرف تفصيلات كثيرة عن حياته فى هذه الفترة اذ لم يبدأ فى تدوين يومياته الا بعد ذلك بحوالى أربع سنوات ( أعنى عام ١٨٣٤ ) فاننا نعرف أنه بعد التحاقه بالجامعة فى شهر اكتوبر ١٨٣٠ ذهب بعد ذلك بأيام ( أول نوفمبر ) ليقيد اسمه فى سجل الحرس الملكى الدانيماركى لكنه يفاجأ بأخلاء سبيله بعد ذلك بثلاثة أيام فقط ( فى ٤ نوفمبر ١٨٣٠ ) بسبب عدم لياقته الطبية ، وكم أثرت فى نفسه هذه الحادثة التى كانت تذكره باستمرار بالتشوه البدنى وتقوس الظهر الذى كان يعانى منه !(٥٥) ٠

اختار كلية اللاهوت لدراسته الجامعية ، وكان شقيقة الأكبر بطرس قد أنهى دراسته فيها وسافر الى المانيا ليستكمل دراسته اللاهوتيه هناك ، أما فيلسوفنا فقد اجتاز بنجاح القسم الأول من امتحان اللاهوت فى ٢٥ أبريل عام ١٨٣١ ، ثم اجتاز القسم الثانى فى ٢٧ اكتوبر من نفس العام وحصل على تقدير جيد فى اللغات اليونانية واللاتينية ، وكذلك فى اللغة العبرية والتاريخ ، كما حصل على تقدير جيد جدا فى الفلسفة وعلم الطبيعة والرياضيات ٠ وهكذا حصل على الحد الأدنى المطلوب من الدراسة وأصبح الشاب « طالبا فى اللاهوت » ، لكنه فى السنوات السبع التالية لن يدرس اللاهوت الا باهتمام ضئيل فى حين سيقبل بنهم شديد على دراسة

---

(٥٥) يذهب « يوهانس هولنبرج » الى أن كيركجور بعد ان سجل اسمه فى الحرس الملكى الدانيماركى سرعان ما مل هذه الحياة فانسحب منها ! ص ٤٥ وهذا بالطبع خطأ واضح **أولا** لأن المدة ( ٣ ايام ) كانت أقل من أن يشعر فيها بالملل**وثانيا** وهوالاهم أن التشوه البدنى لكيركجور هو الذى تسبب فى « تسريحه » من هذا الحدس قارن ولتر لورى » س ٠ كيركجور المجلد الأول وانظر ما يقوله كركسول Croxall الذى ترجم كتاب ولنبرج الى الانجليزية ٠ « اننى هنا اختلف مع المؤلف لأن كيركجور رفض بسبب عدم لياقته البدنية » ٠ تعليق رقم ٥٤ ص ٢٠٢ ٠

التاريخ والأدب والفلسفة ! وبعد الامتحان الثانى أصبح الطالب حرا حرية كاملة فلم يعد مجبرا على سماع المحاضرات لكنه يستطيع أن يتقدم للامتحان عندما يكون مستعدا لذلك · وهكذا ولأسباب خاصة أصبح كيركجور على حد تعبيره هو نفسه « طالبا الى ماشاء الله ! » اذ لم يتقدم للامتحان الثانى للاهوت الا بعد ان قضى عشر سنوات فى الجامعة · اذ كان لابد أن تمر بطالب اللاهوت « مجموعة من الأحداث قبل أن يتخذ قرارا بالعودة الى الدراسة · كان لا بد أن يقضى سنوات من التشتت والضياع واللهو والانفاق على المتعة الشخصية قبل أن يتحول الى الدين ويعلن التوبة كما كان عليه أن ينتظر حتى يموت الاب ! لكن قبل أن نواصل سرد حياة كيركجور أو هذا « الطالب الى ماشاء الله » ! لابد ان نتوقف هنا لنسأل أنفسنا ترى ماذا حدث فجعله يتوقف عن الدراسة ؟ ان الحصول على شهادة اللاهوت من جامعة كوبنهاجن لم يكن يتطلب البقاء فى الجامعة أكثر من اربع سنوات وأمامنا مثلا شقيقه الأكبر « بطرس كيركجور » الذى كان يكبره بثمان سنوات فقد التحق بكلية اللاهوت قبله وحصل على درجة التخرج بعد ثلاث سنوات ونصف · وفى الوقت الذى كان فيه « سرن » لايزال طالبا فى اللاهوت جامعة كوبنهاجن عاد شقيقه بطرس من ألمانيا بعد أن حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة وأصبح مدرسا فى نفس الجامعة ! ويمكن أن نتخيل كم كان غضب الأب لاهمال « سرن » فى دراسته ونفوره من استكمال دراسة اللاهوت والسخط الذى تملكه عندما تبين أن هذا « الابن الضال » ليس لديه النية فى اجتياز الامتحان أو أن يكون قسيسا ! هكذا بدأت الرابطة الوثيقة بين الأب وابنه فى التدهور ثم فى النفور ! لكن ما الذى أدى بكيركجور الى « حياة اللهو » أو الضياع « بحيث تدهورت علاقته الوطيدة مع والده على هذا النحو ؟ : أكان قد اكتشف فى هذه الفترة « غلطة والده الكبرى » وهو طفل صغير عندما راح يجدف على الله ؟ ! لقد كتب كيركجور بانفعال شديد هذا الاكتشاف فى يومياته عام ١٨٣٥ تحت عنوان « الزلزال الأعظم » ··

« هناك زلزلت الأرض زلزالها الأكبر فوقع الانقلاب المروع الذى فرض على فجأة قانونا معصوما جديدا لتفسير جميع الظواهر · لقد توسمت أن علو سن أبى لم يكن بركة من الله بل بالاحرى لعنة ، وأن

المواهب الرائعة التى تنعم بها أسرتنا لم يقدر لها الا ان يمزق بعضها بعضا وأبصرت فى أبى كائنا شقيا كتب عليه ان يعيش بعدنا جميعا وكأنه صليب قائم على قبر جميع آماله ، وشعرت بصمت الموت ينمو حوالى . لقد كتب على هذه الاسرة ان تحمل على كاهلها خطيئة وأن يسلط عليها عقاب من الله لقد كتب عليها أن تزول وأن تمحوها يد الله القوية فتبيد كما تبيد تجربة فاشلة . وكان يصعب على أحيانا أن أتخلص من الفكـرة التى تقول ان والدى أراد تعزيتنا بالدين وبالقول بأن عالما أفضل سوف ينفتح أمامنا اذا ما فقدنا كل شىء فى هذا العالم واذا مابلغتنا العقاب الذى كان اليهود يطالبون به لأعدائهم : أن تمحى ذكرانا تماما ولايبقى لنا أثر ..(٥٦)

وقد لايكون تاريخ هذه « التدوينة » هو نفسه التاريخ الذى اكتشف فيه كيركجور هذا السر ، فلا شك أنه كانت لديه هواجس قبل أن يعرف معرفة مؤكدة أن أباه يحمل فى صدره هموما دينية كثيرة ..(٥٧)لكن من المؤكد أن هناك عدة عوامل دفعت كيركجوز الى الانقطاع عن دراسته والانحراف الى طريق الضياع كما سماه ! ربما اكتشافه هذا السر وربما أيضا الأحداث التى وقعت فى المنزل فى ذلك الوقت . ففى سبتمر عام ١٨٣٢ تموت البنت الكبرى الثانية « تكولين » عن ثلاث وثلاثين عاما !

وبعد ذلك بعام واحد فى سبتمبر ١٨٣٣ يموت شقيقه « نلس أندريز »

وفى ٣٠ يوليو عام ١٨٣٤ تموت الأم !

وفى نفس السنة ديسمبر ١٨٣٤ تموت الابنة الصغرى بتريا Petrea الأخت المفضلة عند « سرن » عن ثلاث وثلاثين عاما !

ولقد أحدثت هذه الوفيات الكثيرة أثرا قويا على الاسـرة اللغز فاستيقظت الوساوس والهواجس القديمة وجميع الصور الماضية عن غلطة الاب تجاه الرب والانتقام المنتظر عن طريق ذريته ! وربما أيضا ما وجده

---

(٥٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 39 (Fontana).

(٥٧) نوقش تاريخ الزلزال مناقشة طويلة ، ولم يظهر فيما يقول جان فال دليل قاطع يحسم هذا الموضوع قارن كتابه دراسات كيركجوردية ص ٩ حاشية .

كيركجور فى جامعة كوبنهاجن من سيطرة طـاغية للفلسفة الهيجلية التى قـدها الى الدانيمـار لأول مـرة « جوهـان لودفيـج هيبرج Johan Ludvig Heiberg ( ١٧٩١ ـ ١٨٦٠ ) ثم تأثير بها هانزلارزن مارتنسن Hans Larsen Martensen (١٧٠٨ـ١٨٨٤) الذى كان محاضرا ثم أستاذا للاهوت بجامعة كوبنهاجن وعرفه كيركجور الشـاب معرفة وثيقة · وربما كانت هناك أفكار كثيرة تطوف برأس الشاب فى ذلك فقد كان يحلم مثلا أن يكون شاعرا ومن بين الموضوعات التى طرأت على ذهنه لدراستها دراسة شعرية ودونها عام ١٨٣٥ : شخصيات « فاوست "Faust" ودون جوان Don Juan" واليهودى التائه Ahsverus وهذه الموضوعات الثلاثة شغلت تفكيره لعدة سنوات تالية · كتب فى مارس ١٨٣٦ يقول : هناك ثلاثة أفكار كبرى ( هى دون جوان ، فاوست واليهودى التائه ) تمثل الحياة بعيدا عن الدين فى اتجاهات الثلاثى ، وعندمـا تندمج هذه الأفكار فى داخل الفرد وتصبح متوسطة عندئذ فقط تبدأ الأخلاق والدين فى الظهور ، تلك هى وجهة نظرى فى هذه الأفكار الثلاثة وعلاقتهـا بموقفى الدجماطيقى · « (٥٨)· كما شغلته كذلك شخصية رومانتيكية أخـرى هى شخصية « السيد اللص الشريف » يقول فى ١٢ سبتمبر عام ١٨٢٤ « اننى مندهش من أن أحدا ، على قدر علمى ، لم يعالج فكـرة « اللص السيد » ( أو اللص الظريف ! ) وهى فكرة لاشك تؤدى بذاتها الى دراسة درامية ، وانى اعتقد ان كل أمة من الأمم لديها مثل هذه الفكرة فهذا اللص المثالى وجد بين الأمم جميعا ··· » ·

لكن هذه الشخصية الدرامية لم تتعد التدوين فى يومياتـه ، ويرى « هولنبرج » أن السبب فى أن الفكرة لم تخرج عن حيز التدوينات يرجع الى صراعه مع والده فى ذلك الوقت · فقد كان الرجل العجوز غارقا فى الاكتئاب بسبب خطاياه الكثيرة منتظرا العقاب الذى سيحل به وفى الوقت نفسه لم يكن راضيا عن سلوك ابنه · وقد حدثت بين الاثنين بعض المواقف الغريبة لاسيما عندما ساورت الاب الشكوك فى أن حياة ابنه تسير فى طريق فاسد فحاول أن يناقش معه هذا الموضوع لكنه لم يجد الكلمات التى يعبر

---

(٥٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 50 (Fontana).

بها عن موقفه فاكتفى بأن قال له أن هناك خطايا لايستطيع الانســـان أن يتخلص منها الا بجهد خارق : « لازلت أذكر ذلك الانطبـــاع الذى انتابنى عندما سمعت ابى يقول لى : هناك خطايا لايستطيع الانسان النجاة منها الا بعون من الله » (٥٩)ساعتهـــا هرولت مسرعا الى غرفتى ونظرت التى نفسى فى المرآة ٠٠(٦٠)ولقد ظن من حديث أبيه أنه اكتشف طريق الضياع الذى سار فيه وأنه أراد أن يحذره من مغبة هذا الطريق لهذا سارع بالجرى الى غرفته ليتطلع فى المرآة ليرى ان كان حقا يشبه الشخص المنحـــل أو الشاب المنحرف وما اذا كان منظره يوحى بهذه الفكرة ٠٠ (٦١)

هناك اذن عوامل كثيرة مالت بالشاب الى الانقطاع عن الدراسة فقد كان المفروض أن يتقدم للامتحـــان النهـــائى للاهوت عام ١٨٢٥ لكنه من ١٨٣٤ حتى ١٨٣٥ كان فى حالة غليان واختمار عقلى عنيف واضطر لبعض الوقت أن يذهـــب الى جيليلى Gillelje وهو منتجع قرب الســـاحل للتسليـــة والنزهة وهناك كتب تدوينته الشهيرة « ان ما أحتاجه أن أعرف نفسى ، أن أعرف مايريد منى الله أن اعمله وأن أصل الى حقيقة ، حقيقية تكون لى أنا أن أجد الفكرة التى أكرس لهـــا محياى ومماتى ٠٠(٦٢)فكانت تمثل صراعا من أجل البحث الفلسفى عن تصور ذاتى للحياة ٠ وحين أقيم نصب تذكارى فى جيليلى Gillelie عام ١٩٣٥ احتفالا بذكرى مرور قرن من الزمان على البزوغ العقلى للشاب كيركجور كتب على النصب ٠٠ ترى ماذا تكون الحقيقة ان لم تكن الحياة من أجل فكرة ٠٠ ؟ ٠

ولاشك أن الوفيات الكثيرة وربطها بالزلزال : « ثم العثور على قانون التفسير المعصوم » كل ذلك كان له أثره القوى على حالة الشاب واضطرابه فهذا القانون المعصوم الذى يفسر به كل شىء هو أن الاسرة كلها لابد أن

---

(٥٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 41 (Oxfird).

(٦٠) اشار الى قصة شليجل F. Schlegel عن فتاة أغواها الشيطان فوقفت عارية أمام المرآة فأثار منظرها رغباتها ! قارن اليوميات ص ٥٤ من طبعة فونتانا ٠

(٦١) J. Hohleneberg: op cit., P. 52 - 53.

(٦٢) Fithiof Brandt: Soren Kierkegaard, P. 10 - 11.

تمحى ، لقد كتب عليها أن تزول بيد الله القوية وها هم أفرادهـــا يموتون واحدا أثر الآخر ولم يبق من الاسرة اللغز « الا الاب ، وابناه فقط الأكبر بطرس والأصغر سرن ! ولهـذا فقد كان كيركجور يؤمن ايمانا قاطعا أن أقصى سن يمكن أن يبلغها هو وشقيقه بطرس هى الرابعة والثلاثين ! ٠

وعندما بلغ فى ٥ مايو ١٨٤٧ هذه السن كتب مندهشا : « عجبا ! أنا الآن فى الرابعة والثلاثين من عمرى ٠ حقا ان ذلك لشيء محير لاأستطيع فهمه ، لقد كنت على يقين تام أننى سأموت قبل أن يحل يوم ميلادى هذا أو خلال هذا اليوم ، ينتابنى شعور قوى بأن تاريخ ميلادى قد سجل خطأ وأننى سأموت فعلا فى سن الرابعة والثلاثين ٠٠ »(٦٣)

ولم يخطيء كيركجور بالنسبة لنفسه كثيرا فقد مات بعد ذلك بثمان سنوات فى الثانية والأربعين من عمره : لكنه أخطأ كثيرا بالنسبة لشقيقه بطرس الذى مات فى سن الثالثة والثمانين عـام ١٨٨٨ وأن كان مزاجه السوداوى « والشعور بالاثم » المتغلغل فى الاسرة اللغز قد جعله يوشك على الجنون فى نهاية حيـاته فطلب رسميا اعفـاءه من مهنـة القسيس ، وكان قد أصبح مطرانا ، لأنه منبوذ من الله وغير جدير بهذه الوظيفة ٠ اما ابنه دسكال ميخائيل Dascal Michael الذى كان موهوبا من الناحية الفلسفية فقد أصيب بالجنون فعلا وهو فى سن الثلاثين وبقى مدة عامين فى مستشفى الامراض العقلية ثم خرج ليعيش حياة غريبة عاطلا عن العمل تماما ، وفى بعض لمحاته المضيئة كان يلخص الاسرة اللغـــز على النحو التالى :

« كان عمى « اما ٠٠ أو » وكان أبى « الاثنان معا » أما أنا : فلا هذا ٠٠ ولاذاك ! ولقد عاوده الجنون مرات كثيرة انتحر فى واحدة منها ٠

وقد يثار سؤال هنا حول ما اذا كان كيركجور مريضا بمرض نفسى أم أنه كان سليما من الناحية الصحية تماما ٠ ولو طرح مثل هذا السؤال على كيركجور نفسه لأجاب : نعم أنا مريض لكن من منكم يستطيع أن يقول عن نفسه أنه سليم تماما ٠٠ ؟! ٠ ولعل هذا هو السبب فى انه درس فى

---

(٦٣) The Journals, P. 121.

كتابه « الخوف والقشعريرة موضوع الصلة الوثيقة بين العبقرية والجنون» واقتبس من سينكا Seneca عبارةاقتبسها بدوره من أرسطو تقول « لاتوجد عبقرية عظيمة خالية من مس من الجنون » ثم يستطرد قائلا : « ان هذا الجنى Dementia هو حصة العذاب المخصصة للعبقرى فى هذا الوجود ، أنه تعبير عن غيرة الله من العبقرى أن جازلى أن أقول ذلك فى الوقت الذى تكون فيه هبة العبقرية نفسها تعبير عن الفضل الالهى ! . وهكذا نجد أن العبقرى منذ البداية منحرف عن الوضع السوى فى علاقته بالعام ومدفوع لتكوين علاقة مع المفارقة .... »(٦٤)والغريب أن كيركجور نفسه يدعو العلماء الى دراسة هذا الموضوع فيقول .. « .. هاهنا موضوعات سيكولوجية يمكن أن يضحى المرء بحياته كلها من أجل دراستها وان كنا لانسمع عنها ولو كلمة واحدة ! ما العلاقة بين العبقرية والجنون ؟ هل فى استطاعتنا استنتاج الواحدة من الأخرى ... ؟ بأى معنى ، والى حد يستطيع العبقرى أن يسيطر على جنونه ... ؟ ! اذن من المسلم به أنه مسيطر عليه الى درجة معينة والا لكان مجنونا بالفعل ... »(٦٥) .

* * *

كيف عاد الشاب كيركجور الى استئناف دراسته فى اللاهوت ؟ وماهى الاسباب التى دعته الى التخلى عن « طريق الضياع » ؟ ! لااحد يعرف بالضبط . كل ما نعرفه أن هناك ثلاثة أحداث هامة وقعت فى تلك الفترة .

**الأولى :** تعرفه على ريجينا أولسن عام ١٨٣٧ وسوف نتحدث عنها بالتفصيل فى الفصل القادم .

**الثانية :** لحظة من لحظات الوجد الصوفى التى تستعصى على الفهم ، تقع له فى العاشرة والنصف صباحا فيدونها فى يومياته فى ١٩ مايو عام ١٨٣٨ على النحو التالى :

---

(٦٤) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 116 Trans. by W. Lowrie.

(٦٥) see also: The Journals, P. 198 (Fontana). Ibid.

« هناك فرحة لا سبيل الى وصفها تلهبنا بلهيبها لكنها تستعصى على التفسير مثل الصيحة التى أطلقها الرسول(٦٦)بطريقة عفوية : افرحـوا ، أقول لكم افرحوا وأكرر القول افرحوا! « ـ لا فرحة بهذا الشىء أو ذاك بل أغنيـة الروح القـوية » · « باللسان ، وبالفم ، ومن أعماق القلب » لازمة بفرحتى ومن فرحـتى ، وفى فرحتى ، وعلى فرحتى ومع فرحتى ، لازمة قدسية · ـ ان صح التعبير ـ تقطع فجأة أغانينا الأخرى ، فرحـة تنعشنـا وتلاطفنا ، كلفحـة الريح التى تهب من سهول ممرا Mamre الى سكان جنات النعيم ···»(٦٧) ·

بعد هذه التجربة الروحية المثيرة تحسنت علاقته مع والده ، وربمـا ساعدت هذه التجربة من ناحية على أن يعمل على ارضاء والده فقبل أن يعمل ـ بعد أن كان عاطلا يستدين ليلبى مطالبه الكثيرة ـ مدرسـا للغة اللاتينية فى مدرسة ميخائيل نلسن « التى تخرج منها ، كما أن حادثة وفاه جديدة فى الاسرة دفعت الأب الى تحسين علاقته بابنه ذلك أن زوجة بطرس ( الابن الأكبر ) واسمها ايليز مارى ·· Elise Marie توفيت فجأة بعد زواج لم يدم سوى بضعة أشهر ! فأكدت هذه الحادثة للاب أن الاسـرة اللغز » منكوبة لا فقط فى افرادها بل ايضا فى كل من يتصل بها ، كما أكدت له أيضا أنه سوف يفقد الاسرة كلها ويبقى وحيدا كما بدأ « شاهدا على قبر جميع آماله » على حد تعبير الابن « ولقد جعلته هذه الحادثة يلبى مطالب ابنه « المبذر » ويعقد معه اتفاقا ينال مبلغا من المال كل عام ويعيش كمـا يشاء · فضلا عن قيام الأب بتسديد ديون ابنه المتراكة ·

**الحدث الثالث** : مركيركجور بتجربته الروحية العنيفة فى ١٩ مايو ١٨٣٨ ، وبعد أقل من ثلاثة أشهر توفى والده : « مات أبى فى الساعة الثانية من مساء الأربعاء ٨ أغسطس ، وكم تمنيت من أعماقى أن تمتد حياته أكثر من ذلك لاشهر قلائل ! لقد اعتبرت موته آخر تضحية قدمها حبه لى · انه يمت

---

(٦٦) اشارة الى قول القديس بولس الرسول فى رسـالته الى أهل فيلبى : « افرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضا افرحوا ·· » الا صحاح الرابع : ٤ ·

(٦٧) The Journals, P. 59.

ويبعد عني ، وانما مات من أجلي لعل ذلك يجعل مني شيئا ما · من بين ماورثته منه هناك ذكراه وصورته ··· سوف أعتزبهما وأحــــرص على الاحتفاظ بهما مختبئين بعيدا عن العالم ·· لقد كان أخلص صديق ·(٦٨)

ولقد أدت وفاة والده الى استقلاله اقتصاديا بعد أن وزعت ثروته على اثنين من أبنائه (بطرس وسرن) فنال كل منهما ربع التركة ووزع الباقى على أبناء الشقيقــات وشعر كيركجــور أنه أصبح عنيا فاقلــع عن وظيفــة التدريس بمدرسة ميخائيل نلسن وعاش حياته كما يريد ·

فى جميع هذه الظروف كانت « ريجينا أولسن » فى خلفية أفكاره فهو لم ينسها منذ أول لقاء · لكن ذلك يحتاج الى أن نبدأ القصة من البداية ، فما هى قصة هذا الحب اللغز أيضا : كيف بدأ وكيف انتهى ؟ ! ·

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 60 - 61 (Fontana).

# الفصل الرابع

## « ريجينــا أولســن »

اننى أعتقد أن علاقتى بهــا يمكن أن تسمى « بالحب البائس » ٠٠ اذ اننى أحبها ، وهى لى ، وأمنيتها الوحيدة أن أظل بجوارها ، وأسرتهــا ترجو ذلك ، وتلك أعظم رغبــات حيــاتى كلهــا ٠ ومع ذلك فينبغى على أن أرفض ٠٠

س ٠ كيركجور اليوميات ،

« كل أزهار قلبى باردة كالثلج ٠٠٠ » ٠

س ٠ كيركجور اليوميات ،

# الفصل الرابـــع

## « ريجينــا أولســن »

سبق أن ذكر كيركجــور مر بفترة اضطراب عنيـف هى التى سميت « بفترة الضياع » ، عاشها قلقاً مكتئبا تعصف به الهواجس من كل جانب . صحيح أنه حاول أن ينسى نفسه قليلا وأن ينغمس فى الخبرات الحسية ، وأن يشارك فى متع الدنيا ، بل أراد أن يغرف من تجارب الحياة الواقعية حتى ولو كانت سيئة ، لكنه « أراد » فقط ، أما أن يكون ذلك قد حدث بالفعل فهو أمر مختلف أتم الاختلاف . لقد كاد القلق يدفعه الى الخطيئة ( بالمعنى الواسع للكلمة الذى تكون فيه كل مسرات الحياة خطايا ) أليس القلق هو الذى يدفع النفوس البريئة الطاهرة الى الخطيئة ؟ ( كما يقول هو نفسه فى ٣٠ يناير ١٨٣٧ ) اذن فالقلق هو الذى دفعه الى الضياع . وما القلق ؟ هو الخوف العام من لا شيء ! وعلى الرغم من العبارات التى توحى أنه غاص فى الخطيئة حتى الاذنيين مثل : « أريد أن أترك نفسى للشيطان ليظهرنى على كل رجس ، وكل خطيئة ، فى أكثر صورهمـــا رعبا ، فذلك هو المذاق الكامن فى طعم الخطيئة ..(١)ـ فان علينا ان نكون على حذر فى تفسيرها فلا نظن أنه ارتكب بالفعل « خطايا مرعبه » كما يقول أو أنه اتصل بالواقع العينى الحى الذى ظل طوال حياته يتحدث عنه ويتغنى به ويحترق شوقا اليه ـ كلا ! ان عباراته لاتخرجه باستمرار عن حدود « الأمانى » و « الآمال» انه يتمنى أن يشارك فى دنيا الناس ، ويود لو ترك نفسه للشيطان ليخوض فى كل رجس ـ وما أقربة الى قول « نيتشه » « كم أشتهى ارتكاب خطيئة !» ولهذا فان كيركجور نفسه لا يلبث أن يعلن فشــل تجاربه كلها : « فى بحـــر من الملذات ليس له قرار ، وأيضا فى هاوية المعرفة فتشت عبثا عن نقطـة

(١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 41.

ألقى فيها بمرساتى ! »(٢)٠ فقد » كنت أشارك فى جميع المتع الممكنه ، لكنى لم أستمتع بشىء قط ٠٠ »(٣)

لقد عاش هذه الفترة محاولا الهرب من نفسه ومجاهدا للتقليل من التفكير فى ذاته لكنه انتهى أيضا الى اعلان فشل المحـــاولة واعتبارهـا مستحيلة : « اننى أستطيع أن اجرد السماء والجحيم جميعا ، ٠٠ لكنى لاأستطيع أن أنسى نفسى حتى وأنا نائم ٠٠ »(٤) ٠

لم تسفر المحاولات التى بذلها للاتصال بالواقــع عن شىء ذى بـال سوى المزيد من الهواجس والأوهام والاعتقاد بأنه ارتكب خطيئة فى ليلة العربدة وأنه « ربما » يكون قد أنجب طفلا غير شرعى « وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل ٠٠ ويكفى أن نقول ان هذه التجارب « المزعومة » أضافت اليه المزيد من الوساوس والشكوك حول من يحيط من البشر ، فقد اعتقد أن النـاس يقومون بمراقبته ، فهنـــاك من يتتبع خطواته ويقف له بالمرصاد ، فيزداد توقعه وقلقة واحساسه « بالتفوق » وشعـــوره بأنـه « الأوحد » والمستثنى » ، وأنه يقترب من « النموذج » وهو السيد المسيح ، فهو مثله كان الفريسيون(٥) يجوبون أرض فلسطين وراءه بحثا عما يقع فيه هو أو تلاميذه من أخطاء ، ومايرتكبونه من انتهاكات للقانون الموسوى وما أسعدهم حين يجدون شيئا يخالف التعاليم اليهودية أو يخـــرج عن مألوف النصوص الدينية أو العادات والطقوس التى جرى عليها اليهود ٠

وعلى هذا النمو كان كيركجور يعلل انسحابه من دنيا الناس والتقوقع على نفسه والتعزى بالعودة الى المسيح يقول :

---

(٢) Ibid, P. 17.

(٣) S. Kierkegaard: Point of View P. 79.

(٤) S. Kierkegaard. The Journals, P. 27 AOxford).

(٥) الفريسيون هم طائفة من اليهود ظلت تجـــادل السيد المسيح وتجاوره طوال فترة دعوته ، لا سيما فى الامور الجديدة التى اتى بها ولم تكن مألوفه لديهم وتروى الاناجيل الكثير من مواقفهـم : قال الفريسيون للتلاميذ ، لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ متى ٩ : ١١ وقال الفريسيون للمعلم : تلاميذك يفعلون ما لايحل فعلـــه يوم السبت ٠٠ متى ١٢ : ٢ ٠٠ الخ ٠ الخ ٠

« سوف أبتعد عنهم ، أولئك الذين لاهم سوى التلصص عما اذا كان المرء قد ارتكب نقيصة بطريقة ما ، سوف أذهب اليه وحده : الى « السيد » الذى يبتهج بهجة عظمى بعودة التائب أكثر مما يبتهج لتسعة وتسعين حكيما ليسوا بحاجة الى التوبة ٠ ! (٦) ٠

فى هذه الفترة وقعت محاولتان جديتان ، بل هما المحاولتان الحقيقيتان فى حياة كيركجور كلها ـ للاتصال الحقيقى بالمرأة ، وباءتا بالبوار لأسباب « غيرمعقولة » ـ وان كنا سوف نحاول فهمها فى نهاية الفصل ٠

أما المحاولة الأولى فتتلخص فى أن كيركجور فى هذه الفترة وتعرف على أسرة قسيس متوفى هو « القس توماس سكات روردام ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ Thomas Skat Rordam وهىتتألف من أرملته السيدة «روردام (والدة القس الشهير بطرس روردام ) وابنته : « بوليت روردام ٠٠ Bolette Rordam ويبدو أن كيركجور كان قد ارتبط فى هذه الفترة بعلاقة غرام عابرة مع هذه الفتاة ـ فيقول : « كنت أشعر ، بمعنى ما ، بقدر من المسئولية والميل تجاه بوليت روردام ، فقد كانت فى السابق قد أثرت فى ، وربما كنت قد أثرت فيها بدورى ، لكن ذلك كله كان بريئا وعلى نحو روحى خالص(٧) »٠ وعلى الرغم من أن الفتاة كانت مخطوبة لطالب فى اللاهوت يدعى بطرس كوبك Peters Kobke « فان كيركجور لم يعر هذه « الحقيقة الموضوعية » أدنى اهتمام ! فهو من ناحية يسعى الى الحقيقة الذاتية أعنى حقيقة مشاعره هو ومشاعر الفتاة نحوه ٠ ومن ناحية أخرى فقد كان كيركجور يشعر باستمرار كما ذكرنا الآن توا أنه « متفوق على الجميع « فهو » ذلك الفرد « القادر على ازاحة طالب اللاهوت من طريقة اذا ما جد الجد وعزم على الزواج منها ! لقد كان يشعر أنه صاحب امكانيات هائلة وكان يخاطب نفسه قائلا « أنت أشبه ما تكون بمجموعة ضخمة من المكنات ففى استطاعة المرء أن يرى فيك أحيانا امكانية الفساد وأحيانا أخرى امكانية السلام والسكنية ٠٠(٨)٠ فليست المشكلة هى أن بطرس كوبك «خطيبالفتاة» وانما المشكلة هى سرن كيركجور نفسه : هل هو يحبها حقا ؟ ثم قبل ذلك

---

(٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 43 (Oxford).

(٧) Ibid, P. 69 (Fontana).

(٨) Cité Par Jean Wahl: Etudes, P. 51.

وأهم من ذلك ـ هل هى جديرة بأن يحبها • ؟ ! على هذا النحو ينبغى أن تثار الأسئلة ،وهذا يكشف لنا عن حقيقة هامة هى أن التجارب الكيركجوردية الهزيلة لم تكن تزيده الا عذابا وقلقا فهو يخلق من « الحبة البسيطة » قبة ضخمة ويصير ينفخ فيها الى أن تتحول الى جبل هائل يسد عليه منافذ الحياة جميعا •• !

هذه العلاقة العابرة مع « بوليت رووردام » سببت له حيرة كبيرة وقلقا نفسيا عميقا وهو ما يحدث باستمرار عندما يوشك أن يقدم على خطوة من شأنها ان تجعله يتصل بالواقع العينى ، دع عنك أن يكون هذا الواقع هو المرأة التى وصفها بأنها « الانانية مجسدة ، وحتى اشتياقها وتحرقها الى الرجل لايعبر عن شيء سوى أنانيتها(٩) • وقبل أن يحل عيد ميلاده الرابع والعشرين بأيام قليلة كان مشتت النفس فى أمرها لا يعرف ماذا يفعل بالضبط : هل يقوم بخطوة عملية فيصارحها بحبه ويعرف حقيقة مشاعرها نحوه ؟ ! أم يصرف النظر عن الموضوع كله ؟ ! أهو يحبها حقا أم أنها مجرد هواجس تعتمل فى نفسه ؟ ! وبعد صراع عنيف مع وساوسه قرر فى النهاية أن يحسم الموقف بأن يذهب اليها ليصارحها بمشاعره ويعرف رأيها • لكنه شعر وهو فى الطريق اليها بالوجود الآلهى ـ على حد تعبيره ـ يغمر كيانه كله ويمنعه من مواصلة السير فيعود أدراجه !

كتب فى ٨ مايو ١٨٣٧ يصف هذه التجربة :

« آه ياآلهى ! كيف يستطيع الانسان أن ينسى بسهولة تلك القرارات التى عزم عليها ! مرة أخرى عدت مؤقتا الى هذا العالم لبعض الوقت(١٠)• آه ! ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه(١١) • لقد حاولت اليوم ٨ مايو ١٨٣٧ مرة أخرى أن أنسى نفسى لا فى ضجيج العالم وضوضائه ، فهذا بديل لاغناء فيه ، بل بأن أحاول أن أذهب الى آل

---

(٩) The last Journals, P. 9.

(١٠) لاحظ التعبير الذى يعنى أنه كان هائما بعيدا عن هذا العالم مقطوع الصلة بدنيا الناس لأنه باستمرار « مع نفسه » ، انه مثل اله أرسطو لايعنيه العالم وكل ما يتأمله هوذاته • ومن ثم فان فترة الضياع لم تكن سوى محاولة يائسة لكى ينسى نفسه لكنها تبؤ دائما بالفشل •

(١١) انجيل مرقس الاصحاح الثامن : ٣٦ •

روردام ۰۰۰۰۰۰ Rordams وأن أتحـــدث مع بوليت ۰۰۰۰ Bolette ، لكن ملاك الرب وقف فى طريقى اليها حائلا ! على نحو ما يحول دائما بينى وبين كل فتاة بريئـة ـ شاهرا سيفا من نار ! أشكرك يا الهى لانك غمرتنى برحمتك ولم تتركنى أصاب بالجنون ! لم أكن قـط خائفا على هـذا النحو من قبل ۰۰۰ »(١٢) ٠

ماذا حـــدث لكيركجور ، فى ذلك اليـوم وهـــو فى طريقه الى آل روردام ۰۰ ؟ ٠ ربما وجد فى البداية أن مخاوفه مبالغ فيهـا ثم اكتشف وهو فى الطريق أن مشاعره نحو الفتـاة ليست من ذلك النوع الذى يدفعه الى اتخاذ قرار حاسم : ربما أيضـا أنه كان يشعر أن ما ارتكبه من أخطاء فى فترة الضياع ـ سـواء أكانت أخطاء حقيقيـة أم متخيلة ـ تقف حجر عثرة فى سبيل ارتباطه بأى فتاة بريئة (لاسيما وأن هذه الهواجس نفسها سوف تلح عليه عنـدما يتعرف على ريجينا) ۰۰ ربما كما يقـول هو نفسه أنه أراد أن يجرب طريقا آخـر ينسى فيه نفسه غير طريق الحياة وما فيها من ضجيج فحاول أن يجرب « الحب » الحقيقى ، لـكن الفكرة ضعفت وهو فى طريقه اليهـا : لاسيما وأن « الشعور بالاثم » وارتكاب الخطيئـة كان يلازمه ، ويدفعه دائما الى القلق ۰۰ كان يقـول لنفســه باستمرار : انها ومضة برق تنذر بالرعد : بعد ما حـدث فقدت طهارتك ، ولم يعد لك الحق فى أن تلمس فتاة صغيرة بريئة : لابـد لك أولا من العلاج ، والعلاج هو أن تعترف علنا بخطاياك ! والحق أننا نتفق مع جان قال فى أن « المرأة لم تكن تعنى شيئا عنـد كيركجور ، انه يحب نفســه فقط ، وهـو أمر لم يكتشفه بنفسه الا فى النهاية »(١٣) ٠

لكنـه بعـد أيام قلائل يحاول مرة أخـرى تكرار زيارته الى أسـرة روردام ۰۰۰۰۰ Rordams « مرة أخرى يتكرر اليوم المنظر نفسه ، لقد زرت آل روردام ـ آه يا الهى لماذا تستيقظ هــذه المشاعر الآن ! آه ! كم أشعر أنى وحيـد ـ آه : ملعون ذلك الشعور المتغطرس الـذى جعلنى أقف وحيـدا فسوف يحتقرنى الجميع الآن ـ لكنك أنت يا الهى ! لا تتخلى عنى

---

(١٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 54-55 (Fontana).

(١٣) J. Wahl: Etudes, P. 15.

الآن – دعنى أعيش وأحسن أحوالى »(١٤) ٠

وعلى الرغم من ظهور وساوس سوداء مرة أخرى فانه يتغلب عليها ويزور آل روردام ليفاتح « بوليت » فى موضوع حبه لها ٠ لكن حدثا جديدا يطرأ على الموقف فيقلب الصورة رأسا على عقب ، ففى هذه الزيارة يلتقى بمجموعة من الفتيات الصغيرات يشعر أن واحدة منهن هى حبه الحقيقى وانها ستظل معه الى الابد تلك هى « ريجينا أولسن ١٨٢٣ – ١٩٠٤ » ٠٠٠٠٠٠ Regina Olsen التى لولاها ، ولولا علاقته بها لكانت أعماله قد اتخذت شكلا آخر ٠ وتلك هى علاقة الحب البائس الشقى (والحق أن جميع علاقاته يمكن أن توصف بهذا الوصف) التى سوف يعيد روايتها مرارا وسوف يعزف على تنويعات لحنها كثيرا فى جميع كتبه تقريبا : وفى استطاعة القارىء أن يجد هذه القصة معروضة فى ثمان وثلاثين تدوينه فى يومياته ، وكثيرا ما تكون تحت عنوان « علاقتى بها ٠٠ » أو « هى » ٠ أو « ريجينا » ، أو « عزيزتى ريجينا الصغيرة » ٠ كذلك يمكن له أن يطلع عليها وعلى موقفه منها ورأيه فيها فى كتبه : « اما – أو » ، و « التكرار » ، و « الخوف والقشعريرة » ، و « مراحل على طريق الحياة » ٠٠ الخ ٠

فما هى هذه القصة الغريبة ؟ كيف بدأت ، وكيف انتهت ٠٠ ؟

فى زيارته الأخيرة لأسرة « روردام » التقى كيركجور بمجموعة من الفتيات الصغيرات كانت بينهن « ريجينا أولسن » صغرى بنات مستشار الدولة « تركل أولسن » ٠ Terkel Olsen أحد كبار موظفى وزارة المالية الدانيماركية : كان عمر الفتاة أربعة عشر عاما وثلاثة أشهر ، تماما فى مثل سن « جولييت » فى مسرحية شكسبير الشهيرة ٠ أما هو فكان فى الرابعة والعشرين ٠ وهو يصور لنا هذا اللقاء الأول وكيف أبدع فى حديثه فى تلك الليلة بأسلوب محزن تارة ، مثير للضحك تارة أخرى ، باعث على اعمال الفكر والجدل تارة ثالثة – وكيف أضفى البهجة على الحفل رغم همومه وآلامه – يقول :

---

(١٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 55.

« نجحت في لفت أنظارهن بأن طرحت سؤالا عن الظروف التى ينبغى أن تفسخ فيها الخطوبة ـ وبينما كانت عينى تنتقل من زهرة الى زهرة ، وسط هذا الا كليل من الفتيات ، مستمتعا بالوقوف آنا عند هذه الفتاة · وآنا آخر عند فتاة أخرى متنقلا من جمال الى جمال ، واذنى الخارجية تطرب بسماع موسيقى أصواتهن ، وأذني الداخلية تسعد بالاستمتاع بملاحظة ما قلته حول المشكلة التى طرحتها عليهن · لقد أثرتهن علاقتى بهن أكثر حرية · ومع ذلك فقد حرصت على أن يسير كل شيء بأدب تام ، وداخل حدود اللياقة الدقيقة ·· لقد كنت أصل بالحديث أحيانا الى حافة الحزن والكآبة ، لكنى فى أحيان أخرى أترك للمرح عنانه ، وأحيانا ثالثة كنت أغريهن بلعبة جدلية ·· »(١٥) ·

كانت ليلة غامرة بالنسبة لكيركجور لكنه كالمعتاد راح يبعث المشكلات فى هذه العلاقة البريئة التى ما أن بدأت حتى كتب فى يومياته يقول ان ما يشغله ليس هو الوقوع فى حبها بمقدار ما يشغله ما يترتب على ذلك الحب من نتائج ، وكالمعتاد أيضا جرى فكره بسرعة فى الموضوع من البداية الى النهاية ، أيمكن له أن يسير فى هذا الطريق ؟ أصحيح أنه قادر على أن يفعل ما يفعله عامة الناس فيخطبها ثم يتزوجها أعنى أن « يحقق العام » ؟ هاهنا تستيقظ كل مخاوفه وهواجسه القديمة : مئات من المبررات الغريبة ، والشكوك التى قد لا يكون لها أساس من الصحة فهو مثلا فى « فترة الضياع » كان رجلا حسيا وربما ارتكب خطيئة ما (كان يساوره القلق حول اتصاله الجنسى مع بغى وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل) فهل يسمح له بعد ذلك أن « يدنس » فتاة بريئة ؟ وفضلا عن ذلك فان من المحتمل كما يقول « هولنبرج » ـ انه كان يباهى بتفوقه واحتقاره للنساء ، وأنه « قادر على أن يقف وحده »(١٦) فكيف يقع الآن خائرا فى غرام ريجينا ؟ أنه لن يستطيع أن يخفى على الناس أنه : « سحرته امرأة » وسوف يحتقره كل انسان ··· الخ نفس الوساوس السابقة التى عذبته مع « بوليت » من قبل !

---

(١٥) S. Kierkegaard. Either..or Vol. 1, P. 352.

(١٦) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 78 - 79.

لكن « حب » ريجينا كان اقوى وأعمق من أن تصده الوساوس فعلى الرغم من أنه انشغل بعد مصالحته مع والده فى العودة الى دراسة اللاهوت ، كما عمل فترة صغيرة مدرسا فى مدرسة ميخائيل نلسن : « لكنى سمحت لها طول هذه المدة أن تغلغل فى صميم وجودى ·· »(١٧) · ثم مات والده فى ٩ أغسطس ١٨٣٨ وانشغل بعدها باعداد امتحانه للاهوت ، ثم غادر كوبنهاجن فى رحلته الشهيرة لزيارة مسقط رأس والده فى اقليم جوتلند ······ Jutlan (١٨) ، كما لو كان يريد أن يقول لوالده أنه حقق رغبته وكان وفيا للعهد فأكمال دراسة اللاهوت ! ولما عاد التقى بريجينا مرات قلائل بعضها فى الطريق وعلى سبيل المصادفة ، فألهبت خياله مرة أخرى وبدأ يتردد على آل روردام لكى يلتقى بها ، ثم تعرف على أسرتها وبدأ يزورها فى منزلها ويتذرع باعارتها كتبا وكراسات للموسيقى · وما أن حل عام ١٨٣٩ حتى كانت ريجينا قد ملكت قلبه تماما فهو يقول فى ٢ فبراير ١٨٣٩ أنه كان يحلم بها قبل أن يراها بسنوات ·

« آه ! ريجينا يامليكة قلبى ! يامن تختبئين فى أعمق أعماق فؤادى ! فى أكثر أحلام حياتى عظمة ، هناك على بعد متساو من السماء والجحيم توجد ألوهية مجهولة ! آه هل أصدق حقا حكايات الشعراء التى تقول ان المرء عندما يرى محبوبته لأول مرة يتخيل أنه سبق له أن رآها منذ مدة طويلة · وأن الحب كله مثل المعرفة كلها ليست الا تذكرا ، وان الحب أيضا له فى الفرد : نبواته ، وأنواعه وأساطيره ، وعهده القديم ؟ ! أينما يممت وجهى لاأرى فى وجه أى فتاة الا آثار جمالك ، لكن يبدو لى أنه ينبغى على أن أمتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى أن أعثر على جمال يساوى جمالك : وأنه ينبغى على أن أبحر حول العالم كله حتى أعثر على

---

(١٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 69.

(١٨) قبل قيامه برحلته الى اقليم جوتلند قابل ريجينا مرة أخرى فى منزل قسيس يدعى ابسن Ibsen فى قرية مجاورة لكوبنهاجن تدعى لينجبى Lyngby قارن هولنبرج فى كتابه J. Hohlenbreg: S. Kierkegaard, P. 90.

المكان الذى افتقده ، والذى يتجه نحوه أعمق أسرار وجـودى كله ـ وفى اللحظة التالية سوف أجـدك قريبة منى حاضـرة بحوارى تملئين روحى بقوة حتى ليتغير كيانى وأتمنى لو كنت هنا معى ·

انت ياآله الحب الأعمى ! هـلا كشفت لى ما تراه مخبئا فى ضمير الغيب ؟ ! هل سأجد ما أبحث عنه هنا فى هذا العالم هل سوف أخبر خاتمة المقدمات الغريبة لحياتى كلها ، هل سأضمك بين أحضانى ، أم :

« ان الاوامر : تقدم الى الأمام » ؟(١٩) ·

ظل طول عـام ١٨٣٩ وهو يهيم بهـا على الورق ويستودع يومياته هذه المشاعر الفياضة لكنه لايقدم على خطوة ما ـ سوى أنه « دعى لزيارة أسرتها » كما يقول فلبى الدعوة وكان يغازلها بأن يعيرها كتبـا أو يشير عليها بقراءة فقرات معينة أو يستمع اليهـا وهى تعزف على البيان ··· ولندعه هو يروى بقية القصة :

« فى صيف عـام ١٨٤٠ اجتزت امتحان اللاهوت · من ٩ أغسطس حتى أول سبتمبر أستطيع أن أقـول اننى ، بالمعنى الـدقيق ، اقتـربت منهـا ·· »(٢٠) ·

هنـا نلاحظ أنه لم يبـدأ فى الدنو الحقيقى منهـا الا فى صيف عام ١٨٤٠ حيث بدأت الفـكرة تختمر فى ذهنـه تماما ، ويشعر أنه لابـد أن يصارحها بحبه ولقد حدث ذلك بعد أيام قلائل ·

« فى ٨ سبتمبر غادرت منزلى وأنا عازم على أن أضع لهذا الموضوع حدا · والتقيت بهـا فى الشارع أمام منزلهـا · وأخبرتنى أنه لايوجد أحد بالمنزل واعتبرت ذلك دعوة لى فغامرت بانتهاز الفرصة التى كنت أريدها · وذهبت معها الى المنزل وجلسنا وحدنا فى غرفة المعيشة · وعندما وجدتها مضطربة لوجودنا وحـدنا رجوتها أن تعزف على البيـان كما كانت تفعل فى المرات السابقـة ، وبدأت تعزف لـكن ذلك لم يغير من الأمـر شيئا ، وفجأة تناولت النوتة الموسيقية وأغلقتها على نحو لا يخلو من عنف والقيت

---

(١٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 61 - 62.

(٢٠) Ibid, P. 69.





بها على البيان وأنا أقول « آه ! لم تعد تعنينى الموسيقى فى شىء ، انما أنت من أبحث عنها ! أنت من كنت أبحث عنها منذ عامين » ! وظلت صامتة ولم أفعل شيئا لكى أحركها(٢١) · لكنى حذرتها من مزاجى السوداوى · وعندما تحدثت على شليجل ···· Schlekel قلت : « فلنضع هذه العلاقة بين قوسين · وقبل كل شىء فالأولوية لى ·· »(٢٢) ·

بقيت صامتة تماما · وأخيرا تركتها وغادرت المنزل لأننى كنت أخشى أن يحضر أحد ويرانا معا ، ويراها مضطربة على هذا النحو ·

وذهبت مباشرة الى المستشار أولسن (والدها) وعرفت أننى كنت قد أثرت فيها تأثيرا شديدا ، لذا خشيت أن يساء فهم زيارتى ، أو أن أسىء الى سمعتها ·

لم يقل والدها شيئا لا بالايجاب ولا بالسلب ، لكنه لم يكن يمانع كما أعتقد ، وطلبت لقاءها · والتقيت بها بعد ظهر العاشر من سبتمبر ولم أقل كلمة واحدة لاقناعها ولكنها هى التى قالت : نعم !

وفى الحال وسعت علاقتى مع الاسرة كلها ، وحولت براعتى نحو أبيها الرجل الذى أحببته باستمرار »(٢٣) ·

على هذا النحو تبدو الاور عادية ، فالنص يوحى بأن المسألة سارت سيرا طبيعيا : قليل من التردد ثم حسم الأمر وانهى الموضوع ـ هذا فى الظاهر فلنقرأ ماكتبه :

« لكن داخليا : شعرت فى اليوم التالى أننى قمت بخطوة خاطئة عانيت دون أن اتكلم ويبدو أنها لم تلحظ شيئا بل على العكس كانت روحها

---

(٢١) يقول لورى ·· Lowrie انها فرت هاربة من الغرفة عندما صارحها بحبه ·

(٢٢) فرتز شليجل ···· Friz Schlegel هو مدرسها فى المدرسة وكان معجبا بها وكانت هى تبادله نفس الشعور ، وسوف يصبح زوجها فيما بعد ·· ويضيف كيركجور ملحوظة يقول فيها : « لقد تحدثت عن شليجل فى ١٠ سبتمبر أما يوم ٨ سبتمبر فقد ظلت صامته انظر اليوميات ص٧٠ ·

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 69 - 70.

مرتفعة ٠٠ »(٢٤) ٠

وعلى هذا المنوال سارت العلاقة : من حيث الظاهر يقوم بالتزاماته وواجباته كخطيب : ارتبط بالاسرة شقيقات ريجينا ، وشقيقها الوحيد ، ثم الأب الذى أحبه كثيرا ٠ ولقد دخل معهم جميعا فى علاقات وان كان قد بدالهم غريبا شاذا لكنهم أخذوا جميعا بمرحه وخفته وذكائه اللماح ، واذا كان الكل قد فتن به فان ريجينا كانت تشعر نحوه بشعور غامر ، فهو حاد الذكاء ساحر الحديث غامض فى أفكاره يستهوى الفتاة الحالمة ! وهكذا بدأت العلاقات الأسرية تتوطد وبدأت أسرته بعد الخطوبة تزور أسرة ريجينا وأقيم حفل لهذا الغرض قام فيه الفيلسوف بتقديم أسرته الى أهل عروسه ٠

فى الظاهر كل شىء يسير على ما يرام ! لكنه فى الداخل يغلى ! صحيح أنه أخلص لها ، وقدم لها الهدايا دون تقتير ٠٠ لكن الوساوس والشكوك والهواجس لم تتركه ، انها تستيقظ بمجرد ما يخلو لنفسه ان هذه الخطوة تعنى الارتباط بالواقع ، الذى ظل حياته كلها يبتعد عنه رويدا رويدا يدعم هذا الابتعاد خيال أبيه ووساوسه وتدينه ! عندما يكون بصحبتها يترك نفسه حرا فيعبر عن مشاعره الحقيقية تعبيرا جميلا حتى تكاد الفتاة تطير سابحة فى سماء الغرام ! يقول : « لقد » احببتها كثيرا ٠ وكم كانت خفيفة كأنها طائر ! لكنها أيضا كانت صلبة كفكرة ! كنت أتركها ترتفع وتعلو ، وتعلو ! ثم أمد يدى لتحط عليها وهى ترفرف وتنطق باسمى ! لقد نسيت ولم تعرف قط أننى أنا الذى جعلتها خفيفة ! وكانت فى لحظات أخرى تلقى بنفسها تحت قدمى ولاتزيد أن تفعل شيئا سوى أن تأملنى وتنسى كل شىء آخر ٠٠(٢٥) ٠

استمرت فترة الخطوبة حوالى العام من ١٠ سبتمبر ١٨٤٠ الى ١٢ أكتوبر ١٨٤١ كان كيركجور يعامل فيها « ريجينا » على الأقل فى الاشهر الاولى ، معاملة طيبة ٠ ويقول لورى أنه خلال هذه الاشهر كان « شهما » يبذل أقصى مايستطيع لاسعادها(٢٦) وهناك مجموعة من

(٢٤) Ibid, P. 70.
(٢٥) The Journals, P. 90 (Oxford).
(٢٦) W. Lowrie: A Short Life of S. Kierkegaard P. 137.

الخطابات التى بقيت لنا من هذه الفترة كان كيركجور يرسلها الى خطيبته ويقول فيثيوف برانت « فى استطاعتنا أن تستنتج من هـذه الخطابات أن كيركجور كان لطيفا للغاية مع هذه الفتاة وأن كان يفكر فيها باستمرار حتى أنه أغرقها بالهدايا التى كان يرسلها باستمرار مع خطاباته ذات الصيغة الرومانتيكية المنمقة لكنها تخفى بغير شك وجدانا عميقا تحت هـذه النغمة المصطنعة(٢٧) • ويمكن أن نسوق المثال التالى بالهدية التى أرسلها اليها فى ٢٣ يناير ١٨٤١ لتهنئتها بعيد ميلادها الثامن عشر •• كتب يقول فى رسالة التهنئة :

« حبيتى ريجينيا ! أتمنى من الله أن يبعث لك بعام جديد سعيد كثير البسمات قليل الدموع لقد أرسلت لك مع خطابى هـذا منديلا ، أردت أن تضعيه تحت وسادتك حتى اذا ما استقيظت من نومك ذات ليلة فجأة ، مذعورة من حلم مؤلم وعجزت عن السيطرة على دموعك ، عندئذ جففيها بهذا « القماش الكتانى » ثم تذكرى أننى أنا الذى أرسلته اليك ، وأننى كنت أود لو كفكفت لك الدمع بنفسى !

أما حين تكونى مسرورة مطمئنة كأرملة فقيرة تبرعت بكل ما عندها فأصبحت أغنى من العالم كله ، عندئذ اسندى رأسك الى الوسادة نفسها وسوف يذكرك هذا القماش الكتانى بى أيضا ، سوف يذكرك بأنك كنت الشخص الوحيد الذى كفكف دموعى ، كما أنه سوف يذكرك أيضا بأنك كنت الانسانة الوحيدة التى رأت تلك الدموع • ومن ثم فحين تتمنين لنفسك فسوف يكون من السهل عليك أن تشاهدى صورتى مطبوعة على هذا القماش لقد جففت فرونيكا Veronica (٢٨) ، المقدسة عرق المسيح بقماش غال من الكتان ومكافأة لها على ذلك انطبعت صورة المسيح على هذا

(٢٧) F. Bandt: S. Kierkegaard, P. 17.

(٢٨) فرونيكا ••• Veronica اسم امرأة من أورشليم يروى تراث القرون الوسطى أنها كانت تتابع خطوات السيد المسيح وهو فى طريقه الى الصلب • أشفقت على وجهه الشاحب والعرق يتصبب منه فجففت له وجهه بمنديلها ومكافأة لها انطبعت صورة السيد المسيح على المنديل • واسم « فرونيكا » نفسه يدل فى الاصل على الصورة التى انطبعت فهو مكون من مقطعين هما Vera أى حق icon أى صورة فتكون الكلمةفرونيكا « الصورة الحقة » •

القماش ، وحين طبقته خمس مرات ، وجدت فى حوزتها خمس صور للمسيح . ولابد لكى تكونى قادرة على رؤية صورتى على هذا القماش ـ لابد أن تصوريها بنفسك وهذا ما أعرف أنك قادرة على القيام به . أواه ! لاتصورى صورتى كشخص قلق مضطرب لايعرف السلام والسكينة شخص يسكنه حزن دفين كالروح القلقة التى تحوم هنا وهناك ! وانما صوريها كشخص طيب رقيق يملك الأمل والثقة ، ومهما يكن من أمر فانا لاأود لهذا القماش أن يفارق مخدعك .. »(٢٨) .

المخلص

س . ك

من هذا الخطاب يتضح لنا عدة أمور :

أولا : أن طريقه ارسال خطاب مع هدية فى عيد ميلاد خطيبته بدلا من الذهاب المباشر اليها يتسق مع ما سبق أن ذكرنا من أن كيركجور كان يخشى « الاتصال المباشر » بالواقع الذى لم يعرفه معرفة حقيقية الا من وراء ستار ، ولست أدرى ما الذى يمنع شابا من الذهاب الى خطيبته لتهنئتها بعيد ميلادها وهو الذى كان من قبل يتذرع بالكتب لزيارتها ؟ ! انه يتمنى باستمرار الاتصال بالواقع لكن ما أن يخطو خطوة واحدة حتى يعود ليسحب قدمه بسرعة ويعيش فى عالمه الخيالى ! ولعل هذا ما قصده جان فال ..... J. Wahl عندما قال : « أنه كان أكثر سعادة حين يفكر فى خطيبته منه حين يكون بجوارها .. »(٣٠) .

ثانيا : على الرغم مما يقوله « لورى » من أنه كان « شهما » وما يقوله « برانت » من أنه كان لطيفا للغاية ـ مع هذه الفتاة أثناء فترة الخطوبة ـ فاننا نلاحظ من كلمات الخطاب ومن نوع الهدية التى أرسلها أى « منظار أسود » كان ينظر به الى الدنيا ! وماذا تقول فى أمر شاب يرسل لخطيبته فى عيد ميلادها هدية عبارة عن منديل تجفف به دموعها ؟ ! ومتى ؟ ! « اذا ما استقيظت ذات ليلة ، فجأة ، مذعورة من حلم مؤلم » .. ! أما عندما تكون مسرورة فهى أشبه « بالارملة الفقيرة » التى تبرعت بكل ما تملك !

---

(٢٩) Quoted by F. Brandt: op. cit., P. 19.

(٣٠) J. Wahl: Etudes.., P. 18.



Soren Kierkegaard
Drawing by W. Marstand

ثالثا : نلاحظ أخيرا « مركزية الذات » الشديدة ، فان على ريجينا أن تتذكر باستمرار فى ساعات الحزن أو ساعات السرور أنه هو الذى أرسل لها المنديل ! وهو لم يرسله أصلا الا ليذكرها به . ثم نلاحظ أنه يشبهها بـ « فرونيكا » المقدسة ، وهى لم تكن « مقدسة » الا لأنها جففت عرق المسيح . أما هو فسوف تنطبع صورته على المنديل لانه « مثل المسيح» لكن أى صورة ؟ عليها أن « تخترع » بخيالها صورة أخرى غير الصورة الواقعية التى تصوره شخصية قلقة مضطربة ، عليها أن ترسم بذهنها صورة شخص طيب رقيق يملؤه الأمل ـ أى الصورة التى كان يتمناها لنفسه لاصورته كما هى فى عالم الواقع .

ومهما يكن من أمر « المعاملة اللطيفة » ، « والهدايا » التى كان كيركجور يغدقها على خطيبته ابان فترة الخطوبة التى استغرقت عاما وشهرا واحدا ، فلا شك أنه لم يكن مقتنعا منذ اللحظة الأولى بالاقدام على هذه الخطوبة ، ولقد كتب هو نفسه بعد اتمام الخطوبة يقول : « شعرت فى

اليوم التالى أننى قمت بخطوة خاطئة ، عانيت منها دون أن أتكلم ، ويبدو أنها لم تلحظ شيئا ، بل على العكس ، كانت روحها مرتفعة(٣١) ··· كانت الفتاة مسرورة كأى فتاة عادية ، أما هو فقد شعر أنه أقدم على عمل خاطىء ما كان ينبغى عليه أن يقوم به : وهو الاتصال بالواقع ، والارتباط بدنيا الناس التى ظل غريبا عنها طوال حياته ، يقول جيسمار ···· Geismar بحق : « ·· فى اللحظة التى يتدخل فيها الواقع ، يضيع كل شىء »(٣٢) · « فهو شاعر على حد تعبير جان فال ولا يريد أن يهبط الى مملكة الزواج الدنيوية ، لايستطيع أن يحول العلاقة الشعرية الى صلة حقيقية أو ارتباط واقعى ، ولهذا تراه يقول بعد انفصاله عن ريجينا « لقد تصرفت جيدا ، أن حبى لايمكن أن يعبر عن نفسه بالزواج »(٣٣) · انه لم يتجه اليها الا لكى تنمى فيه قوة الخيال وتلهب مشاعره ، وتزيدها حدة ، هكذا علمه أبوه عندما كان طفلا : أن يخلق دنيا كاملة من لاشىء وأن يستمتع بما يخلقه بخياله من وقائع وأن يتلذذ بالبقاء فى عالم الخيال ؛ وهكذا ساعدته سوداويته على أن يجتر هواجسه ليل نهار ! ومن هنا فانه كان يضع فى ذهنه منذ اللحظة الأولى أنه لايمكن الاستمرار فى اجراءات الزواج وانه لابد أن يضع حدا لهذا الموضوع · ولقد حاول فى البداية أن يتفاهم معها وان يطلعها على هواجسه وقلقه بحيث يبين لها أنه لا يصلح لها وأن عليها أن تقوم هى بخطوة فسخ الخطوبة لكنها رفضت واعتبرته مازحا ! فاستقر رأيه على أن يضع خطة جديدة هى أن يظهر بمظهر زائف ، وأن يجعلها تعتقد أنه « يخدعها » ( وحتى فى هذه الحالة كان يشعر بقلق عندما يتصور أنها بعد أن تنفصل عنه ، وتتزوج شخصا آخر ، ثم تكتشف يوما ما أنه يحدث فى هذه الحالة ؟ ـ هذا شىء فظيع لا يستطيع أن يتخيله(٣٤) الى هذا الحد كان القلق يطويه ويشمل كيانه كله !

وبدأ ينفذ الخطة ويمثل الدور الذى أعده : يزورها فى المنزل ويرجوها أن تضع حدا لخطبتها حتى يمكن أن تظهر هى أمام الناس بأنها « الأعلى »،

---

(٣١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Fontana).

(٣٢) Cité par J. Wahl: Etudes.., P. 13.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) J. Hohlenberg: Op. cit., P. 106.

وانهـا هى التى قامت بفسخ العلاقة ، لكنها أجابته بأنهـا يمكن أن تتحمل أى شىء سوى فراقه ! فلم يكن أمامه سوى الاسراع فى تنفيـذ الخطـة : يعطى وعودا كاذبا ، يقنعها بأنها ليست الشخصية المثالية التى يرجوهـا لنفسه ! يتحدث فى موضوعات تافهة ليبدو تافها ، يعيد ويكرر ما سبق أن قاله فى اليوم السابق ليكون مملا فتشعر بالضجر فى صحبته ، يهذى بغير انقطاع ثم يوبخ نفسه ! يسألها فى شىء غير قليل من الجرأة والوقاحـة معا : لم لا تفكر مرة أخرى فى الزواج من فرتس شليجل Fritz Schlegel · مدرسها وحبيبها السابق ؟ ثم يضيف بنغمة ساخرة : ألم يكن يناسبها أكثر من فيلسوف لايصلح للزواج ·· ؟ ! · وينتهى هذا الموقف ، عادة ، بحوار عاصف بينهما !

واذا كان كيركجور قد قرر أن يقوم بتمثيل دور « الوغد » على حـد تعبيره أمام ريجينا ، فقد كان عليه أن يقوم بهذا الدور نفسه أمام أسرتها ، اذ لابد أن تتأكد الأسرة أنه شخصية تافهة لاتطاق ، وأنه ليس آلا نـــذلا لايستحق أن تصاهره وأن عليها أن تقنع الفتـاة بتركه ، لـكنه كان يحب والدها ولهذا كان يقوم بتمثيل دور يفوق طاقة البشر على حد تعبيره لأن خداع المستشار أولسن والد الفتاة كان شاقا على نفسه على نحو لايطاق ·

وكثيرا ما كان كيركجور يعزى نفسه متمثلا قول هاملت « لابـد أن أقسو لكى أكون رحيما » ·· فأدوار الغش والخداع وتمثيل الخسة وضروب القسوة التى يقوم بها نابعة أساسا من حبه لها · وأحيانا أخرى يلجأ الى تشبيه الخديعة التى يقوم بها بعملية فطام الطفل التى تقوم بها الأم ·

« عندما يكبر الطفل ويحين موعد فطامه فان الام تسود ثدييهـا اذ سيكون مخجلا حقا ان يبدو الثدى لطيفا لذيذا ، ومع ذلك يراد أن يحـرم منه الطفل · ومن ثم فان الطفل يعتقد أن الثدى هو الذى تغير ، لـكن الأم تبقى كما هى : نظرتها نظرة حب ورقة كعهـده بهـا دائمـــا ، طوبى لمن لايحتاج الى وسائل مرعبة أكثر ليفطم بها الطفل ! »(٣٥) ·

كما أنه كان يرد الموضوع كله ، أحيـان ثالثة الى مزاجه السوداوى

(٣٥) S. Kierkegaard: Fearand Tearand Trembling P. 28 Trans. by in Lowrie.

أستيقظ مزاجي السوداوى ، وكان اخلاصهـا يلقى بعبء المسئوليـة على كاهى ، فى حين ان غرورها كان فى كثير من الاحيان يعفينى من المسئولية ولقد اعتقدت أن ذلك لم يكن سوى عقاب من الله(٣٦) ٠٠ »

وبعـد صراعات كثيرة ، وتردد وقلق انتهى كيركجور أخيرا الى أن يفسخ الخطوبة فى ١١ أغسطس ١٨٤١ ، فاعاد اليهـا خـاتم الخطوبة مصحوبا بكلمة وداع : « ما ينبغى أن يحدث علينا أن ندعه يحدث الآن فلا نضطر الى الاستمرار فى التمثيل ، وعندمـا يحدث سـوف يعطينـا قوة نحتاجها ٠ وقبل أى شىء آخر أرجو أن تنسى كاتب هذه السطور ، واغفرى لذلك الشخص الذى وان كان قادرا على القيـام بأشيـاء كثيرة ، فأنـه لايستطيع ان يسعد فتاة صغيرة ٠ ان ارسال خيط من الحرير ، فى الشرق ، يعنى قرارا باعدام المرسل اليه ، أما هنا فارسال خاتم الخطوبة معناه قرار باعدام من يرسله ٠٠٠ ،(٣٧)لكنها وقد فوجئت بالرسالة صرخت وهرولت مسرعة الى غرفته ولما لم يكن موجودا فقد تركت له رسالة تناشده فيهـا الا يتركها ، وتتوسل اليه باسم « يسوع المسيح » وذكرى « المرحوم والده » ٠٠ الخ وبكل ما هو عزيز ومقدس عنده ان يرجع فى قراره ٠ ومضى شهران فى محاولات وتوسلات ومناشدات أطلق عليها كيركجور اسم « فترة الرعب » ـ وهى الفترة التى حاول فيها أن يظهر بمظهر الشخص التافه الفاشل ، والوغد الجبان ، الذى تخصص فى أصول الغدر والحيلة والخديعة ٠٠ الخ ولقد آدهشها سلوكه وان كانت لم تصدق شيئا منه ٠ واستعانت بأسرتها للتوسل اليه بألا يقطع صلته بها ، لكن المحاولات كلها فشلت وانتهى الأمر الى فسخ الخطوبة نهائيا فى ١١ أكتوبر عام ١٨٤١ ، ولم يمض على عقدها غير سنة واحدة وشهر واحد ! ولنتركه يروى لنا هذه الأيام الأخيرة :

« خلال شهرين من الخداع راعيت أن أكون فى غاية الحذر فى حديثى المباشر معها فكنت أقول لها : أرجو أن تستسلمى وتتركينى أذهب ، انت لن تتحملى ذلك ٠ وكانت تجيب بانفعال انهـا يمكن أن تتحمل أى شىء ماعدا

---

(٣٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 71 (Fontana).

(٣٧) S. Kierkegaard, Stages on Life Way P. 30 Eng. Trans. by Walter, Lowrie.

فراقى . (٣٨)كذلك حاولت أن أعطى الانطباع بانها هى التى فسخت الخطوبة حتى أجنبها القيل والقال لكنها رفضت قائلة أن كنت سأتحمل الأولى ( أى فسخ الخطوبة ) فسوف أتحمل هذه أيضا ، ثم قالت بطريقة لا تخلو من نغمة سقراطية انه فى حضورها فلن يجرؤ أحد أن يتفوه بكلمة أما مايقوله الناس فى غيابها فهى لا تكترث به .

انها لحظة عذاب مرعب أن تكون على هذا النحو من القسوة وعلى هذا القدر من الحب فى وقت واحد كما فعلت أنا . لقد ناضلت كما تناضل اللبؤة ، ولو لم أكن مؤمنا بأن الله هو الذى أصدر قرار الرفض Veto لكانت قد انتصرت .. (٣٩) .

وهو يروى أنه عندما تركها كان محطم النفس فلم يستطع أن يعود الى منزله لأنه كان بحاجة ماسة الى شخص يحادثه ، ولما لم يكن له سوى صديق واحد هو « اميل بويزن » الذى كان موجودا فى المسرح وقتها ، فقد اتجه كيركجور الى هناك ليقابله . ولقد كانت هذه القصة مدار حديث الناس وسخريتهم فى كوبنهاجن تلك المدينة الصغيرة التى كان يعرف فيها كل شىء أولا بأول ، ولقد تندر الناس عليه مما آلمه ألما فظيعا عندما صوروا « خسته » فى الطريقة التى فسخ بها الخطوبة بانه ذهب الى والدها فى المنزل وأخبره أنه يريد فسخ خطوبته لابنته ، ثم أخرج ساعته من جيب سترته ، ونظر فيها وهو يقول لأسرة الفتاة : هل لديكم شيئا تريدون اضافته ؟ ! فانا على عجل وأريد أن أذهب الى المسرح ! » ولندعه يكمل القصة :

« عندما تركتها ذهبت مباشرة الى المسرح لانى كنت أريد أن اقابل صديقى اميل بويزن Emil Boesen ( وهذا هو السبب الذى من أجله شاعت اقاويل الناس فى كوبنهاجن تقول اننى نظرت فى ساعتى وسألت أسرتها عما اذا كانوا يريدون شيئا أكثر من ذلك ، أو اذا كان فى ذهنهم شىء يريدون أن يقولوه فليتفضلوا بسرعة لأنى ذاهب الى المسرح ) ..

---

(٣٨) كانت دائما تقول له انها سوف تموت اذا تركها وقد عاشت بعده نصف قرن فقد ماتت فى مارس ١٩٠٤ عن عمر يناهز الثانية والثمانين !

(٣٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 72 - 3.

« وجـــاءنى المستشـــار أولسن وقال : هل يمكن أن أتحدث معك قليلا ؟ ··· وذهبنـا سويا الى منزله · وقال لى الرجل سوف يكون فى ابتعادك عنها موتها انها فى يأس كامل ، فأجبته سوف أذهب وأخفف عنها ، لكن كل شيء انتهى · فقال أنا رجـل يحترم نفسه ، وقد يصعب على ان أقول لك لاتفسخ خطبتك لابنتى ، لكنى أرجوك ألا تتركها ولقد كان بالفعـل رجـلا نبيلا طيب القلب ، ولقـد تأثرت بكلامه تأثرا عميقا ، لكنى لم أترك نفسى تنزلق مع حديثه بحيث يقنعنى ، وبقيت مع الاسرة حتى العشاء ·

« وفى صبيحة اليوم التالى تلقيت منه رسالة يقول لى فيها ان ابنته لم تنم طول الليل ، ويطلب منى أن أذهب لأراها ، وذهبت وحاولت اقناعها لكنها سألتنى : ألن تتزوج أبدا ؟ وأجبت : أجل ! ربما فى خـــلال عشر سنوات عندما أنغمس فى حماقات الشباب وشهواته ، عندئذ سوف أحتاج الى فتاة صغيرة والى دماء شابة تجدد لى شبابى ! ولقد كانت تلك قسوة ضرورية · عندئذ قالت لى : « سامحنى فيما سببته لك من ألم » وأجبت : « انى أنا الذى ينبغى أن أطلب منك الغفران والسماح » · فقالت « عدنى أن تفكر فى » فوعدتها فقالت : « قبلنى » ففعلت بلا عاطفة !

« وهكذا افترقنا حيث قضيت الليل كله انتحب فى فراشى ·· وعندما أخبرنى شقيقى أنه يريد الذهاب الى أسرتها ليبين لهم اننى لم أكن نذلا ، أجبته : « لوذهبت الى هناك فسوف أقتلك برصاصة ·· » · وسافرت الى برلين وعانيت كثيرا اذ كنت أفكر فيها كل يوم(٤٠) ·· »·

والغريب أنه وسط هذه الأحداث جميعا كان يعمل بهمة ونشاط فى رسالة الماجستير « مفهوم التهكـم » التى ناقشها يوم ٢٩ سبتمبر ١٨٤١ واستغرقت المناقشة سبع ساعات وأحدثت هزة كبيرة فى المدينة لما فيها من براعة ومقدرة نقدية جعلته أستاذا للتهكم » من ناحية ، ولأنها كانت من ناحية أخرى أول رسالة تكتب باللغة الدانماركية وليست باللغة اللاتينية كما جرى العرف فى ذلك الحين ·

وبعد أن أنهى الخطوبة ســـــافر الى برلين فى ٢٥ أكتوبر ١٨٤١

---

(٤٠) S. Kierkegaard: The Journals, P. 73.

ليستكمل دراسته هناك فكان يستمع الى محاضرات شلنج ، ويستمتع بما يقوله عن « علاقة الفلسفة بالواقع » وارتباطها به وهو أثناء ذلك يفكر فى ريجينا التى لم يتخل قط عن التفكير فيها ، ولم يتوقف عن الاعتقاد بأنها ترتبط به وأن العلاقة لم تنته ، فهى له دوما ، حتى عندما تزوجت بعد ذلك بعامين اعتقد أن شليجل « استعارها » منه فحسب !

كان الشخص الوحيد الذى يراسله كيركجور وهو فى برلين صديقه « اميل بويزن » الذى كتب له عدة رسائل أربكته هو نفسه ، لأنها تضمنت تعليمات تفصيلية للطريقة التى يريده بها أن يتجسس على ريجينا محددا الأوقات التى يمكن أن يلتقى بها وفى أماكن محددة من مدينة كوبنهاجن ، معطيا اياه تعليمات دقيقة بأنه لايريد أن تشك ريجينا أدنى شك فى أنه لايزال مهتما بها ، وهو فى نفس الخطابات يقول لبوزن انه لايثق فى أنه سيقوم بهذه المهمة ٠ ! والحق أن الخطابات كانت مضطربة للغاية كما كانت تصـــور الحالة الذهنية التى كان يعانى منها ٠

ولقد عرف من ردود بوزين أن ريجينا بدأت تكرهه ولقد جعله ذلك يفكر فى الحال فى خطة جديدة تصل بالمسألة الى نهايتها ، فقد سمع فى برلين عن مغنية تدعى هدفج شولتسه ٠٠ Hedwig Schulze تقوم بتمثيل دور الفرا Elvira فى أوبرا موتسارت « دون جيوفانى » Don Giovanni وكانت هذه المغنية تذكره فى ملامحها العامة « بريجينا » فطرأت على ذهنه فى الحال نشر اشاعة بأنه على علاقة بهذه المرأة ، ولقد فعل ذلك بطريقته غير المباشرة المعتادة بأن دس فى خطاب من خطاباته لبوزن ورقة صغيرة كتب فيها مايلى :

« أما بالنسبة للزواج فليس لدى وقت للتفكير فيه ، وعلى أية حال فهنا فى برلين مغنية من فينا Vienna هى الآنسة شولتسه Schulze التى تمثل دور الفرا Elvira وهى تقوم بدورهـــا ، وسوف أحـــاول الاقتراب منها والاتصال بها ، ولن يكون الاتصال لاغراض شريفة تماما ، فالمغنيات يسهل على المرء أن ينالهن ، فضلا عن أنهـــا تشبهها ٠٠ وهى

---

(٤١) قارن مايقوله عن هذه المغنية فى اليوميات ص ٧٧ ــ ٧٨ من طبعة فونتانا ٠

تسكن فى مسكن مجاور لى ··· وانني على أية حال لأرجو ألا تذكر شيئا على الاطلاق لأى شخص عن هذه المغنية ، ولا حتى أنها تقوم بتمثيل أحد الأدوار فى أوابر موتسارت » · وتكررت الاشارة نفسها فى اليوم التالى فى خطاب آخر ، وكان « بوزن » قد اعتاد على أمثال هذه المواقف فكثيرا ما شاهد كيركجور وسط الأصدقاء يصف مشاهد جنسية ومواقف شهوانية بخيال متوهج مثير ، لكنه كان يعلم أن ذلك كله لم يكن سوى خيال فحسب ، ولم يكن ثمة حاجة لأن يقول ذلك · لكنه فى حالة الخطابات لم يكن يفهم مقصد كيركجور ولم يكن ينظر الى الخطابات الا على أنها تشير الى حالته الذهنية والعصبية فحسب ومن ثم لم يكن يتردد فى روايتها للآخرين وهذا بالضبط ما كان يريده كيركجور ، فقد كان يتمنى لوسمعت ريجينا بعض هذه القصص ! وان كنا لانستطيع أن نجزم أنها وصلت اليها فعلا ·

عاد كيركجور من برلين فى مارس ١٨٤٢(٤٢) ، وانهمك فى التأليف حيث أصدر فى العام التالى ـ أى بعد عام ونصف من فسخ الخطوبة ـ كتابه الضخم « اما ·· أو » فى مجلدين صدرا فى فبراير ١٨٤٣ ، وبعد أشهر قليلة من نفس العام ظهر « الخوف والقشعريرة » ، ثم « التكرار » فى يوم واحد ١٦ اكتوبر عام ١٨٤٣ ، وواضح فى المؤلفات أنه لايزال يحب ريجينا ، وأنه كتب بعضها « كالخوف والقشعريرة » مثلا ليكون بمثابة رسالة غير مباشرة موجهة اليها · والحق أن المرء ليعجب من هذا الرجل الذى تلح عليه خطيبته ألا يتركها وتتوسل اليه بكل عزيز ، وتفعل أسرتها الشىء نفسه ، لكنه يصر على الرفض ـ ومع ذلك يكتب فى يومياته : « الشىء الوحيد الذى يعزينى أننى أستطيع أن أرقد لأموت وأعترف ساعة وفاتى بذلك الحب الذى لم أستطع ان أعترف به طوال حياتى ، وهو الذى جعلنى سعيدا وشقيا بدرجة واحدة » · (٤٣) ·

وفى هذه الكتب ـ وغيرها كالمراحل مثلا ـ يعرض كيركجور لهذه

---

(٤٢) كان فى نيته أن يبقى فى برلين عاما ونصف ، لكنه مكث ستة أشهر فقط ، قارن مايقوله فى اليوميات : ص ٧٤ ( طبعة فونتانا )

(٤٣) Quoted by R. Heiss: Hegel, Kierkgaard and Marx P. 219 A Delta Book 1975 (Eng. trans by E. Garside).

القصة الغريبة ويصرها بطرق شتى : ففى كتابه « اما ـ أو » يتخذ كيركجور صورة أنتيجونا Antigone ابنة أوديب فى القصة اليونانية القديمة ، ويدخل فى القصة علاقته بأبيه التى لم تنفصل فى ذهنه قط عن علاقته هو بريجينا ، وهو يتخيل أن انتيجونا اكتشفت السر فى حياة أوديب وهو أنه قتل أباه وتزوج أمه ، وأنها هى نفسها ( انتيجونا ) كانت ثمرة لهذا الزواج لكنها لم تجرؤ أن تفاتح والدها فى هـذه القصـة ولم تكن تدرى ما اذا كان هو نفسه يعرف هذا السـر بل ان أوديب مات دون أن تتأكد من معرفته بذلك ، ثم أحبت شابا أراد أن يتزوجها ، وعلى الرغم من أنها أحبته حبا عميقا فانها لم تستطع أن توافق على الزواج منه ، اذ كيف يمكن أن تكون زوجته ولا تطلعه على ماتحمله من أسرار ؟ • كيف يمكن أن تخفى عن زوجها أنها ملزمة بواجب البنوة نحو والدها المتوفى ، وهكذا بدأ الصراع يشتد بداخلها وهو نفس الصراع الذى مزق حياة كيركجور بين حبه لأبيه ولأسراره من ناحية وحبه لريجينا من ناحية أخرى ، ويشرح كيركجور موقف أنتيجونا الذى تخيله على أنه موقفه هو على النحو التالى :

« لقد كان التعارض حقيقيا بين حبها لوالدها وحبهـا لنفسها ، وعما اذا كان حبها أكبر من أن تضحى به • والجانب الآخـر فى التعارض هو حبها لحبيبها • الذى يعرف أنها تحبه لكن موقفها الكتوم حيره ، فلاحظ انه لابد أن تكون هناك عقبات أو مشكلات كبيرة ، وكان كل همه أن يقنعها بمدى حبه ، وأن يقنعها أن حياته سوف تنتهى اذا ما اضطر للتخلى عنها •• وكل ما كان يقوله لها كان يزيد من عذابها وآلامها ، وهى لن تجد السكينة الا فى الموت الذى سيضع حدا لهذا المصير السىء • وفى اللحظة التى تموت فيها سوف تعترف له بما تحمله من حب عميق ، أو أنها لن تعترف بانتمائها اليه الا فى اللحظة التى لن تنتمى فيها اليه • » • (٤٤) •

واذا كان كيركجور يروى القصـة هنـا ممتزجة بالأساطير اليونانية بحيث تقوم انتجونا بدوره وتهدم حياتها مبقية على سرها مع أبيها ، فانه يروى القصة من منظور دينى فى « الخوف والقشعريرة » الذى يبدأ بأربع فقرات تكرر نفس القصة : قصة رحلة ابراهيم وولده اسحق الى جبل المريا

(٤٤) S. Kierkegaard: Either..or Vol. 1, P. 161 - 162.

تنفيذا لأمر الهى ، ويبدو أن كيركجور قد سمع هذه القصة فى طفولته وتأثر بها يقول فى افتتاحية الكتاب « حدث ذات يوم أن كان هناك انسان سمع وهو طفل صغير القصة الجميلة عن امتحان الله لابراهيم ، وكيف تحمل ابراهيم هذا الامتحان محتفظا بايمانه وكيف استرد ولده مرة أخرى على عكس ما كان يتوقع ، وعندما كبر الطفل قرأ نفس القصة باعجاب شديد .. » . (٤٥) .

ثم يروى كيركجور القصة التى رواها العهد القديم وكيف امتحن الله ابراهيم وقال له : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى أرض المريا فاصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك »(٤٦) وهو يصور الموقف على نحو يلخص فيه قصة حبه لريجينا وكيف انه كان « ابراهيم » فارس الايمان الذى يمكن أن يضحى بأى شىء مهما يكن عزيزا امتثالا لأمر الهى ، ويعرض توسلات اسحق لابيه على نحو يذكرنا بتوسلات ريجينا ، وكما أنه حاول خداعها حتى تظن أنه « وغد » كذلك حاول ابراهيم أن يصور الموقف لولده على أنه « رجل وثنى » وأنه يفعل مايفعل تلبية لشهوة عنده وليس امتثالا لأى أمر الهى ( حيث أن الأمر الالهى غير مفهوم ، ولا معقول absurd ومن ثم أراد اخفاءه عن ابنه ) . وسوف نكتفى هنا باقتباس الفقرة الأولى من الفقرات الأربع التى يعرض فيها كيركجور الموقف بصور مختلفة يقول :

« كان ذلك فى الصباح الباكر حين استيقظ ابراهيم من نومه مبكرا وسرج دابته ، وغادر خيمته ومعه اسحق وكانت سارة تنظر اليهما من النافذة حتى عبر الوادى وغابا عن البصر (٤٧)وظلا راكبين دابتهما فى صمت ثلاثة أيام . وفى صباح اليوم الرابع لم يتفوه ابراهيم بكلمة واحدة ،

---

(٤٥) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 26.

(٤٦) سفر التكوين اصحاح ٢٢ : ١ ـ ٢

(٤٧) قارن القصة بالتفصيل من سفر يهوديت الاصحاح العاشر عدد ١١ وهو السفر الذى يقتبس منه كيركجور الفكرة كلها ، لكنه أحد الاسفار المحذوفة .

لكنه رفع عينيه ورأى جبل المريا أمامه من بعيد ، فترك الخدم وراءه وصعد الجبل وحده ومعه اسحق . وقال ابراهيم لنفسه ، « لن أخفى عن اسحق المصير الذى ينتظره فى هذه الرحلة » . ووقف ساكنا ثم وضع يده على رأس اسحق بباركه ،وأحنى الغلام رأسه ليتقبل البركة وكان وجه ابراهيم ممتلئا أبوه ، رقيق المنظر ، كما كان حديثه مشجعا .. لكن اسحق لم يفهمه ، وصعدا جبل المريا ، ثم استدار لحظة ، وحين رأى اسحق وجه أبيه من جديد كان قد تغير ، نظرته الرقيقة انقلبت الى نظرة وحشية وغدا منظره مرعبا ، وأمسك الغلام من كتفه وطرحه أرضا وهو يقول : « ايها الغلام الأحمق اتظننى أباك ؟ لا ! اننى رجل وثنى . أتظن أن ذلك أمر الله ؟ كلا ! بل تلك هى مشيئتى أنا » عندئذ ارتعد اسحق وصرخ فى رعب متوسلا .. لكن ابراهيم قال لنفسه هامسا أشكرك ياآله السموات ، فانه لمن الخير أن يعتقد انى وحش مفترس من يفقد ايمانه بك » (٤٨) .

والمعنى المزدوج هنا واضح : فابراهيم هو فى آن معا الأب الذى يقدم ابنه قربانا وهو أيضا كيركجور الذى يضحى بريجينا . وكما قال الله لابراهيم : « خذ ابنك وحيدك الى أرض المريا الخ » قال أيضا لكيركجور : « ضح بمن تحب ، بأغلى شىء فى الدنيا ، واتجه الى أرض المريا الى الحب المطلق بالضحية المطلوبة . » ، وهكذا مر كيركجور مع ريجينا بهذا الطريق الطويل الشاق ، متابعا رسالته ، محاولا أن يسود صورته أمام محبوبته لكن الفارق شاسع : فقد كان ابراهيم « فارس الايمان » ثابتا صامدا لا يتزعزع ، كان مؤمنا عن يقين أنه فى اللحظة الحاسمة التى يهم فيها بذبح ابنه فلن يخذله الله ، وبالفعل قدم له الملاك كبشا ليقدمه قربانا بدلا من ابنه ، فتضاعفت سعادة ابراهيم عندما وهبه الله من جديد ما كان على وشك أن يفقده ، أما هو فلم يصمد كما صمد أبو الايمان : « لو كان عندى ايمان لبقيت الى جانب ريجينا ، شكرا لله ، وليتمجد اسمه ! اننى أعرف ذلك الآن : لقد كنت على وشك الجنون فى تلك الأيام ، لكنى أستطيع أن أقول اننى تصرفت نحوها تصرفا سليما من الناحية الانسانية ..(٤٩) .

---

(٤٨) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 27.

(٤٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 121.

لم يعاود كيركجور رواية القصة فى نفس الكتاب « الخوف والقشعريرة » ـ بصور متعددة مرة فى صورة النبؤة التى رواها أرسطو فى كتابه « فن الشعر » ( الكتاب الثامن فقرة ٥ ) ـ حيث روى قصة اضطرابات سياسية فى دلفى وعندما قالت الكاهنة لشاب على وشك الزواج أن اتمام زفافه سوف يعقبه شقاء كبير غير الشاب خطته فجأة وفى اللحظة الحاسمة ٠

فهل يكشف عن هذا السر أم يصمت ؟(٥٠)٠ ثم فى صورة ثالثة رواها سفر طوبيت Book of Tobit (٥١)عن فتاة صغيرة اسمها « سارة » أحبها « جنى » كان يذبح فى ليلة الزفاف جميع الازواج الذين يحاولون الزواج منها وحدث ذلك سبع مرات ، ولقد أحبها « طوبيت Tobit » وقرر أن يقوم بالمغامرة ، وقد نجا عندما اتبع نصيحة الملاك ، وان كان كيركجور يروى القصة بتصرف شديد فيحذف الزيجات السبع السابقة ويجعل من « طوبيت » أول المغامرين ، ثم هو على العكس يجعل من سارة وليس طوبيت البطل ويسرف فى الثناء عليها(٥٢) ٠

وروى القصة فى صورة رابعة فى نفس الكتاب عن الحورية وعروس البحر ٠٠ الخ(٥٣) ٠ ويقول ولتر لورى : « لقد روى كيركجور القصة بنفسه مرارا وتكرارا ، وفى استطاعة المرء الآن أن يقرأها فى ٣٨ تدونية فى اليوميات التى ترجمها الى الانجليزية الكسندر درو A. Dru ، ويستطيع القارىء أيضا أن يطالعها فى كتب « التكرار » ، و « الخوف والقشعريرة » ، وعلى نحو مطول فى يوميات فلان Quidam's Diary فى كتابه مراحل على طريق الحياة (٥٤) ٠٠٠

---

(٥٠) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 98.

(٥١) أيضا من الاسفار المحذوفة ٠

(٥٢) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 111 - 114.

(٥٣) Ibid.

(٥٤) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 192 and A Short Life P. 136 - 137.

وفى اعتقادنا أننا روينــا مايكفى من « الصور » لتوضيــح ماأراد كيركجور أن يقوله سواء من الناحية الدينية أو الأدبية أو الاسطورية ٠٠ الخ وقد بقى الآن أن نقف قليلا عند تفسير هذه القصة الغريبة التى قال عنهـا « لورى » Lowrie : « مالم تذكر قصة حب كيركجور وريجينا فى التاريخ جنبا الى جنب مع قصة دانتى وبياترس Dante and Beatrice وبترارك ولورا Petrack and Laura وأبيلارد وهلويز Abelard and Heloise فانها على أقل تقدير لابد أن توضح عاليا فى مصاف القصص الرومانتيكى مثل قصة دين سويفت وستلا Dean Swift and Stella (٥٥) ٠

لوتساءلنا ماهى الاسبـاب الكـامنة وراء فسخ كيركجور لـهذه الخطوبة ، لوجدنا تفسيرات كثيرة لـهذا الموضوع « اللغز » ، وان كان بعض الباحثين من أمثال « روبرت هيس ٠٠ R. Heiss » يذهبون الى أننا لن نستطيع حل هذا اللغز « : يبدو من المستحيل أن نصل الى جذور الاسباب التى أدت الى فسخ الخطوبة ، أو الدوافع الخفيـة التى جعلت كيركجور يقدم على مثل هذا التصرف ، فمن الواضح أنه بهذه الخطـوة اتخذ قرارا نهائيا ، غير أن فسخ الخطوبة مع ريجينـا كان يحمـل عند كيركجور طابع الفسخ الواضح للعلاقة مع الواقع الفعلى(٥٦) ٠٠

ويتسـائل باحث آخر : ألم يكن فسخ الخطوبة لـونا من « ضيق الأفق » ، أو الحمـاس الزائد « ، أو التسرع والاندفـاع الذى تميزت به طبيعة كيركجور ٠٠ ؟ فقد كان ذلك موقفه من الأحداث الكبرى التى وقعت فى حياته ، فقد اندفع متسرعا الى فسخ الخطوبة ، كما انـدفع فى مهاجمة صحيفة القرصان محطما خلال هذا الهجوم الحياة الاكاديميـة لاحـدى الشخصيات البارزة التى ساهمت فى تحرير هذه الصحيفة وهوب ٠ ل ٠ موللر P. L. Moller ساخرا من جروندفيج Grundtvig ٠٠ الخ(٥٧) ويشير آخرون الى أنه رفض الزواج لأنه خشى أن يفرض على تلك الفتاة الرقيقة معاشرة رجل غريب الاطوار ! ويشير باحثون من أمثال Vetter

(٥٥) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 191.

(٥٦) R. Heiss: Hegel, Kierkegaard and Marx P. 220

(٥٧) Vincent A. McCarthy: Psycho. logical Fragments P. 241 (Note 8) in Kierkegaard's Truth.

الى مرض كيركجور ، وكيف كان الشلل يهاجمه على فترات متقــاربة ، كذلك التهاب نخاعه الشوكى لسقوطه من فوق شجرة وهو طفل صغير ، وقد جاء فى تقرير مستشفى فردريك فيمـــا بعد أنه تسبب فى موتــه • ويؤكد رازموسن Rasmussen أن كيركجور كان مصابا بالصرع : « مثل المسيح وقيصر ونابليون ، فهو فيلسوف الصرع وشارحه الأكبر »(٥٨) ••

لكن قبل ذلك كله ما هو تفسير كيركجور نفسه لـــهذا الموضــوع ؟ نستطيع أن نشير الى أربعة أسباب يذكرها كيركجـــور متفرقة فى كتبــه ويومياته • وربما لخصتها عبارته الجامعة الشهيرة التى عرض فيهـــا للاسباب التى منعته من اشراك ريجينـــا فى أسراره الخـــاصة يقــول : « لو كنت قد فسرت لها نفسى ، اذن لأشركتها فى أمور مرعبة : علاقتى بأبى ومزاجه السوداوى ، والليل الأبدى الذى يعوى داخــل نفسى ، وضلالى وانحرافى ، وشهواتى وافراطى ،وربما لم تكن الأخيرة على هذه الدرجة من الرعب فى عين الله ، لــكن القلق هو الذى قادنى الى الانفراط(٥٩) وجانب على الأقل من فسخ خطوبته لريجينا يرجع الى أنه اشراكها فى هذا التراث(٦٠) الذى يمكن أن يتخلص فيما يلى :

١ ـ علاقته بأبيه •

٢ ـ الاكتئاب الذى يعانى منه •

٣ ـ حياته الماضية وما فيها من ضلال وانحراف أيام الشباب نتيجة للقلق •

٤ ـ شعوره بأن مهمته فى هذه الدنيا « روحية » وأن عليه أن يقوم برسالة دينية كالمسيح والقديس بولس ومن ثم فلابد أن يكون مثلهما عازبا • وسوف نتحدث عن هذه المبررات بايجاز :

---

(٥٨) راجع فى ذلك كله كتــاب جان ڤال : « دراسات كيركجوردية ص ١١ حاشية ١ •

(٥٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 87 (Fontana).

(٦٠) James Collins: Kierkegaard's Imagery of the Self P. 72 (in Kierkegaard's Truth - Yale University Press 1981).

**أولا :** كثيرا مايشير كيركجور الى أن علاقته بأبيه تقف حائلا بينه وبين الزواج ، ذلك لأنه مثل انتيجونا ( التى خلقها بخيـاله وكان يسميهـا أنتيجونتى ! ) التى أكتشفت سر أبيها ـ اما أن يطلع زوجته على مايعرف عن أبيه من أسرار ، واما أن يكون زوجا غير أمين أو غير مخلص لزوجته وهو مالا يقبله ولا يرضاه لنفسه · لكنه من ناحية أخـرى كيف يطلع « ريجينا » على هذه الأمور المرعبة ؟ كيف يقول لها ان أباه سب الله وهو طفل صغير ؟ وأنه لهذا السبب انتظر طوال حياته أن ينال جزاءه فى ذريته التى شهدها وهى تموت واحدا اثر الآخر ؟ بل تخطى العقاب أفراد الاسرة الى الاسر التى تجرؤ على مصاهرتهم : فكثيرا ما ماتت زوجات لا لشىء الا لأنهن قبلن الزواج من أنجال ميخائيل كيركجور ؟ ولهذا كثيرا ما كان يقول انه اذا كان الانسان يولد ومعه خطيئة آدم ، فان أبناء ميخائيل كيركجور يولدون ومعهم خطيئتين : خطيئة آدم وخطيئة أبيهم !

ثم كيف يطلع « ريجينا » على مزاج أبيه السوداوى وكيف يشرح لها ما كان يعانى منه من حزن وهـم واكتئاب وقلق وهواجس وأضطراب ، واحساس بالذنب وانتظار للعقاب ؟ ! ثم أفرض أنه شرح لها ذلك كله فهل تستطيع أن تفهمه وتتعقله ؟

**ثانيا :** ويرتبط بهـذا الأكتئاب والمزاج السوداوى عنـد الأب ، نفس هـذا المزاج عند الابن بل اشد منه ـ فكيف يستطيع أن يقول لها انه رجل غريب الأطوار ؟ وهل تستطيع أن تفهمه لو قال لها : « نظرتى الى الحياة لامعنى لها على الاطلاق ! ويبدو لى أن هناك روحا شريرا وضعت فوق أنفى منظارا احدىعدساته تكبر الاشياء على نحو مخيف، والأخرى تصغر الاشياء بنفس الدرجة ·· » ؟(٦١) وهل تستطيع أن تفهمه لوروى لهـا كيف قضى ليـال طويلة ينتحب فى فراشه ؟ هل تصدق أنه يشعر عن يقين أنه سوف يموت فى الرابعة والثلاثين وأن تلك هى السن التى لايتجاوزها أفراد الاسـرة ؟ هل تفهم أنه يصارع مزاجا سوداويا عميقا ، وأنه يعانى من آلام الضمير ، وهل تغفر له لوجرها معه فى هذا التيار المضطرب ·· ؟ ! هل تغفر له لو أطلعها على أنه فكر مرات كثيرة فى الانتحار ، وأنه أوشك على الجنون ؟

---

(٦١) S. Kierkegaard : "Either..or" Vol. 1, P. 25.

وأن النيران كثيرا ماتندلع داخل نفسه دون أن يكون فى استطاعته التخلص منها ؟ ، أضف الى ذلك كله ما كان يعانى منه من صحة سقيمة ، وجسد شائه بشع المنظر ، لم يكن هو نفسه يتحمله فاضطر أن يقبله على مضض ولم يملك سوى السخرية منه : « عدم التناسب فى تكوينى الجسمى يرجع الى أن قوائمى الأمامية قصيرة أكثر مما ينبغى فانا مثل حيوان الكنجارو Kangaroo ٠٠ »(٦٢) واذا كان هـذا التكوين الشائه يزيد من سوداوتيه واكتئابه وتقوقعه على نفسه فهل تستطيع ريجينا أن تتحمله ؟

**ثالثا** : كثيرا مايتحدث كيركجور عن عقبة منعته من الزواج ويطلق عليها اسم : « حياتى المـاضية » Vita Ante Acta « مشيرا بذلك الى مايسمى » بفترة الضياع » التى أراد فيها من الشيطان أن يطلعه على كل رجس ! وكيف انه حاول فى الفترة أن يشارك فى متع الشبـاب ، وكيف قاده « القلق » الى الضلال والافراط ، والمقصود بالقلق « القلق الجنسى » على وجه التحديد وليس القلق بصفة عامة ٠

والحق أن كيركجور يروى فى يومياته تحت عنوان « امكانية A Possibility قصة نعتقد أنها خيالية ترتبط بشبابه حول كاتب حسابات قاده بعض أصدقائه الى الضلال ، فزار بيتا من بيوت الدعارة ، وفى حالة هياج وسكر شديدين لايدرى ماذا حدث على وجه الدقة سوى أنه استقيظ فى اليوم التالى وقد علق فى ذهنه انه ارتكب خطأما ، وكانت هذه الذكرى تستيقظ بداخلة فى فترات مرضه وتتخذ شكل الوساوس وتأنيب الضمير حـول « امكانية » أن يكون قد وهب العالم طفلا ٠ حتى انه كان يتلفت حوله اذا ماتجول فى الشوارع فينظر الى الأطفال الذين يلتقى بهم ويتفحصهم مليا لعله يجد « طفله » بينهم ، دون أن تكون لديه أية طريقة ليتأكد بها من صحة الفكرة ، وعما اذا كانت تصور ذكرى « حادثة حقيقية » أم أنها ليست سوى نتيجة لمرضه فحسب ٠ كتب فى يومياته يقول : فى شبابه المبكر ترك رجل نفسه ذات مرة تسيطر عليه حالة من الهياج والسكر الشديدين فضـاجع بغيا ، ثم نسى الأمر كله بعد ذلك ٠ وهو الآن يريد أن يتزوج عندئذ يأتى

---

(٦٢) S. Kierkegaard : "Either..or" Vol. 1, P. 35.

القلق : امكانية أن يكون أبا · فقد يكون هناك فى مكان ما من هذا العالم مخلوق مدين له بالوجود كما يدين له بما يعانيه من آلام ليل نهار ، وهو لايستطيع أن يثق فى أحد · وليست لديه ثقة كاملة بالواقعة ، فقد يكون اندفع فى طيش الشباب مع احدى البغايا فى حالة حب أو غواية حقيقة ·· وجهله هو على وجه الدقة هو العنصر المقلق فى عذابه(٦٣) ··

أيكون ذلك هو السبب فى عدم اقدامه على اتمام الزواج من ريجينا ؟ الحق أنه باستمرار يشير الى غلطة ارتكبهـــا ، وهو على وشك الاعتراف « بسر » يحتفظ به بين جنباته ، فأحيانا يوحى بأنه سيتكلم : « انفجر الدمل وظهر خلفه النشاط الحى للغاية ، وتلك على وجه الدقة اللحظة التى أحتاج اليها(٦٤) « وأيضا »» لقد تغير وجودى كله ولم أعد منغلقا على نفسى : انكسر القيد وسوف أتكلم ، لقد أعطانى الله القادر على كل شىء النعمة·· لكنه يعود بعد أيام الى الاحتفاظ بســره : « كلا ، كلا ! صمتى وســرى لايتحطمان(٦٥) ويعبر فى كتابه « مفهوم القلق » عن السبب فى الاحتفــاظ بالسر فيقول : « قد يكون السر على درجة كبيرة من الرعب حتى أن صاحبه الذى يطويه بين جنباته لايستطيــع أن يتحدث عنــه : لا الى نفسه ولا الى غيره من الناس ، لأنه فى هذه الحالة سيكون كمن يرتكب خطيئة جديدة فحين يرتكب المرء أمرا مرعبا فانه لايكون ملكا لنفسه بعد ذلك·(٦٦) ويقول « هولنبرج » اننا يمكن أن نضيف مشكله مترتبة على هذه « الامكانية » التى تخيلها كيركجور : فربما اعتقد « أن انزلاقه قد يكتشف ، وقد يمنعه ذلك من أن يصبح قسيسا بعد أن يكون قد كون أسرة ، وربما يكون قد شعر لهذا السبب أن عليه ان يتخلى عنها · لقد كانت ثروته كافية ليعيش عليهـــا ، نكنها لم تكن لتكفيه لو أراد تكوين أسرة : أن تكون له زوجة وأولاد · ولو أنه تزوج من ريجينا لكان عليه أن يبحث عن وظيفة يعيش من دخلها ولم يكن

---

(٦٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 133 Eng. Trans. by A. Dru (Oxford).

(٦٤) J. Wahl : Etudes, P. 34 (Note 1).

(٦٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 137 (Fontana) & 235 (Oxford).

(٦٦) S. Kierkegaard: The Concept of Dread P.

لديه سوى وظيفة القسيس أو المدرس ليختار بينهما(٦٧) ..

وان كنا نعتقد أن هذا التفسير بعيد الاحتمال . حقا كان كيركجور يشعر أنه يحمل مجموعة كبيرة من الاسرار « المرعبة » التى لايستطيع أن يبوح بها لريجينا ومنهاهذه الغلطة المتخيلة أنه : أصبح أبا دون أن يدرى فكيف يمكن أن يطلع ريجينا على هذه الأمور ؟ ثم كيف يمكن أن « يخفى » عليها شيئا اذا ماتزوجها ، ألا يتطلب الزواج قدرا ولو ضئيلا من « الامانة » ؟ وهو الذى ظل طوال حياته يطلب الأمانة ويقول « حيثما تكون الأمانة أكون » . ان الزواج لاينتهى أمره بمجرد التوقيع على عقد الزواج والا لكان أشبه « بالمزاد العلنى » ـ يقول :

« لا يصح فى حالة الزواج أن تكون المسائل كما هى فى حالة المزاد العلنى ، بحيث يفهم أن كل شىء قد انتهى وتم بيعه بمجرد ماتهبط المطرقة ! اذ لابد أن يوجد فى الزواج قدر ولو قليل من الأمانة . وهنا أيضا تتضح شهامتى فما لم أكن قد احترمتها بوصفها زوجتى المقبلة .. لكنت قد لزمت الصمت وحققت رغبتها ورغبتى وتزوجتها(٦٨) ... وسوف نرجىء مناقشة هذا المبرر الثالث الآن لأننا سوف نعود اليه بعد قليل .

**رابعا** : أما المبرر الرابعوهو « النداء الدينى » الذى كان يلح عليه فى وطأة ضاغطة(٦٩) ، والذى كان يظهر بصفة خاصة مع كل خطوة يقدم فيها على الاتصال بالمرأة ، فهو ظاهر منذ بداية علاقته بالنساء عموما ، وليس مع ريجينا وحدها ، ففى اليوم الذى قرر فيه أن يذهب الى آل « روردام » ليفاتح « بوليت » فى أمر حبه لها ، : « وجد أن ملاك الرب واقف فى طريقى حائلا على نحو مايحول دائما بينى وبين كل **فتاة بريئة** شاهرا سيفا من نار .. ! »(٧٠) وما حدث مع « بوليت » حدث أيضا مع « ريجينا » « .. » لقد كانت تناضل كاللبؤة ولو لم أكن أعتقد عن يقين أن الله يعترض

---

(٦٧) J. Hohlenberg: op. cit. P. 95.

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 121 - 122 (Oxford) and (Fontana) P. 87.

(٦٩) قارن أيضا قصة « النداء الدينى » د . عبد الرحمن بدوى فى كتابه دراسات فى الفلسفة الوجودية .

(٧٠) S. Kierkegaard: The Journals, P. 54 - 55 (Fontana).

بقوة لكانت قد انتصرت(٧١) ·· » · وكتب بعد فسخ الخطوبة بحوالى عام ونصف يقول : « بدأت محبا وانتهيت موجها للضمير لن أجعل أبدا مما هو مقدس خادما لحبى ·· » ( يوميات ١٨٤٣ ) · صحيح أنه يقول « أنا مخلص الى الأبد ·· » ( عام ١٨٤١ ) وأن نيته كانت سليمة ، وأنه احتفظ بحبه نقيا ، وأنه لم يخنها ولا كرهها حتى بعد الانفصال : « فمنذ ذلك اليوم ، لايمر يوم واحد دون أن أفكر فيها صباح مساء ( ١٨٤٦ ) لكن هذا الحب العنيف لريجينا كان يتخذ فى كثير من الأحيان طابع « الحب الروحى » « أو الحب الصوفى » ، الذىيتغزل فيه صاحبه فى « الذات الالهية » اعنى فى الفكر المطلق غير المتعين ومن هنا نراه يفكر فى « الفتاة الصغيرة » بصفة عامة ، ويميل الى الجمال باطلاق ! حتى أنه يدون عبارات فى يومياته يتغزل فيها فى جمال « ريجينا » تذكرنا بما يقوله « ابن الفارض » وهو يتغزل فى جمال الذات الالهية التى يستمد كل جميل حسنه من جمالها :

وصرح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة

فكل مليح حسنة من جمالها معار له بل حسن كل مليحة(٧١)

ويقول كيركجور : « أينما يمت وجهى لا أرى فى وجه أى فتاة الا أثار جمالك ، ويبدو لى أنه ينبغى على أن أمتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى أن أعثر على جمال يساوى جمالك(٧٣) ··

فكأنه عندما كان يتغزل فى جمال ريجينا وحبها انما كان يقصد « الذات الالهية » ! بل انه كتب فعلا عام ١٨٥٢ يقول : « ان خطبتى

---

(٧١) « الحب الروحى أو الصوفى » يرتكز أساسا على « حب الذات أو على الحب الشهوانى "Erotic love" » وهو ارتباط قال به كثير من الصوفيين واللاهوتيين فى العصور الوسطى فليس ثمة تعارض بينهما ـ قارن مثلا الفصل الخاص « بالحب وموضوعه » فى كتاب جلسون « روح الفلسفة المسيحية ففى العصر الوسيط » وقد ترجمناه الى العربية ونشرته دار الثقافة عام ١٩٧٣ ·
١٦٥ دار المعارف بمصر ١٩٧١ ·
(٧٢) د · محمد مصطفى حلمى « ابن الفارض والحب الالهى » ص
(٧٣) S. Kierkegaard: The Journtls, P. 61 - 62 (Fontana).

لريجينا أولسن وفسخ هذه الخطوبة يصوران علاقتى بالله ، فهما اذا ما تحدثنا من زاوية الهية عبارة عن خطبتى لله ٠٠(٧٤) ٠ وكثيرا ما كان يقول « عندى شوكة فى الجسد مثل القديس بولس ، ولهذا لم أستطع الدخول فى العلاقات العامة ، ولهذا السبب استنتجت أن مهمتى خارقة للعادة « ( عام ١٨٥٥ ) ٠ ولهذا فان وجوده لم يخصص للسعادة البشرية ، والأمور الدنيوية المألوفة ٠ ومن هنا فعندما يسأل نفسه : « هل يجب على أن أجد فىهذا العالمالحاضر ما أبحثعنه ، أمأن الأمر هو : الىالامام(٧٥) ٠ يجيب : « انى أرى ماهيتى الازلية ، وهى عندى أكثر من أب وأم ومن زوجة أحبها »(٧٦) واذ كان الأمر الالهى هو الذى يقف حائلا أمام سعادته الدنيوية الزمانية ، واذا كان الأمر هو الذى تسبب فى شقائه فانه هو الذى سوفيعود الى تحويل هذا الشقاء الى سعادة مصداقا لقول هيجل : « ان اليد التى أحدثت الجرح هى نفسها لتى تداويه(٧٧) ٠٠ » ٠ فقد كان كيركجور يعتقد أنه اذا كانت خطوبته قد انقطعت من الناحية الزمانية ، فانها سوف تبقى فى الأبدية ، فالغاء الخطوبة يعنى الابقاء عليها ونحن نجد فى هذا المعنى شكلا من أشكال الرفعالهيجلى Aufhebung (٧٨) ففى الابدية سوف يشفى ذلك الجرح العميق الذى حدث : « أملى أن يفهم بعضنا بعضا فى الأبدية ، وأن تسامحنى هناك(٧٨) ٠٠ « ٠فاذا كان قد انفصل عن ريجينا بواسطة الدين والجدار الدينى الصلب ، فانه يأمل أن يساعده الايمان الدينى فى استردادها فى الحياة الأخرى كما استرد ابراهيم ولده اسحق بفضل الايمان أيضا ٠ أما فى هذه الحياة الدنيا فيكيفه أنه أدخلها التاريخ » : يمكن أن ينظر الى أعمالى كمؤلف على أنها نصب تذكارى أقيم لتكريمها ، سوف آخذها لتدخل التاريخ معا ، وأنا بكل مالدى من مزاج سوداوى لن تكون لى سوى رغبة واحدة أن أفتنها ، وهناك لن تنكرنى ، هناك سوف أمشى بجوارها ، كسيد فىالاحتفال أقودها بنصر ظافر وأنا أقول: من فضلكم

(٧٤) Ibid, P. 224.

(٧٥) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 13.

(٧٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Oxford).

(٧٧) امام عبد الفتاح امام : « المنهج الجدلى عند هيجل » ص ٢٧ — دار المعارف عام ١٩٦٩ ٠

(٧٨) J. Wahl: Etudes, P. 24.

(٧٩) Ibid.

افسحوا مكانا صغيرا لها ، لعزيزتى الصغيرة ريجينا ٠٠(٧٩) ٠

وقد يكون من الممكن أن ننظر الى هذه القصة من زاوية الايمان الذى يعنى الايمان باللامعقول ، لأن العلاقة كلهـــا « غير معقولة » ، و « غير مفهومة » ، فهو « يلهث وراءها لمدة تقرب من العامين ينتحل شتى الأعذار لزيارتها ويتتبع خطواتها سرا دون أن تشعر : » حتى يحس بجمال السر فى الحب ، وحتى لا يلحظ أحد فيسىء اليها ٠٠ وكان يتردد على مقهى تمر أمامه ٠٠ الخ الخ ٠ «(٨٠)٠ثم عندما يخطبها لأنها يندم على مافعل فى اليوم التالى مباشرة ! ثم هو يرفض أن يتخذ منها زوجة لأنها ستكون «عادية» مدام كيركجور فقط وهو يريدها « حبيبة » ٠ ثم عندما تتزوج من رجل آخر، يعرض عليها أن تكون « صديقة » هى وزوجها ٠٠ الخ ٠٠ ذلك كله يجعل العلاقة « غير مفهومة » وتحتاج الى القفزة الدينية التى تحدث عنها لكى تشرحها وتفسرها ٠

« لم يكن من الممكن أن أدخلها التاريخ على أنهـــا زوجتى ــ هذا موضوع لا يناقش ٠ كان يمكن أن تكون « مدام فلان » لكنها لن تكون فى ذلك الوقت حبيبتى ٠ لابد أن تروى على أنها قصة حب تعسة ، فى حين أنها ستظل عندى حبيبتى التى أدين لها بكل شىء(٨١) ٠

وعلى الرغم من أنها كانت تقول له باستمرار انه لو بقىمعها فانها على استعداد لان تعيش فى « خزانة » صغيرة ــ فانه قد صنع لها بالفعل خزانة صغيرة « من خشب الورد » صنعت بناء على تصميمه الخاص لكى يبقى هو فيها مع ريجينا على هيئة رسائل ! أجل كانت خزانة تضم الخطابات التى أرسلها اليها أو الى صديقه « بوزن » بعد فسخ الخطوبة مبـــاشرة ، مع قليل من الخطابات كان قد أرسلها الى زوجها « فرتز شليجل » يعرض عليه أن يقيم معها « علاقة ودية » ، وصور من مسودات الرســـائل ٠٠ الخ ــ فكيف يمكن لنا أن نفتح هذه الخزانة ونعرف اسرارها ؟ كيف نستطيع فهم

(٧٩) W. Lowrie: A Short Life, P. 146 - 147.

(٨٠) د ٠ عبد الرحمن بدوى « دراســـات فى الفلسفة الوجودية » ص ٣٩ دار الثقافة بيروت ٠

(٨١) Quoted by W. Lowrie. S. Kierkegaard Vol. 1, P. 192.

هذه العلاقة غير المفهومة ؟ وهل يمكن « فض » مغاليقها وتفسير شفرأتها ، أم نقول مع « هيس R. Heiss » انه يستحيل فهمها وننهى المسألة عند هذا الحد ؟ !

الحق أن هناك تفسيرات كثيرة كما سبق أن ذكرنا ، لكننا نضيف اليها تفسيرا آخر مستمدا من التحليل النفسى نعتقد أنه يلقى الضوء على هذه العلاقة الغريبة ، وان كان يصعب أن نجد تفسيرا واحدا يعنيه يحل ألغاز هذه القصة كلها .

ولهذا التفسير جانبان غير منفصلين : أما **الجانب الأول** فهو يتعلق بعلاقة كيركجور الغامضة بأمه التى كانت تعمل كما ذكرنا فى الفصل السابق خادمة فى المنزل حيث اتصل بها والده اتصالا جنسيا قبل زواجهما . كان من نتيجته أن أنجب طفلته الأولى « مارين كريستين » بعد الزواج بأربعة أشهر وأحد عشر يوما . وقد يكون ذلك أحد « الاسرار » التى كان يخفيها كيركجور من ناحية ، ومنعته من ناحية أخرى من أن يحترم أمه أو يحبها : « ومن المؤكد أن هذه الوقائع كانت سببا فى مأساته كما أنها تفسر جزئيا جانبا من تعاسته الخاصة التى جعلته عاجزا عن تحقيق العام أعنى أن يتزوج من المرأة التى كان يحبها « ريجينا أولسن » . بل جعلته يشن حملة عنيفة على المرأة بصفة عامة ويصفها بأنها «أنانية» و«شهوانية» ، مهمتها اذلال الرجل « ، » والرجل المتزوج يشعر فى قرارة نفسه بالخزى والعار »، والمرأة « ولدت كاذبة » ، وهى « تهبط بالرجل الى أحط درك» .. (٨٢)مما جعل جان فال يقول « يجب علينا أن نذكر أن أفكاره عن المرأة قريبة الشبه جدا من أفكار شوبنهور(٨٣) الذى كانت علاقته سيئة هو الآخر بأمه . واذا استثنيا حديثه عن مريم « أم المسيح » فانه نادرا ما يتحدث عن الجانب النبيل فى المرأة بوصفها أما(٨٤) .. وحتى عندما مايتحدث عن مريم بوصفها أما فانه يحرص على أن يبرزها بوصفها « عذراء La Vierge

---

(٨٢) قارن النصوص فى نهاية الكتاب .

(٨٣) J. Wahl: Etudes, P. 24 (Note 2).

(٨٤) W. Lowrie: A Short Life, P. 25.

ولقد رأى أمه فى ريجينا كما تقول مدام لوفتسكى Mme. Lowtzky (٨٥) .

وربما كان مماله مغزى أن يجد كيركجور تشابهـا قويا بينه وبين هاملت لافقط من حيث الشخصية والمواهب والمزاج السوداوى بل أيضا من حيث أن علاقة هاملت وموقفه تجـاه أوفيليا Ophelia ، فهـو لايستطيع أن يستسلم لحبـه معهـا ، ولا أن يكشف لهـا عن سر أمه ، ولا أن يشركهـا فى مأساة الاسرة . ومن ناحية أخرى يشعر أن المهمة الملقـاة على عاتقه تجعل من المستحيل عليه أن يدخل فى تحقيق العام أعنى الزواج العـادى المألوف ، وفى الحالتين كانت العلاقة مع الأبوين هى السبب وراء المأساة التى يعانى منها الابن « ولهذا يردد كيركجور كلمات هاملت :

« لابد أن أقسو لكى أكون رحيما ..

تمزق أيها القلب ، فعلى أن أمسك لسانى» .

بل حتى خطاب هاملت الى « أوفيليا » يذكرنا بأسلوب كيركجور الى ريجينا ويبدو التشابه أكبر وأوضح ، عندما أرسل هاملت « بأوفيليا » الى الدير ، فهذا الموقف يشبه كثيرا موقف كيركجور فى الأشهر الأخيـرة من الخطوبة ، وكما أن هاملت أراد أن يحقق غرضه بأن يحط من قدره ، وينقص من شأنه ، كذلك فعل كيركجور عندما أراد أن يبدو « وغدا » ، يقول هاملت لا وفيليا :

« فليضمك دير من الأديرة ..

« اننى أتهم نفسى بأمور مما أوثر معه لو أن أمى لم تلدنى .

« أنا حقـود طموح ، رهن اشارتى من الرذائل ما يعجـز فـكرى أن يتسع له ...

« نحن أنذال أوغاد كلنا ..

« لا تصدقى أحدا منا . اذهبى الى دير من الأديرة .. (٨٦) » .

---

(٨٥) Cité par J. Wah. : Etudes, P. 16.

(٨٦) هاملت ترجمة د . عبد القادر القط ص ١٤٦ ( من المسـرح العالمى عدد ٢٤ وزارة الاعلام بالكويت ) .

والغريب أن تكون الشخصية التى عبرت عن فيلسوف الدانمارك بعمق هى الشخصية التى ذهب شكسبير الى انها كانت أميرا على الدانمارك(٨٧)

أيكون السر متعلقا بعلاقته بأمه التى لم يذكرهـــا ولو مرة واحدة بحيث لم يبق أمامه الا الصمت « كما قال هاملت ؟ !(٨٨) ٠

غير أن هناك جانبا آخـر يتعلق بهذا الموضوع وهـو احتمال ضعف كيركجور الجنسى ٠ على الرغم من التدوينة الشهيرة تحت عنوان « امكانية » التى ذكر فيها أنه « ضاجع بغى » ـ والتى سبق أن عرضنا لها منذ قليل ٠

صحيح أنه كثيرا ما كانت تنتابه الوســاوس من أنه قد يكون اتصل جنسيا بامرأة ما وهو فى حالة سكر وهياج مما ترتب عليه أن يهب الحيــاة لطفل ـ لكن القصة مرفوضة لعدة أسباب :

**أولا** : أنه هو نفسه أنكر ذلك على نحو قاطع فى نهاية حياته فكان يقــول ان هناك ثلاثة أمور يشكر الله عليها أولها أنه لم يهب الحياة لطفل ما(٨٩) ٠٠

**ثانيا** : أنه اعتاد أن يخلق أمثال هذه القصص ، ويتحدث عن مغـــامراته النسائية المزعومة لا سيما مع البغايا ( مما يثبت أن المسألة لم تكن سوى مجرد اشباع لنقص يحسمه بداخلــه ) ولقــد ذكرنا فيما سبق القصة التى اختلقها مع مغنية الأوبرا هدفيج شولسته Hedwige Schulze وكيف أنه تعمد أن يرويها فى خطــاب لصديقه بوزن ويرجوه ألا يخبر أحـــدا حتى تنتشر الاشاعة على أنها حقيقة ! وكيف أن صديقه كان قد اعتاد منه هذه المواقف فلم تكن جديدة عليه ٠٠

**ثالثا** : يعتقد « لورى » أن قلقه من انجاب طفل يرجع فى الحقيقة الى ولعه الشديد بالاطفال لاسيما وأنه يقول عن نفسه انه لم يكن طفــلا فى يوم من الايام ، ومن هنا كان اهتمامه الشديد بالاطفال(٩٠)ولقد سبق أن ذكـــرنا كيف كان والده يمنعه من اللعب مع أترابه من الأطفال أو زيارتهم مما جعله يحس بأنه لم يمر بمرحلة الطفولة !

---

(٨٧) J. Hohlenberg: op. cit., P. 133 - 5.

(٨٨) هاملت الفصل الخامس ـ المشهد الثانى ٠

(٨٩) قارن النص فى نهاية الكتاب ٠

(٩٠) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 133.

أغلب الظن أن كيركجور كان عنينا ، ليست لديه القدرة الجنسية على الانجاب . وهذا هو السيف الذى كان يشهره ملاك الرب فى وجهه عندما يقدم على الاتصال المباشر بالمرأة ، وربما انعكس هذا العجز على طريقته فى الاتصال بالواقع بأسره . يقول فيتر Vetter : يجب مراعاة الحياء المرضى والخجل المرضى الذى جعله يبقى غريبا عن المرأة وعن العلاقة الجنسية .. »(٩١) ومما له مغزى أن يصف كيركجور « الانجاب » بأنه : « ليس سوى أحط جوانب الطبيعة البشرية .. فى حين أننا نجد فى الطرف الأقصى الحياء والخجل ، فالروح هى الحياء ، وتعريف الانسان بأنه روح يعنى أنه يتسم بالحياء ، أما الحيوانات فلاحياء عندها ... »(٩٢) .

وفى الرسالة التى بعث بها الى ريجينا عندما بلغه نبأ وفاة والدها فى ٢٦ يونيو ١٨٤٩ ـ وكانت عندئذ متزوجة بالفعل من شليجل ـ كتب كيركجور كلمات لها دلالة واضحة يقول :

« موت والدك غير رأيى وغرضى . لقد تخيلت الأمور على نحو مخالف . لقد كنت قاسيا . هذا حق . لماذا ؟ آه ! **أنت لا تعرفين** . لقد بقيت صامتا ، والله وحده يعلم كم قاسيت . !

« أنا **لا أستطيع الزواج منك** ، حتى ولو كنت حرة ، أنا **لا استطيع الزواج** . لقد أحببتنى كما أحببتك وأنا مدين لك بكل شىء وأنت الآن متزوجة : لكنى أقدم لك الآن مرة أخرى **ما أستطيع** ، **وما أجرؤ** ، وما ينبغى على أن أقدمه : الصلح « أعنى الصداقة .. »(٩٣) ، ومع هذا الخطاب وضع كيركجور خطابا آخر الى زوجها شليجل يبرز فيه موقفه ، ويعرض عليه صداقته ، وكثيرا ما كان يكتب اليهما يعرض مثل هذه « الصداقة الودية » ـ مما جعل بعض الباحثين يذهبون الى أن هناك ثلاثة أنماط من الحب عند كيركجور : « فهناك Eros أو الحب الشهوانى ، ثم هناك .. Philia أو الصداقة ، وأخيرا agape أو الحب الدينى

(٩١) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 16.

(٩٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 199 (Fontana).

(٩٣) J. Hohlenberg: op. cit., P. 226.

لله وللجار ، أو هى الشهوة الجنسية ثم الصداقة واخيرا المحبة »(٩٤) ٠ والذات الحقة عنده هى التى تحقق النوعين الآخرين ويبدو أن كيركجور كان يعتبر اللون الأول حيوانيا ، ومن هنا فقد احتفظ بعلاقة واحدة مع ريجينا أو لسن هى علاقة الصداقة بوصفها الشكل الملائم لذاته الحقة ٠ ويبدو ذلك واضحا من الرسالة التى أرسلها اليها بعد زواجها من شليجل يقول فيها **أقدم لك للمرة الثانية** : ما أستطيع وما **أجرؤ** وما ينبغى أن أقدمه لك : إلصلح ، أى حبى ، أعنى صداقتى « فالحب النائم بين الاصدقاء هو لون الحب الذى لا يمحى فى علاقته بريجينا »(٩٥) ٠

ومعنى ذلك أن كيركجور كان يخلط بين الحب الشهوانى Eros وبين الصداقة Philia أو قل انه لم يكن يعرف سوى الأخير وانك لتجد فى يومياته مجموعة كبيرة من الملاحظات حول **الصداقة وعلاقتها بالحب** مستمدة من أفلاطون أو أرسطو ، والكتاب المقدس ومقتطفات من اللاهوتيين والمتصوفة فى العصور الوسطى ٠٠ ما يجعلنا نقول ان العلاقة التى كانت تربطه بريجينا هى **علاقة الصداقة** ، وهى نفسها التى كانت تربط بينه وبين « بويزن » ، وهى علاقة لم تكن تتضمن أى لون من ألوان الحب الشهوانى Erotic Love ٠٠٠٠٠٠ ولهذا نجد أن كيركجور كان يكرر استخدام لفظ « رفيق » ويراه كافيا للاشارة الى الرابطة التى يربط بينهما وهى حب الصديق ٠٠٠٠ Philia (٩٦) ٠

ولا شك ان جانبا من عجزه كان يعود الى العيوب الجسمية الكثيرة التى كان يعانى منها ٠ لا فقط من حيث الجسد الشائه شكلا بل من حيث قدرته على ممارسة الحياة الزوجية الطبيعية وهو كثيرا ما كان يلمح الى هذه الحقيقة فيقول مثلا : « ان ما ينقصنى وما أحتاج اليه هو تلك **الخصائص الحيوانية** التى نشير اليها عندما نتحدث عن واحد من

---

(٩٤) James Collins: Kierkegaard's Imagery of the Self P. 78 - 79.

(٩٥) Ibid.

(٩٦) James Collins op cit., P. 78 - 79.

الرجال ! ٠٠ »(٩٧) ٠ بل كان يتمنى لو تبدل هـذا الجسد لينعم بالحياة فتراه يشكو الى الله فى حسرة وألم : « آه ! لو كنت قـد وهبتنى جسـدا غير هـذا الجسـد حين بلغت **سن العشرين** : اذن لـكان حالى غيـر الحال ! »(٩٨) ٠ أى قبل أن يلتقى بريجينا أولسن (تعرف عليها وهو فى الرابعة والعشرين) لاتخذت الأمور مسارا آخر ٠

ومما يؤكد هـذا التفسير أيضـا أنه كثيرا ما يتحـدث عن « المرأة الموجودة بداخلى » أو عن « الطفل الموجود بداخلى » ـ ويقول قنسطنطين قنسطنطيوس Constantine Constantius مؤلف التكرار ٠٠٠٠ Repetition عن صديقه الشاب (الذى هو نفسه كيركجور) : « الرجال من هـذا الطراز ليسوا بحاجة الى حب المرأة ولا الى عشق النساء : وهذا ما أفسره بقولى انهم كانوا نسـاء فى مرحلة سابقة : وفى استطاعتهم أن يلعبوا دور النساء ، كما أن أنوثتهم تجعلهم يعجزون عن الأرتباط بالنساء ، وهم يفهمون خصائصهم أفضـل من النسـاء أنفسهن ويعجبون بهـا ربما أكثر مما يرغبون فيها ، لكنهم لا يسيرون أبعد من ذلك »(٩٩) ٠ ويتحـدث كيركجور عن الرغبة وما فيها من مضمون مخنث : « الرغبة غير محـددة ولا تنفصل عن موضوعهـا ، وموضوع الرغبـة يبقى مخنثا داخلهـا (أى يتضمن الذكورة والانوثة معا) تماما مثـل الحياة فى النبـات حين تكون الأعضـاء الذكرية والانثوية متضمنة فى العنقود نفسـه ، وتلتقى الرغبة وموضوعها فى هذه الوحدة ويشكل الاثنان جنسا محايدا ٠٠ »(١٠٠) ٠

ونحن لا نريد أن نسير مع التحليل النفسى الى آخر الشوط فقد أدى الى آفاق كثيرة من الشطط : فتحدثت مدام لوفتسكى ٠٠٠٠٠ Mme Lowtzky مثلا عن « الاستمناء الروحى » عنـد كيركجور ، وفسرت « حلم سليمان »

---

(٩٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 395 Eng. by A Dru (Oxford).

(٩٨) Ibid.

(٩٩) اقتبسه الكسندردرو فى مقدمته للترجمة الانجليزية لليوميات طبعة اكسفورد ٠ كما اقتبسه جـان فال فى كتـابه دراسات كيركجـوردية « ص ١٦ حاشية » ١ ٠

(١٠٠) S. Kierkegaard: "Either..or" Vol. 1, P. 76.

الذى كثيرا ما يصور فيه فيلسوفنا علاقته بوالده ، بأنه يقوم على الخوف والرغبــة من أن يكون له أطفال (لاسيما أطفال من أمه) وهــذا ما رآه في ريجينا أولسن ، لقد رأى فيها أمه ، ومن هنــا جاء « سوء الفهم » الذى لم يستطع أن يفسره نحو ريجينا ، وهذا هو الأصل فى عجزه(١٠١) ٠

وذهب وليم كيرجان William Kerrigan الى أن القصــــة التى رواها الكتــاب المقــدس عن تضحية ابراهيم بولــده اسحق « ـ ثم أعــاد كيركجور كتابتها بطريقته الخاصة فى كتــابه الخوف والقشعريرة لتــكون رسالة غير مباشــرة موجهــة الى « ريجينا » تصــور الارتباط الوثيق بين « الاب والابن » بين المضحى والمضحى به ، وفى ذلك عــود الى عتبة الأنا الأعلى حيث نجــد « الأب » حتى وهــو يرفع السكين ليذبح ابنه يلقى نفس العذاب ، ونفس المصير الذى يلقاه الابن ٠ واذا عرفنا أنه كان لدى ابراهيم عهد من الله بأن « يتبارك فى نسلك جميع الأمم » (تلك ٢٢ : ١٨) فقد كانت أول ثمار هذا العهد هــو الختــان ٠٠٠٠ Circumesion « فاسحق هو « بذرة » ابراهيم بالمعنى الحرفى للكلمة ،ومن القضيب القديم لأبى الايمان يظهر أخيرا قضيب جديد ، قنــاة لخط النسل المخصص لانتاج أم المسيح ، وهكذا كان على ابراهيم أن يضحى بابنه مبعوثه الخاص ورسوله فى تاريخ الخــلاص ٠ ونفس الأمر الذى جعــل من ابراهيم تجسيدا حرفيــا لوالــد ابراهيم جعله أيضا بتضحيته برغبته الاساسية ابنا لأوديب ٠٠ »(١٠٢) ٠ ويواصل كيرجان تحليله قائلا : « وما لم تغتصب الانا Ego سلطــة الأنا الأعلى فانها لن تستطيع تحقيق الاتصال بامرأة ما ، وهــذا هو الأمل الذى يسير مع قلق الخصــاء ٠٠٠٠٠ Castration لكن كيركجور نكث بعهد الحب الدنيوى ، ومن ثم استلزمت التضحية باستقلال الأنا فى هذا السياق التضحية بالمرأة وهكذا لم يعد ثمة مكان لريجينا ٠٠ »(١٠٣) ٠

ولا شك أن كيركجور لم يعط للزواج أى معنى من المعانى الروحية ، والتضحيــة به كانت تعنى التضحيــة باشــباع الغريزة واذا سألتــه

---

(١٠١) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 16 (Note 1).

(١٠٢) William Kerrigan: Superego in Kierkegard, Existence in Freud P. 126.

(١٠٣) Ibid, P. 128.

أيمكن التوفيق بين الحيـاة الروحية والحيـاة الجنسية لأجاب : « هراء ! اما اشباع الغريزة أو اشباع الروح » ! ومن هنا لجأ الى « الحب الروحى » الذى يرفعه الى المثل العليا ويجعله يحقق « الأوحـد » أما اشباع الغريزة عن طريق الزواج فسوف يجعله شخصا عاديا : « لأن الرجـل فى الزواج السعيد يصبح زوجا عاديا ، اذ تفنى العبقرية العليا ٠ فكثير من العباقرة أصبحوا عباقرة ، وكثير من الأبطال أصبحوا ابطالا ، وكثير من الشعراء أصبحوا شعراء وكثير من القـديسين أصبحوا قديسيين بتأثير « الحبيبة » أو « الفتـاة الشابه » ٠ لـكن من منهم أصبح عبقريا ، أو بطلا أو شاعرا أو قديسيا بتأثير زوجته ٠٠ ؟ ان أقصى مايستطيع تحقيقه بفضـل زوجته هو أن يصبح مستشارا أو قائدا عسكريا ، أو رب أسرة ٠٠ »(١٠٤) ٠

فالعبقرية تحتاج الى « نار » مستعرة توقدها وتلهبها وتقدح قدراتها ، لهذا انصرف كيركجور عن الزواج ليتفرغ الى ما هو أهم وأبقى فى مجال الفـكر ومجال الروح وأعنى به الصـراع مع مجتمعه وما فيـه من زيف وفساد أدى الى « تزييف » الذات البشرية وطمس معالمها الشخصية ، فلم يعد هناك شيء اسمه « الفـرد » المتميز ، وانما هناك الشخصية المهلهلة غير المستقلة التى يسهل ان تسير مع القطيع فتحـكم فيهـا الطغاة الـذين هم « الجماهير » مـرة والكنيسة مـرة أخـرى ، والمنظرون من الفلاسفة الهيجليين مرة ثالثة ٠٠٠ فأمامنا ، اذن ، معارك هائلة سوف نخوض فيها صراعا حتى الموت !

---

(١٠٤) « مراحل على طريق الحيـاة » ص ٥٤٥ ـ اقتبسه جان فال فى كتـابه دراسات كيركجورية ص ١٥ ٠ وقارن أيضـا د٠ عبد الرحمن بدوى فى كتـابه « دراسات فى الفلسفة الوجودية » ود٠ فوزية ميخائيل : سورين كيركجور : « أبو الوجـودية » ص ١٨ دار المعارف بمصـر عـام ١٩٦٢ ٠

# الفصل الخامس

## الصــرع حتى المــوت

« ٠٠ نعم ! ســلامى الى البشــر جميعا ! لقد احببتهم وحرصت عليهم كثيرا ! قل لهم ان حيــاتى كانت عذابا هائلا لم يعرفه ولم يفهمه الآخرون ، ربما بدت كبرياء وغرورا لكنها لم تك قط شيئا من ذلك ٠٠ ! » ٠

س٠ كيركجور : « على فراش الموت »

## تمهيـــد :

اذا كان كيركجور قد استشعر الصراع فى أعماقه طوال حياته حتى حتى كان يحس بمرحل يغلى بداخله ، فان هذا الصراع امتـد ألى الخارج حيث البيئة التى يعيش فيهـا : الناس فى الشـارع ، الصحف ، الكنيسة ، الكتاب ٠٠٠ الخ حتى أنه لم يبق فى كوبنهاجن من لايعرف هـــذا الرجل اما بسبب قصة حبه البائس مع ريجينا أولسن « أو بسبب صراعه ونضاله مع صحيفة القرصان أو مع الكنيسة القائمة ـ ثم تبقى بالطبع جبهـة هامة قاتل فيها كيركجور » قتالا مريرا وأعنى بهـا صراعه مع هيجل والهيجلية الاسكندنافية على وجه الخصوص ٠ وهـذا الصراع الأخير سوف نرجئه حتى الجزء الثانى وسوف نكتفى فى هذا الفصل بالحـديث عن صـراعه فى جبهتين هما : « صحيفة القرصان » و « الكنيسة القائمـة » وهو صراع أستمر حتى موته !

## أولا : الصراع مع صحيفة القرصان :

هناك شخصيتان من بين الشخصيات القليلة التى عرفها كيركجور ـ تحملان نفس الاسم تقريبا الأولى : بول مارتن مولر Poul Martin Möller (١٧٩٤ ـ ١٨٣٨) وهو كاتب وشاعر وصاحب قصيدة شهيرة هى « الفرح يغطى الدنيمارك » ؛ ثم هـو أستاذ الفلسفة الخلقيـة فى جامعة كوبنهاجن والذى سبق أن تحدثنا عنه فى الفصل الأول عندما ذكرنا ان كيركجور كان يتمنى أن يخلفه بعـد حصوله على درجـة الماجستير لاسيما وأن كرسى الفلسفة الخلقية ظل شاغرا منـذ وفاته فى ١٣ مارس ١٨٣٨ ولقـد حزن كيركجور لوفاته حزنا شديدا لا نسيما وأنها جاءت وهو فى فترة اضطراب داخلى عنيف وقد عبر عنها فى يومياته وفى « اما ـ أو » فى صورة شهيرة طورها بعد ذلك هى « لم أعد أنزع لشىء »(١) لا للمشى ولا للرقاد ٠٠الخ ٠ ثم أهداه بعد ذلك كتابه « مفهوم القلق »

« الى المرحوم الاستاذ بول مارتن مولر » ٠

« العاشق الولهان لليونان ، والمعجب بهوميروس » ٠

« صديق سقراط الوفى ، وشارح أرسطو » ٠

« فرح الدانيمارك فى قصيدته « الفرح يغطى الدانيمارك » !

« الى ذلك الذى أكن له اعجابا خاصا وآسف لفقدانه ، أهـدى هذا الكتاب »(٢) ٠

اذا كانت شخصية « مولر » الأولى تمثـل أستاذ الأخـلاق ، فان شخصية ب٠ ل٠ مولر ٠٠٠٠٠٠ P. L. Möller الثانية عكسها تماما فهى تمثل الرجل الحسى الجمالى ! كان زميلا لكيركجور فى الدراسـة ثم

---

(١) S. Kierkegard: "Either..or", Vol. 1. P. 15.

(٢) S. Kiergaard : The Concept of Dread, P. 3 Eng. Trans. by W. Lowrie.

صديقا له ، ولد عام ١٨١٤ (أى بعد كيركجور بعام واحد) ودخل الجامعة عـام ١٨٣٢ وكانت شخصيته مزيجا من الحسية والشهوانيـة الى جانب الذكاء النابه ،وكان ناقـدا جماليا مبرزا ، ذا أسلوب قوى واضح يكتب شعرا غنائيا متوسط الجودة ، فقيرا ، لهـذا قضى شبابه كله معتمدا على الاعانات والمنح الدراسية ٠

وقد كان من الشخصيات القليلة التى عرفها كيركجور وازدادت أواصر الصداقة بينهمـا فى فتـرة الضياع « لاسيما عنـدما غرق فيلسوفنا فى الديون فأصبح الامتزاج بينهما كاملا ! لـكن ظل الفـارق الرئيسى بينهما هو الحس الدينى والاخلاقى الذى يتألق عند كيركجور وينعدم عند ب٠ ل٠ مولر ، لكن كيركجور استطاع أن يسبر أغوار صديقه ويرى فيها ما ينقصه ويفتقر اليه : فهو يعيش حياة شهوانية متحررة من أى قيـد أو التزام تلك التى يملكهـــا الشاعر الانجليزى الرومانتيكى بايرون ٠٠٠ G. Byron (١٧٨٨ ــ ١٨٢٤) ، ومثل هـذه الحياة هى المثـل الأعلى عنـده ! ولهذا انصبت معظم قصائده على المواقف الحسية الشهوانية ! ولهذا أيضا فان من المرجح جدا أن يكون كيركجور قـد وجد فى شخصية « مولر » نموذجا « ليوحنا المغوى » التى عرضها بالتفصيل فى نهاية المجلد الأول من كتابه « اما ٠٠٠ أو » تحت عنوان « يوميات مغو »(٣) ٠ ويعتقـد « هولنبرج » أن ما ذكره فيكتور ارميتا (أو الناسك) Victor Ermita (المؤلف المستعار لكتاب كيركجور اما ــ أو) من أنه وجـد يوميات مغو « مخطوطة » وكذلك غيرها من الأوراق التى تمثل الشخصية الشهوانية التى رمز لهـا بالرمز « أ » ــ يعتقـد « هولنبرج » أن تلك الرواية تشير الى واقعة حقيقية حدثت

---

(٣) يوميات مغو Diary of the Seducer Le Journal du Seducteur
وهى تترجم فى اللغـة العربية فى كثير من الأحيان « يوميات غاو » وهو خطأ اذ المقصـود العكس أعنى الشخص الذى يغوى الآخرين ويستدرجهم الى الخطيئة والضلال ٠ قارن :
Either..or Vol. 1, P. 237.

بالفعل ، فهذه « المخطوطات » كان يكتبها « مولر » ويحتفظ بها فى غرفته وأن كيركجور « بطريقة ما » عثر عليها فهناك تشابه قوى ـ بين هذه المخطوطات وبين كتابات مولر ‥ فى الأسلوب واستخدام المصطلحات يرجح هذا الفرض ، وربما يكون كيركجور قد أعطاها الصورة الأدبية وقدم لنا فيها شخصية « مولر » فى فترة كان التعاطف بينهما قد انتهى !(٤) ‥

ومن المرجح أيضا أن « مولر » لم يكن لديه شك أنه هو المقصود بهذه الشخصيةالحسية المغوية ، وكان ينتهز الفرصة لكى ينتقم وقد واتته الفرصة عندما أصدر كيركجور فى ٣٠ ابريل عام ١٨٤٥ كتابه « مراحل على طريق الحياة » وهو يحتوى على المأدبة حيث تجتمع شخصيات كيركجور المستعارة ويدور نقاش حول الزواج ـ وينتهى الكتاب بجزء شهير هو « مذنب ‥ غير مذنب » قصة عذاب • تجربة سيكولوجية بقلم الأخ الساكت Frater Taciturnus حيث يعرض كيركجور قصة حبه البائس لريجينا أولسن ـ على هذا الندو لاحت الفرصة لمولر فنشر مقالا فى « مجلة جيا ‥ Gea : حولية جمالية » عام ١٨٤٦ تحت عنوان زيارة الى سورو A Visit to Soro وهى مدرسة داخلية كان يطلق عليها اسم الأكاديمية ـ ويروى المؤلف أنه فى زيارته لهذه المدرسة التقى ببعض الشخصيات الأدبية المعروفة مثل « يوهانس هوش H. Hauch (١٧٩٠ ـ ١٨٧٢) الشاعر الدانيماركى ، وكذلك برنارد انجمان Bernard S. Ingemann « وكذلك كاتب الدراما » كريستيان بردول (١٧٨٤ ـ ١٨٦٠) ‥‥ (١٧٨٩ ـ ١٨٦٢) شاعر وكاتب رومانتيكى ومدرس فى أكاديمية سورو • Christian Bredahl والناقد الأدبى بدر هجوت (١٧٨٤ ـ ١٨٧١) ‥‥ Peder Hjot وآخرين • وقد التقى الجميع فى حفل فى المساء ودارت بينهم مناقشة حول مؤلفات « سرن كيركجور » تحدثوا أولا عن كتابه « اما ‥ أو » الذى امتدح « مولر » الجزء الأول منه بقوة لكن بنغمه فيها سخرية تجعلنا نلاحظ أن هناك شيئا بين الرجلين : أما الجزء الثانى من الكتاب فقد رأى أنه مجرد تجميع لمواد دون أن يكون عملا أدبيا

---

(٤) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 162.

حقيقيا ، وهــو يشكو من أن الكاتب منذ البــداية لم يستطع السيطرة على موضوعه لكنه : « يكشف فحسب عن شخصيته الاخلاقيــة » كما تحــدث مولر كذلك فى شىء من الحــدة عن كتاب « مراحل على طريق الحيــاة » لاسيما عن الجزء الخـــاص بالتجربة السيكولوجية وقال ان كل شىء فى هــذا الجزء يغلفه جـــدل عقيم وأن المؤلف يلهو فى مجال اللغة كالمهرج الانجليزى الذى يمشى على يديه ويقوم بحركات بهلوانية أدبيــة ويستخدم كلمات لا لزوم لهــا ويقــول كل ما يخطر على باله ! ثم راح « مولر » يقلد مضمون الكتاب وأسلوبه بسخرية على النحو التالى :

« اليوم يكون قد انقضى عام منذ أن أصبحت خطيبها ! كم هى فاتنة : لكن الشيطان يقبع فى أعماق هذه الفتاة انها لا تستطيع أن تفهم أننى أريد فى آن معــا : أن أخطبهــا وأن أفسخ الخطــوبة ، وأننى أريد أن أتزوجهــا ولا أتزوجها فى وقت واحــد : انهــا لاتريد أن تفهم ان خطبتى جدليــة فهى تعنى أننى أحب ولا أحب فى نفس الوقت : وان هدفى أن أتخلى عنهــا وأن أجعــل نفسى باستمرار فى قمــة الرغبة · اليوم مضى عــام ! ان منهجى الحــالى لايصلح ولابــد من تغيره · ان ما ينقصها هــو الخلفية الدينية ، فلايصلح أحدنا للآخر ولايناسب كل منا الآخــر · وحتى لو أصبحت متدينة أكثر فسوف أفقدها أيضا ، فلابد أن أطلق سراحها وأجعلها حــرة لأنها فى هذه الحالة فقط ستكون لى وستنتمى الى ، وفى استطاعتها عندئذ أن تخطب من جديد وأن تتزوج من تشاء · لكنها رغم ذلك تكون قد تزوجتنى · وهكذا الى مالانهاية ·· »(٥) · ثم يستطرد قائلا : « لو سمح لشخص يفهم الطبيعة البشرية فهما حقيقيا بأن يدخل علينا فربما قال للمؤلف بطريقة فظة :

« أتنظر الى الحيـــاة على أنهــا غرفة تشــريح والى نفسك على أنك جثــة ؟ لوصح ذلك فاستمر فى عملك وقطع نفسك الى شرائح بقدر ما تحب ، ولن تقطع عليك الشرطة عملك · لكن ان تحذب الناس الى نسيج العنكبوت الذى تضعه وتقوم بتقطيعهم أحياء ، أو تعتصر منهم الحيــاة قطرة قطرة ـ فهذا ما لا يسمح به القانون اللهم الا فى حالة الحشرات ! أليست فكرة كهذه تجعل الذهن السليم يمتلىء رعبــا ؟ » · ويجيب الرجــل العاقل على ذلك

(٥) Quoted by J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 159.

بقوله : « لابد لى من الاعتراف بأننى لم يخطر ببالى قط أن الانسان يمكن أن يدمر ذاته بالطريقة التى زعمها الآن توا ، أو أن يصدر حكما بأية طريقة بناء على هذه المجموعة من الرسائل ؛ فلا شىء عفوى ومباشر وانما لابد له أن يصل الى كل شىء عن طريق التفكير · أن كل ما يدهشنى منه أنه يستطيع أن ينام ويأكل ··· الخ · والا فاننى أعترف له بانه أكثر المؤلفين جميعا موهبة وثقافة ، لكنه يبدو لى كرجل عجوز متداع ، أو بالأخرى أشبه بشخص ذكى ذكاء غير عادى لكنه يحمل خيالا مريضا(٦) ·

وواضح أن ذلك كله ليس نقدا أدبيا وانما هو هجوم مباشر على شخص كيركجور وسخرية ظاهرة من علاقته بريجينا أولسن ، ولهذا فليس غريبا أن يغضب كيركجور بشدة ، ومن هنا كتب فى ٢٧ ديسمبر ١٨٤٥ مقالا عنيفا فى جريدة الوطن ··· Fatherland تحت عنوان « نشاط رجل جمالى تائه ، وكيف دفع ثمن خطئه حول المأدبة » ـ ووقع المقال بقلم « الأخ الساكت ····· Frater Taciturnus » الشخصية الرئيسية فى القسم الثالث من كتابه « مراحل على طريق الحياة » · ولقد برهن كيركجور بمنطق لايمكن وصفه على حد تعبير « هولنبرج » على أن جميع اعتراضات مولر لا تفعل شيئا سوى تكرار ما سبق أن أشار اليه بوصفه الموضوع الرئيسى فى الكتاب ، ومشكلات التجربة · ومن ثم فهى ليست اعتراضات بقدر ما هى شهادة تقدير ! ومقاله ليس هجوما لكنه تبرير لما قال ! والواقع أن كيركجور كان يكتب بنغمة ساخرة ملحوظة وبدرجة من التهكم الواضح ! فقد حاول أن يؤلم خصمه بقدر ما يستطيع · واذا ما قارنا بين مقالة مولر الأصلية وبين رد كيركجور عليها لاستطعنا أن نلاحظ بسهولة أن مقال مولر واضح فيها التخطيط والاعداد الجيد للهجوم لحاجة فى نفس يعقوب كانت قد حدثت من قبل ! وواضح أيضا أن كيركجور فهم جيدا ما يرمى اليه وأعد رده وهو على وعى كامل بهذه الحقيقة !(٧) ·

لقد كان « مولر » يأمل بهجومه على كيركجور أن يحقق عدة أهداف فلا شك أنه اعتقد أنه بهذه الوسيلة سوف يكسب الفيلسوف الدانيماركى

---

(٦) Ibid, P. 160.

(٧) Ibid.

« جوهان لودفيج هيبرج Johan Ludvig Heiberg » (١٧٩١ ـ ١٨٦٠) الى صفه ، وكان هذا المفكر أعظم شخصية فى الدانيمارك كلها فى ذلك الوقت فضلا عن أنه هو الذى أشاع الهيجلية فى الدانيمارك وقد شعر بامتعاض من المؤلفات المستعارة لكيركجور لاسيما « أما ٠٠ أو » ، والتكرار ، واتخذ منهما موقف الاستنكار وكان « مولر » يظن أنه سيكون محببا الى نفس « هيبرج » ان هو دعم هـذا الموقف ٠ ! فضـلا عن أن « مولر » يعرف أن كيركجور يعلم عنـه كل شىء على اعتبار أنهما قد ارتبطا بعلاقة صداقة وثيقة عندما كانا طالبين فى الجامعـة ، وبالتالى فان افتعال معركة معه سوف يجعل ما يقوله كيركجور بعد ذلك لا قيمة له !

لكن توقعات « مولر » كلهـا باءت بالبوار ! وأصبح مركزه بالغ الدقة والحرج : ذلك لأن الحديث عنه بدأ همهمة فى دوائر المثقفين والأوساط الأدبية ثم أخذ يعلو تدريجيا وبـدأ التساؤل عن الشخصية « المنحلة » التى أتخذها كيركجور نموذجا للمغوى فى كتابه « اما ـ أو » ٠ وهكـذا بدأت جـوانب كانت خافيـة من حيـاة مولر فى الظهور كما ترددت الشائعات عن أشياء غريبة منها مثـلا أنه باع هيكلا عظميا لفتـاة من صديقاته بعـد موتها فى احدى المستشفيات حتى أن « هيبرج » نفســه تساءل بصـراحة فى احـدى مقالاته عمن يقصده كيركجور بالمغوى ! وأشار الى أن هـذه الشخصية لابد أن تكون موجودة بالفعـل ! ومعنى ذلك أن أصابع الاتهـام بدأت تتجه نحو « مولر » ، ولا جـدال فى أن الأوساط الأدبيـة فى الدانيمارك قد فهمت ان المقصود بالشخصية المنحلة هذه هو « مولر » نفسه !

وماذا فى ذلك ؟ ! الواقع أن مولر فى ذلك الوقت كان يعمـل بهمـة ونشاط ليكون أستاذا لعلم الجمال خلفا للشاعر « آدم جوتلب أو لنشليجر » (١٧٧٩ ـ ١٨٥٠) ٠٠٠٠ Adam Gottlob Oehlenchlager الذى كان يعد أعظم شعراء الدانيمارك فى عصـره ، وهى وظيفة كان « مولر » مؤهلا لها تماما ، صحيح أنه لم يكمل تعليمه الجامعى لكن أولشنليجر لم يحصل هو الآخر على أية درجات علمية ، فضلا عن أن مولر قد حصل عام ١٨٤١ على الميدالية الذهبيـة من الجامعـة مكافأة على كتـابه « الشعر الفرنسى المتأخر » ، كما أنه أصبح مشهورا بمقالاته النقدية الممتازة سواء فى الأدب

أو المسرح حتى بغض النظر عن قصائده الشعرية(٨) .

وفضلا عن ذلك كله فان كيركجور قد فجر قنبلة نسف بها « مولر » تماما عندما أشار فى هجماته الى أن مولر هو أحد الذين يساهمون فى تحرير جريدة القرصان The Corsair لكنه يكتب مقالاته غفلا ! وكانت القرصان صحيفة سياسية فكاهية أسسها عام ١٨٤٠ شاب يهودى هو هارون جولد شميث ... Aaron Goldschmidt وكانت الصحيفه مبتذلة من الناحية السياسية فهى تدعم « المعارضة الليبرالية مما أوقعها فى صراعات كثيرة مع الرقابة تعقبها محاكمات ثم فترة سجن وكان السجن فى العادة لنواب « جولد شميث » لكن الصحيفة كانت ناجحة جدا فى كوبنهاجن وكان الناس جميعا يقرأونها !

وقد انضم « مولر » الى هيئة تحرير صحيفة القرصان عام ١٨٤٢ وعندما عرض مولر على جولد شميث ان يساعده رحب للغاية لأنه كان يعرف الى أى حد يستطيع أن يستفيد منه ، ومنذ ذلك التاريخ ظل مولر يكتب فى الصحيفة بانتظام لكنه لم يوقع باسمه قط! وكانت الأوساط الأدبية كلها تعرف صاحب هذه المقالات لكنكل واحد منهم كان يتظاهر بأنه لا يعرف شيئا ، فكان كيركجور أول من تحدث عن هذا الموضوع وقال بوضوح : « ان ب. ل. مولر هو القرصان ، والقرصان هو ب. ل. مولر » (٩) ! .

ومن ناحية أخرى فلم تكن علاقة كيركجور بصحيفة « القرصان »على مايرام ! فهو من الناحية السياسية محافظ والجريدة تدافع عن التيار الليبرالى المعارض الذى لا يحترمه لأنه يعرف مقدما أخطاره ويعلم علم اليقين مدى الفقر الروحى لقادة هذه الحركة . ولهذا غضب عندما رأى « القرصان » تهاجم الجيل « القديم » واحدا اثر الآخر وهو يعتقد أنهم أفضل بكثير من جيل الشباب الحالى ، وأحزنه للغاية ألا يجد من يدافع عنهم خوفا من لسان القرصان وسخريتها اللاذعة ! لكنهم لم يهاجموه هو نفسه ، بل على العكس لقد امتدحت القرصان كتابه « اما ــ أو » عند ظهوره ووصفت مؤلفه بأنه

---

(٨) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 163 - 164.

(٩) Ibid, P. 166.

يحمل روحا قويا • وكان « جولد شميث » نفسه معجبا بكيركجور وكان كيركجور يحترم هذا الشاب كمؤلف حتى أنه امتدح قصته « اليهودى » ••• The Jew فكل منهما يعرف الآخر جيدا وكثيرا ما كانا يتجاذبان أطراف الحديث اذا ما التقيا مصادفة فى الشارع(١٠) •

ولقد حدث فى عام ١٨٤٥ أن أشارت القرصان الى الاسماء المستعارة نكيركجور مرتين : الأولى فى مقال فى شهر يوليو ١٨٤٥ حول اجتماع الطلاب الاسكندنافيين وذهب المقال الى أن « العذاب العقلى أسوأ من العذاب البدنى وهذا ما نستطيع ان نشاهده اذا ما سألنا أنفسنا : ألا يكون من الأفضل أن نحتفل بخبز جاف وماء مع هيلاريوس Hilarius (١١) ، مجلد الكتب عن تناول الشمبانيا مع مستر بوتيوس •• Boatius » • والمناسبة الثانية كانت فى ١٤ نوفمبر عام ١٨٤٥ أيضا فى مقال حول قصة هوش Hauch عن « القلعة » واحتج المقال ضد جعل الاهتمامات السياسية أعلى من الاهتمامات الأدبية ثم قال : « لو اننا وضعنا كاتبا مثل فيكتور ارميتا (الناسك) •••••• Victor Eremita (١٢) فى مكان أعلى من ليمان •••• Lehmann (١٣) لكنا على حق تماما لأن ليمان سوف يموت وينسى فى حين أن فيكتور ارميتا لن يموت أبدا •• »(١٤) •

ولقد رفض كيركجور فى الحال هذا الموقف ، فقد أزعجه أن تمتدحه صحيفة دأبت على مهاجمة الشخصيات المرموقة ، ولقد كتب فى يومياته عدة تدوينات بتوقيع « فيكتور ارمتا » تسخر من هذا المديح وتطلب من الصحيفة مهاجمته كما فعلت مع غيره من الشخصيات المحترمة ! غير أن هذه « التدوينات » لم تنشر ولم تخرج عن درج مكتبه ، لكن الآن اختلف الوضع فقد أعطاه مقال مولر فى الهجوم عليه الفرصة التى كان يريدها • فكتب مقالا وقعه « الأخ الساكت » المسئول عن نشر القسم الثالث من مراحل

---

(١٠) C. F. : W. Lowrie S. Kierkegaard Vol. 2, P. 348.

(١١) الناشر المزعوم لكتاب كيركجور « مراحل على طريق الحياة » •

(١٢) الناشر المزعوم لكتاب كيركجور « اما ••• أو » •

(١٣) رئيس تحرير صحيفة ليبرالية كان كيركجور ـ وهو طالب يدخل معه فى نقاش وجدال •

(١٤) W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 2, P. 348.

على طريق الحياة ·· « نشر فى ٢٧ ديسمبر عام ١٨٤٥ فى صحيفة الوطن ···· Fatherlan » أثار دهشة « مولر » يقينا وافتتحه بهذه الكلمات : « أحقا يمكن أن تكتب عنى صحيفة القرصان ؟ ! انه لأمر مؤسف بالنسبة لأى مؤلف مسكين أن يكون منفردا فى الأدب الدانيماركى على هذا النحو (مفترضين بالطبع أن الاسماء المستعارة كلها ليست الا لشخص واحد) أعنى ان يكون هو الشخص الوحيد الذى لا تشتمه هذه الصحيفة ! فقد تملقت الصحيفة - ان اسعفتنى الذاكرة شخصية هيلاريوس Hilarius مجلد الكتب كما عانى « فيكتور ارميتا » من الخلود الذى وهبته اياه القرصان ! ولقد كتبت عنى يقينا من خلال مقال « مولر »لأن « مولر » هو القرصان ، والقرصان هو مولر · ومن ثم فان كاتبنا الرحالة أنهى زيارته الى سورو Soro بواحدة من تلك الهجمات البذيئة التى تشنها « القرصان» ضد الناس المحترمين ··· »(١٥) ·

وعندما قابل « جولد شميث » بعد ذلك بقليل اعترف له ان مقاله « نسف » مولر تماما لأنه كان يطمح الى أن يخلف « أولنشليجر » أستاذا لعلم الجمال فىجامعة كوبنهاجن، كما قدمنا لكن الأمل تبدد تماما عندما كشف كيركجور النقاب عن تعاونه مع « القرصان » · ورد فى « صحيفة الوطن » بمقال وصفه كيركجور بأنه « مؤدب » : « فقد ضرب ضربته واختفى · ولا ادرى الى أين ذهب ··· لكن منذ تلك اللحظة ظهر الأدب الرخيص بكثافة فى مكتب صحيفة القرصان »(١٦) ·

(١٥) Quoted by W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 11, P. 350.

(١٦) W. Lowrie: op. cit., Vol. 2, P. 251 & A Short Life, P. 177.



The whole universe turns around S. K.
From the 'Corsair'

كيركجور فى المركز والكون كله يدور حوله !
نقلا عن صحيفة القرصان



Soren Kierkegaard
Drawing by W. Marstrand

سرن كيركجور ــ بريشة و. مارشتراند

وجاء الرد سريعا ففى ٢ يناير ١٨٤٦ ظهرت « القرصان » بمقال طويل عنوانه « كيف اكتشف فيلسوف متجول محررا متجولا للقرصان » ؛ وفى المقال يظهر الأخ الساكت وهو يتناقش مع « صحيفة الوطن » ٠٠ ويقول لها أنه اكتشف المحرر الحقيقى للقرصان ويدعوها الى ذبحه وذبح الصحيفة نفسها ، والمقال مزين بصورتين كاريكاتوريتين لكيركجور ٠٠ ٠

وتبع ذلك مقال آخر مزين أيضا بالصور يتحدث فيها كيركجور الى الفيلسوف « هيبرج ٠٠٠ Heiberg » وأستاذ الفلك أو لفسن ٠٠٠ Olufsen حيث تظهر فى الصور لأول مرة سراويل كيركجور القصيرة ويتهمه برفسور « أولفسن » بأنه هو الذى أمر الخياط بتفصيل سروال غير متساو فى طول رجليه فواحدة طويلة والأخرى قصيرة ! ثم بعد ذلك تظهر فقرة بقلم الأخ الساكت يحذر فيها الناس من أن يقولوا له أسرارا ! وفى اليوم التالى يظهر مقال لكيركجور فى صحيفة الوطن « نهاية جدلية لمسائل الأدب » يحتوى على هجوم جديد على « مولر » رغم أنه لم يذكره بالاسم هذه المرة ٠ ومن الآن فصاعدا تبدأ القرصان « فى نشر مقالات وملاحظات ساخرة فى كل عدد عن كيركجور نفسه أو عن احدى شخصياته المستمارة موضحة باستمرار برسوم كاريكاتورية ساخرة تصورة فى مواقف رمزية مختلفة مثل صورة له وهو يركب فوق فتاة صغيرة ليعلمها » أو هو يمتطى صهوة جواد أو يستعرض قواته ٠٠ الخ وفى جميع هذه الرسوم الكاريكاتورية تستخدم جميع عيوبه الجسدية وتشوهاته : تقوس ظهره ، ساقاه النحيفتان ، مشيته العرجاء ، سراويله التى أصبحت معينا لاينضب للتهكم والسخرية (حيث تبدو ساق أطول من الأخرى) ٠ وهكذا أصبح كيركجور لعدة سنوات شخصية معروفة شهيرة فى كوبنهاجن ! لقد كان كيركجور من قبل معروفا فى المدينة الصغيرة (كوبنهاجن) لكن أحدا لم يلحظ من قبل أن سراويله غريبة الشكل حتى أصدرت القرصان مقالا عبارة عن اعلان فى ١٩ فبراير عام ١٨٤٦ تقول فيه ان مؤلف « اما ٠٠ أو » مستر « فيكتور الناسك » قد ربح جائزة « اتحاد الصناعة » لمقاله عن صناعة الملابس فى الدانيمارك ويضع المقال عبارة صغيرة بمثابة شعار تقول : « اننا نعرف من تجاربنا انه **اما** أن تكون ساقا السراويل متساويتين أو أن تكون واحدة أطول من الأخرى » ٠ ! فأصبحت العبارة نكتة يتندر

بها الناس حتى أن كل من يقابل كيركجور فى شوارع المدينة لابد أن يحدق فى سراويله ! وأطلق على الأحداث فى الشارع اسم « سرن » أو « اما .. أو » ، وكانت الأم التى تريد أن تربى ابنهـا أو تنهره أو تعلمه أن يكون مهذبا تقول له : « لا تكن سـرن »(١٧) . وكانت المربيات يرسلن الاطفال ليسألوه عن الساعة ويقلن لهم تأملوا سراويله : مرة على سبيل السخرية والمزاح ، ومرة أخرى على سبيل التربية والتهذيب : وكثيرا ما كان يعود منهكا من نزهاته القصيرة سواء بالعـربة أو سيرا على الأقـدام فيتجمع حوله حشـد من الناس وهـم يضحكون مشيرين الى سراويله : وحتى اذا ذهب الى الكنيسة لا يتركوه فى سلام ! ولقد بلغت الأمور حـدا من السوء جعل الخياط الذى يفصل له سراويله فى غاية القلق خشية ان يفقد عملاءه ولذا فقد رفض أن يفصل له شيئا بعد ذلك ! أيكون غريبا بعد ذلك أن يكره « الجماهير » . وينفر من « الحشـد » ، ويتحدث باحتقـار عن « الرعاع » و « السـوقة » و « الدهماء » ، و « البهـائم البشـرية » .. أولئك الذين يضايقون الآخرين كالذباب .. ؟ !(١٨) .

أيكون غريبـا أن يشـعر أنه « الأوحد » و « الفريد » و « المستثنى » و « الخارق للعـادة » ؟ وأنه شهيد يبصق الشعب على وجهه لأنه لم يهبط الى مستواه ؟ ! أيكون غريبـا أن يسهب فى الحـديث عن نفسـه كعبقرية فريدة : لانظير لها بين المعاصرين ، وكشهيد للحق ، وأن يجد العزاء فى أنه كان « ذبيحة للآخرين » . وأنه ضحى بنفسه لـكى يتقدم الفكر ؟ . « من الناس من تكون مهمتهم أن يكونوا ذبيحة للآخرين بطريقة أو بأخرى حتى يجعلوا الفكر (أو المثل الاعلى Ideal ) يتقدم ، وأنا بصليبى الخاص أحد هؤلاء الناس »(١٩) . فذلك هـو الألم الخـاص « بالأوحـد » الذى عرفه السيد المسيح بكل مرارته ، ألم ذلك الذى جاء لكى يحب فكرهه الناس !(٢٠) مفارقة غريبة وكم فى الحياة من مفارقات !

ويرى « هولنبرج » أن كيركجور قـد اكتسب من هذه التجربة معرفة

---

(١٧) W. Lowrie: A Short Life, P. 23.

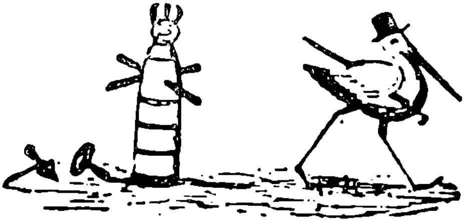
(١٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 212 (Oxford).

(١٩) Ibid, P. 490.

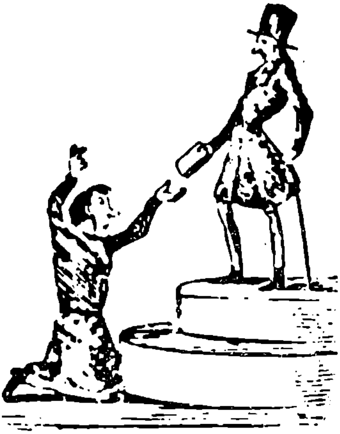
(٢٠) J. Wahl: Etudes, P. 36.



كيف يدخل التهكم الى باب المرعب وكيف يخرج منه مرة أخــرى بهــدوء !
(نقلا عن صحيفة القرصان)



« الأخ » يفسح الطريق أمام سيدة فى المدينة !
(نقلا عن صحيفة القرصان)



كيركجور يهدى واحــدا من كتبه الى أحد المعجبين
(نقلا عن صحيفة القرصان)

أفادته عن الطبيعة البشرية فقد اكتشف مثلا أنه هو وحده الذى كان يقترب من هؤلاء الساخرين على نحو مباشر بأن يسألهم عن وقود ليشعل سيجارته فيضطرهم بذلك الى أن يغيروا من لهجتهم ويكونوا أكثر أدبا واحتشاما ! : « فلقد كنت أؤدى لهم خدمة عندما أسألهم أن يشعلوا سيجارتى » ! كما أنه تحقق من أن سخريتهم منه ليست سوى دفاع حقيقى من جانبهم ضد تفوقه عليهم ، وأنه عندما يقابل هذه السخرية بكلمة لطيفة تتحول هذه السخرية فى الحال الى أدب ولطف ومجاملة لأن الساخر فى هذه الحالة (عندما يكون كيركجور لطيفا معه) انما يشاركه شهرته « انه يشعر كما لو كان شريكا فى عظمتى ! »(٢١) .

والحق أن كيركجور عانى كثيرا من هذه التجربة المريرة ، وأحسن بآلام نفسية عميقة لأنه لم يكن يرد سوى « الأمانة » فقابلته الجماهير بجحود عجيب ! لقد أحب الناس ودافع عنهم فكرهوه ولم يحاولوا قط أن يفهموا الدور الذى يقوم به : « ان الأمر الذى يجعل وضعى فى الحياة العامة أكثر صعوبة من أى شىء آخر هو أن الناس لاتستطيع أن تفهم ما أصارع من أجله ولا أن تدرك ما أقاتل بشأنه ! وعلى العكس نرى الغالبية العظمى تقول ان الوقوف فى وجه الجماهير لغو فارغ تماما لأن الجماهير هى الاعداد الغفيرة ، هى الجموع ، وهى نفسها قوى الخلاص ! فهم عشاق الحرية الذين سيكتب الخلاص على يدهم ، الخلاص من الملوك والبابوات والحكام الطغاة ... لكن الناس لاتعرف ان مقولات التاريخ قد تغيرت وأن الجماهير قد أصبحت الآن الطاغية الوحيد القائم وأنها أساس كل فساد ... »(٢٢) . ويشعر بكثير من المرارة أن احدا لا يهتم بما تفعله معه هذه « الجموع » وما تبديه نحوه من سخرية « ان الناس تلتفت اذا ماوجه الملك أو صاحب السلطان ، اللوم الى هذا الانسان أو ذاك من أجل أخطاء تافهة فتجد الكل يتعاطف معه ويعتبرونه شهيدا ، أما الرجل الذى يضطهد من الناحية العقلية وتعامله الجموع معاملة سيئة وتهينه الجماهير كل يوم بما لدى الرعاع والدهماء من غباء ووقاحة وفضول ، فلا أحد يهتم

---

(٢١) Quoted by Hohlenberg: op. cit., P. 17.

(٢٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 123 (Fontana).



سرن كيركجور بريشة و٠ مارشتراند
(نقلا عن القرصان)



ب٠ ل٠ مولر وس٠ كيركجور
(نقلا عن القرصان)



كيركجور وعصـاه
(نقلا عن القرصان)

به ولا أحـد يحرك ساكنا وكأنما كل شىء يسير على ما يرام !(٢٣) • ثم يستطرد قائلا : « لهـذا فاننى لا أشك قـط فى أن التضحية هنـا ضرورية بل لابد أن يكون هناك ضحايا كثيرة يقدمون أنفسهم للناس حتى يدركوا أن الموقف هنا مختلف أتم الاختلاف عن الثورة ضد البابوات والملوك ••»(٢٤)• لكنك تجد وسط هـذه التجربة المريرة التى مر بها كيركجور أشياء « غير معقولة » وأمورا يصعب تفسيرها على نحو ما تجـد فى بقية أحداث حياته ولهذا تراه يقـول : « من واجب الفهم البشـرى أن يفهم أن هنـاك أمورا لا يمكن أن تفهم ! وأن يعرف ما هى هـــذه الأمور ! لـكن الفهم البشرى لايشغل نفسـه ، وعلى نحـو مبتذل ، الا بما يمكن أن يفهم مع أنه لو أجهد نفسه قليلا لاعترف بالمفـارقة •• »(٢٥) • فكما لو كانت هناك « قوة عليا » استخدمت هـذه المعركة لتضع كل انسـان فى مـكانه الصحيح الذى كان ينبغى أن يوضع فيه ، فلاشك أن نتائجها كانت قاسية لكيركجور لكنها كانت قاتلة للشخصيتين الآخـريين الأولى هى شخصية ب• ل• مولر الذى فقد كرسى الجمـال فى الجامعة بعـد أن كان مرشحا لشغله وفضـلا عن ذلك فقـد شعر بضعف موقفه الشديد حتى أنه غادر البلاد الى باريس ولم يعـد اليها أبدا ، فقد مات فى فرنسا بعد حياة مذلة مهينة لايصاحبه فيها سوى سيدتين من صديقاته(٢٦) •

أما الشخصية الثانية فهى « جولد شميث » صاحب ومؤسس صحيفة القرصان الذى يقلع عن هذا العمل نهائيا ويصبح كاتبا وناشرا للدوريات ! والغريب أن علاقة جولد شميث بكيركجور كانت فى بدايتها جيدة جدا وكثيرا ما التقى الرجلان فى الشارع وتبادلا أحاديثا وديه للغاية وكان كيركجور يصفه فى يومياته بأنه : « ذكى ولماح ولا يخلو من موهبة » • وظلت العلاقة بينهما علاقة احتـرام متبادل حتى فى الفتـرة الأولى من المعركة • لـكن الصراع هبط الى درجـة مسفة لايستطيع كيركجور ان يهبط اليهـا لأنه ،

---

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 123-124.
(٢٤) Ibid, P. 124 (Fontana).
(٢٥) Ibid, P. 117.
(٢٦) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 11, P. 350 & A Short Life of S. K. P. 179.

بالقطع ، لايستطيع أن يناقش ما تقوله القرصان لأنه أصلا لايناقش : فماذا يقول عن زيه ، وشكله ، وأنفــه ، وعموده الفقرى ، ومشيته ، أو سراويله أو عصاه ٠٠ الخ ؟ ! أمور ليس فيها ما يناقش ، ولهذا فان جولد شميث يخبرنا أنه عندما التقى مصادفة بكيركجور فى الطريق نظر اليــه الأخير نظرة فيها الكثير من المرارة والحــدة مع الكبرياء دون أن يحديه أو ينطق بكلمة(٢٧) ٠ ويروى « جولد سميث » أنه منــذ تلك اللحظــة قرر أن يقلع عن اصــدار صحيفة « القرصان » على ما كان فى هذا القرار من تضحية كبرى ! وفضلا عن ذلك فقد اعتزل العمل تماما فى ٢ أكتوبر ١٨٤٦ وسافر الى الخارج وعندما عاد الى الدانيمارك فى ديسمبر ١٨٤٧ أصدر دورية أطلق عليها اسم « الشمال والجنوب »(٢٨) ٠

اما بالنسبة لكيركجور فقد كانت النتيجة سيئة أيضا بل أسوأ مما كان يتوقع ، ولم تكن المشــكلة أن جولد شميث هاجمــه هجــوما قاسيا استمر نحو عام ، بل كانت المشــكلة الكبرى أنه لم يكن يستطع الدفاع عن نفسه ، لايستطع أن يدخل ، فكما ذكرنا ، فى نقاش علنى حول أرجل سراويله وهل هما بنفس الطول حقا أم أن واحــدة أطول من الأخرى ! ولهــذا فقــد عاد الى التقوقع على نفســه صابا فى يومياته مشاعره وانفعالات فى تدوينات قصيرة لكنها عنيفة كالشلالات : فيها الغضب والسخرية والمرارة والتهكم وجعل عنوانها « جدل الاحتقار » أو « أدب الاحتقار » أو « اشارة دمثة » ، « نتيجة حادة فى مسائل الأدب » ، « سوء طالع الدانيمارك فى الداخــل : هل هو واحد فقط حقا ؟ » ! ومقالات أخرى كثيرة لم يطبع منها شىء قط فى حياته ، لكنها نشرت فى يومياته بعد وفاته ٠

لم يكن هناك عزاء فى هــذه الفتــرة القاتمة من حيــاته سوى بعض الزيارات القليلة للملك كريستان الثــامن Christian VIII والغــريب أن كيركجور لم يسجلهــا فى يومياته الا بعــد ذلك بسنوات طويلة ( وان كان قــد حرص على أن يكتب للملك رسالة يطلب فيهــا معاشا ـ لكنــه لم يرسلها ! ) ٠ ويبــدو أنه لم يكن موفقــا فى كل أحاديثــه مع الملك ، ففى

---

(٢٧) W. Lowrie: A Shodt Life P. 178.

(٢٨) J. Hohlenberg: op. cit., 175.

احدى المرات ، على سبيل المثال ، كان الفيلسوف يضع الشروط التى ينبغى أن تكون فى الملك فقال : « كثيرا ما فكرت فى الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الملك ، وانتهيت الى ما يأتى :

**أولا :** من الافضل أن يكون الملك قبيحا .

**ثانيا :** ينبغى أن يكون ضريرا ، وأن يكون اصم ـ أو على الأقل أن يتظاهر بذلك .. وأخيرا ينبغى الا يكثر الملك من الكلام » فضحك الملك كثيرا وهو يقول : « وصف رائع للملك ! »(٢٩) .

## ثانيا : الصراع مع الكنيسة :

أدت تجربة كيركجور المريرة مع القرصان الى احتقاره « للجموع » و « الدهماء » ، كما زادت من انعزاله وبعده عن الواقع وتقوقعه على نفسه لشعوره أنه مختلف عن الجميع فهو « منفرد » و « مستثنى » .. الخ . لكن ما هو أهم من ذلك أن هذه التجربة دفعته أكثر الى حظيرة الدين حيث بدأت تختمر فى ذهنه أفكارا عن دوره الحقيقى ، وعن المهمة التى تنتظره والتى سيكون فيها ، كالسيد المسيح ، المستثنى والخارق للعادة فهاهنا سيكون صراعه مع الكنيسة القائمة وهو صراع سوف يستمر حتى موته .. !

وكما كانت قصته مع « مولر » مقدمة لصراعه مع القرصان ، فقد كانت قصته مع « أدلر » تمهيدا لصراعه مع الكنيسة ، فقد شغلته ، لمدة ثلاث سنوات متواصلة ، مشكلة قسيس جزيرة « بورنهوم ...... Bornhem »(٣٠) ، واسمه .. أدلف بطرس أدلر A. Peter Adler الذى نشر عام ١٨٤٣ مجموعة عظات صدرها بمقدمة روى فيها أنه فى ديسمبر ١٨٤٢ ظهر له السيد المسيح فى احدى الليالى حيث سمع صوتا خافتا فى غرفة نومه ، واذا بالسيد المسيح يأمره بأن ينهض ليكتب ما يمليه عليه ، ثم أمره السيد المسيح بعد ذلك بحرق بعض الكتابات التى

---

(٢٩) W. Liwrie: A Short Life, P. 191.

(٣٠) واحدة من الجزر الدانماركية الست فى بحر البلطيق .

كان قد كتبها حول فلسفة هيجل ، وأوصاه الا يبتعد فى المستقبل عن الكتاب المقدس ، ثم يستطرد « أدلر » فيسوق جانبا من عظاته : « التى كتبها بفضل السيد المسيح الذى كان يعمل معى حتى أننى لم أكن فيها سوى أداة فحسب » !(٣١) وقد أثارت هذه الكتابات حفظية الكنيسة التى رأت أن المسيح لا يظهر الا للرسل وحدهم ومن ثم أحالت « أدلر » الى التحقيق ثم الى التقاعد بمعاش سنوى ابتداء من ١٨٤٥ · لكن الرجل نشر بعد ذلى جميع الوثائق بما فيها الأسئلة التى وجهتها اليه السلطات الكنسية العليا مع ردوده عليها ، وأخيرا نشر فى يونيو ١٨٤٦ ثلاث كتب حول موضوعات لاهوتية مع بعض القصائد ·

وفى ربيع عام ١٨٤٦ أثناء عودة كيركجور من رحلة قصيرة الى برلين لم يستغرق سوى أسبوعين ، اشترى كل ماكتبه « أدلر » حول هذا الموضوع ، وماكتبه غيره فى هذه القضية وانشغل بدراستها ثلاث سنوات ثم كتب مسودة « الكتاب الكبير حول أدلر » ولم ينشره ، ثم أعاد كتابته مرة أخرى لكنه لم ينشره أيضا ، وعثر عليه بين أوراقه لأنه فيما يبدو كان يوضح فكرته عن دوره ومهمته وموقفه من الكنيسة القائمة(٣٢) ·

ولعل انشغال كيركجور « بقضية أدلر » يرجع الى أنها ليست مقطوعة الصلة بصراعه مع القرصان الذى كان من نتيجته اهتمامه بدراسة موضوع الفرد والمستثنى ، والعلاقة بين « الفرد والعام » وما ينبغى أن يقوم به « الفرد » لاسيما اذا كان صاحب رسالة دينية فى مواجهة الجماهير والنظم القائمة التى يريد تغييرها · ان الفرد المستثنى ينبغى عليه ألا يخضع للنظام القائم ، بل على العكس ، عليه أن يقطع علاقته بهذا النظام مادامت له رسالة سيقوم بها ، ومادام لديه جديد يريد أن يقوله ومادام يريد أن يسهم فى دفع الناس الى الاصلاح ، فاذا كان هذا الفرد مصلحا حقيقة فان عليه أن يتوقع باستمرار أن يسلط السيف على رقبته وأن يتهدده الخطر بصفة مستمرة · وهذا ما لم يفطن اليه « أدلر » الذى تراجع عن موقفه مما يؤكد أنه ليس مصلحا وأن تجربته مع المسيح ليست

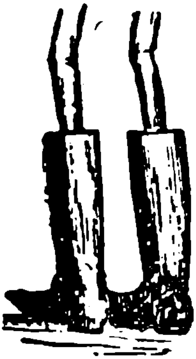
---

(٣١) · Quoted by J. Hohlenberg: op. cit., P. 188.

(٣٢) W. Lowrie: A. Short Life of S. K. P. 192-193.

حقيقيـة لأنهـا لو كانت كذلك ، أعنى لو اتحـدت ارادته مع ارادة اللـــه لاستحال عليه التراجع ! وهنا يذكرنا كيركجور بالعـادة التى جرت عليها قبائل الغـال قديما ورواها عنهم « يوليوس قيصر » وهى أنه عنـدما كان يريد واحد منهم أن يقترح فكرة جديدة ، فقد كان عليـه أن يتقدم بها وهو يلف حول رقبته حبـل المشنقة تعبيرا عن استعداده لأن يشنق فى الحـال اذا ثبت بطلان فكرته أو عـدم صلاحيتها ! وهكـذا يكون الفـرد المستثنى صاحب الرسالة على استعداد للتضحية بلا حدود !

ولقد أدت به هذه التأملات الى دراسـة الفروق والاختلافات الكيفية بين العبقرى والرسول وكتابة بحث صغير حول هذا الموضوع الذى سوف نعرض له فى فصول قادمة ـ ومن ناحية أخرى تساءل كيركجور عن السبب الذى حدا بالكنيسة الى فصل أدلر ؟ ! لقـد نشأ وعمد فى العالم مسيحيا بحـكم مولده فحسب ! ثم درس اللاهوت ونال فيـه درجة علميـة وأصبح قسا مسيحيا والى هـذا الحـد كان منسجما مع النظام الكنسى القـائم ، لكنه فى اللحظة التى اهتز فيهـا دينيـا ،وأصبح قاب قوسين أو أدنى من أن يكون مسيحيا حقيقيا ، عنـــدما أصبح يعيش المسيحية فصلوه : يالها من مفارقة عنـدما كان وثنيا عين قسا مسيحيا ، وعندما اقترب اقتـرابا مباشرا من المسيحية فصل ! هنـا يلتفت كيركجور لأول مرة الى مغالطـة سوف يكرس لها بقيـة حياته وهى اعتبار كل فرد مسيحى لمجرد أنه ولـد وعاش فى عالم مسيحى ! وشرع يدرس الموضوع كله بغية مهاجمة الكنيسة القائمة بل وصـورة العالم المسيحى كما عرفه ، ذلك العالم الذى يستطيع فيـه المرء أن يكون مسيحيا ، بل وأن يصبح قسـا ، دون أن تكون له أدنى دراية ولا أدنى فكرة عن المسيحية · ومن ثم فمن المهم أن نعرف كيف يمكن للمرء أن يصبح مسيحيا ؟ ! ولقـد كانت هـــذه الموضـوعات الاساسية الثلاثة :



حـــذاء كيركجور
نقلا عن صحيفة القرصان
S. K.'s boots
From the 'Corsair'



S. K. trainig a girl
From the 'Corsair'
كيركجور يعـلم فتاة
نقلا عن صحيفة القرصان



Sören Kierkegaard on horseback
From the 'Corsair'
كيركجور ممتطيا صهوة جواده
نقلا عن صحيفة القرصان

١ ـ الفرق بين الفرد العادى والمستثنى ٠
٢ ـ الفرق بين العبقرى والرسول ٠
٣ ـ التناقض بين العالم المسيحى والمسيحية ـ هى الموضوعات التى خرج بها كيركجور من تأمله وتعمقه لقضية أدلر ، وهى موضوعات تمثل الاساس الذى أقيمت عليه بقية أعماله فى حياته المقبلة ٠

وفى السنوات الثلاث من ١٨٤٨ حتى ١٨٥١ وصل كيركجور الى تصور واضح عن مهمته التى أرتأى أنها المطالبة بتحقيق الشرط الاساسى للمسيحية وهو أن تكون حياة الواعظ مطابقة لوعظه ٠ وشيئا فشيئا بدأ يشعر أنه هاهنا تكمن التهمة التى ينبغى عليه أن يوجهها الى معاصريه ٠ فالناس لايزالوا قانعين بالذهاب الى الكنيسة كل يوم أحد والاصغاء بهدوء لمدة ساعة الى القسيس الذى يتحدث عن دور المسيحى وكيف أنه ينبغى عليه أن يكون على استعداد للتضحية من أجل المسيح ، ثم تراهم يشكرون الله بقية الاسبوع لأن هذه التضحية ليست مطلوبة ! وان كان هناك من يستحق اللوم أكثر من غيره فهم القساوسة الذين زيفوا المسيحية وبدلوا فى عقيدتها حول الموت والشهادة لتصبح اهتماما بهذا العالم ، وسعيا وراء وظيفة ، واقامة حياة رغيدة ، فالالآف من هؤلاء القساوسة حصلوا على مناصب وكونوا أسرا ، ونعموا بالحياة مع أطفالهم وزوجاتهم ، فوظيفة يوم الأحد التى يتحدثون فيها عن عذاب القديسيين ، ويكرزون بالمسيح مصلوبا ، وبالرسل مضطهدين : تمكنهم من أن ينعموا بحياة هادئة مع أولادهم ثم بمعاش ثابت بعد التقاعد ! وهكذا يتضح لكيركجور بالتدريج أن المسيحية لم تعد موجودة وأن هذا العالم المسيحى بما فيه من مناصب دينية ، ودعم للدولة ، وقساوسة وملايين من المسيحيين ، ليس الا سخرية وقحة اذا ماقسناه بمقاييس المسيحية الحقة ! انه عملية استخفاف بالله ! واذا كان الجيل كله قد نسى ما هى المسحية ، فمن الضرورى أن تعلن المسيحية مرة أخرى بكل أصالتها وقوتها الأولى ، وبالتدريج راح يشعر أنه لا أحد يستطيع القيام بهذه المهمة الا هو وحده ، وأن حياته الماضية كلها لم تكن سوى اعداد وتمهيد لهذه المهمة !(٣٣) ٠

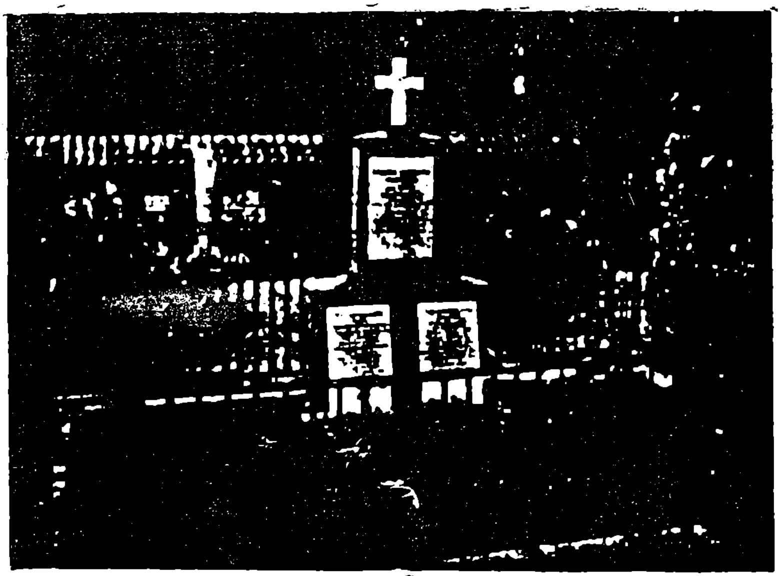
لكن احترامه للمطران مينستر ٠٠٠٠ Mynster ، كبير الاساقفة ،

(٣٣) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 205-206.

حمله على تأجيل الصراع سنوات عديدة ، لقد عمده « مينستر » ووعظه ووعظ أباه فكيف يتحدى الانسان الوحيد الذى يهابه بعد ريجينا وابيه ؟ !



Bishop H. L. Martensen الأسقف هـ . ل . مارتنسن



Sören Kierkegaard's grave قبـر كيركجور

توفى مينستر Mynster فى ٢٠ يناير ١٨٥٤ ودفن فى احتفال مهيب وبعد ذلك بأيام قلائل وقف خليفته « مارتنس Martensen ليصف الفقيد بأنه : « كان شاهدا على الحقيقة ، فمن عنـده يرتد تفكيرنا القهقرى الى خط الشهود على الحقيقة كلهم ، وهو خط يمتد كالسلسلة المقدسة عائدا الى عصر الرسل ! » . لكن كيركجور لم يحرك ساكنا ! ثم افتتح اكتتاب عام لكى يسهم الناس بالتبرع لاقامة نصب تذكارى تخليدا لذكراه ، وكيركجوز لايحرك ساكنا ! وعين « مارتنسن » كبير أساقفة خلفا له ، وكيركجور لايزال صامتا ! لكنه كان يقف واصبعه على الزناد الذى انطلق بعد عشرة شهور عندما دفع الى النشر بمقال فى « صحيفة الوطن » كان قد كتبه بعد خطبة مارتنسن « مباشرة(٣٤) ، وجعل عنوانه » أكان المطران مينستر شاهدا على الحقيقة ؟ أصحيح أنه واحـدا من الشهود العدول على الحقيقة ؟ ! . وفى هذا المقال شرح كيركجور معنى « الشاهد على الحقيقة » وكيف أنه طراز رفيع من المسحيين العظام وأن « مينستر » كان بعيدا جدا عن هذا المثل الأعلى : « الشاهد على الحقيقة هو رجل كانت حيـاته من بدايتهـا الى نهايتها مقطوعة الصلة بكل ما نسميه بالمتعة .... الشاهد على الحقيقة يعانى من العذاب طوال حياته ! » ويستطرد كيركجور ليبين ان » الشاهد على الحقيقة يسىء الناس الحكم عليه ، ويكرهونه ويمقتونه ويسخرون منه، ويحتقرونه ، ويهينونه ، ويعاملونه معـاملة سيئة ، لايملك قوت يومه ، يخرج من سجن الى سجن ثم فى النهاية يصلب ، أو يعدم أو يحرق ، وقد لايدفن وانما يطرح فى العراء ، وتتحول جثته الى ذرات تذروها الرياح فى أركان الأرض جميعا ! ولك أن تقارن ذلك كله بمسيحية « مينستر » الناعمة وما كان فيها من استمتاع بالحياة !

ظهر المقال العنيف فاصاب بالشلل معظم الناس فلم يعرف أحد ماذا يقول ! لكن بعد أسبوع ظهر مقالان غفلا من التوقيع يحملان نغمة تهكمية

---

(٣٤) يقال ان فتـرة الانتظار كانت سبب الاضطرابات الداخلية فى الدانيمارك ، ولان كيركجوز كان يريد أن يكون الجو ملائما للهجوم . كما انه لم يكن يرغب فى تضنييع الفرصة على مارتنسن فى التعيين كبيرا للاساقفة فلما تم تعديل الوزارة فى الدانيمارك واستقرت الأوضاع السيـاسية فى الداخل ، فضلا عن تنصيب مارتنسن كبيرا للاساقفة خلفـا لمينستر بدأ كيركجور فى الهجوم . قارن هولنبرج فى كتابه السالف الذكر .

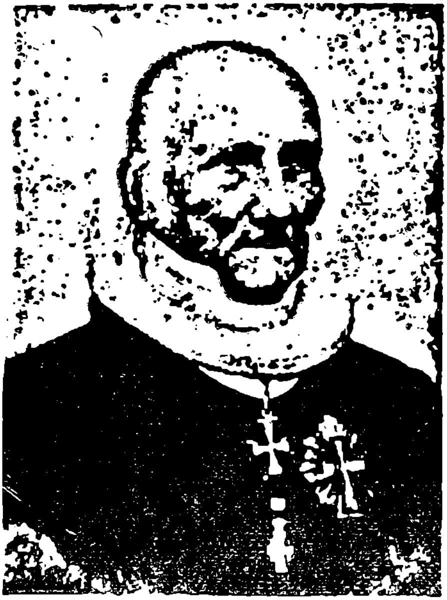
تسخر من كيركجور وتذهب الى أنه يفتقر الى الجدية أو أنه مجنون أو هما



**Johan Ludvig Heiberg**

جوهان لودفيج هايبرج الفيلسوف

الهيجلى الذى أذاع الهيجلية فى الدانيمارك



Bishop J. P. Mynster المطران ح. ب. مينستر

معاً ـ ومع ذلك فلم يكن هناك أحد يتوقع العاصفة التى تتجمع فى الأفق !

رد الاسقف « مارتنسن » محاولا ابراز جانبين :**الأول** أن كيركجور قد أعطى معنى واحد لتعبير « الشاهد على الحقيقة مع أنه يختلف باختلاف العصور ولا يستلزم أن يكون هذا الشاهد شاهدا على الدماء وحدها ! والثانى أنه حاول أن يثير الشكوك فى دوافع كيركجور وأن يقلل من أهميته كمؤلف واصفا مقاله بأن « مقال قذر » ! متهما اياه بخيانة البنوة تجاه والده ، ثم راح يتحدث باحتقار عن مسيحية كيركجور « الخاصة » التى تبحث عن المسيح فى الصحراء بدلا من أن تبحث عنه فى الكنيسة والتاريخ !

غير أن كيركجور واصل مقالاته فى صحيفه « الوطن » دون أن يلتفت الى هذه الهجمات ـ واتسع نطاق الصراع شيئا فشئيا فبعد أن كان قاصرا على على المطران « مينستر » وحده امتد ليشمل الكنيسه القائمة كلها « : اذ لو كان المطران مينستر شاهد عدل الحقيقة لكان كذلك كل قسيس ولكانت الكنيسة القائمة عندئذ على جانب كبير من الوقاحة ! » . وفيما بين ١٨ ديسمبر ١٨٥٤ و ٢٦ مايو ١٨٥٥ كان كيركجور قد كتب احدى وعشرين مقالة صحيفة على جانب كبير من العنف ، تحول الى الهجوم على الكنيسة الرسمية والمسيحية القائمة بصفة عامة عندما كتب أحد القساوسة ـ « فيكتور بلوخ .. Victor Bloch ـ » فى ٢٤ ابريل ١٨٥٥ مقالا فى صحيفة الوطن قال فيه انه مادام كيركجور قد أدان الكنيسة وهاجمها ، فان على الكنيسة بدورها أن تغلق أبوابها فى وجهه ، فكتب كيركجور مقاله الشهير « : هذا ينبغى أن يقال ، فلنقله اذن . » ! قال فيه انه لايقلق من تهديد « بلوخ » فقد ودع الكنيسة منذ زمن طويل ! ثم كتب مقالا آخر عنوانه « حكم المسيح على الكنيسة الرسمية ، لخص فيه كيف تطورت معركته مع الكنيسة ـ واقترح على القساوسة أن يكتفوا يوم الأحد بقراءة آيات انجيل متى التى تقول : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لأنكم تبنون قبورا للأنبياء ،(٣٥)..« وأيضا من انجيل لوقا » : ويل لكم لأنكم تبنون قبور الانبياء وآباؤكم قتلوهم(٣٦) .. ثم يصمتون خمس دقائق ثم يواصلون الصلاة دون تفسير لهذه الآيات لأن الجمهور سوف يفهم من المقصود بها !

---

(٣٥) انجيل متى ٢٣ : ٢٩ ـ ٣٣ .

(٣٦) انجيل لوقا ١١ : ٤٧ ـ ٤٨ .

ثم تطورت المعركة حتى أصبحت المقالات لاتسعفه فأصدر صحيفة خاصة أطلق عليها اسم « اللحظة » : « لقد سميتها باللحظة لكنى لاأعنى بذلك شيئا عابرا زائلا ، كلا ، لقد كانت ، وهى بالفعل ، شيئا أبديا ، شيئا للمثل العليا ، وضد جميع الأوهـــام(٣٧) ٠٠ وصدر العدد الأول فى ٢٤ مايو ١٨٥٥ وآخر عدد فى ٢٤ سبتمبر من نفس العام أى أن الاعداد التسعة منها صدرت كلها فى حوالى أربعة أشهر ٠ واحتوى كل عدد على سلسلةمن المقالات المستقلة التى تعرض الفكرة بدقة وبقوة حتى لاتكون هناك فرصة لاساءة فهمه ، ولم يقم بأية محاولة للمصالحة مع خصومه ، فقد شعر أنه مثل القائد الذى استنفذ كل معاهدة أو مناقشة أو دعوة سلمية وعليه الآن أن يعلن الحرب التى لامندوحة عنها ، وان يخوضها بكل قوة مهمـــا تكن المخاطر وبغض النظر عن التضحيات ! « انا على استعداد للقيـام بهذه المهمة الآن ، ولقد ندمت ندما أبديا على أننى لم اقم بها من قبل ٠ وسوف أندم ندما أبديا أيضا لو تركت نفس تهاب أو تجفل ٠٠ ان الدولة بتعيينها ومساندتها لألف من القساوسة قد جعلت المسيحية مستحيلة ، لقد اهتـم القساوسة بألا يطلع النـــاس على حقيقـة المسيحية لأنه كلمـا زاد عـدد « الخراف » عندهم حصلوا على مراكز أفضل ! ان كان القساوسة حقا ، شهودا على الحقيقة فينبغى أن تقطع عنهم رواتبهم وأجورهم ، فهذا هو مايرتضيه الشاهد على الحقيقة بغير تذمر !(٣٨) ٠

ان اللحظة التى تتحد فيها المسيحية مع الدولة هى نفسهـــا اللحظة التى تفقد فيها المسيحية وجودها ، ومن ثم فـــلا مبرر للدولة فى أن تحث الشباب على دراسة اللاهوت وأن تعدهم بأن تكفل لهم حياة طيبة ! وأكثر من ذلك أن تجعل منهم قساوسة يحلفون اليمين على الكتاب المقدس ، وهو نفسه الكتاب الذى يقول للناس لاتحلفوا قط ! ٠(٣٨)ولايغفر للدولة أيضا أنها بتنصيبها للقساوسة قد قادت الناس الى الضـــلال ، وجعلتهـــم يظنون أن مايقوله الموظفون الرسميون هو المسيحية الجقيقية ! انهـــا ان أرادت أن

---

(٣٧) S. Kierkegarrd: Attack upon Christendom P. 79.

(٣٨) Ibid, P. 80.

(٣٩) يشير الى قول السيد المسيح « أما أنا فأقــول لكم لا تحلفوا البته » ٠٠ متى ٥ : ٣٣ ٠

تشعر حقاً بالمشكلة فان عليها أن تعلن أن كل وعظ وكرازة بالمسيحية هو مسألة شخصية بحته وبالتالى تصدر قرارا بتنحية جميع القساوسة ! والا فانها تفسد المسيحية عندما تجعلهـــا وسيلة « لأكل العيش » وتجعل من القساوسة موظفين رسميين يقومون على خدمتها حتى أنها لو رغبت فى عقيدة جديدة تقول ان القمر مصنوع من الجبن الاخضر لكان لها ما أرادت فليس عليها أكثر من توظيف قساوسة بمرتبات تزداد سنويا وسوف تجد لديها « الدين الجديد » الذى يقـــول ان القمر مصنوع من الجبن الأخضر بعد أجيال قليلة ، وسوف يصبح عقيدة منتشرة فى جميع أنحاء البلاد ! والحق أن الدولة قد جعلت من الكنيسة القائمة مؤسسة حكومية تكتفى بتصدير الناس الى الحياة الآخـــــرة : « لقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها ، فكما أنها تقوم برصف الطرق ، واقامة الجسور ، وتنظيم مجارى المياه ٠٠ الخ فانها فى نفس الوقت اقامت مؤسسة مهمتهـا تقديم سعادة العالم الآخر بأبخس الأثمان ٠٠(٤٠) احذروا القساوسة أولئك الذين يسيرون فى أردية طويلة ، ويضعون زيا رسميا ويقلبون المسيحية الى ما يضـاد ما أراده المسيح » ! « : تخلصوا من المسيحية الرسمية ، وافتحوا الباب ليدخل الاضطهاد ، تلك هى اللحظة التى ستعود فيها المسيحية الى الوجود ٠٠٠ « ان كان مانسميه بالقسيس ، قسيسا حقا ، فكلنا قساوسا ! ٠٠٠ » ٠ « فى الكاتدرائية الفخمة المحترمة يتقدم كبير القساوسة بوقار شديد أمام جمهور الناس ليكرز بحماس متدفق شارحا نصوصا يختارها بنفسه ـ ولا أحد يضحك ! وفى العدد « التاسع » من اللحظة كتب كيركجور يقـــول « القساوسة هم من أكلة لحوم البشـــر ، والحق أنهــم من ذلك الصنف الكريه » !

أصدر كيركجور هذه الأعداد التسعة من « اللحظة » متتـــابعة على وجه السرعة حتى أنه لم يكن بين العدد والآخر أكثر من أسبوعين ، وقد أحدثت دويا هائلا فى كوبنهاجن ٠

فى البداية ثار كل انسان ، تقريبا ، ضد كيركجور بحنق عنيف لتهوره فى الهجوم على كبير الأساقفه « المطران مينستر » ، لكن عندما اتسع نطاق

(٤٠) Quoted by Jean Wahl: op. cit., P. 43.

الهجوم ليشمل الكنيسة القائمة كلها بدأ الناس يغيرون موقفهم لا سيما الشباب الذى شكل حلقات فى كل مكان لدراسة الأعداد التى يصدرها من « اللحظة » ويناقش ما فيها بانفعال شديد · أما رجال الدين فقد حاولوا فى البداية الرد على هجماته ثم بدأ صوتهم يخف تدريجيا حتى لزموا الصمت تماما : اما لأنهم شعروا بعدم جدوى الرد أو لأنهم شعروا أنه كان على حق فى كثير مما يقوله رغم مافيه من عنف ومبالغة ! أما هو نفسه فقد كان يشعر ، داخليا ، باضطراب عنيف كما لو كان قد استدعى كل مالديه من « احتياطى » للدخول فى المعركة فى اللحظة المناسبة : قدراته العقلية مشحونة ، ذهنه أشبه بالشعلة المتوهجة ، ملكاته النقدية تعمل بأعلى طاقاتها حتى أنه كان يطعن خصومه ولا يتركهم الا وهم رماد !(٤١)

**ثانيا : وفاته :**

فى يوم كان يعد فيه كيركجور لاصدار العدد العاشر والأخير من « اللحظة » سقط مغشيا عليه فى أرض الغرفة ، وظل بعدها أياما لايقوى على الحركة ولايستطيع التحكم فى خطوته ! ومرت هذه الحادثة وعاد الى مواصلة الصراع مع الكنيسة ، لكن فى ٢ أكتوبر ١٨٥٥ تكررت الحادثة لكنها كانت هذه المرة فى الشارع : فسقط مغشيا عليه ونقل الى مستشفى فردريك Frederiks Hospital حيث رقد حوالى شهر ثم مات ! والغريب أن أول عبارة قالها عند استقباله فى المستشفى : « لقد جئت هنا لأموت ! » · ولم يزره فى المستشفى سوى شقيقتيه وزوجيها واميل بويزن Emil Boesen صديق شبابه وقد كان قسيسا هو الآخر ، ولقد حاول أن ينتزع من كيركجور وهو على فراش الموت اعترافا بأنه عدل عن أفكاره التى أعلنها فى « اللحظة » أو أن يعلن على الأقل أنها كانت مبالغا فيها فقال له :

« لقد كنت قاسيا جدا ، أليس هناك ماتريد أن ترجع فيه مما أعلنت ؟! لا جدال أن طريق الخلاص ممكن أيضا عن طريق الكنيسة القائمة » · لكن

---

(٤١) جمع ولتر لورى W. Lowrie المقالات التى نشرها كيركجور فى صحيفة الوطن ، مع الأعداد العشرة من « اللحظة » وترجمها الى الانجليزية وأصدرها فى مجلد تحت عنوان بـ « مهاجمة العالم المسيحى » Attack upon Christendom

كيركجور لم تزحزح عن موقفه قيد أنملة بل أجاب : « أتريد أن تقول انه كان ينبغى على أن أخفف من حدة اللهجـــة ؟ ! لكنى كان ينبغى على أن أوقظ الناس ، ثم لماذا نتحدث فى هذا الموضوع ؟ ! فعــاد بويزن يسأله : ألا تود أن تتناول من القربان المقدس ؟ فأجاب « نعم ! لكن ليس من قسيس واذا كان ذلك أمرا صعبا فسوف أموت بدون تناول ! ان القســـاوسة موظفين رسميين ، والموظفون الرسميون لا علاقة لهم بالمسيحية ! » ٠

ـ أتريد أن تقول للناس شيئا ٠٠ ؟ !

ـ كلا ٠٠٠ ! نعم ! سلامى الى البشر جميعا ! لقد أحببتهم وحرصت عليهم كثيرا قل لهم ان حياتى كانت عذابا هائلا لم يعرفه ولم يفهمه الآخرون٠ ربمـــا كانت تبدو كبرياء وغرورا لكنها لم تك قط شيئا من ذلك ٠ أنا لست أفضل من الآخرين ٠ بذرة ، ولقد قلت ذلك ولم أقل شيئا غيره قط ٠ كانت عندى شوكة فى الجسد ولهذا لم أستطع أن أتزوج وأن أدخل فى العلاقات العادية المألوفة ٠ ولهذا استنتجت أن مهمتى غير عادية ، ولقد حاولت أن أقوم بهذه المهمة قدر استطاعتى »(٤٢) ٠٠٠

وفى مساء الأحد ١١ نوفمبر ١٨٠٠ لفظ أنفاسه الأخيرة ٠ وكما كانت حياته « مشكلة » ومهمته فيها إثارة « المشاكل » على حد تعبيره فقد كانت وفاته ودفنه مشكلة كبرى : لقد تحدد يوم الأحد التالى للوفـــاة ـ أى بعد أسبوع ـ موعدا لدفنه ولكن كيف يمكن للكنيسة أن تفتح أبوابها لرجل أعلن أن الدين الرسمى ليس الا استخفـــافا بالله ؟ ! لرجل قـــارن بين الكنيسة ومؤسسات الشحن والنقل التى ترسل الأرواح فى طـــرود معبأة الى الأبدية ؟ ولا تهرب من العار الا لسبب واحد هو أنها لاتعطى للناس « بوليصة شحن » تبعث بهم الى الآخرة ؟ ! وهل يمكن دعوة الناس الى حضور الحفل الذى تقيمه الكنيسة فى الوقت الذى أعلن فيه كيركجور أن المرء اذا امتنع عن الذهاب لى لكنيسة فانه بذلك يقلل عـــدد خطاياه ؟ ! وهل يمكن أن يقبل أحد القساوسة الصلاة على جثمانه وقد وصفهم بأنهم يكاذبون ، حانثون ،

---

(٤٢) قارن جان فال دراسات كيركجورية ص ٤٤ وص ٤٥ ٠ ولورى مجلد ٢ ص ٥٨٥ وموجز لحياة كيركجور ص ٢٥٤ ـ وهولنبرج ص ٢٦٦ ومابعدها ٠

من أكلة لحم البشر ... ؟ ومع ذلك فقد وافق القس ترايد Dean Tryde على القيام بهذه المخاطرة وأن يتولى اتمام مراسم الدفن دون ان يقول كلمة واحدة زيادة عن الطقوس لدينية المألوفة ، ولم يتخيل أحد أن الدفن سيمر عاديا بغير أشكالات ، أو أن حياة كيركجوز ستنتهى كحياة غيره من الناس ولهذا توقع الناس أن يحدث شيء ، وقد حدث بالفعل . اذ ظهر شاب طويل يرتدى سترة سوداء ، رافعا الكتاب المقدس فى يمينه وعددا من «اللحظة» فى يساره متقدما من القبر وهو يقول : « باسم الله ! لحظة واحدة أيها السادة من فضلكم ، وحاول ترايد Tryde أن يحتج لكن الشاب لم يلتفت اليه ووقف الناس فى سكون تام وبدأ الشاب يتحدث : ـ

« أنا هنريك لند Henrik Lund ابن أخت الفقيد وأعتقد أن لي الحق أن أقول كلمة ، أننى أرتبط به بروابط الدم لكنى لازلت أرتبط أكثر بذكرى المحومة أمي الذى وجدت فيه وحده ملامح حية لها . لقد ارتبطت به سنوات عديدة برابطة الصداقة المخلصة كما ارتبطت به أيضا فى وجهة النظر والرأى وهي أقوى الروابط جميعا ، لذلك كله أعتقد أن لى الحق أن أتحدث هنا .

« هذا الفقيد الصديق ، لم أسمع اليوم كلمة واحدة عن مؤلفاته وأراقه ، بل على العكس حاولت الخطبة العصماء المطلوبة أن تعطينا كل شيء ماعدا المهم . دعونا نفحص الآن وجهة نظره : مقالاته فى صحيفة الوطن وماتلاها من صراع مازال حيا فى الأذهان بحيث لا تدعو الحاجة الى تكرارها ولهذا سأكتفى بقراءة الفقرة من الكتاب المقدس التى تتفق فى اعتقادى مع آراء الفقيد ـ فى سفر الرؤيا ـ الاصحاح الثالث آية ١٤ ومابعدها تلخيص لكل آرائه .

« واللحظات التى كان يصدرها ـ خذ مثلا العدد الثانى المقال السادس « كلنا مسيحيون » حيث ذهب الفقيد الى أنه لا يمكن أن يتجنب أن يدفن كمسيحى حتى ولو أعلن أنه ليس كذلك . أليس هذه العبارة صحيحة؟

---

(٤٣) ثم قرأ آيات طويلة فى هذا الاصحاح هى عبارة عن رسالة الى « ملاك كنيسة اللاودكيين » تعيب المواقف الفاترة .

السينا فى اليوم مايتطابق مع كلامه ، هذه هى الحقيقة التى تشهدون عليها كلهم · هذا الرجل المسكين ـ رغم كل احتجاجه بالفكر ، والكلمة ، والفعل حيا وميتا ـ يدفن بمراسيم الكنيسة الرسمية كما لو كان عضوا محبوبا فيها! أن ذلك يستحيل أن يحدث فى مجتمع يهودى ولا فى مجتمع اسلامى أن يقرر عضو من أعضائه التخلى عن عضويته فى هذا المجتمع ومع ذلك ينظر اليه على أنه عضو فيه رغما عنه حتى بعد موتـه ! هذا الا ثم ترتكبه الكنيسة الرسمية ، أيمكن أن تكون هى كنيسة الله حقا ؟ كلا ! لم تكن قط كنيسة الله أو جماعة مسيحية حقيقة ، لقد خدمت شيطان الجشع من أجل المال أو ربما من أجل رصيد الاسرة ! لقد وضعت جانبا مملكة الله وخطه المستقيم بأن دفنت دون أدنى ضجة خصما عنيدا لها ! كلا ! انها تزعم أن الخصم عضو مخلص للكنيسة وتعامله على هـذا النحو ! فما هى هـذه الكنيسة اذن ؟ الا تكون كما وصفها الفقيد ارتدادا عن المسيحية ؟ ! انها فى الواقع « بغى كبرى ! » كمدينة بابل التى انغمست فى الفسوق والا ثم وارتكب معها كل ملوك الأرض جريمــة الزنا ، ومن خمـر الفسوق شرب كل سكان الارض(٤٤) · واليوم تضع يدها فى يد الفقيد وتدين نفسها من جديد عند ما تنظر اليه على أنه مسيحى أعنى عضوا فى الكنيسة الرسمية ·

« اننى أحتج بالنيابة عنه وبالاصالة عن نفسى ، عن وجودنا هنـــا لنشارك فى مراسم المسيحية الرسمية · لقد جىء به هنا ضد ارادته التى عبر عنها مرارا ، لقد أرغم على ذلك ، أما أنا فقد صحبته الى هنـــا لكى أسجل ذلك فحسب ، والا ماحضرت لا أنا ولا هو ! ···· الخ »

كان الناس يستمعون اليه فى سكوت تام ، وعندما انتهى من خطابه الطويل كانت هناك بعض دلائل الاستحسان ، وظل الناس فى أماكنهـــم ينتظرون مايحدث بعد ذلك · لكن لم يحدث شىء سوى أن القس ترايد Tryde ذكر « هنريك لند » أنه ممنـــوع قانونا على أى شخص لم يرسم قسيسا أن يتحدث فى مثل هذه الظروف · ثم شعر النـــاس بالبرد الشديد وملوا الانتظار فتفرقوا فى كل اتجاه ·

---

(٤٤) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٧ : ٢ ، واصحاح ١٨ : ٢ ـ ٤ ·

وكان لهـذه الأحداث نتيجة مأساوية : « هزيك لند » ظل فترة طويلة بعد ذلك يسيطر عليه فكر كيركجور ويشعر أنه الوريث الروحى للفليسوف حتى أعلن أنه سيكمل رسالة خاله ! وبعد اتمام الجنــازة بثمانية أيام نشر مقالا بصحيفة الوطن عنوانه : « اللحظة التالية ثم ماذا الآن ·· ؟ حديث تهذيبى موصى به لمعاصرى » · أعلن فيه سقوط كنيسة الدولة · لكن سرعان ما اتضح له ، ولغيره ، أن المهمة أكبر منه وأن أقصى ما يستطيع القيام به أن يكون صدى « اللحظة » الحقيقية ولهذا حاول فى لحظة يأس الانتحار بأن قطع شريانا من جسمه وعثر عليه أبوه فى غرفته بين الحياة والموت وكان ، بالمصادفة ، يقوم بزيارة ، وشفى الشاب وعاش يعمل طبيبا فى بلدة قرب كوبنهاجن ثم أصيب بمرض عقلى وانتهت حياته فى النهاية بالانتحار أيضا وهو فى الرابعة والستين من عمره ·

أما فيلسوفنا فقد استقر فى مثواه الأخير بعد حياة قصيرة ـ اثنين واربعين عاما ـ لكنها حافلة بالأحداث والصراع · وعلى قبره كتبت ـ بناء على طلبه الأبيات من شعر بروورسن ··· Brorson

« لم تبق سوى لحظات قليلة ،

« وبعدها ، أظفر ··

« صراعى هنا على الأرض ، انتهى الى الابد ··

« وفى الفردوس ، فى عالم سلام لا نهاية له ،

« لن أكف عن الحديث ،

« مع يسوع ، كصديق ·· » ·(٤٥)

---

(٤٥) راجع شـرح هـــذه الأبيات فى كتــاب جــان ڤال « دراسات كيركجورزية » حاشية ١ص ٤٥ ··

# الفصل السادس

## كيركجور بين الدين والفلسفة والسياسة

« أنا لا أريد الا الأمانة ، وحيثما تكون الأمانة .. أكون » .

**كيركجور : اليوميات ...**

« يقوم الفساد الاساسى فى عصرنا على الغاء الشخصية ، فلا أحد يجرؤ أن تكون له شخصية بسبب الخوف الجبان من الناس ، ومن هنا فان كل فرد تتقلص « ذاته » وتنكمش أناه فى مواجهة الآخرين .. ! » .

**كيركجور : اليوميات ...**

## الفصل السادس

# كيركجور بين الدين والفلسفة والسياسة

الافكار التى عرضناها فى الفصل السابق حول صراع كيركجور مع القرصان والكنيسة ( لا سيما مع الكنيسة القائمة ) تثير تساؤلا هاما يجدر بنا مناقشته ـ هو : الا يعد كيركجور بذلك مصلحا دينيا ـ بل ومسيحيا على وجه التحديد من طراز « مارتن لوثر » ، و « جون كالفن » وغيرهما من رجالات المسيحية الذينحاولوا أن يعيدوا للمسيحية بساطتها الأولىوأن يطهروها مما علق بها من شوائب ؟ ثم ألسنا فى هذه الحالة نعود الى الاتفاق مع كاوفمان بعد أن عارضناه فى الفصل الأول ؟ !

على الرغم من أن الاجابة التفصيلية عن هذا السؤال سوف تستغرق الجزء الثانى من هذا الكتـــــاب الذى سنعرض فيه لفلسفة كيركجور من بدايتها فى « مفهوم التهكم » الى نهايتها فى ـ « الايمان والمفارقة » ـ فان علينا أن نجيب هنا بايجاز عن هذا السؤال الهام ٠

الحق أن كيركجور لم يكن مصلحا دينيا من طراز « لوثر » أو كالفن « هاله ماوصلت اليه الكنيسة فى عصره ، وأراد أن يعمل على اصلاحها وأن يعود بالدين الى نقائه الأول ، لكنه كان على العكس مفكرا ذاتيا من طراز « نيتشه » ، أو فيلسوفا دينيا مثـل « بسكال » ـ وصل فى البـداية الى مجموعة من الافكار الفلسفية ثم رأى شيئا فشيئا دوره الدينى فاعتقد فى نهاية حياته أن « مجـال الدين » هو موضوعه الرئيسى ، وأن العناية الالهية قد انتدبته ليقوم بدور يتوج به تأملاته وأفكاره التى لم تكن تنصبقبل ذلك على شىء قط سوى وجوده الخاص ، اذ لم يكن تفكيره يخرج طوال حياته عن حدود خبراته الشخصية الضئيلة ٠ لقد كان كيركجور مفكرا ذاتيا من البداية الى النهاية ، وصـل عن طريق التفكير فى وجـوده الخـاص واستبطانه لذاته الى مجموعة من الأفكار الفلسفية الخـاصـة التى تدور

حول « بنـاء الذات » وماهية الحقيقة ، وتصور خاص عن اليأس والقلق • أو الاثم ، والعلاقة بين النظر والعمل ، والعلاقة بين الله والانسان ، والفرد والجماعة ، وأهمية لكيف فى عالم الانسان حتى أنه يتخذه معيارا لقياس الانسان الحق ، ولمعرفة الاختلاف الحاسم بين الله والانسان ••• الخ الخ – وطفق ينظر بمنظور هذه الافكار الى ماحوله من أحداث وتيارات فكرية ومذاهب فلسفية ، وحركات سياسية واجتماعية •• الخ ، فهاله ماوصل اليه المجتمع البشرى كله – لا سيما فى الدانيمارك ( وان كان ذلك ينطبق أيضا على المانيا وأوربا بصفة عامة ) من فساد وتزييف ، فليست المسألة قاصرة على التيار الهيجلى العاتى الذى يكتسح أوربا فيقضى على الفرد ، وعلى شخصيته البشرية ، ومحو الفروق الكيفية الاساسية بين الناس ، حين يجعل من هذا الفرد « رقما » فى جماعة ، مجرد فرد فى قطيع ، ويتحدث عن الانسـان « فى حين أن الموجود هو الفرد العينى الحى ، كذلك قضت التيـارات السياسية المختلفة التى هبت تنادى بحرية الانسان وكرامته ومساواة كل فرد مع غيره ••• الخ وأطلقت على نفسها اسم الحـركات الليبرالية التحررية ، – قضت هذه الحركات أيضا على الفرد عندما نادت بحرية « الشعب » وكرامة « المجموع » ، وأهمية « الحشد » – فضاع الفرد وسط الزحام •

فما يحدث فى الكنيسة اذن من قضاء على خصوصية الذات وعلاقتها الحية بالله ، ومافعلته الكنيسة فى « الفرد » عندما جعلته يقوم آليا بتأدية الطقوس الدينية مع جموع المصلين ، ويفعل ما يفعله « القطيع » ويخفى ذاته وشخصيته فى كيان مجرد اسمه الكنيسة فعلته الفلسفة ( لا سيما الهيجلية التى راجت فى الدانمارك ) ، وقـامت به الحركات السيـاسية اللبرالية التى أدت فى النهاية الى الانتقـال من النظـام الملكى الارستقـراطى الى النظام الديمقراطى الشعبى : « فعند كيركجور أن ماحدث فى عالـم السياسة فى العالم المسيحى يناظر ماحدث فى مجال الدين(١) يقول كيركجور

---

(١) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society; The Social Falsification of the Self in The Sickness Unto Death P. 186 (in Kierkegard's Truth: the Diclosure of the Self); ed. by J. H. Smith 1981.

ملخصا أسباب الفساد فى العالم المسيحى كله : « يقوم الفساد الاساسى فى عصرنا على **الغاء الشخصية** فلا أحد يجرؤ أن تكون له شخصية بسبب الخوف الجبان من الناس ، ومن هنـــا فان كل فـــرد تتقلص « ذاته » ، وتنكمش « أناه » تجاه الآخرين •

« رجل السياسة لايعرف ولايتعامل الا مع الجمهور ، انه لايستطيع ـ لاسمح الله ! أن يقول : « أنا » فهو يتحدث دائما باسم الجمهور ، باسـم الشعب •

« ونفس الشىء يحدث بالضبط فى مجال الدين ، اذ نرى القساوسة يستغلون « الكنيسة » فى مساعدة الفرد للاختباء وسط القطيع ، فما يرغب فيه الناس هو أن يعثروا على « تجريد » يحميهم بحيث يستطيع المرء أن يتجنب أن يقول « أنا » ـ تلك الكلمة التى أصبحت فى عصرنا أخطر الاشياء جميعا • وهذا التجـريد هو الكنيســـة وقد زخـــرفت وزينيت لتكون هى « الشخص » ••••(٢) •

وهكذا تضافرت جهـود الكنيسة مع رجال السياسة مع المفكرين على القضاء على الشخصية البشرية ومحو الفروق الفردية الكيفية بين الناس والاعلاء من سيطرة مايسمى بالشعب أو الجمـــوع أو القطيع وهـــم فى الحقيقة مجموعة من السوقة والدهماء يهمها جدا طمس الشخصية المتميزة، وهكذا تكاتف المجتمع كله لتزييف الذات ، ومن هنا كانت صرخة كيركجور الشهيرة : « كل شىء مزيف ! •

كان كيركجور ، اذن ، يهدف الى انقاذ الشخصية البشرية من الضياع والى أن تسترد ذاتها ، وأن تستعيد خصوصيتها التى فقدتها وسط الجماهير، بين مايسمى بالشعب عند السياسيين ، وجموع المصلين ، ورواد الكنيسة عند رجال الدين • لكن الشخصية البشرية التى يحرص عليها فيلسوفنا هى الشخصية المتكاملة ، ومن هنا فقد ألح مرارا على ذلك الارتباط الوثيق بين « الفكر والوجود البشرى » بمعنى أن يكون الفكر وجوديا ، وهو ارتباط

(٢) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 352.

(٣) Quoted by R. Jolivet: Introduction to Kierkegaard P. 230.

ينبع من شخصيته هو ، ومن خبرته الذاتية نفسها فقد كان لايفكر الا فى وجوده الخاص ، ولايعيش الا أفكاره هو ، وهو يريد من الناس جميعا أن تفعل ذلك : « ان ماأريده ، وماأبحث عنه فى كل انسان أعجب به ، وفى كل شخص أعرفه معرفة حقيقية هو : ألا يفكر بالنهار الا فى مقولات حياته ، وأن يحلم بها فى الليل ‥ » (٤)لكنك اذا مانظرت حولك وجدت انفصاما غريبا فى الشخصية من الطقوس الجامدة والشعائر الميتة لا أثر فيها للحياة ، فهذه العقائد فى واد وسلوك الناس فى حياتهم اليومية فى واد آخر . ولك أن تنظر الى المتدينين جميعا سواء أكانوا من رجال الدين أو من أوساط الناس لتجد هذا الانفصام فى الشخصية ، فها هو المطران « مينستر » رئيس الكنيسة : « يقول كلمات وعظات هامة ، لكن فى الجانب الآخر من المتحدث أعنى حياته الخاصة ، كان حذقه يسعفه : وفيما بين ساعات الصمت والهدوء حيث يقف واعظا فى الكنيسة ، وبين حياته الشخصية يوجد صدع عميق ، لكنه كان يعرف ببراعته الفائقة كيف يحول موضوعيا ، دون أن يلتقيا ، وكيف يبقى باستمرار على وجود مسافة بينه وبين كل شىء ‥(٣) .

وما يقال على كبير الاساقفة ، وقائد الكنيسة الذى يشبهونه بالقديسين والشهداء والرسل ، مع أنه فى حياته عاش مترفا يغرف بكلتا يديه من نعم الدنيا ، ولما مات ودعوه بالورود وزفته الموسيقى الى العالم الآخر ـ أقول ان كان انفصام الشخصية بارزا فى المطران مينستر فهو ظاهر كذلك عند رجال الدين جميعا ، فكل واحد منهم يعظ الناس بالزهد فى الدنيا ، والاقبال على التقشف ، والتمسك بالورع والتقوى من أجل الحياة الأخرى ثم يسارع لطلب الثمن والمكافأة على هذه العظات ! لاهم له فى الدنيا سوى الزواج وتكوين الاسرة وتأمين حياة أطفاله ، مع أنه يحرص يوم الأحد على تمجيد « العزوبية » لأن المسيح لم يتزوج ولا كان له ولد ، وكذلك فعل القديس بولس الذى فضل أن يكرس حياته لتعاليم المسيح يكرز بها ويبشر الناس ، ويدعوهم الى « العزوبية » (٥)ـ لاترى له أثرا بعد ذلك ، وليست تلك هى

---

(٤) S. Kierkegaard: The Journals (last years) P. 325.

(٥) قارن مثلا قوله : « أقول لغير المتزوجين والارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ‥» رسالة الى أهل كورنثوس ٧ : ٨ .

حال رجال الدين ـ من كبيرهم الى صغيرهم ـ فحسب ، لكنه الوضع الذى تردى فيه رجل الشارع أيضا الذى يذهب الى الصلاة لتأدية « الواجب » فحسب ، دون أن يحاول قط أن يعيش هذه الصلاة بالفعل ، دون أن يحاول مرة واحدة أن تتحول معتقداته الى سلوك وأفعال !

ان ما كان يحاربه كيركجور هو « انفصام الشخصية Schizophrenia » الذى يعنى أن تنقسم الشخصية البشرية على نفسها فتتحول الى شخصيتين مستقلتين داخل الشخصية الواحدة ومن هنا جاءت عبارته الشهيرة « كن ذاتك ، صرذاتك » ان مايحاربه كيركجور هو هذا التدين الزائف الذى لا يشعر بحرج ، ولا يجد غضاضة فى اعتناق أفكار ومعتقدات لاتتحول الى سلوك ، وأقوال لاتصير أفعالا ، بل تراه على العكس يحمد الله كثيرا أنه لاينفذ هذه المعتقدات ، وأنها ليست مطلوبة عمليا ومن هنا تراه يعيش فى عالمين منفصلين يروح ويغدو من الواحد الى الآخر فى سهولة ويسر ·· « الرجل فى عالمنا المسيحى المعاصر يذهب الى الكنيسة كل يوم أحد ، ويستمع الى رجل الدين ويفهمه · أجل ! ان كلا منهما يفهم الآخر · وهو عندما يموت سوف يتولى القسيس ادخاله الى السعادة الأبدية بعشرة دولارات ـ مع أنه لم يكن ذاتا قط ، ولم يصبح ذاتا قط(٦) » أعنى أنه لم يعش كما ينبغى للذات البشرية فيمارس حريته ، ويختار ، وينتقى ويرفض، وتكون أفعاله وسلوكه وتصرفاته هى فى النهاية شخصيته ·

مايحاربه كيركجور ، اذن ، هو هـذا التبدين الزائف الذى يجعل الشخصية الواحدة شخصيتين منفصلتين ، وتحول الدين الى مجموعة من الشكليات الجامدة والطقوس الميته التى لاعلاقة لها بالحياة ولهذا فهو يشترط بصراحة : « كل من أراد أن يعلم الناس المسيحية ممنوع عليه أن يهرب الى الموضوعية ، أو أن يخفى شخصيته ، فكل مايقوله ، وكل مايعلمه ، لابد أن يؤكد شفافية الشخصية الخالصة أعنى : أن تكون حياته هى تعاليمه ·· »(٧) أما الوضع الحالى فانه يعنى التزييف لكل شىء ، بل

---

(٦) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 186 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٧) S. Kierkegaard: Last Years P. 343.

يعنى أن الكنيسة نفسها تقوم على كذب : « التهمة التى أوجهها الى الكنيسة القائمة هى أن كل شىء يقوم على كذب : عبادة الله ليست سوى سخرية من الله ، والمشاركة فيها جريمة ٠٠ والكنيسة نفسها تعرف ذلك ـ تعرف أن كل شىء يقوم على كذب ولاتحرك ساكنا ٠٠ ! » ، أنه لأمر مرعب حقا أن يفكر المرء فى الأعماق التى هوت اليها الكنيسة القائمة ، والى أى حد بلغت التفاهة والنزعة المادية والقدرات المتوسطة وألوان الكذب ٠٠٠(٨) وهل هناك أدل على شكلية المعتقدات الدينية وبعدها عن الحياة من أن تجد: « مجتمعا مسيحيا يعيش فيه مجموعة من القساوسة يحلفون أغلظ الايمان ( فى الوقت الذى يقول فيه المسيح لا تحلفوا البته ) ولمدة $\frac{٣}{٤}$ ساعة فقطلاغير كل يوم أحد يتعلم الناس من هؤلاء القساوسة أن المسيحية هى نبذ العالم ، والاقلاع عن كل ماهو دنيوى ـ ثم بقية ساعات يوم الاحد ، وبقية أيام الاسبوع كلها ـ يتعلم هؤلاء القساوسة أنفسهم من الناس ٠٠ أن المسيحية هى الكفاح من أجل الدنيا(٩)كان كيركجور يحارب هذا الانفصام بين النظر والعمل ، بين الفكر والحياة ، ولهذا رأى أن المطلب الأساسى هو « الصدق » : « القاعدة العامة فى كل اتصال دينى هى أن يكون صادقا ٠ ولم ؟ لأن المطلب الدينى يستهدف الفعل ، أى العمل بناء على ماقبل ٠٠(١٠) فالدين يستهدف العمل ، أى أن تتحول أفكاره الى سلوك ، « الدين المعاملة » ، والعلاقة بين الناس وليس التمسك بطقوس وتأديتها بطريقة آلية: « وهذا هو السبب فى أن كل مايقال أو يغنى فى الكنيسة ينبغى أن يكون صادقا ، وليس عظيما أو رائعا أو ساحرا ٠٠٠ بل المهم أن يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل ، أعنى بما سوف أفعله بناء عليه(١١) ٠٠

ولست أعتقد أن مايطالب به كيركجور كان أمرا قاصرا على الأوضاع الدينية فى الدانمارك ، لأن مايطلبه هو « الصدق » والأمانة والتكامل بين

---

(٨) Ibid, P. 307.

(٩) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 341.

(١٠) Ibid, P. 319.

(١١) Ibid.

النظر والعمل : « أنا لا أريد الا الأمانة ، وحيثما تكون لأمانة أكون »(١٢) ٠

ومايحاربه كيركجور هو الكذب والزيف هو هذا الانفصام فى شخصية المرء كما يعبر عنه التدين الزائف ، وهو أمر يمكن أن يوجد فى كل زمان ومكان، وقد لايقتصر على مجال الدين وانما يتعداه الى غيره من المجالات التى يؤمن فيها المرء بأفكار ويسلك سلوكا يتناقض مع هذه الافكار فيحدث هذا « الصدع » على حد تعبيره بين الاعتقاد من ناحية والحياة من ناحية أخرى ـ وهو بارز جدا فى مجتمعنا العربى على نحو أوضح مما كان فى عصر كيركجور ،فهذا الانفصام فى الشخصية موجود عندنا : من الرأس حتى القدم ، من القمة حيث تتربع الحكومات الى القاع حيث يقف الفرد ، كلنا يحمل هذه الشخصية المزدوجة المنقسمة على نفسها ، كلنا يعيش فى عالمين منصلين لايلتقيان مهما امتدا ٠٠ ! والأمثلة لا آخر لها : المجتمعات العربية كلها تمجد الحرية وتتغنى بالتحرر مع أنها لاتعرف شيئا عنهما ، وهى كلها تتحدث عن الديمقراطية وتفاخر بها ولم تمارسها يوما ! وهى «تلوح» بقبضتها القوية للدول « الامبريالية » الاستعمارية مع أنها لاتعيش الا بها وعليها ! وهى تقف لتعلن ، فى غضب ، أنها لن تتخلى عن القضية الكبرى، والمصير المشترك ، ثم تعود الى النوم مستندة الى سيفها ، معتمدة على ذاكرة الجماهير المهلهة ! لكن اياك أن تعتقد أننا نلقى المسئولية على « الحكومات » ونعفى الأفراد « المظلومين » ـ انهم على دين ملوكهم ، مصابون أيضا بانفصام الشخصية « فالكل فى هذا الهم سواء ! ـ وربما لن تجد شيئا أعدل قسمة بين المواطنين العرب من هذا المرض اللعين ! وكم من مرة ضبطت فيها طالبة « محجبة » تغش فى الامتحانات ! وكم من مرة نبهت طالبا تكاد لحيته تحجب ورقة الاجابة ـ أن يكف عن النظر الى ورقة زميله ! وكم من مرة قلت لهم جميعا ان : « من غش فليس منا ـ » ! وان غض البصر لا يقتصر على النظر الى الجنس الآخر فقط ـ ان كان يغض حتى فى هذه الحالة ! ـ بل يعنى أيضا الا تسرق غيرك ، والا تتلصص على الناس ، وكم من مرة علت الدهشة وجوههم وقرأت عليها ذلك التساؤل

---

(١٢) وقارن أيضا قوله « من أجل هذه الامانة سوف أخاطر بكل شىء ٠٠ ان مأأريده ليس شيئا عابرا انه شىء أبدى وخالد » ، راجع فى ذلك كله جان ڤال فى كتابه دراسات كيركجوردية ص ٤١ ـ ٤٢ ٠

الذى يعبر أدق تعبير عن انفصام الشخصية ·· « وما دخل ذلك بالدين ؟ ·· والطالب الذى يغش فى الامتحان هــو نفســه التاجر الذى يرفع السـعر وينقص الوزن ويسرق زبائنه ـ فاذا أذن المؤذن هــرع الى المسجد حتى لا تفوته الصلاة(١٣) انه انفصام بين الاعتقاد والسلوك بين النظر والعمل ·

ولا يقتصر هذا الانفصام الغريب على مجال الدين وانما يتعداه الى العلم والفكر وغيرهما من المجالات(١٤) ، كمــا أن الأمر لايقتصــر على « فئة » ولاطبقة فسواء كان الفرد عندما من علية القوم أو أوساطهــم أو أدناهم فهو يعانى من هذه الشخصية المزدوجة ، كلنا يعــانى انقســـام الشخصية ، وشعارنا واحد توارثنـــاه عن الأجداد : « قلبونا مع على ، وسيوفنا مع معاوية » عقولنا فى واد وسلوكنا فى واد آخر ! كلنا يحمل شخصيتين مستقلتين بينهما برزخ لا يبغيان ! ·

« انفصام الشخصيــة » الآن ، الذى حــاربه كيركجور بعنف ليس موضوعا « محليا » ، ولا هو صنــاعة دانماركية خــاصة ، ولكنه مرض عضال يصيب الانسان فى كل زمان ومكان ، وسوف يسميه كيركجور فعلا باسم « المرض » ويجعله أدنى درجة من درجات الذات لا سيمــا ان كان صاحبهــا لايعى مثل هذا المرض ! وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل ·

والحق أن مسألة الربط الوثيق بين النظر والعمل ، أو الفكر والحياة لم تطرأ على ذهن كيركجور بسبب مارآه فى الكنيسة من فساد ، بل على العكس لقد بدأ حياته العقلية وهو يفكر فى هذا الموضوع وربما كانت هذه الفكرة هى التى دخل منها محراب الفلسفة وهى التى ستنتهى به الى وضع

---

(١٣) ومن هنا جاء المثل الذى يعبر بدقة عن هذا الانفصام والذى يقول « يصلى الفرض ، وينقب الأرض ·· » !

(١٤) لاانسى يوم وقف أستاذ مبجل يتحدث عن الدور الذى ينبغى على المفكر أن يقوم به فى مجتمعه ورسالته « الخالدة » ، وواجباته نحو أمته ـ ثم مال على المسئول قائلا : كم تدفعون نظير المحاضرة ؟ ! أو العــالم الذى يؤمن بالكثير من الخرافات · أو الأب الديقراطى خــارج المنزل الدكتاتور مع زوجته وأولاده · شخصية هنا وشخصية هناك دون أن يمن الله عليها فيجمع الشمل فى شخصية واحدة لاتقول الا ماتؤمن به !

نظريته الشهيرة القائلة بأن « الحقيقة هى الذاتية » ، ولقد بين لنا كيركجور فى يومياته كيف شغلته هذه الفكرة منذ حياته المبكرة فقد كتب عام ١٨٣٥ ـ أى قبل مهاجمته للكنيسة بما يقرب من ثمانى عشرة سنة ـ يقول : « ان ماينقضى فى الحقيقة أن أرى نفسى بوضوح ، أن أعرف مايجب على أن أعمله ، لاماينبغى على أن أعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة · ان المهم أن أفهم مهمتى فى هذه الدنيا ، وأن أدرك تماما مايريد منى الله أن أفعله ، أريد أن أجد حقيقة تكون لى أنا ، أن أجد الفكرة ـ التى أكرس لها محياى ومماتى(١٥)« فهو فى هذه السن المبكرة ( كان فى الثانية والعشرين من عمره ) يلح على الربط بين المعرفة والعمل فليس ثمة شيء اسمه « العلم للعلم » أو « المعرفة للمعرفة » بل أن المعرفة لاقيمة لها الا ان تحولت الى عمل ، وأهمية المعرفة فى أنها « تسبق العمل بالضرورة فقط » · ومايقال على المعرفة يصدق كذلك على « الحقيقة » ، فالمهم هو أن تتحول الحقيقة الى حقيقة ذاتية ، أن تمتزج الحقيقة مع الذات وتصبح شيئا واحدة والا : فأى فائدة تعود على اذا ما وقفت الحقيقة أمامى عارية وباردة لاتبالى كثيرا ان عرفتها أم لم أعرفها ··(١٦)فاذا لم تمتزج الحقيقة بدم المفكر ، واذا ما اغتربت عنه افكاره حتى ولو نعم بها الآخرون وتمثلوها ، فسوف يكون : « مثل أولئك الآباء الذين اضطرهم فقرهم الى ارسال أبنائهم بعيدا عنهم فتركوهم تحت رعاية أناس آخرين(١٧)واذا كان هناك أمر مطلق للمعرفة والفهم : » فان هذا الأمر لابد أن يصبح **بطريقة حية جزء منى** ·· وأنا أدرك الآن ان هذه مسأله حاسمة وهى ماتتعطش اليه نفسى تعطش صحارى افريقيا الى الماء ··»(١٨)

ومن هذه النصوص يتضح لنا أن هناك لونين من الحقيقة عند كيركجور :**الأول** : هو الحقيقة التى تقف أمامى عارية وباردة ولاتبالى كثيرا

---

(١٥) ذكره كيركجور فى يوميات عام ١٨٣٥ ـ وقد ترجمناه فى النصوص المختارة فى نهاية الكتاب ·· ·

(١٦) S. Kierkegaard : The Journals P. 15 (Oxford) & P. 44 (Fontana).

(١٧) Ibid.

(١٨) Ibid.

أن أعرفها ، وهذه يسميها « بالحقيقة الموضوعية » التى تكون خـــارجية بالنسبة لى ، ولاتهتم كثيرا بالشخص الذى يعرفها ، لانهــا لاتقيــم وزنا « للعلاقة » بين الذات والموضوع · أما **الثانية** : فهى الحقيقة التى تصبح جزء منى ، وتكون « العلاقة » بين الذات والموضوع أساسية بالنسبة لها ، وتلك هى الحقيقة بطريقــة موضوعية يتجه الفــكر موضوعيا الى الحقيقة بوصفها موضوعا يرتبط به الشخص العارف ··· ولا يركـــز الفكر على العلاقة أيا كانت بل على مشكلة ماذا كانت هذه هى الحقيقة التى يرتبط بها الشخص العارف أم لا · فلو كان الموضوع الذى يرتبط به الشخص العارف هو الحقيقة ، اعتقدت الذات أنهـــــا وصلت الى الحقيقة · أما حين تثار المشكلة من الناحية الذاتية فان الفكر يتجه ، ذاتيا ، نحو العلاقة الفردية فاذا كان نمط هذه العلاقة على صلة بالحقيقة كان الفرد على صلة بالحقيقة حتى ولو حــدث وكان على صلة بما هو باطل أو غير حقيقى »(١٩) ··· وكيركجور هنا يضع فهما جديدا للحقيقة لقد كانت قبله من الناحية التقليدية· عبارة عن اتفاق بين المضمون الذاتى ( سواء كان فكرا أو حكما ·· الخ ) وبين واقعة موجودة فى العالم الخارجى بحيث يكون الحكم أو الفكرة ممثلا « لها : » غير أن الفيلسوف الوجودى رفض هذا التصور التقليدى للحقيقة واعتبره غير كاف ، فهو قد يصفـضربا من المعرفة يستهدف الفهم المجرد الوصول اليه · لكن الفلسوف الوجودى يذهب الى أن هنـــاك ضربا من الحقيقة أكثر أصالة من ذلك وهو تلك الحقيقة التى تنتمى الى عينية الوجود البشرى »(٢٠) · ولقد كان كيركجور أول من بدأ هذا الاحتجاج الوجودى على « الحقيقة الموضوعية » : « ثم ســار الفلاسفة الوجوديون على هــذا الدرب نذكر منهم نيقولا بريابيف ·· N. Berdyaev وجبرايل مارسل ···· G. Marcel فقد كان لديهما نفس وضوح كيركجور فى القــول بأن الحقيقة لابد أن يكون لها باستمرار بعــدا شخصيا ·· »(٢١) · وهـــذه النظرية

(١٩) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript Trans. by D. F. Swenson and W. Lowrie (Princeton Univer. Press N.J. 1941) P. 178.

(٢٠) John Macquarrie: Existentialism P. 137 (Penguin Books 1972).

(٢١) Ibid, P. 138.

الجديدة عن « الحقيقة الذاتية » كانت تستهدف أساسا لونين من الفكر ساد الثقافة الأوربية فى ذلك الوقت : **الأول** : هو الفكر الهيجلى الموضوعى المجرد الذى قضى على الذاتية وطمس معالم الفرد ، ومعه أيضا التفسيرات العلمية الموضوعية التى كان كيركجور على وعى بمخاطرها لاسيما أنها ما جاوزت حدودها فى دراسة الطبيعة وامتدت الى دراسة الانسان ، فها هنا يتضح زيفها · ذلك لأن دراسة الانسان عن طريق « الفكر المجرد » أو « الفكر الموضوعى » يعنى الغاء الشخصية وازاحة الذات الفردية ، بحيث تدرس الطبيعة البشرية فى النهاية على ضوء القوانين اللاشخصية والوقائع الحتمية · وعندما تدرس الطبيعة البشرية بمناهج الفكر الموضوعى وحدها فانها ترد فى الحال الى نفس القوانين والشروط الحتمية التى تتحكم فى ظواهر الطبيعة وهكذا نقضى على الحرية التى هى صميم الوجود البشرى : « قد تكون هذه الطريقة سليمة وناجحة فى دراسة ظواهر الطبيعة لكن ما أن تمتد الى دراسة الوجود البشرى والطبيعة البشرية حتى يتضح زيفها ، ولقد ذهب كيركجور الى أن هذه الطريقة تفرغ كل ما هو جوهرى وأساسى فى طبيعة الانسان ·· »(٢٢) ·

وفى مواجهة هذه الدعوى الموضوعية يسعى كيركجور الى أن يجد مكانا لرؤيا جديدة للانسان ، وضربا جديدا من الحقيقة ، فذهب الى القول بأن وراء عالم « الفكر الموضوعى » هناك أسئلة جوهرية حول معنى الوجود ، وطبيعة الانسان ، واستخدام الحرية ·· وهى تدخل ضمن ما يسميه « بالفكر الذاتى » أو « الفكر الوجودى »(٢٣) ·

وهكذا نجد كيركجور يجمع بين الفكر الهيجلى والفكر العلمى على صعيد واحد فهما معا موضوعيان مجردان ، يسعيان الى ما يسميه بالحقيقة الموضوعية ، ويقضيان على « الفرد » وعلى خصوصية الذات البشرية · وفى مواجهتهما علينا أن نعتمد على الفكر الذاتى الذى يستهدف الوصول الى « الحقيقة الذاتية » : « غير أن ذلك لايعنى أن التفكير الذاتى

---

(٢٢) W. W. Meissener : Subjectivity in Psychoanalysis P. 1282 (in Kierkegaard's truth-Yale Uniev. Press 1981).

(٢٣)

هو الذى يجعلها حقيقة ، أو ان الحقيقة ينبغى أن تتحد مع آرائى الشخصية أو ميولى الفردية ، وانما هو يعنى أن الحقيقة بمعناها الكامل تخرج من الاعماق الجوانية للوجود البشرى وهى تضرب بجذورها فى تفتح هذا الوجود ، وان كان ذلك لايمنع بالطبع من نقد كيركجور على أساس أنه بالغ أكثر مما ينبغى فى فردية الحقيقة »(٢٤) ...

أما **الفكر الثانى** : الذى كان يعارضه كيركجور بنظرية القائلة بأن « الحقيقة هى الذاتية » فهو الفكر الكنسى الذى يمكن أن يوصف أيضا بأنه فكر موضوعى ، وهو لايؤدى فقط الى تزييف الذات البشرية وانما يؤدى كذلك الى تزييف الدين نفسه . ولقد سبق أن رأينا كيف كان من نتيجة هذا الفكر أن انقسمت الذات البشرية الواحدة على نفسها عندما أصبحت معتقداتها مخالفة لسلوكها ، أو عندما تحول الدين الى مجموعة من الشعائر الجامدة ، والطقوس الميتة ، وها نحن نقف على السبب العميق الكامن وراء انفصام الشخصية المتدينة على هذا النحو ، ان السبب هو النظر الى الدين بطريقة موضوعية « فالقبول الموضوعى للمسيحية يعنى تحويلها الى ديانة وثنية .... Paganism أو تفريغها من الفكر .. ان المسيحية ترفض كل صورة من صور الموضوعية وتطالب الفرد بأن يهتم بذاته على نحو لانهاية له . فالمسيحية تعنى بالذاتية ، وفى الذاتية وحدها توجد الحقيقة لو كان لها أن توجد على الاطلاق . ومن ثم فان المسيحية من الناحية الموضوعية لا وجود لها على الاطلاق .. »(٢٥) .

لكن ما الذى يجعل كيركجور يثور على هذا النحو ضد النظرة الموضوعية الى الدين ؟ واضح أن السبب هو أن هذه النظرة سوف تجعل العلاقة بين الفرد والدين علاقة خارجية : « ان الموضوعية تعنى أن تقبل القيام بدور الملاحظ ـ فيكون مثلك كمثل من يكتشف قوانين عامة .. »(٢٦) . ولايمكن أن يكون دور المتدين هو كدور الملاحظ ولا حتى كدور المنفذ الخارجى

---

(٢٤) J. Macquarrie: Existentialism P. 138.

(٢٥) S. Kierkegaard: Conclunding Unscientific P. 116.

(٢٦) Mary Warnock: Existentialism P. 9 Oxford University Press.

لمجموعة من الأوامر أو المعتقدات أو الواجبات الملقاة على عاتق الفرد ، وانما لابد أن تتحول هذه المعتقدات الى جزء منه لابد أن تمتزج بدم الانسان وتسيطر على وجوده كله : « ان الحقيقة فخ أو شرك لاتستطيع أن تمسك به دون أن تقع فيه ٠ انك لاتستطيع أن تصل الى الحقيقة بتلك الطريقة التى تستطيع أن تصطادها بها ، بل فقط بتلك الطريقة التى تصطادك هى بها ٠٠ »(٢٧) ٠

وهذا ما كان يعيبه كيركجور على القس « أدلر » الذى تراجع عن موقفه مما يؤكد أن تجربته مع المسيح ليست حقيقية لأنها لو كانت كذلك لاستحال عليه التراجع ان التجربة الحقيقية تعنى أن يتمثل الفرد الافكار التى يؤمن بها بحيث تحدد ارادته مع ارادة الله ! وهكذا يريد كيركجور أن تؤخذ الأفكار والمعتقدات الدينية بطريقة ذاتية ، فيها « جوانية » و « حمية » تهتم بالكيف والعاطفة ويغلب عليها القلق والانشغال والتوتر ، ومن هنا قال : «ان العداوة الظاهرة خير من تلك المسيحية الفاترة »(٢٨) ٠ فليست هناك حقيقية تستحق هذا الاسم اذا ما أخذها المرء بطريقة مستقلة عنه وراح يفكر فيها : « انه اذا ما صلى لصنم أو وثن(٢٩) ، ومارس الصلاة بكل عاطفته اللامتناهية فانه بذلك يستطيع أن يقترب من الحقيقة أكثر مما يصلى لله بطريقة موضوعية ، أعنى بلا عاطفة ، ومن هنا يكون « كيف » العلاقة بالغ الأهمية »(٣٠) ٠ ومن هنا فقد وصف الموضوعية فى مجال الدين بأنها « الحاد وكفر » فالله ذات وهو لايوجد الا فى الجوانية ومن أجل الذات(٣١) ٠ ولذا فان المهم هنا ، كما هى الحال فى كل مكان عند كيركجور هو « الكيف » ، والكيف هو الجوانية والعاطفة والمرء لا يدخل فى علاقة بالله الا عن طريق العاطفة وليس عن طريق العقل

---

(٢٧) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 133.

(٢٨) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 177.

(٢٩) كذلك المرتد الذى ينتقل بارادته الحرة من مرحلة الى أخرى ، فانه يبرهن على حريته انه ينتقى ويختار ـ قارن ٠٠٠
Mar Warnock: Existentialism P. 12

(٣٠) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 276.

(٣١) Ibid, P. 277.

ولا عن طريق الذكاء ـ ففى عالم الروح باستمرار يكون العامل الكيفى ـ الذاتى ـ هو الحاسم أمّا فى مجال المادة فان الغلبة تكون للكم .

انفصام الشخصية ، اذن ، مرتبط بنظرية فى الحقيقة على ضوئها يفسر كيركجور السبب فى تحول الدين الى شكليات(٣٢) ، ولقد كتب مبكرا فى ٥ نوفمبر عام ١٨٣٤ يقول : « لم يعرض المسيح نظرية ، ولاقدم للناس مذهبا ، ولكنه كان يسلك ويتصرف ، ولم يكن يعلم الناس نظرية الفداء لكنه افتداهم بالفعل .. » . فلو نظرت من هذا المنظور الى الكنيسة القائمة لقلت مع كيركجور : « انه ينبغى ألا يبقى حجر واحد من هذا الصرح الضخم .. » لأنه لايفعل شيئا سوى تزييف الدين : « لقد أصبحت المسيحية أشد مقتا من السرقة وانتهاك المحرمات ، وتأدية الواجبات الدينية ليست سوى سخرية من الله ، ومن ثم فعندما ترى قسيسا فعليك أن تصيح : حرامى ! حرامى ! . كل شىء مزور ، ولو ظهر المسيح الآن مرة أخرى لاندفعوا نحوه ليذبحوه(٣٣) ! ولهذا حرص كيركجور على أن يرد للذات البشرية اعتبارها لكى تنهض وتستيقظ وتمارس حريتها وتفعل وتثبت وجودها الحقيقى الأصلى وليس ذلك الوجود المزيف الذى يختبىء وراء جموع المصلين فى الكنيسة تارة أو وراء « الجموع » ، و « الحشد » فى الشوارع تارة أخرى ، وهو فى الحالتين يهرب من المسئولية ، ويتهرب من ممارسة حريته عندما يعتنق نظرية خاطئة تقول ان ما يقوله القطيع هو الصواب ، أو سر مع القطيع تأمن شر المزالق ، وهذا دليل قاطع على أن الناس تخشى الحقيقة وتتهرب منها ، وليس ما يقال عن « حب الحقيقة » سوى لغو فارغ لأن الوصول الى الحقيقة يحتاج الى « شخصية » ، الى « الذات » ، الى الفرد المستقل عن الجموع ـ يقول كيركجور :

« ان الناس تخشى الحقيقة أكثر من خشيتهم للموت ـ تلك هى

---

(٣٢) ومن هنا ذهب لينج الى القول بان انفصام الشخصية لا يمكن فهمه بدون فهم نظرية اليأس التى عرضها كيركجور فى كتابه « المرض حتى الموت » ، انظر :
R. D. Laing: The Divided self P. 38 Penguin Books.

(٣٣) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 177.

الحقيقة حول كان ما يقال من لغو ونفاق عن « حب الحقيقة » ، وعن الاستعداد للسير وراءها بمجرد فهمها ٠

« كلا ! ان الانسان بطبيعته يخشى الحقيقة ويهابها أكثر من الموت وتلك مسألة طبيعية جدا : لأن الحقيقة أكثر بغضا للوجود الطبيعي عند الانسان من الموت ٠ فما العجب اذن ، فى أنه يخشاها الى هذا الحد ؟ !

ان اليقظة والانتباه الى الحقيقة يحتاجان الى **الوجود المنعزل** ، الى الوجود الذى ينتحى جانبا كما فعل المسيح مع الأصم حين أخذه على ناحية بعيدا عن الحشد(٣٤) ٠ وهذا وحده كاف لأن يجعل الانسان يخشى ويخاف ، ويقلق ، من الحقيقة أكثر من مواجهة الموت ٠ فلما كان الانسان حيوانا اجتماعيا ، فانه لايكون سعيدا الا وسط القطيع ، ويتساوى عنده اللغو العميق والنذالة الكبرى والجريمة العظيمة ، فهو يشعر برضا كامل مادامت تلك هى نظرة القطيع ، أو فعل القطيع ، وهو قادر على أن يلحق بالقطيع وينضم اليه ٠ ولما كان الانسان فى الأصل حيوانا أصبح روحا ، فانه يظل باستمرار يخشى هذا المصير (وهو أن يصبح روحا) بوصفه حيوانا أكثر مما يخشى الموت ٠ وهو لأنه حيوان فانك تراه يزيح من طريقه تلك الغايات القادرة على أن تحوله الى روح ٠

ونتيجة لذلك تراه يتعرض ـ عندما يريد أن يكون فى علاقة مع الحقيقة ـ للسخرية ، والاحتقار وسوء المعاملة من الآخرين ـ أعنى من القطيع ٠٠ وهذا هو السبب فى أن الناس يغيرون من تصور « الحقيقة » لتصبح الحقيقة هى السير مع القطيع ، ثم يضيفون الى ذلك قولهم ان هذا أيضا هو معنى حب الحقيقة وتلك هى الحال التى آلت اليها المسيحية فى عصرنا ٠٠ »(٣٥) ٠

---

(٣٤) يشير كيركجور بذلك الى القصة التى رواها انجيل مرقس عن موقف المسيح مع ذلك الأصم الذى عالجه : « وجاءوا اليه بأصم ، وطلبوا بأن يضع يده عليه ، وأخذه من بين الجميع على ناحية ، ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه ٠٠ الخ » انجيل مرقس الاصحاح السابع : ٣٣ ٠

(٣٥) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 131-2.

في هـذا النص الهام نجد كيركجور ينظر بمنظور الحقيقية الذاتيـة ، كما تصورها ، الى الكنيسة القائمة ليجد أن « الفرد » قد ذاب وسط الجموع معتمدا على أن الحقيقـة هى السير مع القطيع تماما كما يفعل الحيوان ، وفي ذلك الغاء لوجوده البشرى الذى هو مرادف للحـرية والمسئولية عندما يفعل ويسلك ويتصرف بارادته الذاتيـة الخاصة : « فالفعل يتضمن الحرية وليس ثمـة سـوى قليل من الموضوعات القـريبة من قلب الوجودية مثـل الحرية ، وهو موضوع بارز عند مختلف الوجوديين لكنه هام عند كيركجور اذ أن الوجود والحرية عنده مترادفان ٠٠ »(٣٦) ٠

ولاشك أن الانسان يهرب من حريته لأنها عبء ثقيل بما يستتبعه الفعل من مسئولية بعد أن يتم ؛ أو اختيار قبله ، ولهـذا فهو يريح نفسه بالسير مع القطيع بغريزة الحيوان ـ وواجب المفكر أن يوقظ فى الانسان مرة أخرى هذه المسئولية ، وأن يضع عليه هـذا العبء الذى يهرب منه ، ولعل هـذا هـو السبب فى الهجـوم العنيف الذى يشنه كيركجور على « مارتن لوثر » الـذى لم يفهم فى رأى فيلسوفنا هذه الحقيقة ـ فراح يبسط الأمور أكثـر مما ينبغى : « كلمـا أمعنت النظر فيما يقوله لوثر اقتنعت أن رأســه كان مهوشا ، انه لضرب مريح جـدا من الاصـلاح ذلك الذى يعتمد على طرح الاثقال ، وجعل الحياة أيسر وأسهل ، وهى طريقة سهلة فى الحصول على أصدقاء ! أما الاصـلاح الحقيقى فهو الذى يجعل الحيـاة أكثر صعوبة ، انه يعنى وضع الأثقـال ، والمصلح الحقيقى يصـدر عليه باستمرار حـكم بالاعدام كما لو كان عـدوا للبشرية ٠٠ »(٣٧) ٠ وعلى هـذا المنوال كان يسير كيركجور في دراسته للفـكر القائم فى ذلك الوقت سـواء أكان فكرا هيجليا أم سياسيا (وهو فى رأيه وليـد الفـكر الهيجلى) أم فـكرا دينيا ؛ فحتى الافكار الدينيـة الخالصة تناولهـا كيركجور من منظور فلسفى كما حدث مثلا فى أفكار مثل « الخطيئة » و « العثرة » ، و « الايمان » ، و « غفران الخطايا » ٠٠ الخ فهـو لا يعتمد فيها على ما يقـوله الكتاب المقـدس ، بل انه لا يقتبس من هذا الكتاب الا ما يدعم وجهة نظره ٠

---

(٣٦) John Macquarrie: Existentialism P. 177.

(٣٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 167 (Fontana).

فالخطيئة مثـلا أساسية بالنسبة للمسيحية وفى رأيه « ان المسيحية حصنت نفسها منذ البداية عندما بدأت من نظرية الخطيئة .... Sin ، ومقـولة الخطيئـة هى مقولة الفـرد ، والخطيئـة لايمكن التفكير فيهـا نظريا .. »(٣٨) . لأنها فعل وسلوك وهى لاتفهم الا على هذا النحو . واذا كان يعمل باستمرار على ان تكون كفـة الأجيال راجحة على كفة الفرد لانه كان يمكن لنا أن نكون تصـورا عن الانسان الفـرد فانه لا يمكن للمرء أن يفكر فى « الفرد » الا من حيث هو تصور ، ومن هنـا فان الفـكر النظرى ليس من المنتظر أن يعترف الفـكر النظرى بضعف التصور من حيث علاقته بالواقع(٣٩) . وهذا هو السبب فى أن هذا الفـكر لم يفهم الخطيئة والفرد فهما جيدا لأنهما لا يمكن أن يتحـولا الى أفكار ، ان نظرية الخطيئة تجلب معها مجالا أخلاقيا كما أنها تركز على الواقع وعلى الفرد فى حين أن الفكر النظرى لايهتم بالفـرد العينى وانما يهتم بالمجردات ومن هنا : « فان جدل الخطيئة يعارضه تماما جدل الفكر النظرى »(٤٠) .

معنى ذلك كله أن المسيحية تبـدأ من الخطيئة لأنهـا تبدأ من الفرد ، لكن ماذا نقول فى أمر خطيئة الجنس البشـرى كله .. ؟ يقـول كيركجور ان هذه الفكرة كثيرا ما أسىء فهمها لأن النـاس لم تلاحظ أن الخطيئة مهما تكن مشتركة وعامة بين البشر فانهـا لا يمكن أن تجمعهم معا فى تصـور مشترك أو مجتمع واحد (الا بمقـدار ما يشكل جماعة الأموات فى المقبرة مجتمعا واحدا) ـ لكنهـا تفرق بين الناس ، وتمزقهم الى أفراد ، وتجعـل من كل فرد بذاته خاطئا . ان وجود الانسان يختلف عن وجـود الحيـوان الذى لايمكن للفـرد فيـه أبـدا أن يكون أعلى من النـوع ، أما فى الجنس البشرى فان اللـه خلق الانسان على صورته ـ الانسان الفرد ـ ومن هنا فانه أعلى باستمرار من الجنس ومن النـوع ، ولهـذا فان الانسان لايتميز عن الحيـوان بالميزات المعروفة وحدها لكنه يختلف عنهـا كيفـا من حيث أن الفرد أعلى من النوع ، وهذه الخاصيةجدلية فهى تعنى أن الفرد خاطىء ،

---

(٣٨) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 250.

(٣٩) Ibid.

(٤٠) راجع « المرض حتى الموت » ص ٢٥١ .

لكنها من ناحية تكمل معنى الفرد(٤١) ٠٠

لكن الخطيئة لاتفصل بين أفراد الجماعة وتدعم وجود كل منهم على حدة فحسب ، ولكنها كذلك تقوم بنفس هذا الدور الجدلى فى علاقة الانسان بالله ٠ يقول كيركجور : « لن تجد زاوية يتحدد بواسطتها الاختلاف الكيفى بين الله والانسان أعمق من زاوية الخطيئة ، فالانسان هنا خاطىء أمام الله »(٤٢) ٠ وهكذا ينفصل الانسان عن الله بواسطة صدع الخطيئة ، لكنه من ناحية أخرى لايكون خاطئا الا امامه ، ومن ناحية ثالثة فان الله ينفصل عن الانسان بقدرته على غفران الخطايا ٠ وذلك هو الفهم الأعمق ـ فى رأى كيركجور لصفات الله وليس كما كان يفعل المدرسيون فى العصور الوسطى عندما يحددون الصفات الالهية بأنكار نسبة الصفات البشرية لله كالتناهى ، مثلا ، فيقولون اذا كان الانسان متناهيا فاننا نستطيع أن نثبت لله صفة اللاتناهى ، وتلك طريقة لايجوز استخدامها هنا : « فمن التجديف على الله أن تقول انه ليس خاطئا » ، لأن الانسان الخاطىء ينفصل عن الله بهاوية كيفية هائلة الاتساع ، ومن الواضح كذلك أن الله ينفصل عن الانسان بنفس الهوة الواسعة عندما يغفر خطاياه ٠ وفى الحالة التى نحاول فيها أن نعكس الصفات فتنقل الى الانسان الصفات الالهية سوف نجد أنه يستحيل عليه أن يتشبه بالله أعنى أن يغفر الخطايا ٠٠ »(٤٣) ٠

وتعريف الخطيئة يتضمن « امكان العثرة » فيما يرى كيركجور ، « وامكان العثرة » خاصية أخرى للانسان تمنعنا من الخلط بين الله والانسان والنسيان المتعمد لهذا الاختلاف الاساسى بين الله والانسان ، والتأكيد على صورتنا التى تشبه صورة الله وحدها ، هو مايسميه كيركجور « بالتحدى » وهو أعلى صور اليأس ٠ ونحن عندما نلغى « امكان العثرة » فاننا نقع فى الحال فى خطأ تأليه الانسان ٠ ان المشكلة فى رأى كيركجور هى أن علاقة الله ـ الانسان هى علاقة « قربى » أو « تشابه » لكن أمكان العثرة

---

(٤١) نفس المرجع فى نفس الصفحة ، وقد شرح الفكرة فى حاشية طويلة ٠

(٤٢) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 252.

(٤٣) Ibid, P. 253.

هى العلاقة المميزة للاختلاف ، أوهى : « الضمان ، ان جـازلى أن أقول ذلك ، الذى يتأكـد الله بواسطته أن الانسـان لم يقترب منه أكثر ممـا ينبغى ٠٠ »(٤٤) ٠ ومن هنا كان امكان العثرة هو العامل الجدلى فى كل ماهو مسيحى ٠

ويرتبط بذلك كله « نظرية فى اليأس »(٤٥ ، تعتمد على تصور فلسفى للذات البشرية التى تتألف من عاملين هما اللامتناهى والمتناهى أو الامكان والضرورة ، فهى مركب غايته أن يصبح ذاتا تتحقق بالفعـل : « لكن معنى أن تصبح ذاتا هو أن تصبح عينية ، ومعنى أن تصبح عينية هو ألا تصبح متناهية ولاغير متناهية ، لأن ذلك الذى يصبح عينيا هو المركب منهما »(٤٦) ٠

وتنكشف صور اليأس اذا ماتأملنا العوامل التى تتألف منها الذات بوصفها مركبا ، والمركب علاقة ، وهذه العلاقة تربط نفسها بنفسها ، وتلك هى الحرية ، فالذات هى الحرية ٠٠ـ٤٧)والمهـم فى اليأس أن ننظر الى الذات تحت الوعى أو الشعور ، أعنى أن نتبين ما اذا كنا نشعر باليأس أم لا فذلك هـو الذى يحـدد الاختلاف الكيفى بين يأس ويأس آخـر(٤٨) ٠ ( لاحظ أهتمام كيركجور الشديد والمستمر بالاختلاف الكيفى بين الله والانسان، وبين الانسان والحيـوان ، وبين فرد وفرد آخـر ، وبين يأس ويأس آخر ٠٠٠٠ الخ الخ ـ وسوف نعود الى هذه النقطـة بعد قليل حيث نجد أنها تنعكس انعكاسا شديد الرجعية فى ميدان السياسة ) ٠٠

ومن هنا فسوف تظهر ثلاث صو من اليأس تقابلها ثلاثة أنمـاط من البشر :

١ ـ أدنى صور لليأس هى تلك التى لايشعر فيها المرء بأنه ذات ، أعنى

---

(٤٤) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 256.

(٤٥) نحن هنا نلخص بعض الافكار الفلسفية عند كيركجـور لكننا سوف نعود الى عرض هذه الآراء ومناقشتها وبيان مدى تأثيرها بالفلسفة الهيجلية فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ٠

(٤٦) Ibid, P. 163.

(٤٧) Ibid, P. 162.

(٤٨) Ibid.

أنه موجود روحى وليس فقط موجـــوداً ماديا • وذلك يعنى أنه يفشل فى التحقق من أن المرء قادر على التفكير أعنى أن يفشل فى معرفة أنه مركب • وهذه الصورة الدنيا من اليأس ـ وهى نفسها نقص اللامتناهى أو الامكان ـ هى « الافتقار الى الروح Spiritlessnes •

٢ ـ الصورة الثانية من اليأس هى الصورة التى يعرف فيها المرء أنه ذات ، لكنه لايريد أن يكون ذاته ، لايريد أن يحقق المركب الســـابق ، فالذات هنا تهرب من نفسها ، وتهرب من الذات التى تعرفها ، انها ترغب فى أن تهجر بشريتها وهذا هو يأس الضعف Weakness •

٣ ـ الصورة الثالثة هى مستوى أعلى من اليأس ، وهى المرحلة التى فيها الذات نفسها كذات ، وتريد أن تؤكد نفسها وتثبت ذاتها بوصفها ذاتا بشرية لكنها تريد أن تفعل ذلك دون أن تعترف بارتباطها واعتمادها المطلق على الله وهذا هو يأس التحدى Defiance •

وعلى الرغم من أن هناك مجالا كبيرا للمقانة بين مايقوله كيركجور عن الذات ومايقوله هيجل فى ظاهريات الروح(٤٩)» ، عن المراحل الموازية التى تمر بها الذات تدريجيا حسب درجات الوعى المختلفة ، حتى تصبح أكثر كفاية فىمعرفتها بنفسها وتنتهى فىالنهاية بمعرفة ذاتها على أنها الروح الواعى لنفسه • وعلى الرغم من أن نظرية كيركجور عن الذاتلاتفهم الا فى ضوء خلفية هيجلية عن بناء الذات ، اذ أننا نعتقد أن كيركجور يفترضها ـ فذلك موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ، فاننا نود فى الفصل أن نشير فى عجالة سريعة الى المراحل التى تمر بها الذات البشرية فى وعيهـــا المتدرج « للمرض حتى الموت » على نحو يشكل عند كيركجور ضروبا ثلاثة من اليأس تمثل ثلاثة أنماط اجتماعية من البشر فى المجتمـع ، وهدفنـــا أن نبين كيف ارتبطت آراؤه الدينية والفلسفيـة

---

(٤٩) قارن مثلا مقـــال Bruce Kirmmse عن « علم النفس والمجتمع » حاشية ١٠ ص ١٧٧ ـ فى كتاب « الحقيقة عند كيركجور » الذى أشرف عليه جوزيف سميث وأصدرته مطبعة جامعة ييل عام ١٩٨١ •

والسياسية فى نظرية شكلت نسقا مترابطـــا اقترب كثيرا من « المذهبية » التى ظل طوال حياته يحاربها ٠

فالصـــور الأولى من اليأس أو مرض الذات عند كيركجـــور وهى ـ « الافتقار الى الروح » تمثل نمطا من البشر ينتشر انتشارا واسعا فى المجتمع وهى بصفة خاصة تميز مايسميه بالبرجوازية المادية فى المجتمع الدانماركى، وهى طبقة تضم مثقفين واكاديميين ومهنيين يشغلون وظـائف فى الدولة ويتمتعون بقدر عظيم من التقدير الاجتماعى ٠ وهم لماينالونه من احترام يشاركون فى كثير من الافكار السياسية اللبرالية السائدة بل انهم هم الذين دعموا بالفعل التغيرات الثورية التى حدثت فيما بين ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ ؛ وعلى الرغم من الاختلاف بين « الرجل العادى المادى » ، وبين « المثقفين » فى وجهات النظر السياسية فانهم يشتركون فى النهاية فى تصورهم لما ينبغى توافره من علاقات بين طبقات المدينة ككل مع ٨٠٪ أو ٩٠٪ من السكان الذين يعشون على العمل اليدوى أو على فلاحة الأرض ٠ كما أنه اذا كان هناك خلاف بينهما فان طبقة الناس العاديين الماديين يعترفون فى أسى بقصورهم فى ميدان الثقافة ، وهكذا يقوم الجناح المثقف فى هذه الطبقة البرجوازية باعطائهم الدروس المطلوبة ، وأعمدة هذه المدرسة : المطران مينستر Mynster بوصفه قائدا للكنيسة ، وهيبرج Heiberg الفيلسوف الهيجلى بوصفه مديرا للمسرح الملكى ، ثم « مارتنسن Martensen » وريث الاثنين ، بوصفه المدافع العقلى اللامع عن الثقافة المسيحية ورئيس الكنيسة المقبل ٠ وهكذا يلتقى جانبا البرجوازية ويعيشان معا فى اعتماد متبادل ، ويكون بينهما من التكـــافل ما بين المنتجين والمستهلكين لنفس الأيديولوجية ٠

وهذا النمط من البشـر ـ الذى يفتقر الى الروح ـ يجهل أنه يملك ذاتا وهو فى يأس لكنه لايدرك ذلك ، أنه يجهل ان الانسان « روح » أصلا وتلك أكثر صور اليأس شيوعيا وهى سمة يتســـم بها ، الى جـــانب البرجوازيين ، والوثنيون أيضا القدماء منهم أو المحدثون ، أعنى الموجودين فى قلب العـــالم المسيحى وان نظروا الى أنفسهم على أنهـــم مسيحيـون وسوف نعود اليها بعد قليل ٠

اما الصورة الثانية لليأس فهى التى يسميهـــا بيأس الضعف وإذا كانت الأولى تشمل السواد الأعظم من النــاس فان هذه الصورة الثــانية قليلة للغاية لأن صاحبها يعى حالته ويكره نفسه ولايريد أن يكون ذاته لكنه لايخطو خطوة أبعد من ذلك : « فالوعى بالضعف هو وعيه النهائى » انه لايتقدم نحو الايمان بل يستوعبه اليأس بعمق ، وهو فى هذا اليأس لايريد أن يكون ذاته : « كالأب الذى يحرم ابنه من الميراث كذلك نرى الذات لاتريد أن تتعرف على نفسها بعد أن تكون قد وصلت الى هذه الحاله من الضعف فهى فى يأسها لاتستطيع أن تنسى ضعفها فتكره نفسها فهى لاتتواضع فى الايمان فى حالة الضعف هذه حتى تسترد ذاتها من جديد ، كلا ! انها فى حالة اليأس لن تصغى الى ذاتها ، ان صح التعبير ، ولن تعرف أى شىء عن نفسها ولن يسعدها النسيان ، ولن تفر الى الكنيسة لتــكون مع غيرها من المسيحين ٠٠ ومع ذلك كله فهى كحــالة الأب السالف الذكر لن يستفيد كثيرا أن يحرم ابنه من الميراث لأن هذه الواقعة الخارجية لن تجعله يتخلص منه ، أو على الاقل فان تفكيره لن يتخلص منه تماما كحالة المحبوب الذى يلعن محبوبه فان ذلك لايساعده ، وانما يزيده عبودية له ـ تلك هى الحال مع الذات اليائسة فى علاقتها مع نفسها ٠(٥٠)ولهذا فانك تجد هذه الذات تلجأ الى« الانطواء » والتقوقع على نفسها ، لايذهبالى الكنيسة لأنه لايثق فى القساوسة ويعتقد أن معظمهم لايعرفون شيئا عن الموضوعات التى يتحدثون فيها ٠ ويفضل « العزلة » التى هى ضرورة حيوية له لأنها علامة على أن هناك « روحا » فى هذا الانسان ٠ وهو كلما زاد وعيه بحالته قل رضاه عن الكنيسة والايديولوجية الرسمية فى العالم المسيحى بصفة عامة ٠ واغلب الظن أن هذا الصنف من الناس هم قراء كيركجور نفسه الذين أفاقوا بفضل كتاباتهفانتقلوا منالمرحلةالدنيا السابقة ، واضطربتذواتهم عندما شعروا بما حولهم من كذب وزيف فى الكنيسة ، وما وجوده من خواء وفراغ فى الثقافة الدانماركية بصفة عامة لكنهم « أضعف » من أن يغيروا شيئا ٠ أما الصورة الأخيرة والعليا من اليأس فهى التى يسميها بيأس التحدى وهى تصور حالة كيركجور نفسه ، وأضرابه من العباقرة ، ولقد اتخذ شعارا يصور « روح

---

(٥٠) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 196.

التحدى » عبارة عن أبيات من شاعر الدانمارك كريستيان ونتر Christian Winther تقول :

« الاستجداء ليس من طبيعتنا »

« فالشباب يشق طريقه فى الحياة بنفسه ،

« ويستولى على كنوزها عنوة ..»(٥١) .

وفى هذا اللون من اليأس تريد الذات أن توجد وأن تحقق نفسها وهى لذلك لابد أن تعى أولا مايعنيه اليأس ، وماتعنيه الذات اللامتناهية التى هى أكثر صور الذات تجردا ، وأكثر الامكانات تجردا ، وهذه الذات هى ما يريدها المرء أن تكون ، وهو يفصلها عن أى علاقة بالقوة التى أوجدتها ، تريدها .. وهى لاتعترف بقوة أعلى ، أنها مثل بروميثيوس Prometheus ان الذات تريد أن تخلق نفسها ، تريد أن تجعل من نفسها الذات التى الذى سرق النار من الألهة ، تريد أن تسرق من الله الانتباه اليها والاهتمام بها بدلا من أن تقنع هى بالاهتمام بذاتها ، وهى بذلك تضفى على نفسها أهمية لامتناهية .(٥٢) .

* * *

الصور الثلاث من « المرض حتى الموت » التى تندرج وفقا لمراحل الوعى هى « الافتقار الى الروح » ، ثم « التقوقع أو الانطواء » وأخيرا « التحدى » ـ تقابل ثلاثة أناط اجتماعية متميزة هى أولا ذلك الاشباع الذاتى اللاواعى الذى تتميز به البرجوازية المادية ، فى حين أن « التحدى » يمثل خاصية العبقرية الرومانتيكية المتمردة الواعية بذاتها . وهاتان الصورتان تمثلان الطرفان القصيان : اللاوعى من ناحية ، والوعى العالى من ناحية أخرى ، أما الصورة المتوسطة يأس الضعف الذى يتقوقع على نفسه والذى يدرك فيها المرء أنه لايريد أن يكون على هذا النحو فهى تقع وسطا بين هذين الحدين القصيين ، وهى تمثل الرجل الأخلاقى المحترم الذى يعى واجباته

---

(٥١) Quoted by W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 75 and A Short Life, P. 79.

(٥٢) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 201-202.

اليأس وهى عامة وشاملة لقطاع عريض فى المجتمع ـ لكنه يرد هذه الصورة السيئة كما سبق أن ذكرنا الى « المنتجين » للثقافة الدانماركية من فلاسفة هيجليين وقادة للكنيسة ، وهكذا يكون الفساد الذى تعـــانى منه الكنيسة صورة من الفساد فى الفكر النظرى الذى أشاعه الهيجليون ـ فهم الذين أشاعوا الكثير من الأفكار الخاطئة « لاهوتية » و« سياسية » فى آن معا ، ســواء عن « الله » أو « الانسان » ، أو العــلاقة بينهما وكانت هى السبب فى حالة الافتقار الى الروح التى يعانى منها المجتمع وحولت كل انسان الى فرد فى قطيع ـ ورددها وراءهم رجال الكنيسة من ناحية أخرى فاشاعوا الفوض فى كل من الكنيسة والمجتمع على حد سواء .

---

(٥٣) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society P. 186, (in Kierkegaard's Truth Yale University Press, 1981).

فقد أشاعوا ، مثلا ، نظرية خاطئة عن العلاقة بين الله والانسان تم فيها الغاء الاختلاف الكيفى بين الله والانسان وبذلوا محـــاولات جبارة للتقريب بينهما ، وهى تلك المحاولات التى بدأت أولا فى حلقـــات المفكرين النظريين ثم انتقلت منهم الى الليبراليين وثوريى الشـوارع الذين مجـدوا ما يسمى « بالشعب » ، فخلقوا الشخصية الميتة التى لاروح لها Spiritless التى تكتفى بالسير مع القطيع ، فاذا ماتساءلنا من أين تأتى « اللاروحية » ومن الذى يدعم « الافتقار الى الروح » فيهبط بالفرد الى هذه الدرجة ؟ فان كيركجور يحب أنه « ثقافه العالم المسيحى » ، التى أصبحت أسوأ عـدو للمسيحية وللوعى : ان ذلك العالم المسيحى الذى يصبح فيه كل فرد ـ كما يصبح غيره من ملايين الأفراد ـ مسيحيا بغير ضجة وبلا عنت أو ارهـاق ويصبح شأنه شأن كثيرين غيره مسيحيا مثل « الشعب المسيحى » ، ليس مجرد نسخة رديئة فحسب من الطبعة ، نسخة مليئة بالاخطـــاء المطبعية ، لكنه يجعل كذلك المسيحية عبثا لاجدوى منه ـ أن العالم المسيحى ليس سوى اصطبل يتألف من الساسة ورجالات الدولة ، والقساوسة ثم علاقة تكافل بينهـــم من ناحية وبين الطبقة المثقفة ونخبة المفكرين من ناحية أخـرى ٠ فالرجل المسيحى يعرف ـ عن طريق المصادفة وبطريقة عابرة ـ مرة كل أسبوع ولمدة ساعة ( فى الكنيسة ) انه على نحو بهيمى موجود روحى ـ وتلك نتيجة الثقافة المسيحية ، ثقافة القساوسة الذين أساءوا استخدام فكرة الاقتراب من الله فى المسيحية ، فظنوا أن الناس بذهابهم الى الكنيسة قـد تنازلوا وتعطفوا ، وذهبوا ليشرف الله بحضرهم ، فوجودهم فى الكنيسة شرف لله : وهكذا أصبح كثير من الناس يفتقرون الى الروح بل ساعدهـم القساوسة وشجعوهـم على ذلك ٠ فوصلوا الى أدنى درجـــات الذات البشرية ، وهى الذات المادية المفتقرة الى الروح ، فتراهم يشكرون الناس ، نيابة عن الله على زيارتهم للكنيســة ـ ويضفون عليهـــم ألقـاب التقـوى والورع ٠(٥٤) ٠

ولقد كان الفلاسفة الهيجليون هم أساســـا الذين عرضوا المسيحية للخطر باساءتهم فهم العلاقة بين الله والانسان ، وبعدم حرصهم على وجود

---

(٥٤) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 247.

المسافة بينهما مهما كان الاقتراب الذى توحى به علاقة الله ـ الانسان فى المسيحية ـ وتجاهل هذه المسافة أدى الى أن يذهب واحد من الفلاسفة هو « ديفيد شتراوس David Strauss الى القــول بأن الله ـ الانسان هو الجنس البشـرى ! وتلك فوضى فى الفـكر النظرى انتقلت عـدواها الى السياسة ، فلا شك أن الفكر النظرى هو الذى هيأ المناخ الروحى والعقلى الذى كان يعمل على تغذية القوى الثورية لحكم الغوغاء السطحى وللتأليه النظرى للانسان ، ومن هنا فلابد أن يخجل الفلاسفة النظريون من أنفسهم عندما يشاهدون الأحوال السياسية المتردية فى البلاد : « فهناك عدد كبير من الفلاسفة شارك فى نشر هذه النظرية الخاصة بسيطرة الجنس البشرى وتفوقه على الافراد ، ولابد أنهم الآن قد شعروا بالغثيان عندمـا انحطت نظريتهم وتحولت الى القول بأن : الغوغاء هم الله » !(٥٥)ومن هنا فان علينا جميعا أن نعترف أنه : « اذا أريد للنظام أن يتدعم فى الوجود ، وقبل كل شىء اذا أردنا لارادة الله ان تتدعم ، فالله ليس الها للفوضى والاضطراب ولكنه اله للنظام ـ فينبغى علينـا أن نتذكر بصفة أساسية ، أن كل انسان فرد يعى هو نفسه وجوده كانسان فرد ، أنه اذا ماسمح للأفراد أن تتحد فيما يسميه أرسطو « بجموع الحشد » ـ وهى صفة يتميز بها الحيوان ، فانه لن ينقضى وقت طويل حتى يصبح هذا التجريد الها ٠٠ وكما تعلـم الشعب فى أمم مختلفة أن جموع الحشد ترعب الملك ، وأن الصحافة اليومية ترهب مجلس الشورى Privy Council كذلك اكتشفوا أخيرا أن جموع البشر ترهب الله ، وسميت هذه النظرية بنظرية الله ـ الانســان أو النظرية التى تقول ان الله والناس متحدان(٥٦) ! ٠» وهذا ناتج من تجاهل الاختلاف الكيفى المطلق بين الله والانسان الذى يقع فى مركز التقــارب بين الله والانسان ، والطريق الوحيد للخروج من هذه الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية هو أن ترفض جميع المعسكرات الثقافية : اللاهوتية ، والهيجلية وفكرة تأليه الشعب التى اعتنقتها البرجوازية المــادية ، وهى برجوازية « تفتقر الى الروح » كما سبق أن بينا ـ وان كان أقواها جميعا « الهيجلية » التى خرجت منها الفكرة الثورية التى تقول « ان صوت الشعب

(٥٥) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 249.

(٥٦) Ibid, P. 248 - 249.

هو من صوت الله » ، ثم تطورت الفكرة الى أن أصبح يعتقد أنه عندما يرتكب « الشعب أو الجمهور المبجل المحترم » جريمة وهو جميع فانها لاتعود بعد ذلك جريمة وانما تصبح « ارادة الله »··(٥٧) ·

ان علينا أن نتجنب كل أشكال التجريد الفلسفي والسياسي ،ولابد لكل فرد من مواجهة فرديته العينية الخاصة ، وشخصيته هو بوصفه فردا دينيا وأخلاقيا · وينبغي عليه أن يقاوم غوايته « ذووبانه » في جموع الحشد ، وأن يقف في وجه التجريد سواء أكان مايسمى باسم « الشعب » أو ذلك الكيان الدينى المسمى بالكنيسة · أن علينا أن نعمل على اخراج الذات البشرية من صورة اليأس الدنيا ـ الافتقار الى الروح ـ لكى نصل بها الى الصورة العليا : التحدى · وفى سبيل هذه الغاية كتب كيركجور كتابه الشهير « المرض حتى الموت » الذى اعتبره بعض الباحثين بمثابة الاعلان عن « الدستور الروحى للفرد » ، فى مقابل الدستور السياسى الذى ظهر فى الدانمارك فى نفس العام الذى ظهر فيه الكتاب ١٨٤٩ ·(٥٨) ·

والحق أن كيركجور ابتعد عن الاحداث السياسية فى عصره ، وهى أحداث كانت تموج بألوان شتى من التفاعل والغليان الثورى واكتفى هو بما يحمله فى داخله من غليان وراح يحلل المجتمع بطريقته الخاصة أعنى غير المباشرة · لكن ذلك يحتاج الى أن نقف قليلا عند الأحداث السياسية لنعرفها أولا ونعرف موقف كيركجور منها بعد ذلك ·

* * *

لو أننا عدنا الى الوراء قليلا لنعرف أحداث أوربا ، لوجدنا أن الثورة الفرنسية كانت قد عملت على نشر الكثير من المبادىء الهامة فى جميع أنحاء القارة ( لاسيما الحرية والاخاء والمساواة ـ وهى المبادىء التى ارتكزت عليها ) وأحدثت تغيرات هائلة فى نظم الحكم ، وفى الخريطة الأوربية · غير ان هذا المد الثورى انحسر بعد هزيمة نابليون ( فى ١٨ يونيو ١٨١٥ ) ، ومن ثم أخذ الحكم الفردى المستبد يستعيد مكانه من جديد وراحت الحكومات الرجعية تدعم نفسها فيما يمكن أن نسميه : « بالثورة

---

(٥٧) Ibid, P. 253.

(٥٨) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society P. 168 (in Kierkegaard's Truth-Yale University Press 1981).

المضادة » التى توجت باجتماع الدول الأوربية فى مؤتمر كارلسباد عام ١٨١٩ للتصديق على مراسيم « مترنج » الشهيرة الخاصة بالتحكم فى الصحافة ، وارهاب الجامعات ، وكبت حرية الرأى فى شتى أنحاء ألمانيا ، وبذلك أصبح « مترنخ » قوة تبث الرعب فى قلوب الأحرار فى داخل ألمانيا وخارجها وأصبح هذا الأسلوب فى الحكم هو السائد فى النمسا والمجر وألمانيا والدانمارك ٠٠ الخ ٠

غير أن هذا الكبت الشديد أدى الى غليان عنيف ظل بخاره يتجمع يوما بعد يوم حتى انفجر عام ١٨٤٨ ( وكان مترنخ نفسه قد أدرك تردى الأوضاع التى وصلت اليها النمسا عندما قال عام ١٨٤٧ ان النمسا تعانى من داء مميت ) ! فقد أدت سياسته القائمة على القمع والكبت ، ومناوأة الاتجاهات القومية والتحريرية الى الافلاس لافى النمسا وحدها ، بل فى ألمانيا وأوربا كلها ـ وعلى ذلك فقد شهدت القارة الاوربية فى عام واحد هو عام ١٨٤٨ ثورات فى كل مكان : ثورة فى فرنسا ضد تقييد حق الانخابات ، ثم امتدت الشرارة الى ألمانيا والنمسا ، وزاد تلك النيران اشتعالا النسيم الثورى القادم من ايطاليا ٠٠ وفى مارس ١٨٤٨ كانت العروش تهتز فى جميع أنحاء أوربا ٠

وما حدث فى أوربا امتد بالطبع الى الدانمارك المتاخمة لألمانيا ، بالاضافة الى اشتعال نيران الحرب مع جارتها بسبب دوقيتين كانتا مصدر متاعب لاتنتهى للدانمارك منذ أن ضمهما الملك كريستيان الأول عام ١٨٤٨ الى التاج الدانماركى ، وهاتان الدوقيتان هما « شلزفج وهولشتاين ٠٠ Schlewing - Holstein ولم تكن مصادفة أن كتب كيركجور « المرض حتى الموت » خلال الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٨٤٨ ، وهى أشهر الغليان كما قلنا ، وقد شهدت الدانمارك فيها تغييرا ثوريا من نظام الحكم الملكى المطلق الذى يقوم على نخبة ضئيلة من الافراد الى نظام الحكم الدستورى اللبرالى القائم على سيادة الشعب ٠ ولقد كانت الأشهر التى تلت « المرض حتى الموت » أشهر اضطراب عنيف سواء فى الدانمارك بصفة عامة ، أو من حياة كيركجور بصفة خاصة ٠ ونحن نعرف أنه كان يرد جانبا عظيما من اضطرابه الى التغيرات السياسية والاحداث الاجتماعية التى تقع من حوله والتى تابعها عن كثب لكنه لم يشارك فيها قط ! وفى منتصف ١٨٤٩

جادت لحظة لالتقاط الأنفاس بالنسبة لكيركجور ولمجتمعه ، ففى يونيو ١٨٤٩ تم اعلان الدستور الديمقراطى اللبرالى الجديد وفى الشهر التالى ، وبعد سنة من التردد ، نشر كيركجور كتابه « المرض حتى الموت » الذى كان هو نفسه بمثابة اعلان عن الدستور الروحى للفرد(٥٩) ٠

لكن أليس ثمة تناقض فى قولنا انه كان يرد اضطرابه الى الأحداث السياسية مع أنه لم يشارك فيها قط ؟ الواقع أنه ليس هناك تناقض ، لأن كيركجور لم يفكر فى المشكلات التى شغلت معاصريه لانها ـ أيا ماكانت صورتها ـ لم تحمل معنى ولم تكن ذات مغزى خاص بالنسبة له فهو لميشارك قط فى الصراعات السياسية والاجتماعية التى تجرى من حوله ، ولم يشغل نفسه على الاطلاق بالحرب التى دارت بين بروسيا والدانمارك بسبب الدوقتين الشهرتين عام ( ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ ) ، بل لم يرد لها ذكر فى يومياته الا وهو يشكو من أنها أخذت منه خادمه « اندرز فيسترجور Anders Westergaard » فحرمته من الخدمة ! كما أنها أحدثت ارتباكا فى ميزانيته ، وجعلت أحواله المالية تضطرب ، فضلا عن أنها منعته من القيام ببعض الرحلات التى اعتاد ان يقوم بها !

اما صراع « الجماهير » من أجل الحرية ، وكفاح « الشعب » ، فى سبيل اقامة حياة نيابية يكون له فيها اليد الطولى ـ والحركة اللبرالية التحررية التى كانت تدافع عن حقوق الانسان ـ وهى الوان من الكفاح توجت بتسليم الملك فى النهاية بدستور ١٨٤٩ ـ ذلك كله لم يعره كيركجور أدنى اهتمام ٠(٦٠) ٠

لكن ماالسبب الذى جعل كيركجور يبتعد تماما عن البيئة السياسية والاجتماعية من حوله ٠٠ ؟ ! الواقع أن كيركجور لم يؤمن على الاطلاق بنوع الديمقراطية الذى يعتمد على السماح للاغلبية بأن تقرر كل شىء :

---

(٥٩) Bruce H. Kirmmse : Psychology and Society P. 168 (in: Kierkegaard's Truth. The Disclosure of the self) Yale University Press 1981.

(٦٠) J. Hohlenberg : S. Kierkegaard P. 276.

فما هو هام وحقيقى بالنسبة له هو الانسان الفرد لا الجموع ، ولا العامة ولاالجماهير ٠٠ الخ ٠

لكن عندما نقول ان كيركجور كان يضع نصب عينيه أنقاذ « الفرد » من الضياع ، وتخليص « الشخصية » البشرية من الطقوس الشكلية فى الكنيسة التى أدت الى انفصام هذه الشخصية ، وانه شعر أن مهته الاساسية أبراز هذا الوجود الفردى العينى ، لكى يسترد مكانه اللائق بعد أن ضاع فى زحمة الجماهير سواء فى الشارع أم فى الكنيسة الخ الخ ـ عندما يكون ذلك هو الدور الذى قام به كيركجور ألا يعنى ذلك أننا « ننسف » القضية التى طرحناها طوال هذا البحث الاوهى أنه لم يتصل قط بالواقع العينى الحى الذى ظل طوال حياته يتغنى به ، وأن خبراته القليلة المحددة هى التى كانت باستمرار محور تفكيره ومدار تأملاته ؟ ! وأن أتصاله بالحياة والمجتمع كان باستمرار اتصالا غير مباشر ، أعنى من وراء حجاب ؟ !

الواقع أن اهتمام كيركجور « بالفرد » ، وبالذات البشرية ، وبالشخصية العينية الحية ٠٠ الخ ـ يؤكد ماقلناه ولاينفيه ! وربما جاء اللبس كله من كلمة « الفرد » التى يستخدمها نيتشه بعد ذلك بمعنى خاص جدا ٠

ولكى نفهم منظور كيركجور ، وهو نفسه سيكون منظور نيتشه فيما بعد ، علينا أن نقف قليلا عند الصراع الذى يدور فى فترات هامة من تاريخ الانسانية الروحى بين الكيف والكم ٠٠ لقد سبق أن أشرنا مرارا الى الأهمية التى يضفيها كيركجور باستمرار على الكيف بوصفه المعيار الحقيقى لكل ماهو روحى ، على عكس الكم الذى تتميز به المادة ، ومن ثم يرفضه فيلسوفنا معيارا لكل ماهو بشرى ، لأن الانسان هو أساسا روح وليس مادة ٠(٦١)والنتيجة المترتبة على التركيز على الكيف واعتباره وحده المقياس الحقيقى لكل رقى وتقدم ـ نتيجة خطيرة للغاية اذا مانعكست على المجتمع وعلى صنوف البشر جميعا ، ذلك لأن الكيف يعنى أساسا التفرقة بين الناس وهو يكره المساواة ، ويؤمن بالفرد ولايعنيه شىء من الجموع

---

(٦١) لاشك أننا نجد هنا كثيرا من الافكار التى قال بها برجسون فيما بعد ٠

بوصفه مجموع وحدات متساوية أو متشابه ، ومن ثم فاذا نظر الكيف الى الاشياء فانه لايهتم الا بما تميز منها وتفرد وكانت له خصائص تخصه هو وحده ، ولهذا فان الكومة من الرمال لاتساوى كلها أكثر مما تساويه حبه رمل واحدة لأن الصفة لم تتغير باضافة هذا المجموع الهـــائل من ذرات الرمال الى هذه الحبة : « فمائة الف مليون من البشر يكون منهم كل فرد متشابها مع الآخر لاتساوى الا واحدا · أما فى اللحظة التى يظهر فيها من بينهم شخص يختلف عن هذه الملايين أو عن هذا الواحد ، فهاهنـــا فقط يصبحان اثنين · فكل وحدة فى عالم الحساب تعد وتحسب ، أما فى عالم الروح فليس هناك عد ولاحساب ، أو بمعنى أكثر دقة مايعد هو المتميز ، وهذا يعنى أنه ليس هناك عد(٦٢) » ·

اما نظرة الكم فهى تجعل الاشياء جميعا متساوية ولوشذت احـدى الوحدات قليلا تغافلت عن هذا الشذوذ ولم تحسب له حسابا ، ان الكم يجعل الناس جميعا فى صورة واحدة ، ويطبق عليهم مقياسا واحـــدا وشعاره « المساواة ! » ، وصيحة أنصاره فى كل مكان هى : « نحن جميعا متساوون وليس ثمة « أناس » أعلى من اناس » ــ الخلاصة أن النظرة الكيفية تقول بالارستقراطية وتؤمن بالامتياز ، فى حين أن النظـــرة الكميـــة تقـــول بالديمقراطية وتؤمن بالمساواة ·(٦٣)

وبهذا القياس نظر كيركجـور الى مجتمعـه : أحـــداثه السياسية والاجتماعية فراح يهاجم الديقراطية والمساواة والشعب والجمهور والحشد ··· الخ لانها تمثل « الكم » الذى هو أكبر « أعداء الروح » ، ولايستخدم فى حالة الانسان الا « لعد » البشر كحيوانات ! ــ

« هناك حشرات تدافع عن نفسها ضد أعدائها بأن تثير غبارا حولها ، وكذلك الانسان يدافع عن نفسه ، غريزيا ، ضد الفكر ، وضد الروح ، بأن يلجأ الى الأعداد لان الأعداد هى العدد الطبيعى للفكر والروح ···

---

(٦٢) Quoted by J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 280.

(٦٣) د · عبد الرحـــمن بدوى : « نيتشـــه » ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ من الطبعة الخامسة ــ وكالة المطبوعات بالكويت عام ١٩٧٥ ·

« وعندما يريد الناس حماية أنفسهم من التعامل مع الفكـــر ومع والروح ، فانهم يلجأون الى الاستعانة بالكتائب ، والفيالق ، والملايين ـ التى تكافح موحدة قواها لطمس الروح ٠ أن الانسان لايرتبط ارتباطا مباشرا بالاعداد الا بوصفه حيوانا(٦٤) ٠٠

والحق أن الهجوم العنيف الذى شنه كيركجور على الكم والحساب والاعداد ٠٠ الخ لما تقوم به منتزييف للحقيقة فى المجتمع ، سوف ينعكس منطقيا انعكاسا سيئا على آرائه الاجتماعية والسياسية مهما حاول بعض الباحثين تخفيف وقعها على القارىء بقوله : « انه من الواضح أن كيركجور كان محافظا »(٦٥) ٠

الحق أن آراءه السياسية كانت « رجعية » شديدة لرجعية ، تحمل قدرا غير قليل من الاستعلاء ، والارستقراطية تستبق على نحو مثير ماسوف يقوله فردريك نيتشه بعد سنوات قليلة ٠ فكيركجور يهاجم جميع الأسس التى تقوم عليها « الديمقراطية » ، والحركـــات الثوريـــة اللبرالية التى استهدفت تحرير المواطن من استعباد الحكام : « فهو لم يؤمن قط بنـــوع الديمقراطية الذى يسمح للأغلبية بأن تقرر كل شىء ٠٠ (٦٦)» ، ويذهب الى أن فكرة الأغلبية ٠٠ Majority فكرة بالغة الحمق ، فلا يمكن أن يقال ان الحقيقة تعتمد على عدد المؤيدين لها ! العكس تماما هو الصحيح: الحقيقة دائما فى جانب الأقلية ، وهذه الأقلية هى دائما أقوى من الاغلبية، ذلك لأن الأقلية قد تشكلت ، بصفة عامة ، ممن لهم رأى حقيقى فعلا ، فى حين أن قوة الأغلبية ليست ســوى وهم أشاعته عصابة لارأى لها ، وفى اللحظة التى يتضح فيها أن الأقلية هى الأقوى تراها تأخذ برأى هذه الاقلية التى تصبح عندئذ أغلبية ، أعنى أنها تصبح زيفا ولغوا فارغا من جديد عندما تضم الى صفها العصابات ومدها الكم كله فى الوقت الذى تكون فيه الحقيقة مرة أخرى مع أقليـة جديدة ٠٠(٦٧)» ولاشىء يجعل كيركجـــور يضطرب ويثور أكثر من ادخال عمليات الاقتراع والتصويت « فى المسائل

---

(٦٤) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 353.

(٦٥) J. Hohlenberg : S. Kierkegaard P. 276.

(٦٦) Ibid.

الروحية ومن هنا فقد شن هجوما عنيفا على أتباع جروند فيج Grundtivg الذين نظموا حزبا سياسيا أسموه « أصدقاء الفلاح » أرادوا به ادخال آراء متحررة في الكنيسة ..(٦٨) وكانت أسوأ شكوى لديه من المطران مينستر» أنه وافق على أن يعين في البرلمان، ومن ثم فقد راح يباشر عمليات الاقتراع في شئون الكنيسة بدلا من أن يؤكد الحق التاريخ المطلق للكنيسة في الاستقلال عن آراء الأغلبية !

ولقد أدى هجوم كيركجور على هيجل والهيجلية الى مهاجمة تصورات كلية معينة تتضمن دفاعا عن المساواة والكرامة الأساسية للانسان ، فهو يرى أن الانسانية الخالصة هي سلب ، وتجريد محض من الفــرد وتسوية وتستطيح لكل القيم الوجودية . أن الشيء الوحيد الذي يطلبه المجتمع من السلطات هو أن تترك « الفرد » في سلام ولاتحرمه من هذا المطلب الوحيد الذي يحتاج اليه ، والأمر الذي يلوم كيركجور من أجله الحكومة بشدة ليس هو أنها أساءت استغلال القوة بل انها لم تستغلها على النحو كاف ممـــا أدى الى اعطاء المعارضة الثورية دورا أكبر مما ينبغي ! : « لقد كان يرى بوضوح أن أولئك الذين يستولـــون على السلطة بتلك الطـــرق الثورية يكونون في العادة ـ من الناحية الأخلاقية والعقلية معا ـ أدنى من أسلافهم الذين أخذوا مكانهم ، وكان يدرك تماما أن مايهم ليس مضمون الأفكار التي تطرح بل نظرة الفرد اليهــا ، الصـــدق الذاتي للأفراد القائمين بها ، ومن هذه الزاوية فقد كان على يقين من أن الامـــــور تسيـــر من سيء الى أسوأ »(٦٩) .

* * *

(٦٧) Quoted by J. Hohlenber: Ibid, P. 280.

(٦٨) نيقولاى فردريك جروندفيج بطل ديني وشاعر عظيم اهتم بالحياة الاجتماعية اهتماما كبيرا ، وقد أراد للكنيسة ان تلتحم مع الجماهير ومن ثم نادى بآراء تحررية جدا ، ولاشك أنه أوقد جذوة النار الروحية والاستقلال في الشعب الدانماركي في وقت كانت روحه منهارة وموارده وكيانه كلــه معرض لخطر أن تجتاحه المانيا ورغم ذلك كله فانكيركجور لم يتأثر وهاجم آراءه !

(٦٩) Ibid, P. 277.

السؤال الذى سبق أن طرحناه مازال قائما ٠٠ ألا يمكن أن نقول ان هجومه على هيجل ، والكنيسة ، والديقراطية ٠٠ الخ ، كان من أجل انقاذ الفرد من الضياع على الأقل من وجهة نظره هو التى كانت ترى : « أن مبدأ الاجتماع فى عصرنا ليس ايجابيا بل سلبيا ، انه : هروب ، وتشتت ، ووهم٠ ويسير جدل هذا الاجتماع على النحو التالى : كلما قوى الاجتماع الافراد أفسدهم ، أنه يقويهم بالعدد ، بالجمع والالتصاق معا فتزداد الأعداد ، لكنه من وجهة النظر الأخلاقية يضعفهم ٠٠ »(٧٠) ٠ فكيركجور يهاجم الاجتماع من « أجل الفرد » الذى اتحد مع الشمول الكلى فى مجتمعه بحيث ضاع كل معنى للتفرد وللشخص وللمسئولية الذاتية ٠(٧١) ٠ والعملية التى تتبخر بواسطتها الفردية داخل الجموع يسميها كيركجور بالتسوية والتسطيح Levelling وهو يردها الى فكرة المساواة يقول : « جدل العصر الحاضر يتجه نحو المساواة ، والنتيجة المنطقية لها ، رغم أنها نتيجة خاطئة ، هى التسوية والتسطيح ، بوصفها الوحدة السلبية لتفاعل سلبى بين الأفراد ٠٠ »(٧٢) ٠ وعملية التسوية أو التسطيح هذه لها أبعادها السياسية والاجتماعية والدينية : ففى عالم السياسة يكون هناك الرأى العام ، (٧٣)الذى يعبر عن نفسه فى الصحف ، وهى صحف لا أثر فيها للفكر ، كما يتحول الأفراد الى شفرات غفل من الاسم لوجهات نظر الآخرين ، وينقلب الفعل الشخصى الى « فرجة لاشخصية » وكنتيجة لذلك كله « نتيجة لعملية التسوية والتسطيح تخلص الجيل من الفرد ، ومن كل ماهو عضوى وعينى ، وأحل محله مايسمى بالانسانية ٠٠ Humanity والمساواة العددية بين انسان ٠٠ وانسان ٠٠ »(٧٤) ويؤكد كيركجور أن

---

(٧٠) S. Kierkegaard: The Present Age P. 79 Trans. by A. Dru, Happer Torchooks 1962.

(٧١) Mark Taylor : Aesthetic Therapy : Hegel and Kierkegaard P. 3 50 (in Kierkegaard's truth, yale University Press 1981).

(٧٢) S. Kierkegaard : The Present Age P.

(٧٣) الرأى العام عنده هو رأى الأغلبية ، ورأى الأغلبية يعتنقه من لارأى له : قارن « العصر الحاضر » ص ٦١ من ترجمة دروا السالفة الذكر ٠

(٧٤) العصر الحاضر ص ٨١ ترجمة الكسندر درو ٠

النتيجة الهامة للتطورات السياسية والاجتماعية والدينية فى العصر الحديث هى فقدان الذات الفردية الأصيلة ، وضياع الذات الفردية ينعكس فى الحركة الفلسفية والدينية عموما وفى المذهب الهيجلى على وجه الخصوص ·· ومايحتاجه العصر ، فى رأى كيركجور ، هو اعادة : التميزات ، والفروق الكيفية ، والتقابلات ، والتعارضات ، كعنصر مكون للوجود الزمنى وانبثاق للفردية الأصيلة ·(٧٥)وها هنا يلتقى كيركجور ونيتشه على صعيد واحد، ويظهر واضحا من هو « الفرد » الذى أجهد نفسه فى الدفاع عنه ·

الفرد الذى يدافع عنه كيركجور هو الفرد المتميز أو « المتفوق » ، أو « الخارق العادة » أو « المستثنى » أو هو الانسان الأعلى كما سيقول نيتشه فيما بعد ، وليس هو الفرد العادى المتوسط القدرات الذى يكون واحدا بين كثيرين ! ولهذا تراه يهاجم المتوسط فى القدرات بعنف « : الوسطية Mediocrity هى المبدأ الذى يشكل الجمهور العريض من الجنس البشرى · غير أن مايطلبه المطلق ومايطلبه الله من الناس - كشرط أول للدخول معه فى علاقة - هو أن يفرق ويفصل فيما بينهم ·· والحق أن الجرائم الكبرى تجعل هذه العلاقة اكثر امكانا من الوسطية ، لأن الجرائم الكبرى تعزل وتفرق بين الناس ··(٧٦)» ·· « الصور التافهة والخسيسة للمسيحية التى ظل المطران مينستر يذيعها لسنوات طويلة ، قد شجعت القدرات المتوسطة ودعمتها ، وكان من الطبيعى أن تسهم فى الحقيقة القائلة بأنه من المرجح جدا ألا تجد انسانا واحدا فى الدانمارك لم تستعبده الوسطية(٧٧)» ·

الفرد الذى يسعى كيركجور الى انقاذه ليس شخصا عاديا لكنه ذو مواهب نادرة ، تجعله « غريبا » عن الجماهير التى لاتملك سوى السخرية منه « والقاء النكات على نحو لايخلو من حسد وهذا شىء طبيعى تماما لأنهم بعد أن يضحكوا من هذا العظيم سوف يعودون الى الاعجاب

---

(٧٥) قارن مقال مارك نايلون « العلاج الجمالى : هيجل وكيركجور» ص ٣٥٠ ·

(٧٦) S. Kierkegaard : Lest Years P. 165.

(٧٧) Ibid, P. 61.

يه .. وبهذه الطريقة يجد الحقد والغيظ Resentiment ( الذى ينطوى على الحسد ) متنفسا له .. ولقد اتخذ هذا الغيظ عند اليونان صورة طـــرد العظماء ونفيهم بغير محاكمة Ostracism . وذلك لون من الدفاع عن النفس من جانب الجماهير لكى تحافظ على التوازن فى مواجهة الصفات الفائقة للبارزين . صحيح أن الرجل المتوفق قد تم طرده ونفيه من البلاد لكن كل انسان يعرف معنى العلاقة الجدلية التى ينطوى عليها هذا النفى من حيث أنه **علامة على التفوق** . ولهذا فسوف يكون أمرا يدعو السخرية أن يطرد المجتمع شخصا تافها لاوزن له ، مثلما يدعو للسخرية أن يعين هذا التافه حاكما دكتاتوريا على الناس : ان الطرد علامة سلبية علح العظمة ! وكأن « ايليا أبو ماضى » كان يعبر عن فكرة كيركجور فى بيته الشهير :

لم يطلبـوك بذمهـــم لو لم تك منهم أجـــل وأعظمـا

والرجـــل الذى قال لأرستيد Aristides ، (٧٨)لقد اقترعت الى جانب طردك من البلاد ، لأننى لم أطق أن أسمعهم يقولون عنك انـك الشخص الوحيد العادل « لم ينكر بهذه العبارة تفوق « أرستيد » وامتيازه ولكنه يقرر شيئا عن نفسه ، انه يقرر أن علاقته بالشخص المتميز هى علاقة حسد بدلا من أن تكون علاقة حب واعجاب لكنه فى جميع الاحوال لم يقلل قط من هذا الامتياز(٧٩) .

والغيظ أو الحقـد عنـــدما مايثبت أقـدامه يتحـــول الى عمليـــة تسوية وتستطيح ، تريد أن تخنق كل تميز وكل « تفـــرد » بحجة المساواة . ولابـد أن يكون واضحـــا أن المغـــزى العميق لعمليـــة التسطيح يكمن فى القول بأنها تعنى سيادة مقولة « الجيل » على مقولة « الفرد »(٨٠) . لقد كان المجموع الكلى للأفراد فى العالم القديم لايوجد الالكى يعبر عن قيمة الفرد المتفوق . أما الآن فقد تغير معيار القيمة وأصبح التساوى ، كذا وكذا من عدد الناس يساوى الفرد ، ولايحتاج المرء لشىء سوى التأكد

---

(٧٨) أحد رجالات السياسة فى أثينا وقد اشتهر بالعدل حتى قيل عنه أنه أعدل أهل زمانه كانت حياته حوالى ٥٣٠ ـ ٤٦٨ ق . م .

(٧٩) S. Kierkegaard : The Present Age P. 49 - 50.

(٨٠) Ibid, P. 52.

من أنه جمع العدد الصحيح لكى يكون شخصية هامة ، أما الفرد فى العالم القديم فلم يكن له أدنى قيمة وسط الجموع ، لأن الفرد المتميز يبزهم جميعا، أما عصرنا الحاضر فقد اتجه نحو المساواة الرياضية التى تنتهى الى القول بتساوى كل الفئات ٠٠ فيما سبق كان الفرد المتميز يسمح لنفسه بكل شىء ، أما الفرد فى الجموع فهو لاشىء على الاطلاق ٠(٨١)٠٠الخ ٠

كيركجور اذن ، لايدافع عن الفرد العادى الذى يكون وسط الجموع لأن هذا الفرد « لاشىء » ، لاقيمة له ولايستحق الدفاع عنه ، أنه يدافع عن « المستثنى » عن « رجل المواهب » الخارق للعادة ٠٠ وشيئا فشيئا سوف يشكل لنفسه مقولة بالغة الأهمية هى **مقولة الأوحد** Unique التى ستعارض الفلسفة الهيجلية بأسرها ، لأن صحبها هو وحدة الذى يستطيع الدخول الى محراب الايمان ، الم يقل السيد المسيح : اجتهدوا للدخول من الباب الضيق ؟ ! « ألم يقل سقراط من قبل « ان باب الرذيلة واسع يدخله الناس جماعات أما باب الفضيلة فضيق لايدخله الا شخص واحد » ـ هو «الأوحد» التى يستطيع الدخول الى مضايق الايمان فينفتح الطريق أمامه ثم ينغلق عليه٠ وهذا الباب الضيق لايعبره فى المرة الواحدة سوى شخص واحد ،ولايستطيع المرء المرور الا بشرط اساسى هو الا يكون له دليل يدله أو رفيق يهديه « وفارس الايمان لايستطيع أن يساعد أى فارس آخر ، والفرد المتطور من الناحية الروحية يحمل معه فى قبره سر تطوره ٠ هاهنا لايوجد مجتمع ولاتآلف اجتماعى ٠ ويتوجه كيركجور بالحديث الى هذا الأوحد قائلا » : من أنت ؟ انى لأجهل ذلك ٠ وهل انت موجود ؟ انى أجهل ذلك أيضا ٠ ورغم هذا فانت رجائى ، وسرورى ، وفخرى » ٠ وكيركجور يتنبأ بمجىء الأوحد كما يتنبأ نيتشه بمجىء الانسان الأعلى ، وهو يعرف أن الأوحد غير موجود تماما كما أن نيتشه يعرف أن الانسان الأعلى غير موجود(٨٢) ٠

ان « مقولة الأوحد » » هى التى يفهم كيركجور بمنظورها الوضع الاجتماعى والسياسى القائم ، والذى يسعى الى تحرير الأفراد العاديين ، مقولة الاوحد نقد لكل القيم الاجتماعية السائدة انها الفأس التى تحطم

---

(٨١) S. Kierkegaard : The Present Age P. 52 - 3.

(٨٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 270 - 271.

المذهب ، والنوع ووحدة الوجود ، والتاريخ ، انها المقولة المسيحية الحاسمة فاذا اتحد الناس ظهر الخطأ : « افهم من كلمة الحشد العنصر العددى ، سواء أكان العدد عددا من أصحاب الملايين أو عدد من الصعاليك(٨٣)ألم يقل القديس بولس : « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يتسابقون ، لكن واحدا ينال السبق » ؟(٨٤) .

فلسفة كيركجور السياسة أرستقراطية تمجد الكيف وتكره المساواة ، وبالتالى لاتعترف بشىء اسمه الديقراطية ـ واذا كان هيجل : « أثبت أن أكمل وجه للفرد يتحقق فى حياته الاجتماعية ، واتجه الاستخدام النقدى للمنهج الجدلى الى اظهار أن الحرية الفردية تفترض مجتمعا حرا ، وأن التحرر الحقيقى للفرد يقتضى بالتالى تحرر المجتمع ..(٨٥) » فقد هاجمه كيركجور بعنف : » لأن كل فرد فى أعماق فرديته الباطنة ، منعزل عن الآخرين جميعا فهو منفرد أساسا ، وليس ثمة اتحاد واشتراك أو شمول ينازعه سيطرته ..(٨٦) »

والحق أنه هاجم كل فيلسوف يمجد مايسمى « بالشعب » أو الجمهور ـ تماما كما فعل نيتشه عندما وصف الفلاسفة بأنهم « حمير يجرون عربة اسمها : الشعب » . : « لقد خدمتم الشعب ، ودعمتم خرافاته ، ياأيها الفلاسفة المشهورون ! لكنكم لم تخدموا الحقيقة قط ! ولهذا السبب يحترمكم الناس ... انكم دائما كالحمير تجرون عربة الشعب(٨٧) ! »

والحق أن كيركجور ـ ومعه نيتشه ـ اخطأ خطأ فادحا فى فهمهم للمساواة ، ومن ثم كراهيته للديمقراطية والاشتراكية وغيرها من النظم السياسية والاجتماعية التى تقف وراء هذه « المساواة بين الناس » ، ! « فالحملة على حركة اجتماعية ذات صبغة عامة بحجة انها تتعارض مع

---

(٨٣) Cité par J. Wahl: Etudes P. 271.

(٨٤) الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس : الاصحاح التاسع عدد ٢٤ .

(٨٥) هربرت ماركيوز العقل والثورة « ص ٢٥٨ ترجمة د . فؤاد زكريا الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٠ .

(٨٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥٩ .

(٨٧) F. Nietzsche: Thus Spoke Zorathustra P. 126 - 127 Trans. by R. J. Hollingdale (Penguin Books 1969).

مبدأ الفردية ينم عن قصور ذهنى شديد ·· أيستطيع أحد بعد كل هذا الشوط الهائل الذى قطعته الانسانية فى مضمار العلاقات الاجتماعية أن يتصور الفرد على أنه كيان منعزل يمكنه أن ينمو وحده ، ويزداد نموا بقدر استقلاله عن المؤثرات المحيطة ؟ ان الذهن الفردى لاينمو تلقائيا وانما يزداد عمقا كلما ازدادت الأشعة التى تتلاقى فيه ·وليس معنى ذلك أن يكون الذهن سلبيا يتلقى محتواه من الخارج فحسب ، اذ أنه يؤدى مهمة أساسية هى تنظيم هذه الأشعة ، والقدرة على تكوين مركب متجانس منها · وعلى ذلك فليس مما يحط من قدر الفرد مطلقا أن تزداد علاقته الاجتماعية عمقا ، وأن يتداخل ذهنه فى أذهان الجماعة المحيطة به على الدوام ··(٨٨)»·

ومن ناحية أخرى فان « المساواة » بين البشر التى تنادى بها الديمقراطية لاتلغى الفروق الفردية بين الناس ،انها ليست « تسوية » أو « تسطيحا » يختفى معها كل « تفرد » ويلغى أى « نتوء » ، ليست عملية تتم على « سرير بروكرست Procrustes (٨٩) بحيث تقضى على أن « شذوذ » و « تسوى » كل ما هو نشاز ! ان المساواة فى الديمقراطية تعنى أن يتساوى الجميع ، لافيما بينهم ، ولكن أمام شىء آخر هو القانون ! ومن هنا تتاح الفرصة أمام الجميع لاظهار مواهبهم وتفوقهم وفروقهم الفردية بغير « حسد » ، ومن ثم لايعامل المتفوق معاملة سيئة كما يقول كيركجور ولايخلقه الحسد كما كان يقول فى عبارته الشهيرة : « الحسد يعامل الانسان معاملة سيئة ، حتى يمنعه من أن يكون هو المستثنى ، ومع ذلك فان المرء يصبح مستثنى من خلال هذه المعاملة السيئة ، ومن ثم فان الحسد هو الذى يخلق المستثنى ··(٩٠)ان الحسد ، بل الكراهية والمقت ، يخلقهما ذلك الاستعلاء المتغطرس الذى يظن أنه من طينة مختلفة عن طينة البشر ، ذلك التعالى الذى لايتحدث عن نفسه الا بلغة « المخلص » ، ذلك الغرور الذى

(٨٨) د· فؤاد زكريا نيتشه ص ١١٥ ـ ١١٦ دار المعارف بمصر طبعة ٢ ··

(٨٩) قاطع طريق فى الميثولوجيا اليونانية كان يدعو الغرباء لزيارته ثم يرغمهم على النوم فى سريره الوحيد ، فان كانوا أطول قطع الزيادة وان كانوا أقصر شدهم حتى الموت ·

(٩٠) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 146.

يجعل من « المسيح » عند كيركجور النظير والمثيل والقرين ، أما « نيتشه » فهو لايكتفى بأن يكون نبيا فحسب لكنه يقول : « اذا كانت هناك آلهة فكيف أطيق ألا أكون الها ؟ ! وكثيرا ما كان يكتب الى أصدقائه قائلا : « لقد تخفيت فى هذا الزى : لكنى أنا الله ٠٠ » ! أو يوقع رسالته باسم « المسيح » أحيانا ، و « عدو المسيح » أحيانا أخرى ! ـ ولو اقتصر الأمر على أمثال هذه العبارات لقلنا انها لون من « هذيان العظمة » ، لكن الأمر أعمق من ذلك : انها فلسفة الأرستقراطية ، فلسفة الصفوة الممتازة التى تمقت أن يكون هناك اقتراع أو تصويت عام يخول لكل انسان أن يقف موقف القاضى من كل شىء ، وتطالب باعادة نظام التصاعد الى عرشه من جديد ، وتدعو الممتازين الى اعلان الحرب على « العامة » ، و « الجموع » ، و « الحشد » ، و « الدهماء » ٠٠ الذين يضايقون الآخرين « كالذباب » ! ولاغرو أن يستخدم كيركجور ونيتشه نفس الألفاظ فى وصف « الجماهير » : فهى « ذباب » أو « حشرات » أو « بهائم بشرية » !

* * *

نحن هنا لانناقش أفكار كيركجور الفلسفية فسوف يكون هناك مجال واسع فى الجزء الثانى من هذا الكتاب لمثل هذه المناقشة ٠ لكننا أردنا أن نسوق كلمة تعقيب على فكرة « الفرد » الذى أراد كيركجور انقاذه من الضياع ، ومن أجله هاجم الكنيسة كما هاجم هيجل ، وانتقد المفكرين فى عصره ، وتصدى بالتفنيد لمن أسماهم « بثورى الشوارع » الذين ألهوا الشعب وطمسوا معالم « الفرد » الخاصة ، فنفذوا سياسيا نفس التعاليم الدينية التى يروجها رجال الدين الذين اذابوا الفرد فى ذلك الكيان « المجرد » المسمى بالكنيسة ، فطبقوا عمليا ما كان يقول به الهيجليون نظريا ، وهو الاهتمام « بالكلى المجرد » بوصفه الحقيقية الموضوعية (والموضوعية تعنى العمومية أيضا) التى لا تتأثر بعلاقتها بالفرد ٠ وهكذا نرى قوى التزييف واحدة وان تعددت أشكالها (وكان كيركجور يذكرنا بالعقل الكلى عند هيجل الذى يسرى فى جميع المجالات بحيث لا تكون الا نسخا خاصة من فكرة واحدة ! ) فاتخذت مرة الشكل الدينى ، وأخرى

الشكل الفلسفى أو السياسى والاجتماعى ٠٠ الخ(٩١) ٠٠ وهكذا أيضا نجد اتساقا بين الافكار التى يسوقها كيركجور فى المجالات الفلسفية المختلفة ، فلاشك أن فكره الدينى يتسق تماما مع تصوره الفلسفى للطبيعة البشرية التى عبر عنها فى نظريته عن اليأس تعبيرا يتفق أتم الاتفاق مع فكرة بسكال عن « عظمة الانسان وبؤسه » ٠ كما أن هذه النظرية بدورها تصور الانماط الاجتماعية المختلفة ، وتعبر عن موقفه السياسى من أحداث العصر لاسيما كراهيته للتيار اللبرالى والحكم الديمقراطى وتفضيله للحكم الفردى الذى يتسق مع نظرة الاستعلاء الارستقراطية ، وهى نتيجة حتمية **لفكرة الكيف** التى جعلها المقياس الحقيقى لكل ما له قيمة ٠ ولما كان الكيف وثيق الصلة بالمشاعر والانفعالات والعواطف والوجدانات التى هى بطبيعتها فردية ومتباينة من شخص الى آخر ، فاننا حين نجعله المقياس ، فاننا فى نفس الوقت نضع أساسا للتفرقة والتمييز بين الناس وترفض المساواة والعمومية ٠ ولاشك أن هذه الخيوط كلها سوف تتجمع لتلقى بنا فى عالم اللامعقول ، لأن الاعتماد على المشاعر والعواطف وما اليها من أمور وجدانية يجعل الاحتكام الى العقل مستحيلا ؛ ذلك لأن العقل عام ومشترك بين الناس ولهذا كان أساس الاتفاق بينهم والتوحيد لاتجاهاتهم ، العقل أساس « الموضوعية والعمومية والمساواة » ، أما الذاتية ، والتفرد ، والتمايز ، فهى تضرب بجذورها فى « اللامعقول » ٠ ولهذا اصطبغت الفلسفات العقلية بصبغة العمومية ، فى حين اتسمت الفلسفات اللاعقلية بالنزوع الى الفردية ـ وكلما أوغلنا فى « اللامعقول » وصلنا الى الفردية المطلقة ٠ والحق أن هذا الضرب من الفردية هو ما كان يعمل كيركجور على انقاذه ، انه كما سبق ان ذكرنا « الفرد الخارق » ، « والمستثنى » ، أو « الأوحد » ـ وباختصار شديد هى « كيركجور نفسه » ! حقا انه أراد أن يخلق مجتمعا يتألف من أشباهه من العباقرة : « الذين يأتون مثل العاصفة ، فى اتجاه معاكس للريح ، ويرعبون الناس ، وينطفون

---

(٩١) قارن قوله أن عملية التسوية أو التسطيح يمكن أن تقوم بها احدى الطبقات ـ الخاصة مثل طبقة رجال الدين أو طبقة البرجوازيين أو طبقه الفلاحين ٠٠ الخ العصر الحاضر ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

الجو ٠٠ »(٩٢) ٠ أو جماعة من « القديسين » الذين لاهم لهم فى هذه الدنيا سوى الاتصال المباشر بالله وعبور الهوة التى تفصل بين المتناهى واللامتناهى ، بين الانسان والمطلق « بقفزة » واحدة ! لكنها محاولات مكتوب عليها أن تفشل لأنها متناقضة مع نفسها ، فما دام المقياس الكيف والتفرد أصبحت كلمة « **الجماعة** » أيا كان لونها مستحيلة منطقيا ٠

وما دمنا قد أشرنا الى التناقض المنطقى ـ وما أكثره فى فكر كيركجور ! فلنشر الى ملاحظة أخرى هى أنه من الغريب بل من المذهل حقا ، أن نجد هذا الثائر » الذى يشبه نفسه بالعاصفة التى تطهر الجو ، يرفض هذه الثورة نفسها فى ميدان السياسة متعللا بحجة واهية هى أن الذين يستولون على السلطة بالقوة سوف يكونون باستمرار أدنى ـ خلقيا وعقليا ـ من القائمين عليها بالفعل ؛ ثم ان الذين اعتادوا السلطة وظلوا فيها فترة طويلة يسهل باستمرار التعامل معهم لأنهم ألفوا الحكم فلن يصبهم الغرور ولن يتأثروا به فيشعرون بأهميتهم الخاصة ! وانه لمن عجب أيضا أن نجد باحثا لامعا مثل « هولنبرج » يحاول أن يبرر مثل هذا الموقف الرجعى الموغل فى اللامعقول : « ان احترام الوضع القائم الذى كان يؤكده كيركجور باستمرار لم يكن يعتمد على الايمان الأعمى بالسلطة ، بل على الاعتراف بواقعة أن أولئك الذين اعتادوا السلطة هم دائما أقل شعورا بأهميتهم الخاصة ، وبالتالى يسهل التعامل معهم أكثر من أولئك الذين لايعرفون بعد ماذا يعنى أن تتسلم مقاليد الحكم ٠ وهو يفضل مثل هاملت أن يتحمل الآلام والشرور الموجودة بدلا من أن نلقى بأنفسنا فى أحضان أناس لانعرف عنهم شيئا ٠ فلقد كان مذهبه المحافظ من ذلك النوع الذى يخشى الجديد ٠ لا لأن الجديد باستمرار أسوأ من القديم وانما لأنه يحتاج الى التكيف والتوافق مع أساليب جديدة فى الممارسة ، وذلك باستمرار مضيعة لا لزوم لها للوقت والجهد الذهنى ٠٠ »(٩٣) ٠ ولست أدرى كيف يمكن أن يكون « ثائرا » ذلك الذى يحرص على أن تبقى

---

(٩٢) S. Kierkegaard: The Journals P. 324 (Oxford) Eng. Trans. by A. Dru.

(٩٣) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 277.

الأوضاع كما هى بلاتغيير بحجة أن « من نعرفهم خير ممن لم نعرفهم بعد » ! كيف يمكن أن يكون « ثائرا » ، ومع ذلك يخشى الجديد لأنه يتطلب منه « تكيفا جديدا » وتوافقا مع أساليب جديدة لم يألفها من قبل ؟ وماذا يمكن أن تعنى « الثورة » ما لم يكن من أبسط معانيها أن تأتى بشىء جديد ؟ ! ام أن المسألة ليست سوى « مرجل » يغلى بداخله فحسب دون أن يحرك شيئا قط ؟ ! : « خارجيا كان كيركجور متمسكا بالقانون مخلصا الى أقصى حد للنظام القائم فى المجتمع . ولم يسمح لنفسه قط أن ينزلق فى أية محاولة للتغيير حتى ولو كان أبسط وأقل تغيير ممكن من النظام القائم ، لقد كان ينظر الى المجتمع نظرته الى الطقس والجو ، والرياح ، والشتاء ، والصيف ، فهى كلها أمور ينبغى ألا يضيع فيها المرء وقته وجهده وفكره ، لأنها فى التحليل النهائى ليس لها مغزى : ان الشىء الوحيد المهم هو الانسان وموقفه تجاه الفكر »(٩٤) . أهذه فلسفة « محافظة » أم رجعية عاتية ـ تلك التى لاتقبل أدنى تغيير ولو طفيف فى الوضع القائم فى المجتمع ؟ ! ثم من هو هذا « الانسان » الذى يركز عليه ويجعله هاما الى هذه الدرجة ؟ أيستطيع أحد بعد كل هذا الشوط الهائل الذى قطعته الانسانية فى مضمار العلاقات الاجتماعية أن يتصور الانسان على أنه كيان منعزل يمكنه أن ينمو ويصل الى المطلق فيتحقق له الخلاص بغض النظر عن المؤثرات المحيطة به ، ودون أدنى اكتراث بالمجتمع من حوله ؟ الحق أن هذا الموضوع يحتاج الى وقفة طويلة لنقارن بين كيركجور وهيجل فى مضمار « التجريد » ، و « العينية » ، والاهتمام بالواقع الحى ، والانشغال بدنيا الناس من ناحية والعيش مع الذات فى دنيا الأوهام والخيالات من ناحية أخرى ـ فلنرجىء الحديث المفصل الى الجزء الثانى من هذا البحث . ولنتابع الآن كيركجور فى مؤلفاته ومنهجه وهو موضوع الفصل القادم .

---

(٩٤) Ibid, P. 278.

# الفصل السابع

## المؤلفات .... والمنهج

« هـــذه الكتب كالمــرآة : اذا تطلع اليهــا فــرد ، فلايمــكن أن يتــوقع أن يشــاهـــد رسولا .. » !

س. كيركجور : « المأدبة »

# الفصل السابع

## المؤلفات .... والمنهج

يقــول « جان ڤال » : « ان مؤلفات كيركجور لاتعرض علينا مذهبــا تاما مكتملا ، ذلك لانه عن طريق هـــذه المؤلفات نفسهــا كان يتكون هــو نفسه » . « نشاطى كمؤلف هو تطورى الخــاص وهــو تربيتى ذاتها(١) ، فحياته هى التى تشكل فكره .. »(٢) . والحــق أن تطور حياته لاسيما من الناحية الروحية كان يؤثر لا فى نوع الكتب التى يؤلفها فحسب ، بل أيضا فى المنهج الذى كان يستخــدمه فى عمليــة التأليف . ومن هنــا فانه كان يستخدم فى بداية تطوره الروحى منهج الاتصال غير المباشــر لاسيما فى مجموعة الكتب التى أطلق عليها هو نفسه « المؤلفات الجمالية » ، ثم عاد واستخدام منهج الاتصال المباشر لاسيما عنــدما أراد أن يكشف عن نفسه وعن رسالته للناس ويدخل فى صـــراع مكشوف من المسيحية القائمة التى تعبر عنها الكنيسة الرسمية فى الدانيمارك .

والملاحظ أن كيركجور كان غزير الانتاج للغاية فقــد جمعت مؤلفاته فى أربعة عشــر مجلدا فضلا عما يقرب من ثمانية عشــر مجلدا لليوميات والأوراق ! ولا نغالى اذا قلنــا ان هــذا الفيض الزاخر من الانتــاج كان حصيلة سنوات قليلة لا تزيد عن الثمانية سنوات ! بل أن هيس R. Heiss

---

(١) Cité Par J. Wahl: Etudes P. 48.

(٢) الملاحظ أن هذه الفكرة نفسها التى اقتبسها جان ڤال عن روتنبك تتعارض مع ما يقوله بعــد ذلك من أن : « التصورات الاساسية فى فــكر كيركجور كانت قد تشكلت منــذ وقت مبكر جدا ، فقــد تشــكل مفهومه عن الخطيئة عــام ١٨٣٦ ، وتصوره للايمان ، ونظريته عن المفــارقة ، وكذلك مجموعة أفكاره الاساسية عام ١٨٣٥ » رغم أن جان ڤال يرى أنه ليس ثمة تناقض بين الفــكرتين من حيث أن تطور حياته كان يعمق ما تشــكل لديه من أفكار ــ قارن كتابه « دراسات كيركجوردية » ص ٤٨ لاسيما حاشية ٣ .

ليذهب الى أنه : « فى فترة قصيرة جدا لا تزيد الا قليلا عن سنتين ظهر الجزء الأكبر من مؤلفاته ٠٠ »(٣) ٠ وهذا طبعا شىء بالغ الغرابة لاسيما اذا عرفنا أنه من الناحية الجسمية كان ضعيفا هشا لا يقوى على بذل الجهد العنيف ومن الصعب ان تجد له نظيرا فى تاريخ الفلسفة من حيث الغزارة والحمية والخيال الملتهب باستثناء فردريك نيتشه : ولقد عبر هو نفسه عن هذه الغزارة فى الانتاج بقوله : « لقد قيل عن الشاعر انه يضرع الى ربات الفنون Muses لكى تبعث اليه بالأفكار ، غير أن ذلك لم يكن حالى قط بل لقد منعتنى فرديتى حتى من أن أفهم ذلك ـ وانما كنت على العكس فى حاجة الى الاستعانة بالله لكى يحمينى من ثروة الأفكار ٠٠ »(٤) ٠

ويقول أيضا « ان الأفكار لتأتى الى كما تأتى الفاكهة الساحرة فى حدائق القصص الخرافية وهى أفكار غنية دافئة نابعة من صميم الفؤاد ٠٠ »(٥) ولهذا السبب كان يضع فى كل حجرة أدوات مكتبية خاصة أقلاما ودفترا خاصا ليسجل بسرعة هذه الأفكار المتلاحقة ! وكان يصف نفسه بأنه يحمل قلما مجنحا : « يبدو لى أننى أملك قلما مجنحا ! أجل : وحتى ولو كان عندى عشرة أقلام ما كان فى استطاعتى أن أحافظ على السرعة أو ألاحق الأفكار الغنية التى تتدفق من تلقاء نفسها »(٦) ٠٠٠٠ والغريب أنه ، مع هذا الفيض الزاخر من الكتب ، كثيرا ما كان يثور على نفسه ويمتنع على الكتابة تماما ويسأل : « اكتب ٠٠ » ؟ « لمن ٠٠ ؟ ويجيب « اكتب للموتى الذين كنت تحبهم فى الماضى ٠٠ » و « هل سيقرؤننى ٠٠؟ » « نعم لأنهم سيعودون كنسل جديد ٠ » « لكنه يصيح فى النهاية بنغمة سوداوية » : « كلا ٠٠ :(٧) ٠ وينتهى المونولوج ، بالامتناع عن الكتابة ! ويروى « هولنبرج » أننا لانجد تدوينة واحدة فى يومياته من نوفمبر ١٨٥٣ حتى مارس ١٨٥٤(٨) ٠ مع أنه كان فى أحيان أخرى يفاخر بأنه ألف كتابا

---

(٣) R. Heiss : Hegel : Kierkegaard and Marx P. 220.

(٤) Quoted by F. Brandt : S. K. P. 25.

(٥) Ibid, P. 25 - 26.

(٦) Ibid.

(٧) Fear & Trenbling, P. 13.

(٨) Hohlenberg : op. cit., P. 232.

ضخما مثل « أما ـ أو » فى ثمانية أشهر(٩) ، وأنه فى نفس العام الذى ظهر فيه « أما ـ أو » نشر كتابين أصغر حجما صدرا فى يوم واحد ( هو ١٦ أكتوبر ١٨٤٣) وهما أيضا عبارة عن رسائل « موجهة الى ريجينا أولسن » والكتابان هما : « الخوف والقشعريرة » الذى صور فيه تضحيته بحبه ، والثانى « التكرار » الذى يعالج تجربة حبه البائس بطريقة أراد بها أن يطلع « ريجينا » على حبه الأبدى ...

وسوف تعرض فى نهاية هذا الفصل لمؤلفات كيركجور بشىء من التحليل السريع مع ترتيبها ترتيبا زمنيا وفقا لتاريخ صدورها . لكن بغض النظر عن هذا الترتيب الزمنى فاننا نستطيع أن نقسم هذه المؤلفات ثلاثة أقسام كبرى ( وهذا التقسيم لايشمل رسالة الماجستير التى أعدها عن مفهوم التهكم) هى على النحو التالى :

١ ـ **القسم الأول** : يشمل مجموعة المؤلفات المستعارة والتى أطلق عليها كيركجور نفسه اسم « المؤلفات الجمالية » وهى تحتوى على كتب مثل : « أما ـ أو » فى مجلدين ، « والخوف والقشعريرة » « والتكرار » ، « مراحل على طريق الحياة » ، و « مفهوم القلق » ... الخ . وكان آخرها « الأزمة ، وأزمة فى حياة ممثلة مسرح » فى يوليو عام ١٨٤٨ وهذه المؤلفات الجمالية تتميز بخاصتين **الأولى** : أنها كتبت بلغة رومانتيكية شاعرية ، **والثانية** أنها كتبت بأسماء مستعارة .

أما الخاصية الأولى لهذه المؤلفات فهى أننا نجد كيركجور فيها يتحدث بلسان الشاعر ولهذا السبب فانه يصب فيها أحزانه وآلامه وعذابه يقول « روبرت هيس R. Heiss » « على هذا النحو كان انتاجه الأدبى ، بمقدار ما يكون شعرا ، فهو تلحين وغناء لعذابه وآلامه . ولذلك فاننا نستطيع أن نقول مثلا أن المجلد الأول من « أما ـ أو » عمل شعرى رومانتيكى عظيم .. »(١٠) وتلك عند كيركجور خاصية الشعر الأساسية : التعبير عن

---

(٩) وقارن أيضا ما يقوله ولتر لورى من أن كيركجور كتب «التكرار» فى اسبوعين !

A Short Life, P. 157.

(١٠) R. Heiss : op. cit., P. 221.

الام الشاعر وعذابه ، ولهذا نجده فى هذا الكتاب يتساءل « من هو الشاعر؟ ويجيب « هو انسان شقى تعس يحمل فى أعماق صدره قلقا عميقا لكن شفتيه قد خلقتا على نحو يجعل الأنات والآهات تتحول الى موسيقى ساحرة عذبة ·· ويلتف الناس حول الشاعر وهم يقولون « غن مرة أخرى » وكأنهم يقولون : تعذب من جديد ، مزق نفسك ، واجعل شفتيك تصوغ العذاب مرة أخرى على نحو ما فعلت من قبل ! ان الآنات والآهات تؤلمنا أما الموسيقى فهى وحدها التى تبهجنا ·· »(١١) ·

٢ ـ **القسم الثانى** : المجموعة الثانية من مؤلفات كيركجور يمكن أن تسمى بالمؤلفات الفلسفية وفيها يتحدث كيركجور بلغة الفيلسوف لا الشاعر، وهذه المؤلفات تقع وسطا بين المجموعة الجمالية الرومانتيكية وبين مجموعة المؤلفات الثالثة وهى الكتب والمؤلفات الدينية عموما ، فاذا كانت المجموعة الأولى لاتحمل اسم كيركجور قط بل يضع أسماء مستعارة « كمؤلفين لها ، واذا كانت المجموعة الثالثة الدينية تحمل اسمه هو ، فان المجموعة الثانية تحمل الاثنين معا فكتاب « الشذرات الفلسفية » الذى صدر فى يونيو عام ١٨٤٤ يحمل على غلافه اسم المؤلف « يوحنا كليماكوس » وبجواره اسم المسئول عن النشر « س · كيركجور » ! وكذلك تظهر « حاشية ختامية » على هذه الشذرات فى ٢٨ فبراير ١٨٤٦ تحمل أيضا اسم المؤلف المستعار « يوحنا كليماكوس » وبجواره اسم كيركجور كمسئول عن النشر !

٣ ـ **القسم الثالث** : المجموعة الثالثة من مؤلفات كيركجور تشمل مؤلفاته الدينية ـ الكتب والنشرات والمقالات ـ وهى تتسم بخاصتين الأولى أنها تحمل اسم كيركجور كمؤلف لها ، والثانية أنه هنا يتحدث بلغة الواعظ· وهذه المؤلفات تشمل بصفة خاصة على عدد كبير مما أطلق عليه اسم « أحاديث تهذيبية Edifying Discourses أو ارشادية وهو يسميها « أحاديث » وليس عظات Sermons ـ مع أنها عظات دينية بالفعل والسبب أنه « واعظ » بلا سلطة كما كان يقول فهو لايملك سلطة الوعظ أو الكرازة وليس قسيسا من الناحية الرسمية ، ومن ناحية أخرى فهى تهذيبية أو

---

(١١) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 19.

ارشادية Edifying وليست من أجل التهذيب أو الارشاد Edification لأن المؤلف ليس معلما ولا يدعى لنفسه مثل هذه السلطة(١٢) ·

وهذا التقسيم « الثلاثى » لمؤلفات كيركجور قد يستدعى فى الحال نظريته فى ألوان الحياة ، أو أنواع المراحل الثلاث : الجمالية (وتقابلها المؤلفات الجمالية) ، ثم الأخلاقية أو التمسك بالمبادىء ، (وتقابلها المؤلفات الفلسفية) وأخيرا المرحلة الدينية (وتقابلها المؤلفات الدينية) وسوف نعود الى هذه المراحل فيما بعد ·

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن « منهج الاتصال غير المباشر » عند كيركجور نود أن نسوق على هذا التقسيم الثلاثى لمؤلفاته ثلاث ملاحظات :

**الملاحظة الأولى** : أن هذا التقسيم الثلاثى للمؤلفات لايساير حياة كيركجور بمعنى أننا لانستطيع أن نقول أنه كان فى بداية حياته جماليا فجاءت المؤلفات الجمالية لتعبر عن هذه المرحلة ، ثم انتقل فى حياته الى التفكير النظرى فجاءت مجموعة المؤلفات الفلسفية معبرة عن هذه المرحلة الثانية ، وأخيرا انتهى الى الدين فكانت مؤلفاته الدينية تعبيرا عن هذا التطور النهائى ، بل أننا نجده فى جميع مراحل حياته يكتب ما يسميه **بالأحاديث الدينية التهذيبية** التى يوقعها باسمه فى نفس الوقت الذى يكتب فيه **المؤلفات المستعارة** التى يوقعها بأسماء شخصيات متخيلة ! وهذا طبعا لايمنع من القول بأنه كان فى مرحلة من مراحل حياته « يغلب » عليه الجانب الجمالى على الجانب الدينى مثلا ! ولكى نوضح ما نقول نضرب المثل بالسنوات الأولى التى بدأ فيها يصدر مؤلفاته المنشورة : فقد بدأ باصدار « أما ·· أو » فى جزأين فى فبراير ١٨٤٣ وفى نفس العام أصدر « الخوف والقشعريرة » و « التكرار » فى يوم واحد ١٦ أكتوبر ١٨٤٣ ثم مفهوم القلق » فى يونيو ١٨٤٤ وهذه كلها مؤلفات جمالية ولكنه فى نفس العام ١٨٤٤ أصدر « الشذرات الفلسفية » وهى من مؤلفات المجموعة الثانية (المؤلفات الفلسفية) ثم عاد فى العام التالى ليصدر فى ابريل ١٩٤٥ «مراحل على طريق الحياة » ! من المؤلفات الجمالية ، وعام ١٨٤٦ يصدر فى فبراير

(١٢) W. Lowrie: A Short Life of S. K. P. 162.

« حاشية ختامية غير علمية على الشذرات الفلسفية » · من المؤلفات الفلسفية ! وفى أثناء ذلك كله كان ينشر باستمرار أحاديثه الدينية : ففى عام ١٨٤٣ نشر تسعة أحاديث تهذيبية على النحو التالى : « حديثان تهذيبيان » فى مايو ١٨٤٣ ، ثم « ثلاثة أحاديث تهذيبية » أكتوبر ١٨٤٣ وأخيرا « أربعة أحاديث تهذيبية » ، فى نوفمبر ١٨٤٣ ، وهى كلها تعالج موضوعات دينية خالصة وتشرح بعض نصوص الكتاب المقدس مثل « المحبة تستر كثرة الخطايا » ( رسالة بطرس الأولى ٤ : ٨) « والرب أعطى الرب أخذ ليكن اسم الرب مباركا » (أيوب ١ : ٢١) ··· الخ · ثم فى العام التالى (عام ١٨٤٤) ينشر تسعة أحاديث أخرى على النحو التالى : «حديثان تهذيبيان » فى مارس ١٨٤٤ ، ثم « ثلاثة أحاديث تهذيبية ، فى مايو ١٨٤٤ ، وأخيرا « أربعة أحاديث تهذيبية » أغسطس ١٨٤٤ ، وهى كسابقتها تعالج موضوعات ونصوصا دينية خالصة مثل : « محافظة الانسان على نفسه عن طريق الصبر » (لوقا ٢١ : ١٩) « اذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر » سفر الجامعة ١٢ : ١ ·· الخ الخ · وفى العالم التالى · (عام ١٨٤٥) يجمعها كلها فى مجلد واحد يصدر بعنوان » ثمانية عشر حديثا تهذيبيا · فى مايو ١٨٤٥ وهى كلها تحمل اسمه · صحيح أننا فى العام التالى ١٨٤٦ نجد اشارة الى « التفرغ » للتأليف المسيحى عندما يطرح فى الحاشية « معنى أن يكون المرء مسيحيا » · لكنه بعد أن يكتب أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة فى مارس ١٨٤٧ و « أعمال المحبة » فى مجلدين فى سبتمبر من نفس العام يعود الى الكتابة الجمالية عازما احباط أى نقد يمكن أن يوجه اليه لأنه كان فى السابق مؤلفا جماليا فينشر فى يوليو عام ١٨٤٧ دراسة صغيرة بعنوان « الأزمة ، وأزمة فى حياة ممثلة » · وكانت المناسبة قيام السيدة هيبرج ··· Fru Heiberg (زوجة بروفسور هيبرج) بتمثيل دور جوليت ، وهو يوقع هذه الدراسة بمصطلح لاتينى هو « بين بين ·· ”.....Inter.... et Inter ··· وهو يشير بهذا التوقيع الى أنه كان منذ البداية مؤلفا دينيا وسوف يظل حتى النهاية مؤلفا جماليا !(١٣) يعنى أنه يجمع طوال حياته بين التأليف الجمالى والتأليف الدينى !

---

(١٣) J. Hohlenberg : op. cit., P. 197.

الملاحظة الثانية : ان المؤلفات الجمالية وان كانت تعالج موضوعات شاعرية كالحب ويكتبها كيركجور بأسلوب الشاعر فاننا ينبغى أن نلاحظ كما يقول ولتر لورى W. Lowrie بحق أن كيركجور هو نفسه الذى أطلق على هذه الكتب اسم المؤلفات الجمالية لكن ينبغى « ألا نستنتج من هذه التسمية أنها لاتعالج الا الحب والموضوعات الجمالية وحدها فهى تشتمل الى جانب ذلك (كما هى الحال فى كتابه : أما ٠٠ أو ) على كثير من الاهتمامات الميتافيزيقية الأساسية(١٤)٠ فكتابه مثلا » الخوف والقشعريرة « يعالج موضوع حبه لريجينا وتضحيته لهذا الحب فى سبيل هدف أسمى تماما كما فعل ابراهيم عندما أطاع الأمر الالهى فساق ابنه اسحق الى الجبل ليذبحه ! ٠ لكن الكتاب يحتوى مع ذلك على معالجة لكثير من الأفكار الفلسفية والدينية مثل فكرة الاذعان أو « الاستسلام اللا متناهى » ، وفكرة فارس الايمان » ، وايضا يثير مشكلة « تعليق الاخلاق » هل يمكن ـ تحت أى باعث ـ أن يعطل القانون الخلقى وان امتنع فعل الواجب الأخلاقى ؟ ! كما يثير أيضا فكرة العثرة واللا معقول Absud والمفارقة Paradox ثم ينتهى فى المشكلة الثالثة فى نهاية الكتاب الى دراسة العلاقة بين « العبقرية والجنون » ويقتبس عبارة من Seneca اقتبسها بدوره من أرسطو Aristotle يقول فيها : « لاتوجد عبقرية خالية من مس من جنون » ! ويسترسل فى شرح سبب هذا الارتباط الذى يرده فى النهاية الى غيرة الله من العبقرى !(١٥) ٠

**الملاحظة الثالثة** : مع بداية ١٨٤٧ كان كيركجور يقف على أرضه ، على حد تعبيره ويشعر أنه « فى بيته » لأن نشاطه فى التأليف الدينى سوف يزداد بشكل واضح « أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة » ، مارس ١٨٤٧ (أحد عشر حديثا تقع فى ٣٦٨ صفحة) وفى سبتمبر « أعمال المحبة : بعض الدروس المسيحية فى صورة أحاديث » (مجلدان يقعان فى ٤٣٢ صفحة) وانتهت السنة فأكمل مخطوطه أحاديث مسيحية (تقع فى ٣٥٢ صفحة)

---

(١٤) W. Lowrie : A Short, P. 160.

(١٥) S. Kierkegaard : Fear and Trenbling, P. 116 Eng. Trans. by W. Lowrie.

فضلا عن « معايشة المسيحية » و « الكتاب الكبير عن ادلر » ·· الخ الخ ـ وهذه المؤلفات هى التى يقول عنها كيركجور أنها تعبر عنه وتكشف عن جوهر نفسه ، وقد نشرها باسمه مشيرا بذلك الى أننا هنا أمام ما يعتبره ذاته الجوهرية الحقيقية ، وما يعبر تعبيرا حقيقيا عن رغباته وأفكاره ·· الخ(١٦) · ولهذا السبب أهدى مجموعة الأحاديث الثمانية عشر : « الى والدى : المرحوم ميخائيل بندرسن كيركجور تاجر الملابس الداخلية السابق فى المدينة · أهدى هذه الأحاديث » ، ولقد أراد كيركجور أن يقول بوضع اسمه على هذه المؤلفات أنه يتحمل مسئولية شخصية عن محتوياتها أعنى عن وجهة النظر المسيحية للحياة فى حين أنه كان ينقل وجهات نظر الآخرين فى المؤلفات المستعارة(١٧) ·

ومع ذلك فان هذه المؤلفات الدينية التى يتحمل كيركجور مسئوليتها هى أقل قيمة بكثير جدا من المؤلفات الأخرى ! يقول « هولنبرج » أن هذه المجموعة من المؤلفات الدينية هى بالتأكيد الجزء الذى سيجد القارىء الحديث انه يصعب عليه هضمه · ! فعنوانها غير جذاب وشكلها العام كريه وربما منفر أيضا فلن نجدفيها تلك الحياة المتالقة اللامعة ، ولا العقلانية ، أو المفارقات الموجودة فى المؤلفات المستعارة · ان ما تتضمنه هذه المؤلفات من أفكار بسيط واضح يسهل فهمه وان كان كيركجور يعبر عنه بخيال جامح وثروة هائلة من التخيل الطبيعى مع أسلوب هادىء ، ولهذا فان القارىء سوف يشعر ، اذا ما ترك نفسه لايقاعها ، أنه يستسلم لموسيقى بطيئة الحركة(١٨) · ويقول هيس ··· R. Heiss عن هذه المؤلفات أنها مواعظ بالمعنى الحرفى للكلمة : فهو يتحدث عن الخطاة والآثمين ، ورئيس الكهنة ، والعشار ، والفريسيين ويقتبس نصوصا من الكتاب المقدس وربما بدات بصلاة···(١٩) · ويقول فيثيوف برانت F. Brandt « ان المؤلفات المستعارة هى أعظم أهمية وأكثر قيمة فى كل ما كتبه كيركجور ، لأننا نجد هنا : الفلسفة ، والفن ، واللاهوت تتحد كلها بطريقة لم نرها

(١٦) J. Hohlenber : op. cit., P. 198.
(١٧) F. Brandt : S. K. P. 27.
(١٨) J. Hohlenberg : op. cit., P. 198.
(١٩) R. Heiss : op. cit., P. 221 - 222.

من قبل وهى تشبه فيضا زاخرا من الثروة المتدفقة من عقل لاينضب عقل حاد فريد ، ها هنا نجد الاشجان القوية ، والملح الخفيفة ، والجاذبية الهادئة كما نجد التهكم الخفى والحماس العميق مع الاستهزاء الجاد ـ ذلك كله ما يسيطر على مؤلفات كيركجور الجمالية وأنت تجد كل جملة تحمل طابعه وتعبر عن شخصيته ، فهو لايشبه أى كاتب آخر ، أن له لغته الخاصة هى لغة كيركجور !(٢٠) ٠

وهذه الملاحظة الأخيرة تقدم لنا مفارقة عجيبة ، وما أكثر المفارقات فى حياة كيركجور وأعماله ! وهى أن المؤلفات المستعارة التى لاتعبر عن شخصية هى الأهم والأكثر عمقا فى حين أن المؤلفات التى يقول عنها أنها تعبير عن جوهره لاقيمة لها من الناحية الفكرية البحتة لأنه هنا مجرد واعظ دينى ! انه اذن « يظهر » بوضوح أكثر عندما « يختفى » وراء قناع ويتجلى عندما يتقمص شخصية رجل آخر ! انه يجيد منهج « الاتصال غير المباشر» الذى يعبر عن حياته أصدق تعبير !

نصل الأن الى المنهج الذى استخدمه كيركجور فى تأليف هذه الكتب ٠ والحق أننا نستطيع أن نقول أن كيركجور لم يستخدم منهجا واحدا فقط ، صحيح أنه فى الغالبية العظمى من مؤلفاته (وهى المؤلفات الجمالية والفلسفية) يستخدم ما يسمى بمنهج « الاتصال غير المباشر » ، لكنه مع ذلك يستخدم فى مؤلفاته الدينية « منهج الاتصال المباشر » ، لاسيما فى الفترة الأخيرة من حياته التى اقترب فيها تدريجيا من « المسيحيةالحقة » على حد تعبيره ورأى أن مهمته ودوره هو اذاعة « موقفه المسيحى » بين معاصريه وهو ما لايصلح له « المنهج غير المباشر » ، « فالفكرة التى كانت تلح عليه تدريجيا ويشعر بوطأتها أكثر وأكثر هى أنه فى المستقبل ينبغى عليه أن يتكلم مباشرة ، وأن يعبر عن أفكاره على نحو مباشر ، وبالتالى فان انتقاداته لما يسمى بالمسيحية الرسمية ينبغى أيضا أن يقال على نحو مباشر ، والشرط الضرورى أن يظهر بشخصيته هو in Propria Persona ولا يختفى وراء أسماء مستعارة ٠٠٠(٢١)

---

(٢٠) F. Brandt : op. cit., P. 26 - 27.

(٢١) J. Hohlenberg : op. cit., P. 199.

غير أن « منهج الاتصال غير المباشر » الذى استخدمه فى المؤلفات الجمالية والفلسفية يظل أكثر أهمية ؛ وكيركجور نفسه (وهذه مفارقة جديدة) يقول : ان الاتصال غير المباشر هو خاصيتى الطبيعية نتيجة لما مررت به من خبرات ٠٠ »(٢٢) ٠ وهذا يتفق مع ما سبق أن ذكرناه من اتصاله غير المباشر بالواقع ، يقول ولتر لورى ٠٠٠ W. Lowrie مؤكدا هذه الفكرة « أن انطواءه لفترة طويلة منعه من ممارسة ما يسميه بالاتصال المباشر ، وهكذا استخدم وامتدح منهج الاتصال غير المباشر مستخدما الأسماء المستعارة كأداة لهذا المنهج ٠ ويمكن القول بأن منهج الاتصال غير المباشر قد فرضته عليه طبيعته التى كان يعتبرها طبيعة شيطانية ، لكنها من ناحية أخرى كانت الطريقة الوحيدة التى تمكن من خلالها من رسم خريطة لعالم العواطف والانفعالات ٠٠(٢٣) ٠

وفى منهج الاتصال غير المباشر لاتعرض الأفكار على نحو مباشر ، كما كان يفعل فى أحاديثه الدينية ـ لكنه يختار طريقا غير مباشر بأن يجعل مثلا شخصيات مختلفة تعبر عن مراحل الحياة المختلفة أن أراد عرضها ، على نحو ما حدث فى « أما ٠٠ أو » ، أو « مراحل على طريق الحياة » فها هنا شخصية « الشاب » أو « أ » « أو يوحنا المغوى » تقوم بدور الممثل للحياة الحسية الجمالية فتعرضها من الداخل : مشاعرها وانفعالاتها وأحاسيسها بلغة حسية جمالية ، فى حين يقوم « القاضى فلهلم » مثلا الرجل الأخلاقى الملتزم ، رب الأسرة الذى يراعى واجباته الاسرية والوظيفية ـ يقوم بعرض تفاصيل هذه الحياة وأهميتها ٠ وهكذا نجد أن وصف المراحل التى يمكن أن يمر بها الانسان لايقوم به المؤلفات وانما تعرضه شخصيات هذه المراحل ، فليس ثمة حديث مباشر من المؤلف الى القارىء ، وانما لابد أن يكون هناك ممثلون لكل مرحلة يقومون هم بعرضها من الداخل لا من الخارج كما ذكرنا ٠ وهى فكرة ستكون واضحة جدا فى طريقة عرض « سارتر » لأفكاره الفلسفية عندما يفضل « المسرحيات » والشخصيات التى تمثل مواقف معينة بدلا من العرض الفلسفى المباشر ، أن عرض الأفكار

---

(٢٢) S. Kierkegaard: The Journals P. 174 (Fontana).

(٢٣) W. Lowrie : A Short Life, P. 155.

عن طريق المسرحية يكسبها حياة وحركة وحيوية ويبعد عنها الجفاف العقلى المشهور عن التأليف الفلسفى وهذه السنة هى التى استنها كيركجور الفلاسفة الوجوديين جميعا ، فكتابه « أما ـ أو » بجزئيه ليس الا محاورة طويلة بين « شاب » يمثل الحياة الحسية الجمالية وبين صديقه الأكبر « القاضى فلهلم » الذى يمثل وجهة النظر الأخلاقية ٠ ولهذا نرى الأسلوب فى الكتاب يختلف باختلاف المتحدث ، فاذا كان الشاب هو الذى يعرض وجهة نظره فالأسلوب شاعرى جميل أو هو رومانتيكى وغنائى ٠٠٠ الخ ٠ وسوف نرى فى فصول قادمة نماذج منه عندما نعرض للخطابات التى كان يرسلها « يوحنا المغوى » لحبيبته كورديليا ٠ أما اذا كان المتحدث القاضى فلهلم فالاسلوب متزن هادىء فالرجل يتكلم بطريقة الخبير المحنك الذى يهتم بعرض تجاربه واستخلاص المبادىء منها دون أن يلقى بالا الى الزخرفة الأدبية أو التنسيق اللفظى ـ وفى هذا الحوار لايتدخل كيركجور بل يترك للقارىء فرصة الحكم أو الفصل بينهما والاختبار بين هذين اللونين من الحياة أو المجالين من مجالات الوجود ، أو هو بالأحرى يترك له الفرصة لرفضهما معا ! وما يقال عن هذا الكتاب يقال أيضا على كتابه « مراحل على طريق الحياة » حيث يحاكى أفلاطون فى المأدبة ! وضيوف كيركجور هم شخصياته فى كتبه المختلفة « فيكتور ارميتا » ناشر « أما ٠٠ أو » ؛ « الشاب » و « القاضى فلهلم » و «يوحنا المغوى» وقسطنطين قسطنطينيوس» مؤلف « التكرار » ٠٠٠ الخ وكل شخصية تدلو بدلوها فى هذه المحاورة : ولا يستخدم كيركجور فى عرضه لآرائه ـ فى المؤلفات الجمالية والفلسفية منهج الاتصال غير المباشر بأن يقدم لنا شخصيات تعرض هى الآراء وفق اعتناقها لها فحسب ، لكنه يجعل منها المؤلفين الحقيقيين للكتب وهو يختار هذه الاسماء بعناية فالمسألة على حد تعبيره لاتأتى عفوا أو بمحض المصادفة بل من طبيعة الانتاج نفسه(٢٤) ٠ وهو لهذا يختار أسماء ذات دلالة خاصة لكل كتاب : فمثلا يختار لكتابه « أما ٠٠ أو » شخصية فيكتور ارميتا Victor Ermita وهى تعنى حرفيا « فيكتور الناسك » وهو يمثل شخصية كيركجور نفسه الذى سيرفض « أما ٠٠ أو » ، سيرفض الاختيار

---

(٢٤) S. Kierkegaard: Concluding P. 552.

بين الحيـــاة الحسية والحياة الاخلاقية ، وسيرى شيئا فشيئا أن الاختيار الحقيقى ليس بين الجمالى والاخلاقى، ولكنه سيكون بين الجمالى والاخلاقى من ناحية ، وبين الدينى من ناحية أخرى ، اذ لن تكون الحياة الأخلاقيـــة الا تمهيدا لمرحلة أعلى ..(٢٥) . وفضـــــلا عن ذلك فان كيركجور عندمـــا كتب هـــذا الكتاب كان قـــد اعتزل الحياة تقريبا وعاش كمـــا لو كان فى دير(٢٦) .

كما أنه فى الكتاب التالى « الخوف والقشعريرة » يختار أسما واضح الدلالة هو « يوحنا الصامت » Johannes de Silentio فهو فى الـــكتاب يعرض لتجربة حبه الفاشل والتضحية التى قام بها تلبية للنـــداء الدينى ، وهكذا ضحى « بريجينا أولسن » تماما كما ضحى ابراهيم بولده اسحق ! وكما أن ابراهيم أخفى عن زوجته سارة ـ وكذلك عن ابنه نفسه ـ ما هـــو مقدم عليه طاعة للامر الالهى ، كذلك كيركجور أو يوحنا الصامت ـ ضحى بريجينا وسود لها نفسه حتى تنفر منه تلبية لنداء الهى ! وهو لايريـــد أن يتكلم ، اذ من واجبه أن يلزم جانب الصمت لكنها فى الوقت نفسه لابد أن تفهم موقفه ! ولهذا نراه يصدر الكتاب بعبارة لهامان Hamann يقـــول فيها : « ما دار من حيث بين تاركونيوس سوبربوس Tarquinius Superbus ونبات الخشخاش فى حديقة القصر فهمه ابنه ولم يفهمه الرسول » . وملخص القصة أنه عندما استطاع ابن الطاغية « تاركونيوس » أن يكسب ثقة شعب جابى Gabii ، بعدها أرسل ، سرا ، رسولا الى والده فى روما يسأله عن الخطوة التالية التى ينبغى عليه أن يقوم بها . لكن والده لم يشأ أن يضـــع ثقته فى الرسول فيخبره برده على رسالة ابنه ، وبالتالى لم يطلعه عى رأيه واكتفى بأن اصطحبه الى حديقة القصر وسارا يتسامران بينما الأب يضرب بعصاه الرؤوس الطويلة لنبات الخشخـــاش . وعـــاد الرسول يروى للابن ما حدث، وفهم الابن ما لم يفهمه الرسول ، وهو أن والده يقول لهأن الخطوة التالية التى ينبغى أن يقوم بها هى أن يقتل علية القوم فى المدينة فشرع فى

---

(٢٥) J. Wahl : Etudes, P. 56.

(٢٦) W. Lowrie : A Short of Life, P. 155, and J. Wahl op. cit., p. 53.

الحال ينفذ الأمر ! واذا كان يوحنا الحقيقى هو كيركجور الذى لزم الصمت فان على ريجينا أن تفهم سبب تضحيته بها وعدم الزواج منها أنه يحبهـا لكن عليه أن يطيع النداء الالهى !

« والتكرار » يقوم بتأليفه قسطنطين قسطنطينيوس .. Constantine Constantinius وهو المجرب الحقيقى الذى يأمل رغم الحب الناشل الـذى رواه له صديقه الشاب فى امكان « التكرار » الذى فشل فى تحقيقه حسيـا أو جماليا ـ انه يأمل فى « التكرار » مثلما كان يأمل أيوب فى أن يعود اليه كل شىء مضاعفا (٢٧) .

بل أن كتابه « المقدمات Prefaces » يقوم بتأليفه نقـولا نوتـابين Nicolos Notabene وهو يدور حول تأليف الكتب وما لهذه العملية من متعة ثم جهود القراء ولا سيما فى الدانيمارك ، وكذلك النقـاد والـكتب الجديدة .. الخ ، ولذلك كان ... Notabene هو المؤلف وهى كلمة تعنى حرفيا ، الملحوظة أو الحاشية كما هو معروف !

أما المؤلفات الفلسفية مثل « الشـذرات الفلسفية » (يونيـو ١٨٤٤) ثم « الحاشية على هذه الشذرات فبراير ١٨٤٦ فهى من تأليف شخصيـة شهيرة عند كيركجور هى « يوحنا كليماكوس Johannes Climacus وهو فى الأصل اسم راهب ولد عام ٥٦٩ ومات ٦٤٩ وعاش فى دير بصحراء سيناء وجاء اسمه من كتاب ألفه عنوانه Scala Paradisi معراج الفردوس يشرح فيه ثلاثين فصلا (أو ثلاثين درجة !) ما ينبغى على الراهب صيانتـه من مبادىء وفضائل أخلاقية وطريق الكفاح الذى ينبغى أن يسلـكه حتى يبلغ الحياة الكاملة . ولقد عرف هذا الكتاب فى العصور الوسطى المسيحية وترجم الى عدة لغات منها اليونانية ، ومن ثم انتشر وتداوله الكتاب على نطاق واسع ، غير أن كيركجور ، فى الأعم الأغلب ، لم يقرأ هـذا الكتاب وانما وقع على مقتطفات مقتبسة منه لاسيما أثناء تأديته لامتحان اللاهوت عام ١٨٣٩ فاستخدمه كرمز له هو نفسه عندما شرع عـام ٤٣/١٨٤٤ فى

---

(٧٢٧) A Kierkegaard : Anthology P. 136 edited by Robert Bretall.

تأليف كتاب عنوانه « يوحنا كليماكوس أو فى وجوب الشك فى كل شىء »
Johannes Climacus or De Omnibus Dubitandum est. •
ثم استخدمه بعد ذلك كاسم مستعار فى كتابه « الشذرات الفلسفية » الذى صدر فى يونيو ١٨٤٤ ثم كمؤلف « للحاشية الختامية غير العلمية » التى صدرت فى ٢٨ فبراير ١٨٤٦(٢٨) •

أما الاسم المستعار لكتابه : « المرض حتى الموت » الذى صدر فى ٣٠ يوليو ١٨٤٩ فهو « يوحنا أنتى كليماكوس ••• Johannes Anti-climacus وهو نقيض يوحنا كليماكوس صاحب الكتب الفلسفية الذىأعلن فى الحاشية أنه ليس مسيحيا(٢٩) • ولهذا فان أنتى كليماكوس ـ أو المعارض لكيماكوس يعلن أنه رجل مسيحى بدرجة غير عادية(٣٠) (يلاحظ أن تعبير anti-climax فى الانجليزية يعنى الخاتمة التى تأتى مخيبة للآمال أو الذروة التى يتبين أنها سقوط واخفاق ، أو التصعيد الدراسى الذى يؤدى واقعيا الى موقف تافه غير متوقع ، بدلا من أن يصل بالدراما الى قمتها ، فهل كان كيركجور يقصد أيضا شيئا من ذلك ؟ ! ) •

ومما يلفت النظر أنه يتحدث عن هذه الاسماء المستعارة كما لو كانت موجودات حقيقية أو شخصيات « واقعية » فتراه يقول مثلا : « وكما لاحظ يوحنا كليماكوس بحق ، فان الغالبية العظمى من الناس تنحرف عند النقطة التى ينبغى أن تبدأ عندها الحياة العليا بالنسبة لهم ، انهم يتحولون الى أشخاص عمليين ••••(٣١ » ••وكما ذهب انتى كليماكوس « ، بحق ، فان الغالبية العظمى منالناس لم تجرب قط الحياة الروحية ولم تمر بالمواجهة الكيفية معالله ، ان ماهو الهى بالنسبة لهم لامعنى له انه لايزيد عن كونه ، لغويا ، صيغة أفعل التفضيل لما هو بشرى •• ! »(٣٢) •

---

(٢٨) Niels Thulstrup : Commentry on Philosophical Fragments P. 148.

(٢٩) S. K. Concluding, P. 19.

(٣٠) J. Wahl : Etudes, P. 54.

(٣١) S. Kierkegaard : The Journals, P. 172 (Fontana).

(٣٢) Ibid.

وهو يقول كذلك « : هناك شيء مشترك بين يوحنا كليماكوس ، ويوحنا » انتى كليماكوس « ، لكن الفرق بينهما هو أن يوحنا كلياكوس » قد هبط بنفسه الى مرتبة دنيا للغاية حتى أعلن عن نفسه أنه ليس مسيحيا . أما يوحنا أنتى كلياكوس « فقد افترض فى نفسه أنه مسيحى بدرجة غير عادية ... أما أنا فأعتبر نفسى أعلى من يوحنا كليماكوس ، وأدنى من يوحنا أنتى كليماكوس(٣٣)فقد كان كيركجور يعتقد أنه لم يبلغ قط درجة المسيحية الحقة : « لا أجرؤ أن أسمى نفسى مسيحيا ، لكنى أريد الأمانة ، وحتى تتحق لابد أن أغامر بشيء ما .. »(٣٤)رغم كل شيء فأنا لست مسيحيا ..(٣٥) لكنه سوف يحاول أن يدعم الرابطة بين الفكر والمسيحية : « لقد قيل باستمرار ان الفكر لا مندوحة له عن تدمير المسيحية وأنه عدوها الطبيعى ، وانى لآمل أن أبين ، بعون الله ، أن الفكر الورع فى استطاعته أن يعقد من جديد أواصر العلاقة بينهما ، تلك التى أراد الفكر السطحى لفترة طويلة أن يفكها ..(٣٦) . وهذا هو الدور الذى من أجله « أخترع » شخصية « اننى كليماكوس » لتقوم به فى ٣٠ يوليو ١٨٤٩ لكنه فى الأعوام التالية سوف يشعر بالحاح مستمر لازاحة الستار ( أعنى لابعاد الشخصيات المستعارة ليقوم هو نفسه بالدور كاملا ، ليفضح ، كما فعل بالفعل فى الأعداد التسع التى أصدرها من « اللحظة » المسيحية الرسمية وليبين أن جوهر المسيحية العذاب والألم والمعاناة ليس فى يوم الأحد فقط يوم ذهاب الناس الى الكنيسة بل طوال الاسبوع ! ولهذا فان « يوحنا كليماكوس » فى فترة الاعداد التى سبقت قيام كيركجور بدوره مباشرة ـ كان يرسل « عيونه » فى كتاب « الحاشية » لتتعقب كل من استمع الى القسيس وهو يلقى عظاته يوم الاحد ليعرف ماذا فعلوا بقية الاسبوع .. ؟ ! ليجد أن القسيس كان يقول لهم : « ثقوا بالله وحده : لأن الانسان لايستطيع أن يفعل لنفسه شيئا . ثم تراهم جميعا ، بما فيهم القسيس نفسه ، ابتداء من يوم الاثنين والأيام التالية لايثقون الا فى

---

(٣٣) Quoted by N. Thulstrup : op. cit., P. 148 - 149.

(٣٤) Cité Par J. Wahl : Etudes, P. 55.

(٣٥) Ibid

(٣٦) S. K. The Journals, P. 146 (Fontana).

قدراتهم وما يستطيعون القيام به ، ولايخافون على الاطلاق ، بل يحاول كل منهم أن يظهر قدراته للآخرين !(٣٧) . أن « الجاسوس » الذى يرسله يوحنا كليماكوس يستمع أولا الى الخطبة العصماء التى يلقيها القسيس فى الكنيسة يوم الأحد « فيفهمها الجميع ، بما فيهم أنا نفسى ، لأن مافيها فى معانى أخلاقية ـ دينية يسهل جدافهمها ، لكنها من ناحية أخرى يصعب جدا تنفيذها . ان الطفل الصغير قادر على فهمها والفرد البسيط الفهم قادر أيضا على أن يفهمها تماما على نحو ماقيلت ... يفهمها أيضا لاسيما يوم الأحد بخشوع تام ( نظريا in abstracto ) لكن يوم الاثنين يصعب جدا أن تدرك أنها تتعلق بهذا الجزء العينى البسيط من حياة الفرد اليومية ، فتختلط الأمور !(٣٨) .

لكن لماذا لجأ كيركجور الى « منهج الاتصال غير المباشر » فاختار أن تصدر المجموعة الكبيرة من مؤلفاته بأسماء مستعارة .. ؟ ! فى رأينا أن السبب الرئيسى هو أن هذه الطريقة تعبر بدقة عن نمط « الوجود » الذى عاشه كيركجور فقد كان باستمرار يختفى وراء ستار وهو هنا يحول الستار الى شخصيات مستعارة ! انه يخلق بخياله عالم الواقع الذى حرم منه ! لكن هناك تفسيرات كثيرة ـ تبدأ بتفسير كيركجور نفسه : اننا نراه أحيانا يقول ، « لقد استهلكت نفسى فى أسمائى المستعارة . وأحيانا يقول أيضا : « ان منهج الاتصال غير المباشر هو خاصيتى الطبيعية نتيجة لما مررت به من خبرات ، فأينما ذهبت أفكر فى موضوع الاتصال المباشر .. ولكنى فى نفس الوقت أكتسب فهما أعمق للاتصال غير المباشر ، وأصل الى أسماء مستعارة جديدة .. »(٣٩) . وهو يقول فى ملحق أضافه فى نهاية كتابه « حاشية ختامة » بعنوان : « الاعلان الأول والأخير » انه يعترف بأنه مؤلف الكتب التى صدرت بأسماء مستعارة وهو كذلك مؤلف المقالات التى صدرت فى الصحف صحيفة « الوطن » باسم فيكتور الناسك Victor Eremita أو الأخ الساكت Frater Tacitunus لكنه يستطرد قائلا :

---

(٣٧) J. Hohlenberg : op. cit., P. 200.
(٣٨) S. K. Concluding, P. 417.
(٣٩) S. K. The Journals, P. 174 (Fontana).

« أن سبب التأليف المستعار لايرجع الى شىء فى أعماق شخصيتى ( وهو بالقطع ليس الخوف من العقاب » ! ) وانما السبب الجوهرى يمكن في طابع الانتاج نفسه الذى هو الخطوط العامة المنسوبة للمؤلفين والفروق الفردية بينهم من الناحية السيكولوجية ٠٠٠٠٠ ومن ثم فان ماكتب هو في الواقع لى ، لكن فقط من حيث أننى وضعته على لسان الفردية العينية التى انتجته فهى وجهة نظر عن الحياة معبر فى خطوط مسموعة بوضوح ٠ ورغم ذلك فلا توجد كلمة واحدة فى المؤلفات المستعارة يمكن أن تنسب الي وليس لى رأى فى هذه المؤلفات الا كشخص ثالث ، ولامعرفة بمغزاها الا بوصفى قارئا فحسب(٤٠) ٠ فكأنه هنا لايعترف الا « بالبناء العام » فقط أما هذه الشخصيات فهى شخصيات حقيقية وواقعية ! ولهذا فان كيركجور يرجو القارىء بل « يتوسل اليه » : « الى كلمن يحدث أن يقتبس عبارة معينة من هذه الكتب ( المؤلفات المستعارة ) أن يصنع لى معروفا ويذكر اسم المؤلف المستعار للكتاب وينسبها اليه ، أى أن يفصل بينى وبينه ٠»(٤١) وهو وفى كتابه « وجهة نظر » يقدم تفسيرا آخر فيقول : « ان القارىء سوف يدرك مغزى الاسماء المستعارة والسبب الذى من أجله نجأت اليها فى كل مؤلفاتى الجمالية ، وهو أننى كنت أسير فى حياتى بمقولات مختلفة عنها تماما ٠٠٠ (٤٢)»ولكن هناك بالطبع أسباباأخرى كثيرة كما يقول « لورى » الذى يستبعد منذ البداية التفسير السطحى الذى يقول ان كيركجور كان بهذه الاسماء المستعارة يقلد الكتاب الرومانتيكين الذين اعتادوا التوقيع بأسماء غير اسمائهم الحقيقية ! ويدلل « لورى » على خطأ هذا التفسير بأن كيركجور لم يستخدم اسما واحدا وانما أسماء كثيرة ، ومن ناحية أخرى فهو لم يستخدم أسماء كثيرة - لكتب مختلفة فحسب بل انه كان يستخدم أسماء مختلفة للكتاب الواحد : فهناك اسمان اثنان فى كتاب « التكرار » ، وخمسة أسماء فى كتاب « اما ٠٠ أو » وعشرة فى كتاب « مراحل على الطريق » حتى أنه يشبههم بلعبة الصناديق الصينية

(٤٠) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript, P. 551.

(٤١) Ibid, P. 552.

(٤٢) Quoted by W. Lowrie in : A Short, P. 154.

التى تجد فيها صناديق صغيرة داخل الصناديق الكبيرة ! ويذهب لورى الى أنّ هذا الالتجاء المستمر الى عدد كبير من الاسماء المستعـــارة يمكن أن يعزى الى حبه لاثارة المشاكل ، وان كان يمكن من ناحيــة أخرى أن يفسر تفسيرا أكثر عمقا بالقول بأنه يعكس الانقسامات الكثيرة التى يجدها فى شخصيته(٤٣) ، وربما وجد أنه يصعب الاشارة اليها ، أو عرضها على نحو عميق الا باكتشافها عند عدد من الناس ، لكنه بالتأكيد يحللها بالاستبطان النقدى بطريقة حادة أكثر بكثير مما كانت عليه ! وينتهى « لورى » من ذلك الى القول بأنه لا أحد قد اتبع من قبل ، وعلى هذا النحو ، تلك الحكمـــة السقراطية « اعرف نفسك » ، وبالتالى فان أسماءه المستعارة هى فى الجزء الاكبر منها تشيخص لجوانب أو امكانات كان كيركجور قد اكتشفهـــا فى طبيعته الخاصة وهو يقول فى التكرار « : للفرد ظلال عدة ، كلها تشبهه ، وهى بين الحين والحين تزعم لنفسها الحق فى أنها تمثل الفرد نفسه » ٠٠٠ وهذا يفسر لنا السبب العميق فى استخدام اللاسماء المستعارة ٠٠٠ فضلا عن أن انطواءه قد منعه لفترة طويلة من استخدام مااسماه « بالاتصـــال المباشر » ومن هنا اضطر الى استخدام « الاتصال غير المباشر » وامتداحه وذلك عن طريق استخدام الاسمـــاء المستعـــــــارة كأدوات لتحقيق هذه الغاية ٠(٤٤)وهذا يؤكد ماسبق أن ذكرناه فى الفصل الثانى من انعدام اتصاله بالواقع الحقيقى وانه كان ينظر الى هذا الواقع من وراء ستار ، لقــد حاول مرات عديدة أن يتصل بدنيا الناس لكنــه فشل ، بسبب مزاجه السوداوى وتربيته والعوامل الأخرى التى ذكرناها ، بل انه يخبـرنا أنه حاول الاتصال بذاته نفسها لكنه فشل : « لقد تسبب مزاجى السوداوى ، لسنوات طويلة ، فى عجزى عن أن أقول لنفسى : « أنت » أو أن اخـــاطب ذاتى نفسها بهذا اللفظ بين السوداوية و « الانت » الخاصة بى كان يكمن عالم الخيال كله ! لقد استهلكت نفسى فى أسمائى المستعـــارة ٠٠(٤٥)٠

---

(٤٣) قارن أيضا مايقـــوله « روبرت هيس » عن التمزق النفسى والانشطار الداخلى عند كيركجور فى كتابه « هيجل ، وكيركجور ، وماركس » ص ٢٠٦ وماسبق أن قلناه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ٠

(٤٤) W. Lowrie : A Short Life P. 154 - 155.

(٤٥) S. K. The Journals P. 197 (Oxford).

ويقول أيضا : « أن مثلى مثل من كون ثروة كبيرة لكنه لم يستطع فى النهاية أن يتعرف عليها ، تلك كانت علاقتى بامكاناتى ، وعلى هذا النحو قادتنى الكآبة ٠(٤٦)·ويقول كذلك : « ان مثلى مثل ذلك الشخص الذى كان تعيسا فى بيته فكان يقضى أكبر قدر من وقته خارج المنزل ، هكذا جعلتنى كآبتى خارج نفسى ، فجبت عالم الخيال مكتشفا اياه حتى أعيش بطريقة شاعرية(٤٧) ··· « ولهذا ذهب « جان ﭬال » الى أن السبب فى التجاء كيركجور الى استخدام « منهج الاتصال غير المباشر » هو شخصيته المرنة القابلة للطرق ! فهو يحمل امكانات كثيرة ويريد التعبير عنها كلها : « كان كيركجور هذا وذاك ، ولم يكن هذا ولاذاك فى آن معا : فهو المغوى ، وهو رجل الأخلاق ، وهو لم يكن أيا منهما أى أنه لم يكن هذا ولاذاك الا بطريقة مثالية فحسب : انه شاعر ، لكنه يبحث عن المعرفة ، وهو لم يكن واحدا منها وهو فى الوقت نفسه الاثنين معا ·· هل تريد أن تنظر اليه كشاعر ؟ سوف تكتشف أنه مفكر ! هل تريد أن تنظر اليه كمفكر ٠ ؟ سوف تكتشف أنه شاعر ·· ! «(٤٨) · فهو لم يكن يجد نفسه فى شعور واحد فحسب ، ولم يكن قط على سجيته فى مزاج معين ولايستطيع أن يعبر عن نفسه الا عندما يستسلم لما لديه من امكانيات متعددة لتظهر نفسها كما تريد : « أنا أشبه ما أكون بنهر الوادى الكبير Guadalquivir (٤٩)،فكما أن هذا النهر يغوص تحت الأرض ، فى جزء من مجراه ، ويجرى تحتها ثم يظهر مرة أخرى على السطح فكذلك أنا : لابد لى أن أجعل ذاتى تغوص تحت الأسماء المستعارة . لكنى أدركت الآن أين سأظهر من جديد مع أسمى ·· »(٥٠) ·

ألا يمكن أن نضيف الى التفسيرات السابقة ، تفسيرا مستمدا من

---

(٤٦) Ibid.

(٤٧) Ibid.

(٤٨) J. Wahl : Etudes, P. 51.

(٤٩) الوادى الكبير نهر فى أسبانيا وترجع تسميته الى أصل عربى ··

(٥٠) S. Kierkegaard : The Journals, P. 170 (Fontana).

ميدان التحليل النفسى ، هو أن عجزه عن الاتصال المباشر بالمرأة أنعكس على طريقته فى مواجهة الناس فى مؤلفاته ؟

ألا يمكن أن نقول ان العجز الجنسى الذى تحدثنا عنه فى الفصل الثالث كان من بين العوامل التى منعته من الاتصال المباشر بالواقع ؟ الا يمكن ان نقول مع فيتر Vetter ان حياءه المرضى الذى جعله غريبا عن المرأة وغريبا عن العلاقات الجنسية ، جعله أيضا غريبا عن الواقع ؟ بل جعله ينخفض تحت أسماء مستعارة يتحدث بلسانها ، ويعبر عن نفسه من خلالها ، ويبثها عواطفه واشجانه وهمومه ، بل ويسقط عليها ماكان يحلم به أحيانا ؟ ! ولعل هذا هو السبب فى أن « اليوميات الجنسية » التى كتبها تحت عنوان « يوميات مغو » قد وصفت بأنها لون من التعويض لما كان يستشعره فى اعماقه من نقص : « يوميات مغو ليست سوى خيالات عاجز أو عينين لم يكن قد أغوى فتاة على الاطلاق ٠٠ »(٥١) ٠

غير أن هذه التفسيرات جميعا تفضى الى نتيجة واحدة هى : أن كيركجور لم يتصل قط بالواقع العينى الحى ، ولهذا كان من الطبيعى عندما أراد أن يعبر عنه الا يستخدم منهجا مباشرا لأن طبيعته قد تشكلت على نحو لايجعله يعرف ولايجيد سوى الاتصال من وراء حجاب ، سوى الرؤية من وراء حاجز زجاجى ـ أعنى الاتصال غير المباشر !

**مؤلفات كيركجور :**

سوف نعرض فيما يلى لمؤلفات كيركجور مرتبة ترتيبا زمنيا مع كلمة سريعة عن كل منها :(٥٢)

---

(٥١) سترندرج فى « ابن الخادمة » نشره مولر عام ١٩٠٩ ص ٤١٦ ـ واقبسه جال ڤال فى كتابه « دراسات كيركجورية » ص١١ حاشية ١ ،

(٥٢) اعتمدنا فى هذا العرض على الملحق الرابع الذى أضافه « ولترلورى » W. Lowrie لكتابه عن كيركجور الجزء الثانى ص ٦٠٥ ٠ وكذلك على « هولنبرج » س ٠ كيركجور فى مواضع متفرقة ، وأيضا على المختارات التى جمعها « برتول » : ـ
S. Kierkegaard Anthology ed. by R. Bretall
وقد أصدرتها جامعة برنستون عام ١٩٤٦ نيوجرسى ٠٠ N. J.

[ ١ ] **« من أوراق رجل لايزال حيا »** بقلم س٠ كيركجور صدر فى ٧ سبتمبر عام ١٨٣٨ ( بعد وفاةوالده بشهر بالضبط ! ) ٠

وكان كيركجور يعتقد أنه سيموت فى الرابعة والثلاثين ، وبعد وفاة والده ٨ أغسطس ١٨٣٨ ظن أنه فى الطريق الى المـــوت ! وقد كتب هذا الكتيب الصغير كتحليل ونقـد لقصــة أصدرها الكاتب القصصى المعروف هانز كريستيان أندرسن Hans Christian Anderson ( ١٨٠٥ ـ ١٨٧٥ ) ـ الذى اشتهر فى الأدب العالمى بقصصه التى كتبهـا للأطفال ٠ ولم يكن فى نية كيركجور نشر هذا الكتيب لكنه نشر رغما عنه ولـــهذا فأن عبـــارة « لايزال حيا » فيهـــا الى جانب قلقه بعد موت والده ـ لون من الاعتذار لأندرسن على السرعة التى كتب بها هذا النقد العنيف لقصته « مجرد عازف كمان Only a fiddler » ٠

ولقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يحاول فيها اندرسن أن يكتب رواية طويلة بعد أن أصبح لاينازع فى كتابة حكايات الأطفال ٠ لكن كيركجور آثاره فى القصة فكرة ، وصفها بالجبن ، تجعل العبقرى شيئا ضعيفا هزيلا تذروه الرياح اذا كانت الظروف غير مواتيـــة فرد فيلسوفنا بحنق قائلا : « ان العبقرى أشبه مايكون بالعاصفة الرعدية التى تهب فى اتجاه معاكس للريح ، أنه أشبه بالحريق الهائل التى تهب الريح فتزيدها اشتعالا ! » ٠

وكان هذا الكتاب أول انتاج أدبى لكيركجور ٠٠

[ ٢ ] **مفهوم التهكم** : مع اشارة مستمرة الى سقراط ، » بقـلم س٠ كيركجور ١٦ سبتمر ١٨٤١ بحـــث فلسفى قدمه كيركجـــور لنيل درجـة الماجستير من جامعـــة كوبنهاجن حاول فيـــه أن يبرهن على أن شخصيـــة سقراط كانت « شخصية غامضة » طبيعتها « التهكم » وهذا هو السبب فى أن سقراط كان يتحدث باستمرار عن « شيطانه » ٠ وسوف نعود الى الحديث عن هذا البحث مرة أخرى فيما بعد(٥٣) ٠

[ ٣ ] « **اما٠٠أو** » : **شذرةحياة** »٠ بقلمفيكتور الناسك Victor Eremita

(٥٣) ترجم أخيرا الى الانجليزية مع مقدمة وتعليقات بعنوان :
The Concept of Irony "Translated", by Lee M. Capel. New York & Harpper & Brothus.

نشر في ٢٠ فبراير ١٨٤٣ · ويتألف هذا الكتاب الضخم من مجلدين مختلفين أتم الاختلاف · ويروى لنا « فيكتور الناسك » الناشر المزعوم كيف عثر بالمصادفة على مخطوطين : الأول مجموعة من المقالات ـ يسميها أوراق ( أ ) الرجل الجمالى · والثانى مخطوطة باليد لرجل أعمال هو القاضى فلهلم ـ الرجل الاخلاقى ·

ولما كان لهذا الكتاب بالذات أهمية كبيرة من حيث أنه أقوى كتبه الجمالية ومن حيث أنه يعرض للمرحلة الجمالية والأخلاقية فسوف نفرد له فيما بعد فصلا خاصا ونسوق مختارات منه لنتبين مدى أسلوبه الشعرى الساحر(٥٤) ·

[ ٤ ] « **يوحنا كليماكوس** أو فى وجوب الشك فى كل شيء » ـ عام ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ ·

وهو مشروب كتاب أراد أن يروى فيه كيركجور تاريخ حياته ويتخذ من اسم يوحنا كليماكوس رمزا لها ·· وهو يبدأ :

« فى مدينة هـ ـ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعى يوحنا كليماكوس لم يكن يتطلع قط الى أن يصبح مرموقا فى هذا العالم بل على العكس كان يجد سعادته فى أن يكون غامضا ··· الخ الخ ··(٥٥) ·

[ ٥ ] « **حديثان تهذيبان** » بقلم س· كيركجور نشره فى ١٦ مايو ١٨٤٣ ·

ـ الحديث الأول عن « انتظار الايمان أو توقعه » ·

ـ الحديث الثانى شرح الآية « كل عطية فهى من الله » ، « رسالة جيمس

---

(٥٤) للكتاب ترجمة بالانجليزية بقلم ديفيد سونيسن للجزء الأول ، ولورى W. Lowrie للجزء الثانى · ( قارن النصوص المختارة فى نهاية الكتاب )

"Either...or: A Fragment of life" D. Swenson & Lowrie.

(٥٥) ترجمة أ · درو A. Dru فى المختارات التي ترجمها من الأيام ·

انظر ترجمة طبعة اكسفورد ص ١٠٨ وما بعدها ونظر أيضا طبعة فونتانا ص ٨٠ (وقد ترجمناه فى النصوص المختارة فى نهاية الكتاب ) ·

( أو يعقوب ) الاصحاح الاول : ١٧ ( « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى » ) .

[ ٦ ] « التكرار : مقال فى علم النفس التجريبى » ، بقلم قسطنطين قسطنطينوس ـ وقد نشره فى ١٦ أكتوبر عام ١٨٤٣ ( فى نفس اليوم الذى نشر فيه الخوف والقشعريرة ) .

والكتاب يروى قصة حبه الفاشل لريجينا أولسن وكيف أنه أقلع عنفكرة الزواج منها ، ومع ذلك يظل فى أعماقه الأمل فى امكان « التكرار » وهكذا تصبح مقولة « التكرار » هامة عنده لأنه يستمدها من تجربته الشخصية . ولكنه لايروى قصته مباشرة وانما يرويها على لســـان « شاب » صديـق للمؤلف المجرب الحقيقى « يعرض عليه تجربته التى يعانى منها وتتلخص فى أنه يحب بعنف لـكن مزاجه السوداوى يمنعه من الارتباط بمن يحب » ويذرع الشاب أرض الغرفة جيئة وذهابا مرددا أبيات الشاعر بول مولر مرة ومرة :

« الى مقعدى جاءنى حلم ،

من ربيع شـــبابــى ،

شوق عـــارم اليـــك ،

يامن تقفين كالشمس بين النساء ،

وتملأ الدموع عينيه فيلقى بنفسه على المقعد ثم يروح يكرر الأبيات من جديد ، ويغمرنى شعور ساحق . ياالهى ! لم أر مثل هذا المزاجالسوداوى قط من قبل .. ! »(٥٦) .

[ ٧ ] الخوف والقشعريرة : أنشودة جدليـة » بقلم يوحنا الصامت Johannes de Silentio صدر فى ١٦ أكتوبر عام ١٨٤٣(٥٧) .

---

(٥٦) Repetition: An Essay on Experimental Psychology P. 11 - 12 Trans. by W. Lowrie.

(٥٧) له ترجمة انجليزية بقلم W. Lowrie وقد طبعه مع « المرض حتى الموت » فى مجلد واحـد وقـد طبعتهما جامعة برنستون عام ١٩٤١ .

ويحتوى على مايأتى : ـ

ـ تصدير

ـ استهلال

ـ سلام على ابراهيم ‥ !

مشـــــــكلات :

ـ المشكلة الأولى : هل يمكن أن يكون هناك مايسمى بالتعليق الغائى للآخلاق ؟

ـ المشكلة الثانية : هل كان لابراهيم مايبرره فى اخفاء نيته عن ساره وعن اسحق ؟

خاتمـــة ٠

[ ٨ ] « **ثلاثة أحاديث تهذيبية** » بقـلـم س٠ كيركجور صـدر فى ١٦ أكتوبر ١٨٤٣ ٠

١ ـ الحديث الأول « المحبة تستر كثرة الخطـــايا » بطرس الأولى ٤ : ٨

٢ ـ الحديث الثانى : الموضوع نفســـه ‥

٣ ـ الحديث الثالث « تتأيدوا بالقـوة بروحه فى الانسان الباطن » افسوس ٣ : ١٦ وما بعدها ٠

[ ٩ ] **أربعة أحاديث تهذيبية** » ٠ بقـلـم س٠ كيركجور ٦ ديسمبر عام ١٨٤٣ ٠

١ ـ الحديث الأول « الرب أعطى ، الرب أخـذ ، فليـكن اسم الرب مباركا » أيوب الاصحاح الأول : ٢١ ومابعدها ٠

٢ ـ « كل عطية حسنة فمن الله » جيمس ١ : ١٧ (رسالة يعقوب) ٠

٣ ـ الموضوع نفسه ٠

٤ ـ « بصبركم اقتنوا أنفسكم » انجيل لوقا الاصحاح ٢١ : ١٩ ٠

[ ١٠ ] « **حديثان تهذيبيان** » بقلم س٠ كيركجور ٥ مارس ١٨٤٤ ٠

١ ـ الحديث الأول : « محافظـة الانسـان على نفسـه عن طريق الصبر » لوقا ١١ : ١٩ ٠

٢ ـ « يوم الاحد الذى يلى عيد الميلاد » انجيل لوقا ٢ : ٣٣ ـ ٤٠ ٠

[ ١١ ] « **ثلاثة أحاديث تهذيبيـة** » : بقـلم س٠ كيركجور ٨ يونيو ١٨٤٤ ٠

١ ـ الحديث الأول « اذكر خالقك فى أيام شبابك قبـل أن تأتى أيام الشر » ٠ سفر الجامعة الاصحاح الثانى عشر آية ١ ٠

٢ ـ الحـديث الثانى : « نحن غيـر ناظرين الى الاشياء التى ترى بل الى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتيـة ، وأما التى لا ترى فأبدية » ٠ كورنثوس الثانية الاصحاح الخامس : ١٨ ٠

٣ ـ الحـديث الثالث : « ينبغى أن ذلك يزيد ، وأنى أنا أنقص » ٠ انجيل يوحنا الاصحاح الثالث ٣٠ ٠

[ ١٢ ] « **الشذرات الفلسفية** : أو شذرة فلسفة » بقلم يوحنا كليماكوس، المسئول عن النشر س٠ كيركجور نشر فى ١٣ يونيو ١٨٤٤ ٠

وهو يطرح هذه المشكلة :

ـ هل يمكن أن تكون هناك بداية تاريخية للوعى الأبدى ؟

ـ كيف يمكن أن يكون لمثـل هـذه البـداية أكثـر من نفع أو فائدة تاريخية فحسب ؟ !

ـ هل يمكن أن تقوم السعادة الأبدية على معرفة تاريخية ؟

ويحتوى الكتاب على خمسة فصول هى :

**الفصل الأول** : مشروع للفكر

( أ ) المشكلة السقراطية : الى أى حد يمكن للحقيقة أن تعلم ؟

( ب ) فى حالة ما اذا كان للخطة مغزى حاسم في الزمان فما هي : ـ

١ ـ التمهيدات أو الشروط الضرورية لذلك ٠

٢ ـ وما المعلم ٠ ٣ ـ وما التلميذ ٠ ؟

**الفصل الثاني** : الله بوصفه معلما ومخلصا (مقال عن التخيل) ٠

**الفصل الثالث** : المفارقة المطلقة (نزوة ميتافيزيقية) ٠

**ملحـــــق** : المفارقة والوعى بالعثرة ٠

**الفصل الرابع** : وضع التلميذ المعاصر ٠ ٠

ـ هل الماضى أكثـر ضرورة من المستقبل ؟ عنــدما يتحقق الماضى بالفعل الا يصبح بذلك أكثر ضرورة مما كان ؟ !

**الفصل الخامس** : التلميذ من المرتبة الثانية(٥٨) ٠

[ ١٣ ] «**مفهوم القلق** : دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية » ٠ بقلم فيجليوس هوفنينس Vigilius Haufniensis صدر فى فى ١٧ يونيو ١٨٤٤ ٠

ويحتوى الكتاب على خمسة فصول على النحو التالى : ـ

**مقـــدمة** : بأى معنى يكون موضوع هذا البحث مشـكلة تهم علم النفس ؟

**الفصل الأول** : القلق بوصفه شرطا سابقا للخطيئة الأصلية ٠

١ ـ اشارات تاريخية تتعلق بمفهوم الخطيئة الأصلية ٠

٢ ـ مفهوم الخطيئة الأولى ٠ ٠

٣ ـ مفهوم البراءة ٠

---

(٥٨) للكتاب ترجمة انجليزية قام بهـا فى البداية ديفيد سونسن D. Swenson ثم أضيفت اليها فى الطبعة الثانية شروح نقدية وتعليقات كثيرة بقلم المفكر الدانيماركى Howard V. Hong ثم اعاد ترجمة الأصل والمشروح Niels Thulstrup واصدرتها جامعة برنستون ٠ ٠
"Philosophical Fragment or A Fragment of Philosophy", Princeton University Press. New Jersey 1961.

٤ ـ مفهوم السقوط ٠

٥ ـ مفهوم القلق ٠

٦ ـ القلق بوصفه شرطا للخطيئة الأصلية ٠

**الفصل الثانى** : القلق بوصفه الخطيئة الأصلية فى تجربة متقدمة ٠

١ ـ القلق الموضوعى ٠

٢ ـ القلق الذاتى ٠ ٠

٣ ـ نتيجة التكوين ٠

٤ ـ نتيجة المعطيات التاريخية ٠

**الفصل الثالث** : القلق بوصفه نتيجة لتلك الخطيئة التى هى انعدام الوعى بالخطيئة ٠

١ ـ القلق الناتج عن غياب الروح ٠

٢ ـ القلق وموقفه الجدلى فى مواجهة المصير ٠

٣ ـ القلق وموقفه الجدلى فى مواجهة الخطأ ٠

**الفصل الرابع** : قلق الخطيئة أو القلق الناتج عن خطيئة الفرد ٠

١ ـ قلق الشـــر ٠

٢ ـ قلق الخير (القلق الجنونى) ٠

٣ ـ الضياع النفسى ـ البدنى للحرية ٠

٤ ـ الضياع الروحى للحرية ٠

**الفصل الخامس** : القلق بوصفه وسيلة للخلاص عن طريق الايمان ٠

[ ١٤ ] « **مقـــدمات** ٠٠٠٠٠ Prefaces » بقـلـم نقـــولا نوتابين Nicolas Notabene فى ١٧ يونيو ١٨٤٤ ٠

مقدمة عن المقدمات بصفة عامة وكيف خطر على بال المؤلف أن يكتب مقدمات فحسب ٠

١ ـ متعة تأليف الكتب .

٢ ـ جمهور القراء ، لاسيما فى الدانيمارك ، وناقد الأدب .

٣ ـ الكتب كما تعرضها السنة الجديدة ..

٤ ـ برفسور هيبرج Heiberg : أديبا ، وفيلسوفا ولا هوتيا ، وعالم فلك .

[ ١٥ ] « **أربعة أحاديث تهذيبية** » بقلم س. كيركجور ٣١ أغسطس ١٨٤٤ .

١ ـ الحديث الأول : « الحاجة الى الرب هى أعلى كمال للانسان » .

٢ ـ الحديث الثانى : « الشوكة فى الجسد » كورنثوس الثانية ١٢ : ٧ .

٣ ـ الحديث الثالث : « ضد الجبن » تيماثوس الثانية ١ : ٧ .

٤ ـ الحديث الرابع : « رجل الصلاة الحقيقى يكافح ويفوز ، ويسود الله معه » .

( فى السنة التالية عام ١٨٤٥ ، ظهرت الاحاديث السابقة كلها وهى ١٨ حديثا فى مجلد بعنوان « ثمانية عشر حديثا تهذيبيا » ) .

[ ١٦ ] « **ثلاثة أحاديث فى مناسبات متخيلة** » بقلم س. كيركجور فى ١٩ ابريل ١٨٤٥ .

١ ـ مناسبة الاعتراف .

٢ ـ مناسبة الزفاف .

٣ ـ بجوار القبر .

[ ١٧ ] « **مراحل على طريق الحياة** » دراسات بقلم كتاب مختلفين جمعها وأعدها للنشر هيلاريوس مجلد الكتب Hilarius Bookbinder .

وقد نشرت فى ٣٠ أبريل عام ١٨٤٥ ـ وقد كان كيركجور قد أطلق

عليها وهى مخطوطة أسم « تصورات الحياة » ثم عدله وجعله « مجالات الوجود » وعاد مرة أخرى الى تعديل العنوان الى « مدارج الوجود » ثم استقر أخيرا على هذا الاسم(٥٩) ٠

ويحتوى على ما يأتى : ـ

**مقـــدمة :**

١ ـ الحقيقـة فى الخمر ـ أو السـكر هـــو الحقيقـــة ٠٠٠٠٠٠ In Vino Veritas ٠

ذكريات مروية بواسطته by William Afham (وكلمـة Afham تعنى حرفيـا بواسطته by him أى بواسطة الشخص الذى رتب وأعـــد المأدبة) ثم مجمـوعة أحاديث ترويها نخبـة من المؤلفين منهم « الشـاب » و « قسطنطين قسطنطنيوس » و « فيكتور ارميتا » ويوحنا المغـوى ـ نهاية المأدبة ، ملاحظات مختلفـة حول الزواج ، رد على اعتراضات يقدمها رجل الأخلاق المتزوج القاضى فلهلم ٠

٢ ـ « مذنب ٠٠ ؟ غير مذنب ٠٠ ؟ » قصة عذاب : تجربة سيكولوجية بقلم الأخ الساكت ٠٠٠٠ Frater Taciturnus ٠

( أ ) القسم الأول : « يوميات فلان ٠٠٠٠ Quidam Diary » (٦٠) ٠

( ب ) القسم الثانى : « رسالة الى القارىء » ٠

**[ ١٨ ] « حاشية ختامية غير علمية على الشذرات الفلسفية : مساهمة وجودية »** بقلم يوحنا كليماكوس ، المسـئول عن النشـر س٠ كيركجور فى ٢٧ فبراير عام ١٨٤٦ ٠

**الجزء الأول :** المشكلة الموضوعية لحقيقة المسيحية ٠

**الفصل الأول :** وجهة نظر تاريخية ٠

١ ـ الكتب المقـدسة ٠

---

(٥٩) J. Wahl : Etudes, P. 48 (Note 2).

(٦٠) أو « مذكرات شخص ما » !

٢ ـ الكنيسة ٠

٣ ـ شاهد من العصور على حقيقة المسيحية ٠٠

**الفصل الثانى :** وجهة نظر تأملية نظرية ٠

**الجزء الثانى :** المشكلة الذاتية : علاقة الذات بحقيقة المسيحية ، أو مشكلة : كيف يصبح المرء مسيحيا ٠٠٠ ؟ !

**القسم الأول :** كلمة عن لسنج ٠٠٠٠٠٠ Lessing ٠

**الفصل الأول :** تعبير عن العرفان لـ « لسنج » ٠

**الفصل الثانى :** بعض القضايا التى يحتمل أن تنسب الى لسنج أو هى منسوبة اليه بالفعل ٠ ٠

١ ـ الفكر الذاتى ينتبه الى جدل الاتصال ٠

٢ ـ الفكر الذاتى سلبى بقدر ما هو ايجابى فى علاقته بالحقيقة ٠

٣ ـ ذهب « لسنج » الى أن حقائق التاريخ العارضة لا يمكن أن تكون أساسا لبرهان على حقائق العقل الأبدية ٠

٤ ـ ذهب لسنج الى القول بأن الله لو قبض بيده اليمنى على الحقيقة كلها ، وبيده اليسرى على بذل الجهد والسعى اليها ثم اعطاه حرية الاختيار : فان لسنج سوف يختار الثانية ٠

( أ ) مذهب منطقى ممكن ٠

( ب ) مذهب للوجود مستحيل ٠

**القسم الثانى :** المشكلة ذاتها :

السعادة الأبدية للفرد تتقرر فى الزمان من خلال علاقة تاريخية بشيء ما ٠

**الفصل الأول** : أشجان وجودية ٠

ـ تعبير جوهرى عن الاشجان الوجودية : العذاب ، الحظ وسوء الحظ كمبدأين لوجهة نظر الحياة الجمالية فى مقابل العذاب كمبدأ لوجهة نظر الحياة الدينية ٠

ـ التعبير الحاسم عن الاشجان الوجودية : الاثم ٠ البحث يسير الى الوراء وليس الى الامام ٠ التذكر الأبدى لاثم المرء هو أعلى تعبير عن العلاقة بين الوعى بالاثم والغبطة الأبدية ٠

**الفصل الثانى** : الوجه الجدلى للمشكلة ٠

١ ـ التناقض الجدلى الذى يؤدى الى فسخ الاتصال : أن تتوقع الغبطة الأبدية عن طريق علاقة بشىء ما يقع فى الزمان ٠

٢ ـ التناقض الجدلى فى القول بأن الغبطة الأبدية تقوم على العلاقة بشىء تاريخى ٠

٣ ـ التناقض الجدلى فى القول بأن الواقعة التاريخية المطروحة ليست واقعة تاريخية بسيطة ، لكنها تتشكل بما يصير تاريخيا ضد طبيعته ، وبالتالى تشكل بفضل اللامعقول **absurd** ٠

**ملحـــق :**

١ ـ الوعى بالخطيئة ٠٠

٢ ـ امكان العثرة ٠

٣ ـ لوعة التعاطف ٠

**خاتمـــة :**

حول المسيحية الطفلية ٠

**ملحـــق :**

من أجل تفاهم مع القارىء ٠

**« الاعـــلان الأول والأخـــير »**

[ ١٩ ] « **الكتاب الكبير حول أدلر** » ·· The Big Book About Adler
انشغل كيركجور بمشكلة « أدلف بطرس أدلر » القسيس الذى فصلته الكنيسة لزعمه أنه رأى المسيح وأنه أمره بكتابة أشياء وتمزيق أشياء أخرى ·

وقد كتب كيركجور هذا الكتاب ، ثم أعاد كتابته مرتين فيما بين عامى ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧ لكنه لم ينشره (وهو الآن المجلد السابع من مجموعة أوراقه) ·

ويدرس كيركجور فى هذا الفصل كيف اصطدم « أدلر » بالنظام القائم بوصفه معلما فى كنيسة الدولة ·

**الفصل الأول** : الموقف التاريخى ·
ويحتوى على ما يأتى : ـ

**الفصل الثانى** : ما يسمى بعامل الوحى (أو ظهور المسيح) منظورا اليه من منظور التطور الحديث كله ·

**الفصل الثالث** : « أدلر » يتخلى عن موقفه الأساسى ، أو أنه لم يفهم نفسه ، أو انه لم يؤمن حقا بأنه قد مر بتجربة الوحى ( ظهور السيد المسيح ) ·

**الفصل الرابع** : التفسير السيكولوجى لموقف « أدلر » باعتباره « ظاهرة » ، وبوصفه هجاء للفلسفة الهيجلية وللعصر الحاضر ·

[ ٢٠ ] « **نقد أدبى** » : بقلم س· كيركجور - ١ مارس ١٨٤٦ (وهو عبارة عن نقد لقصة لا يعرف اسم مؤلفها « جيلان ·· Two Ages » لكن الجزء الأخير عرض لفلسفة كيركجور الاجتماعية ) ·

[ ٢١ ] « **أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة** » بقلم س· كيركجور ١٣ مارس ١٨٤٧ ·

**الجزء الأول** : حديث عرضي ( مهدي الى « ذلك الفرد » ) طهارة القلب تعنى أن تريد شيئا واحدا .

**الجزء الثاني** : « ماذا يمكن أن نتعلمه من زنابق الحقل وطيور السماء ... ؟ » .

( أحاديث حول الاصحاح السادس من انجيل متى : آيات ٢٤ وما بعدها ) .

**الجزء الثالث** : انجيل العذاب ، أحاديث مسيحية .

- « من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى » لوقا ١٤ : ٢٧ .

- « لأن نيرى هين وحملى خفيف » انجيل متى ١١ : ٣٠ .

- « كيف يكون النير هينا حين يكون العذاب ثقيلا .. ؟ ! » .

[ ٢٢ ] « **أعمال المحبة** » بقلم س. كيركجور ٢٩ سبتمبر ١٨٤٧ بعض التأملات المسيحية حول شكل الأحاديث .

١ - حياة المحبة المستوردة واكتشافها من ثمارها .

٢ - أ - عليك أن تحب ..

ب عليك أن تحب جارك .

٣ - أ - « المحبة لاتصنع شرا للقريب ، المحبة هى تكميل الناموس » رومية ١٣ : ١٠ .

ب - « المحبة من قلب طاهر ، وضمير صالح » تيماثاوس الأولى ١ : ٥ .

٤ - « واجبنا أن نحب الناس الذين نبصرهم » رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢٠ .

٥ - « المحبة تبنى » كورنثوس الأولى ٨ : ١ .

٦ - « المحبة تحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، ونرجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » كورنثوس ١٣ : ٧ .

٧ ـ « المحبة لا تطلب شيئا لنفسها » كورنثوس الأولى ١٣ : ٥ ٠

ـ « أما الآن فيثبت الايمان والرخاء والمحبة » كورنثوس الأولى ١٢ : ١٣ ٠

[ ٢٣ ] « **جدل الاتصال الأخلاقي ، والاتصال الأخلاقي ـ الديني** » ١٨٤٧ ٠

( مجموعة تعليقات على كتاب لم يكتمل وهى الآن تقع فى ٤٧ صفحة من مجموعة أوراقه ) ٠

[ ٢٤ ] « **أحاديث مسيحية** » بقلم س كيركجور ٢٦ ابريل ١٨٤٨ ٠

**الجزء الأول :** قلق الوثنى :

١ ـ قلق الفقر متى ٦ : ٣١

٢ ـ قلق الوفرة متى ٦ : ٣١

٣ ـ قلق الوحدة متى ٢٥ : ٣٢

٤ ـ قلق الكبرياء متى ٦ : ٢٧

**الجزء الثانى :** تعليقات مبهجة فى صراع العذاب ٠

١ ـ الفرح بأن الانسان يتعذب مرة ويربح الى الابد ٠

٢ ـ الفرح بأن البلوى لاتدمر الأمل لكنها تزيده ٠

٣ ـ الفرح بأنك كلما ازددت فقرا استطعت أن تجعل الآخرين أكثر غنى ٠

٤ ـ الفرح بأنك كلما كنت أكثر ضعفا أصبحت أكثر قوة أمام الله ٠

٥ ـ الفرح بأنك بمقدار ما تخسر زمانيا تظفر أبديا ٠

٦ ـ الفرح بأننى عندما أظفر بالكل « لا أخسر شيئا قط » ٠

٧ ـ الفرح بأن المحنة نجاح ٠

**الجزء الثالث : الأفكار التى تجرح من الخلف ــ من أجل التهذيب والاشاد ٠**

ــ خطب مسيحية ، شعار على ظهر الغلاف ٠

ــ القضية المسيحية لاتحتاج الى دفاع ، انهـا بالفعـل لاتخدم عن طريق الدفاع عنها ان ذلك عدوان عليها ٠

١ ــ « احفظ قدمك حين تذهب الى بيت اللـه ، فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة » ٠ سفر الجامعة الاصحاح الخامس : ١ ٠

٢ ــ « هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ » متى الاصحاح التاسع عشر : ٢٧ ٠

٣ ــ كل شىء سوف يسير لصالحنا عندما نحب الله ٠

٤ ــ قيامة الاموات ستكون للكل للصالح والطالح ٠

٥ ــ خلاصنا الآن أقرب مما كنا عليه عندما آمنا لأول مرة ٠

٦ ــ ستكون مباركا حقـا عنـدما تؤلمك السخرية من أجـل قضية حسنـة ٠

**الجزء الرابع : أحاديث حول التناول أيام الجمع ــ أحاديث مسيحية ٠**

١ ــ وقال لهم ، شهوة اشتهيت أن آكل معكم هـذا الفصح قبـل أن اتألم » ٠ لوقا ٢٢ : ١٥ ٠

٢ ــ « تعالوا الى باجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » متى ١١ : ٢٨ ٠

٣ ــ « خرافى تسمع صوتى ، وأنا أعرفهـا ، فتتبعنى ٠٠ » يوحنا ١٠ : ٣٧ ٠

٤ ــ « الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها » ٠٠ كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣ ٠

٥ ــ « ان كنا ننكره ، فهو أيضـا سينكرنا » ٠ ثيموتاوس الثانيـة ٢ : ١٢ ٠

٦ ــ « ان لامتنا قلوبنا ، فالله أعظم من قلوبنا ٠٠ » رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٢٠ ٠

٧ ـ « وفيما هـو يباركهم ، انفرد عنهم وأصعد الى السماء » لوقا ٢٤ : ٥١ ٠

[ ٢٥ ]« **الازمة ، وأزمة فى حياة ممثلة** » ـ والمقال يدور حول ممثلة المسرح السيدة هيبرج ٠٠٠٠٠٠ **Fru Heiberg** زوجة بروفسور هيبرج ـ وكانت المناسبة قيامها بتمثيل دور جوليت فى مسرحية شكسبير الشهيرة ، وقـد نشـرها كيركجور مسلسلة على أربع حلقـات فى صحيفة الوطن من ٧ ـ ٢٤ يوليو ١٨٤٨ وتعتبر آخر مؤلفاته الجمالية وقـد وقعها بامضاء : « بين بين ٠٠٠ **Inter et Inter** » وقد أراد به أنه بين الحين والحين يكون جمائيا وأيضـا يكون مؤلفا دينيا أو هو الاثنان معا طول حياته ! ٠ وبعد وفاته نشرت الحلقات الأربع كاملة فى كتاب واحد ٠

[ ٢٦ ] « **زنابق الحقل وطيور السماء** » بقلم س٠ كيركجور ١٤ مايو ١٨٤٩ ٠

وهى تحتوى على ثلاثة أحاديث دينية : ـ

١ ـ « انظروا الى طيور السماء ، وتأملوا زنابق الحقل » ٠

٢ ـ « لا تقدر أن تخدم سيدين » ٠

٣ ـ « انظروا الى طيور السماء انها لاتزرع ولا تحصد » ٠

(وهى تدور حول شرح آيات من الاصحاح السادس من انجيل متى) ٠

[ ٢٧ ] « **رسالتان صغيرتان أخلاقيتان ـ دينيتان** » بقلم هـ٠ هـ٠ فى ١٩ مايو ١٨٤٩ ٠

---

(٦١) هى جوهانا لويس هيبرج **Johanna Louise Heiberg** ( ١٨١٢ ـ ١٨٩٠ ) زوجـة جوهان لودفيج هيبرج وكانت أشـهر ممثلة للمسـرح فى زمانها وكانت محبوبة لرواد المسرح فى كوبنهاجن ، وقد أهدى اليها زوجها كل ما كتب وهى التى قدمت ابسن الى الدانيمارك ٠

١ ـ « هل يحق للمرء أن يسلم نفسه للموت من أجل الحقيقة ؟ » ٠

٢ ـ حول الفرق بين العبقرى والرسول ٠

[ ٢٨ ] « **المرض حتى المـوت** : عرض سيكولوجى مسيحى للتهذيب والصحوة » بقلم يوحنا انتى كليماكوس ـ المسئول عن النشر س٠ كيركجور ٣٠ يوليو ١٨٤٩ ٠

**مقـــدمة :**

**القسم الأول :** المرض حتى الموت هو اليأس ٠

١ ـ فى أن اليأس هو المرض ٠

( أ ) اليأس هو مرض الروح ، أو الذات ولهذا فهو يتخذ صورا ثلاثا :

ـ اليأس فى ألا يكون المرء على وعى بأن له ذاتا ٠

ـ اليأس فى ألا يريد أن يكون ذاته ٠٠

ـ اليأس فى أنه يريد أن يكون ذاته ٠

( ب ) الامكان والفعل فى حالة اليأس ٠

( جـ ) اليأس هو « المرض حتى الموت » ٠

٢ ـ شمول هذا المرض ٠

٣ ـ صور المرض أعنى أشكال اليأس ٠

١ ـ اليأس من زاوية التناهى واللاتناهى ٠

( أ ) يأس اللاتناهى يرجع الى نقص التناهى ٠

( ب ) يأس التناهى يرجع الى نقص اللامتناهى ٠

٢ ـ اليأس من منظور : الامكان والضرورة ٠

( أ ) يأس الامكان يرجع الى نقص الضرورة ٠

( ب ) يأس الضرورة يرجع الى نقص الامكان ٠

٣ ـ اليأس من منظور الوعى ٠

( أ ) اليأس الذى هو جهل بواقعة أنه يأس ٠

( ب ) اليأس الذى هو وعى بأنه يأس ٠

ـ يأس المرء بسبب أنه لا يريد ذاته ، يأس الضعف ٠

ـ اليأس مما هو دنيوى أو من شىء دنيوى ٠

ـ اليأس مما هو أبدى أو من ذات المرء ٠٠

**القسم الثانى** : اليأس هو الخطيئة ٠

**الفصل الأول** : تدرج الوعى بالذات ( العامل المحدد : أمام الله ) ٠

**ملحق** : تعريف الخطيئة يحمل فى جوفه امكان العثرة ٠ ملحوظة عامة حول العثرة ٠

**الفصل الثانى** : التعريف السقراطى للخطيئة ٠

**الفصل الثالث** : فى القول بأن الخطيئة ليست سلبا وانما هى ايجاب ٠

**ملحق** : لكن الا تكون الخطيئة على ذلك ، بمعنى ما ، شيئا عظيم الندرة ؟ !

[ ٢٩ ] « **رئيس الكهنة** » و « **العشار** » و « **المرأة التى كانت خاطئة** » و « **ثلاثة أحاديث عن التثاول أيام الجمع** » ٠٠ بقلم س٠ كيركجور ١٣ نوفمبر ١٨٤٩ ٠

١ ـ « ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية » ٠ الرسالة الى العبرانيين ٤ : ١٥ ٠

٢ ـ « أما العشار فوقف من بعيد لايشاء أن يرفع عينيه نحو السماء » انجيل لوقا ١٨ : ١٣ ٠

٣ ـ « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا ٠٠ » انجيل لوقا ٧ : ٤٧ ٠

[ ٣٠ ] « **وجهة نظر حول أعمالى كمؤلف** » : كتبها كيركجور عام ١٨٤٨ ونشرت عام ١٨٥٩ أى بعد وفاته بأربع سنوات ٠

**الجزء الأول** : التباس الانتاج الأدبى كله ٠

**الجزء الثانى** : تأويل الانتاج الأدبى كله ، وبناء على ذلك يكون المؤلف مؤلفا دينيا ٠

[ ٣١ ] « **الفرد** » تعليقان ، حول أعمالى كمؤلف ٠ بقلم س٠ كيركجور نشر بعد وفاته بأربع سنوات عام ١٨٥٩ ٠ ويتضمن :

**مقـــــدمة** :

١ ـ حول الاهداء الى « ذلك الفرد » المؤرخ عام ١٨٤٦ ٠

٢ ـ كلمة حول نشاطى الأدبى الى « الفرد » ٠

[ ٣٢ ] « **الحيـاد المسلح** : أو موقفى كمـؤلف مسيحى من العـالم المسيحى » ٠ (تعليقات حول كتاب بهذا الاسم كتب عام ١٨٤٩) ٠

[ ٣٣ ] « **حول أعمالى كمؤلف** » بقلم س٠ كيركجور (١٨٤٩) قبـل ٧ أغسطس عام ١٨٥١ ٠

[ ٣٤ ] « **معايشة المسيحية** » بقلم أنتى كليماكوس قام بنشره س٠ كيركجور سبتمبر ١٨٥٠ ٠

**دعـوة** : « تعالوا الى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وانا أريحكم » متى ١١ : ٢٨ ٠

**١ ـ وقفـــة : ـ**

( أ ) من الذى أطلق هذه الدعوة ؟

( ب ) هل يمكن للمرء أن يتعلم أى شىء عن المسيح من التاريخ ؟

( جـ ) هل يمكن للمرء أن يتعلم من التاريخ أن المسيح هو الله ؟

( د ) هل نتائج حياة المسيح اكثر اهمية من حياته ؟

**٢ ـ الداعى : ـ**

( أ ) الفترة الأولى من حياته ٠

( ب ) الفترة الثانية ٠

٣ ـ الدعوة والداعى ٠

٤ ـ المسيحية بوصفها المطلق ٠

المعاصرة مع المسيح ٠

ـ « طوبى لمن لا يعثر فى » ـ معانى العثرة ٠

[ ٣٥ ] « **حديث تهذيبى** » بقلم س٠ كيركجور ٢٠ ديسمبر ١٨٥٠ ،

ـ « المرأة التى كانت زانية » ٠

[ ٣٦ ] « **حديثان حول التناول أيام الجمع** » بقلم س٠ كيركجور ١٨٥١ مهداة الى شخص « غير مسمى » (يقصد ريجينا) مقدمة (جديدة وهامة) ٠

١ ـ « الذى يغفر له قليل يحب قليلا » لوقا ٧ : ٤٧ ٠

٢ ـ « المحبة تستر خطايا كثيرة » رسالة بطرس الأولى ٤ : ٧ ٠

[ ٣٧ ] « **من أجل فحص ذاتى** » بقلم س٠ كيركجور ١٠ سبتمبر ١٨٥١ ٠

ـ « فاذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس » كورنثوس الثانى ٥ : ١١ ٠

ـ ما المطلوب ليرى المرء ذاته ، بغبطة حقيقية ، فى مرآة الكلمة ٠٠ ؟

ـ المسيح هو الطريق ـ أعمال الرسل الاصحاح الأول من ١ ـ ١٢ ٠

ـ « الروح هى التى تهب الحياة » ـ أعمال الرسل الاصحاح الثانى الثانى من ١ : ١٢ ٠

[ ٣٨ ] « **احكموا بأنفسكم !** » أراد كيركجور بهذا الكتاب أن يكشف زيف المسيحية الرسمية فى الدانيمارك ، واختار هذا العنوان المثير لاغراء الناس وهو يريد أن يقول لهم اقرأوا هنا ما تأمر به المسيحية الحقة ثم احكموا بأنفسكم على ما تقول الكنيسة ! ولقد كتب هذه الدراسة عامى

١٨٥١ و ١٨٥٢ ولكنها لم تنشر الا بعد وفاته باحدى وعشرين سنة أى عام ١٨٧٦ !

١ ـ « فتعقلوا واصحوا » ـ بطرس الأولى ٤ : ٧ ٠

٢ ـ « المسيح هو النموذج « ـ لا أحد يخدم سيدين » ٠

**[ ٣٩ ] مجموعة مقالات فى « صحيفة الوطن ٠٠٠٠ The Fatheland**

١ ـ أكان المطران مينستر شاهدا على الحقيقة ؟ ! أعنى شاهد عدل على الحقيقة ؟ ! ١٠ فبراير ١٨٥٤ ٠

٢ ـ « هنا مربط الفرس » ! ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ ٠

٣ ـ « الراعى مولر يتحدانى » ـ ١٢ يناير ١٨٥٥ ٠

٤ ـ « المشـكلة مع الأسقف مارتنسن ٠٠٠٠٠ Martensen ٢٩ يناير ١٨٥٥ ٠

٥ ـ « شاهدان جديدان على الحقيقة » ٢٩ يناير ١٨٥٥ ٠

٦ ـ « بمناسبة موت المطران مينستر ٠٠٠ Mynster » ٢٠ مارس ١٨٥٥ ٠

٧ ـ « أهى عبادة مسيحية أم أنها استخفاف بالله ؟ ! ٠ ٢١ مارس ١٨٥٥ ٠

٨ ـ « ما الذى ينبغى عمله ، سواء بالنسبة لى أو لغيرى ؟ ! » ٢٢ مارس ١٨٥٥ ٠

٩ ـ « الموقف الدينى » ـ ٢٦ مارس ١٨٥٥ ٠

١٠ ـ « اطروحة ـ اطروحة واحدة فحسب » ٢٨ مارس ١٨٥٥ ٠

١١ ـ « ملح » للعالم المسيحى ـ هو افســاد للمسيحية ، « العالم المسيحى هو ارتداد عن المسيحية » ٣٠ مارس ١٨٥٥ ٠

١٢ ـ « ماذا أريد ؟ ! » ٣١ مارس ١٨٥٥ ٠

١٣ ـ « بالاشارة الى اقتراح غفل لى » ٠٠ ٧ ابريل ١٨٥٥ ٠

١٤ ـ « أيكون من الصواب الآن أن نكف عن دق ناقوس الخطر ؟ » ، ١١ أبريل ١٨٥٥ ·

١٥ ـ يالها من عقوبة مروعة ؟ ٢٧ ابريل ١٨٥٥ ·

١٦ ـ « نتيجة » ـ ١٠ مايو ١٨٥٥ ·

١٧ ـ « مناجاة مع النفس » ١٠ مايو ١٨٥٥ ·

١٨ ـ « بخصوص افتراض مستحيل حول أهمية معارضتى ، وتأويل المسيحية الذى أدعمه » ١٥ مايو ١٨٥٥ ·

١٩ ـ حول الطبعة الجديدة من كتابى « معايشة المسيحية » ١٦ مايو ١٨٥٥ ·

٢٠ ـ صمت الأسقف مارتسن هو :

١ ـ أمر لا يغفر بالمعنى المسيحى ·

٢ ـ أمر مضحك ·

٣ ـ أمر لاذع للغاية ·

٤ ـ هو من أكثر من زاوية جدير بالازدراء : ٢٦ مايو ١٨٥٥ ·

[ ٤٠ ] « **هذا ينبغى أن يقال : اذن فلننقله الآن** » · ! بقلم س كيركجور ١٦ مايو ١٨٥٥ ·

[ ٤١ ] « **اللحظة** ······ The Instant » ·

عشرة أعداد ·

**العدد الأول :**

١ ـ افتتاحية ·

٢ ـ حول مقال « هذا ينبغى أن يقال » أو كيف يتم انجاز أمر حاسم ؟

٣ ـ هل للدولة ما يبررها ـ أعنى الدولة المسيحية ، فى جعل المسيحية مستحيلة ، أن كان ذلك ممكنا !

٤ ـ « تناول دواء مقيئا ! » ·

**العدد الثانى** : صدر فى ٤ يونيو ١٨٥٥ ·

١ ـ « الى القــارىء » ·

٢ ـ « المهمة المزدوجة » ·

٣ ـ « راحة البدن والسعادة الأبدية » ·

٤ ـ البشرى يحمى الالهى !

٥ ـ « سلام على الجنس البشرى » ، أو برهان على أن العهد الجديد لم يعد حقيقة !

٦ ـ كلنا مسيحيون !

٧ ـ صعوبة واحدة بصدد العهد الجديد ·

٨ ـ فلنسلم بأننا مسيحيون : فمن هو الله اذن ؟ ! ·

[ ٤٢ ] « **ادانة المسيح للمسيحية الرسمية** » بقــلم س· كيركجور يونيو ١٨٥٥ ·

**العدد الثالث من اللحظة** : صدر فى ٢٧ يونيو ١٨٥٥ ·

١ ـ الدولة المسيحية ·

٢ ـ هل للدولة ما يبررها فى غواية الشباب ؟ !

٣ ـ هل للدولة ما يبررها فى القسم الذى تطلبه ولا يحافظ عليه بل يكون تناقضا ذاتيا ؟ ·

٤ ـ هل للدولة ما يبررها فى اساءة قيــادة النــاس أو فى اساءة حكمهم حول ماهية المسيحية ؟ !

٥ ـ فلتفحص الدولة المسألة كلها وستجد أنها على خطأ ·

٦ ـ اذا أرادت الدولة حقا أن تخدم المسيحية عليها أن تلغى ١٠٠٠ رتبة كنسية مما لها دخل خاص ·

**العدد الرابع اللحظة** ، صدر فى ٧ يوليو ١٨٥٥ ·

١ ـ « تشخيص طبى » !

٢ ـ ماهو الشىء المروع حقا ؟

٣ ـ « الحقيقة والأحيــاء » ·

٤ ـ « المسيحى الحقيقى / وكثرة من المسيحيين » ·

٥ ـ الكل مسيحيون فى « العالم المسيحى » وحيث يكون الكل مسيحيين فلا يكون للعهد الجديد وجود ٠

٦ ـ صعوبة مهمتى ٠

٧ ـ الرسمى / والشخصى ٠

**العدد الخامس من « اللحظة »** ٠٠ صدر فى ٢٧ يوليو ١٨٥٥ ٠

١ ـ نحن جميعا مسيحيون ، دون أن يكون لدينا أدنى فكرة عن المسيحية ٠

٢ ـ العبقرى / المسيحى ٠

٣ ـ مسيحية رجل الروح / ومسحيتنا نحن !

٤ ـ مسيحية العهد الجديد ومسيحية العالم المسيحى » ٠

٥ ـ حيث يكون الكل مسيحيين فان المسيحية ، فى الحال لايكون لها وجود ٠

٦ ـ ثورة التحدى وثورة النفاق ، أو حول الارتداد عن المسيحية ٠

٧ ـ حلف اليمين أو الرسمى والشخصى ٠

٨ ـ الضمانات الدينية العصرية ٠

٩ ـ « احذروا من الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة ويحبون التحيات فى الأسواق والمجالس » ٠ لوقا ٢٠ : ٤٦ ٠

**العدد السادس من « اللحظة »** صدر فى٢٣ أغسطس ١٨٥٥ ٠

١ ـ موجز وحاد ٠

٢ ـ معيار الارتداد عندنا ٠

٣ ـ خوف معظمنا من الخطأ ٠

٤ ـ فى أننا نحن « العالم المسيحى » لسنا فى المكان الصحيح الذى طلب المسيح والعهد الجديد من المرء أن يكون فيه ليكون مسيحيا ٠

٥ ـ ملاحظات قليلة ٠

٦ ـ التفسير المعتاد للكتاب المقدس ٠

٧ ـ المسرح والكنيسة ٠

**العدد السابع من « اللحظة »** • صدرفى ٣٠ أغسطس ١٨٥٥ ••

١ ـ لماذا يحب الناس ـ « الشاعر » قبل أى شىء اخر ، ولماذا كان الشاعر ، من وجهة نظر دينية ، هو أخطر الناس جميعـــا ؟ ! لأنه جميل ونبيل وسام وغير أنانى فانظر مدى خطورته لو أدعى أنه قسيس !

٢ ـ اصطياد الناس : أراد المسيح أن يجعل الرسل صيادين للبشر• لكن القساوسة الذين هم عمليون أكثر من المسيح حولوا ذلك الى وسيلة نافعة لأكل العيش •

٣ ـ أى نوع من الاشخاص نسمى به الرجل المسيحى ؟

٤ ـ أولا مملكة الله ـ نوع من القصص القصيرة •

٥ ـ العالم المسيحى من جيل الى جيل هو مجموعة من اللامسيحيين•

٦ ـ تثبيت العماد وحفل الزواج ، أهى كوميدية مسيحيــة أم شىء أسوأ من ذلك ؟

٧ ـ التربية المسيحية للأطفال ( لا سيما فى البروتستانتية ) تقوم على كذبة فهى كذب محض •

٨ ـ حقيقة الراعى الرسولى بالنسبة للمجتمع •

٩ ـ حول الفائدة الظاهرة فى دعواى •

**العدد الثامن من « اللحظة »** ـ صدر فى١١ سبتمبر ١٨٥٥ •

١ ـ المعاصرة ، الأمر الحاسم هو علاقتك بالمعاصرة •

٢ ـ الانسان لا يعيش الا مرة واحدة •

٣ ـ أبدية ليندم الانسان فيها •

٤ ـ ماالذى يمكن تذكره من الناحية الابدية ؟

٥ ـ صورة للحياة ، وصورة من الحياة •

٦ ـ الاستقامة الالهية ••

**العدد التاسع من « اللحظة »** صدر فى ٢٤ سبتمبر ١٨٥٥ •

١ ـ الأمور تجرى على هذا النحو •

٢ ـ لابد من الاعلان عن المثــل الاعلى والا فان المسيحيــة من حيث أساسها العميق ستكون مزيفة •

٣ ـ جرعة اشمئزاز للحياة .

٤ ـ عليك بالثرثرة وسوف تجد أن كل المشاكل قد انتهت .

٥ ـ « القساوسة هم من أكلة لحوم البشر ، والحق أنهم من ذلك النوع الكريه ! »

٦ ـ القساوسة لا يبرهنون على حقيقة المسيحية فقط لكنهم كذلك يفسدون البرهان !

**العدد العاشر من « اللحظة »** (١) .

( لم ينشر ، وانما وجد على مكتبه عندما مات )

١ ـ أنا أسميه خداعا بصريا .

٢ ـ كيف يمكن لك أن تؤمن يامن تتلقى الشرف من الناس ؟

٣ ـ بم يجيب الصدى ! !

٤ ـ أن جريمة « العالم المسيحى » يمكن مقارنتها بمن يريد أن يستحوذ على ارث بغير حق !

٥ ـ **متى تأتى** « اللحظة » ؟

٦ ـ **مهمتى** !

٧ ـ ملاحظات قليلة !

٨ ـ العبادة الالهية للقساوسة . القساوسة والممثلون ، القساوسة كشاشة عرض . الوثنية ومسيحية العالم المسيحى .

٤٢ ـ ثمانية عشر مجلدا من اليوميات .

---

(١) سبق أن ذكرنا أن ولتر لورى W. Lowrie جمع المقالات التى هاجم فيها كيركجور « المطران مينستر » فى صحيفة الوطن ، مع الأعداد العشرة التى صدرت من « اللحظة ، وترجمها وأصدرها فى مجلد واحد تحت عنوان « مهاجمة العالم المسيحى . Attack upon Christendom

# نصـــــــوص مختـــــــارة

# القسم الأول

## نصوص تدور حول تربية كيركجور وشخصيته وعلاقته بوالده

# يوحنــا كليماكوس
# أو في وجــود الشك الكلى

**Johannes Climacus or : De Omnibus Dubitandum est**

« فى مدينة هـــــ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعـــى « يوحنا كلياكوس » ، لم يكن يتطلع قط أن يصبح مرموقا فى هذا العالم ، وانما كان يجد على العكس سعــادة ومتعة فى أن يعيش حيـــاة غامضة وصامتة · ولقد حاول المقربون منه ، وكذلك معارفــه ، أن يفسروا طبيعته المغلقة وفراره من كل اتصال لا لزوم له بالناس ـ حاولوا أن يفسروا ذلك مفترضين أنه اما سوداوى المزاج واما أنه يحب · وأولئك الذين أخـــذوا بالتفسير الأخير لم يخطئوا كثيرا على الرغم من أنهم يخطئون ان ظنوا أن أحلامة كانت تنصب على فتاة ، فأمثال هذه المشاعر كانت غريبة تماما على قلبة · وكما كان مظهره الخارجى رقيقا وأثيريرا كذلك كانت روحه بنفس الدرجة ، أبعد كثيرا من أن يسحرها جمال امرأة · ومع ذلك فمن الصواب أن تقول انه كان فى حاله حب ، أو كان مأخوذا بالحب ·· لكنه حب الأفكار أو بالأحرى أو حب التفكير ··· فدين كانت رأسه المفعمة بالفكر تميل كما تميل سنبلة القمح الناضجة ، فلم يكن ذلك بسبب سماعه صوت المحبوب ، وانما كان لأنه يصيخ السمع لهمس أفكاره الخافت ، وحين كان وجهه يبدو حالما ، فلم يكن ذلك بسبب أن صورتها كانت تحوم أمـــام عينيه ، بل لأن حركات الأفكار أصبحت مرئية · لقد كانت متعته أن يبدأ من فكرة واحدة يتسلق منها خطوة خطوة عن طريق التسلسل المنطقى الى فكرة أعلى ، لأن التسلسل المنطقى كان بالنسبة له « معراج الفردوس ·· Scala Paradisi وكانت سعادته تبدو له أعظم كثيرا من سعادة الملائكة · فعندما يصل الى فكرة أعلى كان يجد فرحة لا توصف ، فيطرب لها فى حماس بالغ ، وينهمك

فى السير فى الطريق نفسها حتى يصل الى النقطة التى كان قد بدأ منها · ولكنه لاينجح دائما فى تحقيق ذلك ، ولذا يصبح مغموما لأن حركة السير ناقصة ، وعندئذ يبدأ من جديد فان نجـــح هذه المرة فان روحه تطير من الفرح ، وبسبب هذه السعادة الغامرة لم يكن يستطيع النوم طوال الليـل ، وانما يروح يستعيد الحركة ذاتها لعدة ساعات ، لأن صعود الفكر وهبوطه، ثم صعوده وهبوطه مرة أخرى كان يشعره بمتعة لا تعادلها أى متعة أخرى، وفى الأوقات التى يكون فيها سعيدا ، كانت خطواته رشيقة خفيفة كأنـــه ينساب ، أما الأوقات الأخرى فان قلقه يكون مرعبـــا · وهو لم يلحظ أن الناس يبتسمون منه · ومن ناحية أخرى نادرا ما يلتفت اليه المرء ، أو ينظر اليه بارتياح ، وهو يغذ السير بخطوات رشيقة كما لو كان يرقص ، وهو بدوره لم يعر الناس التفاتا ، ولم يفترض لحظة واحدة أنه قد يكون هناك من يلتفت اليه ، لقد كان ، وسيظل ، غريبا عن هذا العالم ·

على الرغم من أن طبيعة كليماكوس كانت تبدو ملحوظة لمن لا يعرفه معرفة وثيقة فانها لم تكن قط مستحيلة التفسير لكل من يعرف شيئـــا عن حياته المبكرة ، انه الآن فى الواحدة والعشرين من عمره ولقد يظل على هذا النحو باستمرار ، الى حد ما ، فالاستعداد الروحى الذى كان لديه فى مرحلة الطفولة لم يحبط بل طورته ظروف مناسبة ، فالمنزل لم يكن يقدم له ألوانا من التسلية واللهو · ولم يكن يخرج الا نادرا ، ولهذا تعود منذ فترة مبكرة أن ينشغل بنفسه وبأفكاره الخاصة وحدها ، ولقد كان والده رجلا متجهما قاسيا ، لكنه كان يخفى تحت مظهره الجاف العابس خيالا متوهجا لم يخمده تقدم السن · وعندما كان يوحنـــا يطلب من والده أن يسمح له بالخروج من المنزل · كان – فى العادة – يرفض · لكن الوالد كان بين الحين والحين ، وعلى سبيل التعويض ، يتناول يد الطفل الصغير ويسير معه فى أرض الغرفة جيئة وذهابا · كان ذلك يبدو فى البدايـــة بديلا هزيــلا عن الخروج · لكنه ، مثل مظهر الوالد الجاف ، كان يخفى شيئا تحته مختلفا أتم الاختلاف · وكان الأب يترك ليوحنا تحديد المكان الذى سيذهبان اليه ، هكذا يخرجان من باب المنزل الى القلعة المجاورة ، أو يذهبان الى الشاطىء أو يسيران فى الشارع أينما شاء يوحنا ، فالأب مستعد لكل شىء وخلال

رواحهما وغدوهما فى أرض الغـرفة يصف الأب جميع ما يشاهـدانه : يحييان المارة ، يتجنبان العربات ، يستمعان الى الضوضاء الصاخبة فيخفت صوت الأب : فطائر هذه المرأة مغرية أكثر من أى وقت مضى٠ كان الاب يصف أقل التفاصيل وأصغرها بدقة متناهية وبسرعة ووضوح حتى ليصبح كل شيء واضحا أمام يوحنا وضوح النهار ، لدرجة أن الطفل كان يشعر بالأرهاق والتعب بعد نصف ساعة من بداية هذه النزهة كما لو كان قد قضى يوما بأكملة خارج المنزل ٠٠ وسرعان ما تعلم يوحنا من والده كيف يمارس قدرته السحرية ، فما كان قصصا فى البداية أصبح الآن دراما : وانعكست الآية ٠ وكانا يتحدثان فى الغدو والرواح ، فاذا ماسارا فى طرق مألوفة لهما راقب كل منهما الآخرين بدقة وحدة حتى يتأكد أنه ذكر كل شيء ولم يتغاضى عن شيء قط ٠ أما اذا كان الطريق غريبا غير مألوف ليوحنا ، ابتكر أشياء وذكرها ، فى حين أن الاب بخياله الهائل كان قادرا على تشكيل كل شيء واضحا أمام يوحنا وضوح النهـار ، لدرجة أن الطفل كان يشعر كمواد تتألف منها الدراما التى يجرى وضعها ٠ كان يبدو ليوحنا كما لو أن العالم يظهر الى الوجود ويخلق من جديد وينبثق من العدم مرة أخرى اثناء هذا الحوار ، وكما لو كان الأب هو « الله » ويوحنا هو ابنه الحبيب المرخص له بابدء أغرب الأفكار كما يحلو له حتى ولو كانت تعبر عن غرور أحمق ، لهذا لايصده الأب أبدا ، ولا يضجر به ولكنه يوافق دائما على كل شيء لكى يرضى يوحنا ٠

بينما كانت الحياة فى منزل الأب تسير على هذا النحو المفضى الى تطوير خياله ــ الذى كان فى جانب منه جماليا لكنه فى جانب أكبر عقلانيا٠ كان هناك جانب آخر فى روحه يتشكل بقـوة وأعنى به احساسه بالفجائية والدهشة ، ولم يكن ذلك يتم بالوسائل السحرية التى يستخدم عادة لجذب انتباه الأطفـــال بل بواسطة شيء أعلى كثيرا ٠ فقد كان والده يحمل فى أعماقه ، وبكل قدرته اللامتناهية على الخيال ، قدرة على الجدل لا تقاوم ٠ فحين كان والده لاى سبب من الاسباب ينخرط فى نقاش مع شخص ما ، كان يوحنا يتحول كله الى آذان صاغية ٠ والسبب أن النقاش كان منظما ومرتبا وجادا ٠ فقد كان الأب يسمح لخصمه باستمرار أن يعرض وجهة

نظره كلها ، فاذا ماانتهى من عرض دعواه سأله الأب ، بدواعى الحيطة والحرص ، عما اذا كان يريد أن يضيف شيئا آخر قبل أن يبدأ فى الرد عليه وكان يوحنا يتابع كلام الخصم بانتباه شديد ويشارك بطريقته الخاصة فى الاهتمام بالنتيجة التى يصلان اليها · ويتخلل ذلك لحظة صمت ثم يبدأ الآب فى الرد على خصمه · آه ! احترس ! فى لمح البصر سوف تنقلب المنضدة راسا على عقب · أما كيف يحدث ذلك فقد كان لغزا أمام يوحنا وان كانت روحه تشعر بالغبطة والبهجة لهذا المنظر !

ويعود الخصم الى الحديث من جديد ، وكان يوحنا ينتظر بفارغ الصبر ماذا سيحدث ، وفى مثل طرفة العين ينقلب كل شىء من جديد : ماكان سهل التفسير أصبح الآن لا يمكن تفسيره · وماكان يقينا أصبح الآن شكا ·· وهكذا دواليك · أن سمك القرش عندما يمسك بفريسته لابد أن ينقلب على ظهره لأن فمه فى جانب البطن : والظهر مظلم أسود فى حين أن البطن مضىء أبيض ، وهكذا تجد نفسك أمام منظر مدهش عندما تتبدل الألوان · وكان يوحنا يشاهد تبديلا مماثلا عندما يستمع الى أبيه وهو يصول ويجول فى احدى المناقشات · صحيح أنه نسى ماقيل ـ سواء ماقاله أبوه أو ماقاله الخصم ـ لكن قشعريرة الروح لا يمكن أن تنسى ··· ! ولقد مر بخبرات مماثلة فى حياته المدرسية فعرف فى المدرسة كيف ان كلمة واحدة يمكن أن تغير الجملة كلها ، وكيف أن الوصل فى الجملة الخبرية يمكن أن يلقى ضوء مختلفا على الجملة كلها · وكان يوحنا كلما كبر أشركه والده فى الاستماع الى مناقشاته ، فيغدو أكثر انتباها الى هذه القوة التى لايمكن تفسيرها · وبدا كما لو كان الأب يتفق على نحو خفى مع ماكان يوحنا يوشك أن يقوله · وهكذا فان كلمة واحدة يمكن أن تشوش كل شىء تماما · وفى المجالات التى لايفيد فيها رأى الخصم وانما يشرح رأيه الخاص فحسب ، كان يوحنا يستطيع أن يفهم كيف وصل والده الى هذا الرأى وماهى سلسلة الخطوات التى سوف يسير فيها حتى يصل الى النقطة التى يريدها · ويظن يوحنا الآن أن السبب الذى من أجله كان والده قادرا على أن يقلب كل شىء رأسا على عقب بكلمة واحد ، لابد أن يكون نسيانه شيئا فى السلسلة التى ينظم فيها أفكاره ·

ماكان الأطفال الآخرون يصلون اليه عن طريق ما فى الشعر من سحر وفتنه ، ومافى القصص الخرافية من دهشة وتعجب كان هو يصل اليه عن طريق سكون الحدس وتبدلات الجدل · ولقد كانت تلك هى متعة الطفل ثم أصبحت لعبته المفضلة ، وغدت بعد ذلك بهجة شبابه · ولهذا فان حياته شهدت اتصالا نادرا اذ لم تعرف الانتقالات المختلفة التى تتميز بها عادة فترات النمو المختلفة · وعندما كبر يوحنا لم يكن لديه لعب يتخلى عنها ، لأنه قد تعلم أن يلعب بتلك الأمور الجادة فى حياته ، ومع ذلك فهى لم تفقد بهذا اللعب شيئا من سحرها وفتنتها · ان الفتاة الصغيرة تظل تلعب بدميتها حتى تتحول هذه الدمية فى النهاية الى حبيب Lover لأن حياة المرأة كلها هى الحب ، ولقد كان لحياته اتصالا مماثلا فقد كانت كلها فكرا ·

واصبح كليماكوس طالبا فى الجامعة ، واجتاز « امتحانه الثانى » حين بلغ من العمر عشرين عاما ، ومع ذلك فلم يتغير فيه شىء ، فمازال غريبا عن العالم ، رغم أنه لم يتجنب الناس أو يتحاشاهم بل على العكس كان يسعى للقاء من هم على شاكلته من الناحية الروحية · ومع ذلك فلم يتحدث الى واحد منهم بحرية أو اباحية فيكشف مكنونات صدره ولم يقدم لأحد منهم مفتاحا يفهم به ما يدور فى باطنه كانتشهوته الجنسية أبعد أغوارا من ذلك بكثير · وكان يعتقد أنه لابد أن يحمر وجهه خجلا اذا ماتحدث فى مثل هذه الأمور ، فقد كان يخشى أن يفشى بمعلومات اكثر أو اقل مما ينبغى · ومن ناحية أخرى فقد كان يصغى بانتباه شديد ، دائما ، كلما تحدث الآخرون · تماما كالفتاة الصغيرة التى وقعت فى حب عميق لاتكون على استعداد للخوض فى حديث عن خبرتها الخاصة فى الحب ولكنها تصغى بانتباه شديد اذا ماتحدثت لداتها عن خبراتهن فى الحب ، وتشعر بشغف عارم لتتبع كل اشارة تصدر عنهن ، كذلك كان يوحنا يصغى لكل شىء بانتباه كبير وهو صامت · فاذا ماعاد الى الدار قلب النظر فيما قاله الفلاسفة ، ولاغرو فقد كان من الطبيعى أن يكون ذلك المجتمع الذى يبحث عنه ·

لم يحدث له أبدا أن رغب فى أن يكون فيلسوفا أو رغب فى أن يهب نفسه تماما للفكر النظرى ، ولم يكن قط متهورا أو طائشا الى هذا الحد ·

صحيح أن التفكير كان هواه ، ولم تكن روحه تنجذب الى شيء سواه ، الا أنه مع ذلك كان يعوزه التأمل المتأنى الذى يكتشف العلاقات الأكثر عمقا · لقد كان يغريه الغث والسمين على حد سواء لكى يبدأ منهما تفكيره ، ولا أهمية بعد ذلك للنتيجة التى يصل اليها : ان ما يهمه وما يمتعه هو الحركات وحدها · والحق أنه لم يفشل فى أحيان كثيرة ، فى ملاحظة أنه كثيرا مايبدأ من نقاط مختلفة ومتنوعة تماما لكنه يصل باستمرار الى نفس النتيجة وينتهى نفس النهاية ، لكن ذلك لم يشغل باله على نحو جاد ، فقد كانت بهجته الدائمة أن يستمر دوما فى الاندفاع فحسب ، وكلما توهم أن أمامه متاهة فانه لابد فى النهاية أن يعثر على طريق للخروج · واذا مابدأ ذات مرة فى البحث عن هذا الطريق فلن يستطيع شيء أن يقف أمامه ، فاذا ماشعر أن البحث شاق ، وأن الجهد مضنى ، وأحس بالاعياد بعد ساعة من البحث لجأ الى استخدام طريقة بسيطة جدا : هى أن يغلق الحجرة على نفسه ويحول كل شيء الى عيد ومرح بقدر مايستطيع ثم صاح بعدئذ بصوت مرتفع وقاطع : **انا أريده ( الحل )** وسوف أصل اليه · ولقد سبق له أن تعلم من أبيه أن الانسان **يستطيع** أن يكون مايريد · ولقد ثبتت له حياة والده هذه النظرية ولم تزعزع ثقته فيها · ولقد كانت التجربة تضفى على نفس يوحنا لونا من الكبرياء لايمكن وصفه ، فلم يكن يعرف ولايطيق أن يعتمد قط على ارادة ضعيفة ، فهو قبل أن ينطق بكلمته المشحونة بالطاقة والنشاط يكون على استعداد لعمل أى شيء ، ثم يكون أمامه بعد ذلك هدف أسمى هو أن ينفذ بارادته الصلبة وسط الغابة الكثيفة من المشكلات المتنامية · ولقد كانت تلك أيضا مغامرة تثير حماسه ، وعلى هذا النحو كانت حياته ، فى جميع الأحوال ، مغامرات رومانتيكية ، رغم أنه فى هذه المغامرات لم يكن بحاجة الى السير فى غابات أو الى قطع مسافات فكل مايمتلكه هو : حجرة صغيرة ذات نافذة واحدة ·

ورغم أنه انجذب بروحه نحو المثل الأعلى فى فترة مبكرة فان ثقته واطمئنانه للواقع لم يضعف أبدا · وظل المثل الأعلى الذى يغذيه على صلة وثيقة به ، كان ذلك يتم على نحو طبيعى حتى لقد أصبح هذا هو واقعه من ناحية ، وأصبح من ناحية أخرى قادرا على اكتشاف المثل الأعلى فى الواقع

من حوله · ولقد أسهم مزاج والده السوداوى فى الوصول الى هذه النتيجة ، ولم يكن يوحنا يعرف أن أباه شخصا غير عادى الا بعد ذلك بفترة طويلة · ولقد أدهشه جدا ، كما لم يدهشه اى انسان بنفس هذه الدرجة ، أن يعرف هذه الحقيقة · لقد كانت اتصالاته بالناس محدودة فلم يتصل اتصالا مباشرا الا بقلة من الناس حتى أنه لم يكن يملك مقياسا يحكم به عليه · واذا كان والده ، بمقاييس انسانية غير عادى فتلك حقيقة لم يكن يعرفها من المنزل فذلك آخر شىء يمكن أن يتعلمه هناك · وأحيانا عندما كان يزور أباه يقول : « أنا أصلح لشىء ، أنا لااستطيع أن أنجز شيئا » ، أن رغبتى الوحيدة هى أن أجد مكانا فى مؤسسة خيرية ··· »(١) · ولم يكن ذلك مزاحا ، فلم يكن فى كلمات والده أى أثر للسخرية أو التهكم ، بل على العكس كانت الكلمات تحمل جدية قاتمة أرعبت يوحنا · ولم تكن تلك على الأطلاق ملاحظة عابرة تقال باستهتار عابث ، لان الأب كان يستطيع أن يبرهن على أن أكثر الناس تفاهة فى هذا العالم يصبح عبقريا اذا ماقورن به · ولاغناء فى البحث عن برهان مضاد ، لأن قدرة الأب الجدلية التى لاتقاوم كفيلة بأن تنسى المحاور مابين يديه من أدلة ( وهذه الموهبة الجدلية نفسها تناقض دعواه ) وكفيلة أيضا بأن تسمر الانسان فى نظرة محدقة لوجهة النظر التى يعرضها كما لو لم يكن فى العالم كله شىء سواها ·

لقد كان يوحنا ــ وهو الذى اختبأت نظرته الى الحياة كلها فى أعماق والده ، ان صح التعبير ، بمقدار مالم يكن هو نفسه يرى الا أقل القليل ــ أقول كان يوحنا يجد نفسه غارقا فى تناقض أربكه وحيرة مدة طويلة ، يتعلق بارتيابه فى أن يكون والده متناقضا مع نفسه ، ان لم يكن بطرق أخرى ، فعلى الأقل بالبراعة الفائقة التى يتمكن بواسطها من التغلب على خصمه واسكاته · وعلى هذا النحو لم تكن ثقة يوحنا فى الواقع Reality

---

(١) وكان يشير كيركجور بذلك الى حادثة وقعت بالفعل ، وصديق الاسرة الذى يشير اليه هو المطران مينستر ·

ضعيفة . فهو لم يشرب المثل الأعلى من الكتب التى تعلم الانسان أن المجد الذى تصفه لايوجد فى العالم ، ولم يشكله رجل يعرف كيف يجعل معلوماته قيمة بل علمه رجل كان يعرف ، على العكس ، يجعل معلوماته لا أهمية لها . وليست قمينة بشىء بقدر الامكان .

The Journals P. 108 Eng. Trans. by A. Dru (Oxford).

The Journals P. 80 Eng. Trans. by Dru (Fontana).

# الزلزال الأكبـــر

« نصف طفـل يلهو ، وهـو يحمل فى قلبـه نصف اله ... » .

جـوته

(١٨٣٥)

« عندئذ حدث الزلزال الأكبر فوقع الانقلاب المروع الذى فرض على فجأة قانونا معصوما جديدا لتفسير جميع الظواهر . لقد توسمت أن علو سن أبى لم يكن بركة من الله بل بالأحرى لعنة ، وأن المواهب العقلية الرائعة التى تنعم بها أسرتنا لم يقدر لها الا أن يمزق بعضها بعضا : وأبصرت فى أبى كائنا شقيا كتب عليه أن يعيش بعدها جميعا وكأنه صليب قائم على قبر جميع آماله ، عندئذ شعرت بصمت الموت ينمو حوالى . لقد كتب على هذه الأسرة أن تدمل على كاهلها خطيئة ، وأن يسلط عليها عقاب من الله . لقد كتب عليها أن تزول وأن تمحوها يد الله القوية فتبيد كما تبيد تجربة فاشلة. وكان يصعب على أحيانا أن أتخلص من الفكـــرة التى تراودنى وهى أن والدى أراد تعزيتنا بالدين ، وبالقول بأن عالما أفضل سوف ينفتح أمامنا اذا ما فقدنا كل شىء فى هذا العالم ، واذا ما باغتنا العقاب الذى كان اليهود يطلبونه ، دائما ، لأعدائهم : أن تمحى ذكرانا تماما ولايبقى لنا أثر ... »

* * *

مايو ١٨٤٧

عزيزى بطرس

عيد الميلاد الذى كتبت تهنئنى به وتقول عنه « : انه عكس الأفكار التى اعتدت ان تدور بذهنك مرات كثيرة » لايزال يطوف بذهنى كثيرا أيضا · فأنا الآن فى الرابعة والثلاثين ، وبمعنى ما ، فقد حدث ذلك على نحو غير متوقع ، وأنا مندهش لذلك غاية الدهشة أجل وفى استطاعتى الآن أن أقول دون أنا أخشى أن أضايق نفسى · انك أنت أيضا بلغت سن الرابعة والثلاثين · لقد كان لدينا ـ والدى وأنا ـ اعتقاد بأن أحدا من أفراد أسرتنا لن يجاوز الرابعة والثلاثين ··· فهذه السن هى الحد الذى يمكن لنا أن نبلغه ، أما ولدنا فهو الذى سوف يبقى بعدنا ·····

The Journals, P. 120 - 121 (Fontana).

* * *

( ١٨٣٨ ) ـ

كتب وهو فى الخامسة والعشرين أبياتا من مسرحية الملك لير تصور العاطفة والصراحة التى كانت قائمة من كورديليا والملك لير ( كيركجور ووالده ) عندما كانا أسيرين فى طريقهما الى السجن ولايعرفان كيف يخرجان منه :

الملك لير : لا ! لا ! لا ! ! تعالى بعيدا الى السجن فهناك سنكون بمفردنا ونغنى كما تغنى الطيور فى القفص · وحينما تطلبين منى أن أباركك أركع أمامك وأسالك الغفران(١) ·

وهكذا سنعيش ونتعبد ونغنى ونروى أساطير الأولين ونضحك من الفراشات الذهبية ، ونسمع الناس البؤساء يتحدثون عن أخبار البلاط ونتحدث معهم أيضا ونتكلم عمن يخسر ومن يكسب ، من هم المرضى عنهم، ومن المغضوب عليهم ، ونزعم أننا نفهم سر الأحداث فى هذه الدنيا كما لو

---

(١) مما له دلالة ان يحذف كيركجور هذه الأبيات الأربعة وهى غاية الاهمية حيث تصور اعتراف والده المتواضع له بخطاياه انظر :
W. Lowrie : S. Kierkegaard: Vol. 1, P. 188.

كنا عيون الآلهة . ونظل هنا داخل أسوار السجن بينما تتبدل الأحوال بأحزاب العظماء وشيعهم فى مدها وجزرها تحت تأثير القمر » .

The Journals, P. 40 (Fontana).

* * *

( ١٨٣٦ ) فبراير .

« ان الناس لايعرفون عنى الا أقل القليل حتى أنهم لا يفهموننى عندما أشكو من سوء فهمهم لى » .

مارس

« الفرق بين الرجل الذى يواجه الموت من أجل فكرة وشبيهه الذى يسعى الى الموت من أجل الاستشهاد ، هو أن الأول يعبر عن فكرته تعبيرا كاملا بالموت فان الاحساس الغريب بالمرارة الناتج من الفشل هو الذى يستمتع به حقا الرجل الثانى : فالأول يستمتع بانتصاره والثانى يستمتع بعذابه .

* * *

ـ « الأفكار الثلاث الكبرى ( دون جوان ، فاوست ، واليهودى التائه ) تمثل الحياة خارج الدين باتجاهها الثلاثى ـ وعندما تدمج هذه الأفكار فى الفرد وتصبح متوسطة ، عندئذ فقط تبدأ الأخلاق والدين فى الظهور » .

* * *

« كان انسان يسير وحيدا فى الطريق وهو يتأمل فكرة الانتحار : وفى هذه اللحظة نفسها تسقط عليه صخرة فترديه قتيلا فيموت وهو يردد : الحمد لله ! » ( فونتانا ص ٥٠ ) .

* * *

« عدت الآن توا من حفل كنت فيه الحياة والروح ، ذكاء لاح ينساب من شفتى ، كل من بالحفل يضحك ويعجب بى ، لكنى خرجت وينبغى أن أرسم خطا طويلا بطول محور الكرة الأرضية ــــــــــــــــــــ

---

كم أشتهى أن أقتل نفسى برصاصة ! فى استطاعتى أن أتجرد من كل شىء لكنى لا أستطيع أن أتجرد من نفسى ، بل لا أستطيع أن أنساها حتى وأنا نائم » . (فونتانا ص ٥١ ) .

* * *

ـ « مايسميه شلايرماخر Schleiermacher « بالدين » ، وما يسميه الهيجلون « بالايمان » ، هو من حيث الاساس ليس الا الشرط الأول المباشر لكل شيء ـ السائل الحيوى ـ الجو الروحى الذى نتنفسه ، والذى لايمكن تحديده بدقة بهذه الكلمات » ٠

The Journals, P. 50 - 52 (Fontana).

( ١٨٣٧ ) ١٧ يناير

« كثير من الناس يصلون الى نتائج حياتهم مثل أطفال المدارس بأن يخدعوا مدرسهم وينقلوا الجواب من الكتاب بدلا من أن يمروا بهاهم أنفسهم »(٢) ٠

* * *

« عندما تناديني الفكرة : ان اهجر كل شيء ٠٠ عندما تشير الى أن أسير خلفها ٠٠ فانني لا أسيء الى أحد باخلاصي لفكرتي ، ان كأس النشوة يقدم الى من جديد ٠٠ فليعيش الكفاح العالى للفكر ، فليعش الخط الأخلاقى فى خدمة الفكر ٠٠٠ » ٠

* * *

« عندى شوكة فى الجسد مثل القديس بولس ، ولهذا السبب لم أستطع الدخول فى العلاقات العامة ولهذا السبب استنتجت أن مهمتى خارقة للعادة ٠٠٠ »

( عام ١٨٥٥ )

« لم يفهم الأطباء مرضى ، لقد كان مرضى نفسيا وهم يريدون علاجه بالعقاقير » ٠٠٠

( عام ١٨٥٥ )

* * *

« خطبتى لها ، وفسخ هذه الخطوبة ، يكونان علاقتى بالله : فهى اذا شئنا أن نتحدث من منظور الهى : خطوبتى مع الله » ٠

* * *

( عام ١٨٥٢ )

---

(٢) اليوميات ص ٥١ ـ ٥٢ طبعة فونتانا ٠

« قمـة المأساة هى أن نكون غير مفهومين : ومن هنـا كانت حيـاة المسيح هى قمة المأساة المبهمة غير المفهومة : اذ لم يفهما أحد من الشعب ، ولا من الفرنسيين ولا من التلاميذ · لم يفهما أحد على الرغم من أنها كانت الرسالة الأسمى · ومن هنا أيضا كانت المأساة فى حياة أيوب · الذى كان وهو يتعذب يحيط به مجموعة من الأصدقاء لاتفهمه وامرأة ( هى زوجته ) تسخر منه ·· ومن هنا أيضا حياة البغى ومثلها مثل حياة رجل أخذ يتأمل الاشياء البعيدة بتفكير عميق ثم وقع على أناس لا يفهمونه ·· » ·

( ١٠ أكتوبر عام ١٨٣٤ )

* * *

« فى جنس الحيوانات ، لايمكن للفرد أبدا أن يكون أعلى من الجنس : أما فى الجنس البشرى فقد خلق الانسان على صورة الله ، ومن ثم فان الفرد هنا هو باستمرار أعلى من الجنس وأعلى من النوع » ·

( ١٨٥٠ )

* * *

## القلق وعدميـة الوجـود

« أنا أغز الوجود باصبعى فلا تفوح منه سوى رائحة العدم : أين أنا ؟ ماهو هذا الشىء الذى أسميه بالعالم ؟ ماالذى أغرانى بهذا الشىء وتركنى الآن هنا ·· ؟ ! من أنا ؟ كيف جئت الى هذا العالم ·· ؟ لماذا لم استشر ، لماذا لم أتصل اتصالا مباشرا بعاداته وتقاليده بل قذف بى فى قلبه كما لو كنت قد جىء بى من عند تاجر رقيق · ؟ !

* * *

« أحيانا أخرى أكون أكثر هدوء ، فلا أقرأ ولكنى أجلس منكمشـــا تماما أشبه بالاطلال البالية وأحملق فى كل شىء · ويبدو لى عندئذ كما لو كنت طفلا صغيرا يتسكع فى غرفته أو يجلس فى ركن منها يلهو بلعبته · عندى احساس غريب · فلست أفهم ماالذى يجعل الاقوام النامية مشبوبة العاطفة على هذا النحو · فلست أدرى ماالذى يتشاجرون حـوله ، ومع ذلك فلا أستطيع أن أمنع نفسى من الاصغاء · عندئذ يبدو لى أن الأشرار

من الناس وهم الذين أعطوا لأيوب هذا البلاء الرائع أصدقاؤه الذين يجلسون الآن وينتحبون عليه ٠ عندئذ أبكى بصوت مرتفع ! انه قلق بلا اسم : قلق الحياة والناس والعالم ، وكل شىء يعتصر قلبى » ٠

( النصوص الثلاثة مقتبسة من التكرار )

« كل أزهار قلبى باردة كالثلج ٠٠ »

* * *

« اكتابى هو أكثر أصدقائى اخلاصا ، وأنا معه أحب العالم لأنى أحب هذا الاكتئاب ٠٠ » !

« مثلى مثل من ورث ميراثا كبيرا لكنه لم يستطع فى النهاية أن يتعرف عليه ، هكذا قادتنى كآبتى ٠ : فكنت كمن يقضى أكبر وقت ممكن خارج نفسى عندما كنت أجوب عالم الخيال ٠٠٠ ! كآبتى تسبب لسنوات طويلة فى عدم قدرتى أن أقول لنفسى : « أنت » لذاتى نفسها ٠ بين السوداوية و « الأنت » يكمن عالم الخيال ، لذا استهلكت نفسى فى أسمائى المستعارة ! » ٠

( يوميات عام ١٨٥٤ )

## حول القدوم الى الحياة والرحيل عنها

« استمع الى صرخة المخاض عند الأم لحظة الميلاد ، ثم انظر الى حشرجة من يصارع الموت فى لحظاته الأخيرة ، ثم قل لنا بعد ذلك أيمكن لوجود يبدأ على هذا النحو وينتهى تلك النهاية أن يخصص لبهجة أو متعة ٠٠ ؟ !

لست أشك لحظة فى أننا نحن الموجودات البشرية نمر على هاتين النقطتين مر الكرام أو نفعل جهدنا لكى يكون مرورنا بسرعة بقدر مانستطيع ونتعجل بسرعة قدر مانستطيع نسيان صرخة الميلاد ، وفى تحويلها الى متعة وبهجة فنقول أن هذه الصرخة تهب الحياة لمخلوق جديد ٠ وعندما يموت شخص فاننا نقول فى الحال انه قد غلبه النعاس فهو ينام فى هدوء وراحة ، فالموت عندنا نوم ، هادىء وكل مانقوله لايصدر من زاوية الميت أو الفقيد ، بل نقوله من منظورنا نحن ، حتى لا نفقد شيئا من متع حياتنا

الدنيا ، فنحن نحور كل شيء لكي يخدمنا ، وحتى يساعدنا في زيادة متعنا وبهجتنا بالحياة التى نحياها فيما بين صرخة الميلاد وحشرجة الموت ، بين صرخة الأم لحظة الميلاد وتكرار نفس الصرخة عندما مايموت الطفل يوما ما ٠

افرض أن هناك مبني فخما ضخما قد أعد لتقديم كافة المتع والمباهج لكن أقيم فى مدخل هذا المبنى سلم لحظيرة دواجن : قذر يثير الاشمئزاز ، ويستحيل أن تصعد درجاته دون أن تلطخ ثوبك وتلوث نفسك بالقاذورات ٠ ولكى يؤذن للمرء بالدخول فانه لابد له أن يحتقر نفسه ، وعندما يطلع النهار تتلاشى اللذة والمتعة وتنتهى بالطرد بركلة قدم ، مع أن الجهود كانت طوال الليل تبذل للاحتفاظ بالمتعة واللذة وجعلها شديدة ٠٠

( علم ١٨٣٨ ) ٠

## لا يوم بغير دموع

يناير ـ « التهكم ينمو على نحو شاذ شذوذ أكباد الأوز فى ستراسبورج Strassburg وينتهى بأن يقتل الفرد » ٠

ابريل ـ يتهمنى السياسيون بأننى أتناقض باستمرار ، لكنهم هنا أساتذتى ، لأنهم باستمرار يجدون أكثر من شخص يناقضونه أعنى : أنفسهم » !

ابريل ـ « المفارقة تعبر عن أشجان Pathos الحياة العقلية ولما كانت العقول العظيمة هى وحدها المعرضة للاشجان والانفعال فان المفكر العظيم هو وحده الذى يتعرض لما أسميه بالمفارقات التى ليست سوى أفكار عظيمة لكنها مازالت أجنة ٠ » ٠

٦ يوليو ـ « الأفكار الثابتة هى أشبه ماتكون بتشنجات عضلة القدم: أفضل علاج لها أن تدوس عليها ٠٠٠»

٧ يوليو ـ الله خلق الاشياء من عدم وهذا شيء رائع ، أجل ! لكن هناك ماهو أروع منه لقد جعل من الخطاة قديسيين ٠٠ ! ( فونتانا ص ٥٨ ـ ٥٩ )

* * *

« كثيراً ما درست طبيعة الخطيئة الأولى لكن المقولة الاساسية منها قد أغفلت وهذه المقولة هى : القلق ، فهو مايحددها بالفعل ، ذلك لأن القلق هو رغبة فيما يخشاه المرء ، انه نفور مع تعاطف ٠القلق هو القوة الغريبة التى تمسك بزمام الفرد ولايستطيع منها فكــاكا ، ولا هو يريد ذلك ، لأن الفرد خائف ، لكن مايخشاه المرء ينجذب نحوه ٠ والقلق يجعل الفرد بلا حول ولاقوة ، وتحدث الخطيئة الأولى باستمرار فى لحظة ضعف ، ومن ثم فهى ينقصها أية مسئولية ظاهرة وهذا النقص نفسه هو الشرك الحقيقى ٠٠

والمرأة أكثر قلقا من الرجل ، وهذا هو السبب الذى جعــل الحيــة تختارها كهدف لهجومها وتخدعها من خلال قلقها ٠

* * *

١٨٤٥

هناك طائر يسمى طائر العاصفة وأنا هو هذا الطائر ٠٠ ! فعندمـا تبدأ العواصف فى التجمع يظهر الأفراد : أمثالى ! ( فونتانا ص ٩٥ )

* * *

٧ فبراير ١٨٤٦ :

« أى رعب يمكن أن ينتاب رجلا كان ذات يوم طفــلا صغيرا يرعى قطيعا من الغنم فى سهول جوتلند وعندما أحس الجوع والعذاب والحرمان تسلق ربوة ولعن الله ــ ولم يستطع الرجل أن ينسى هذه الواقعة حتى بعد أن بلغ الثانية والثمانين !

( فونتانا ص ٩٦ )

* * *

« عزائى : أن أحدا لن يستطيع بعد وفاتى أن يجد بين أوراقى تفسيرا واحدا لما كان يملأ حياتى كلها لن يجــد الكلمات التى تفسر له كل شىء ، والتى حولت مايسميه العالم تافها الى حادثة ذاتها أهمية بالغة عندى ، وما أعتبره أنا نفسي بغير مغزى لو نزعت عنه السر الشارح الذى يفسر كل شىء » ٠٠ ( فونتانا ص ٨٥ )

* * *

« يقول الفلاسفة ان الحياة لابد أن تفهم بأن ننظر اليها الى الوراء من حيث الماضى وهذا حق تماما ! : لكنهم ينسون القضية الاخرى وهى أن الحياة لابد أن نعيشها الى الامام من حيث المستقبل • واذا ماتأمل المرء هذه القضية لاتضح له شيئا فشيئا أن الحياة لايمكن أن تفهم على الاطلاق فى الزمان ببساطة لأنه لاتوجد لحظة جزئية واحدة أجد منها النقطة الساكنة الضرورية التى أستطيع أن أفهمها منهـا ـ أعنى من حيث المـــاضى » •
( فونتانا ص ٨٩ )

« أنا مدين لأبى بكل شىء منذ البداية ، لقد كان رجاؤه يتحقق حين ينظر الى بعين سوداوية ثم يقول : » انظر ! لقد أصبح فى استطاعتك أن تحب المسيح حبا حقيقيا » •

* * *

« ربما كان فى استطاعتى أن أروى مأساة طفولتى : التفسير الخفى المرعب للدين الذى كان نذيرا مرعبا لى أشعله خيالى ، كذلك كيف أصبح الدين عثرة أمامى ـ ربما كان فى استطاعتى أن أروى ذلك كلــه فى قصة أجعل عنوانها « الأسرة اللغز » : على أن تبدأ هذه القصة بطريقــة دينية تماما حتى لايستطيع أحد أن يهجس بالمأساة وحتى ترن الكلمة ويتحول كل شىء الى رعب » •

* * *

« ياأرحم الراحمين ! كم أخطأ أبى فى حقى ! أجــل لقد اقترف فى حقى خطأ مروعا بكآبته : شيخ طاعن يحمــل طفلا مسكينا كل كآبته ـ ومع ذلك فهو أفضل الآباء ! • » ١٨٤٧

« كم ملأ أبى روحى بالقلق ـ بالقلق أمام المسيحية » ! ١٨٤٨

« لازلت أذكر ذلك الانطباع الذى انتابنى حين سمعت أبى يقول لى : هناك جرائم لايستطيع الانسان النجاة منها الا بعون من الله » !

« لهذا يجب علينا أن نكون على حذر فى تربية الأطفال ، فلا نجعلهم يؤمنون بما هو سىء وبالأسوا وبما هو شر ، ولا بالوسواس الملحة ، ولا نوقظ فى نفوسهم بملاحظة عابرة الشعور بالقلق الذى يجعل النفوس الطاهرة

البريئة والتى لم يشتد عودها بعد يغرر بها بسهولة فتشعر أنها يائسة ٠٠ ويل لمن يظهر العشرة ! ٠٠ » فبراير ١٨٣٧ ( فونتانا ص ٥٣ ـ ٥٤ )

« أنا مغلق على نفسى كشجرة الصنوبر المتوحدة ، متجها الى ذاتى ومتطلعا الى أعلى ، لا ألقى حوالى ظلا ٠ وليس ثمة سوى الخفاش هو وحده الذى يستطيع أن يبنى عشه وسط غصونى » ٠ ١٨٣٧ ( فونتانا ص ٥٥ )

جليل فى أول أغسطس ١٨٣٥

على هذا النحو كانت تظهر أمامى الأمور كما حاولت أن أوضح من قبل ، لكنى الآن كلما حاولت أن أفهم حياتى بوضوح بدت لى تلك الأشياء على نحو مخالف وكما أنه لابد أن يمر بالطفل وقت طويل قبل أن ينفصل عن الاشياء ويتمز عنها ، وقد تمس الحاجة الى الأنفعال أحيانا ، على نحو سلبى فيقول مثلا : « أنا أضرب الحصان ـ » مميزا نفسه عن الاشياء ، فكذلك يجد المرء هذه الظاهرة نفسها حتى فى أعلى المستويات الروحية ٠ ومن هنا فقد اعتقدت أنه ربما كان من الممكن أن أصل الى توازن أكثر لو أننى قمت بدراسة أخرى ووجهت قواى نحو هدف آخر ٠ ولاشك أننى سوف أنجح على الأقل لفترة من الزمن فى طرد بعض المخاوف والمضايقات وان كان الضيق سوف يعود مرة أخرى أقوى مما كان تماما كما تعود الحمى على نحو متزايد ، بعد تناول كوب من الماء المثلج ٠ ان ماينقصنى فى الحقيقة هو أن أرى نفسى بوضوح ، أن أعرف ما يجب على أن أعمله ، لا ما ينبغى على أن أعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة ٠ ان المهم أن أفهم مهمتى فى هذه الدنيا ٠ وأن أدرك تماما ما يريد منى الله أن أفعله ، أريد أنأجد حقيقة تكون لىأنا : أن أجد الفكرة التىأكرس لها محياىومماتى٠ أى فائدة تعود على لو أننى درست جميع المذاهب الفلسفية ، واستطعت عند الحاجة أن أراجعها وأن أعيد النظر فيها ، وأن أبين لك ما فى كل منها من متناقضات وعدم اتساق ؟ ـ أى فائدة تعود على أن استطعت أن أطور نظرية فى الدولة ، ورتبت جميع التفصيلات فى كل واحد ، وبنيت بهذا الشكل عالما لن أعيش فيه ، لكنى أعرضه فحسب أمام أنظار الآخرين ؟ ٠

أى فائدة يمكن أن تعود على لو أننى استطعت أن أفسر معنى المسيحية ان لم يكن لذلك التفسير مغزاه العميق **على وعلى حياتى** ؟ أى فائدة تعود على اذا ماوقفت الحقيقة أمامى عارية وباردة لاتبالى كثيرا ان عرفتها أم لم أعرفها واذا ما أحدثت فى رعشة خوف وليس دعوة ثقة ؟ ! حقا ان فى استطاعتى أن أفعل ذلك : فى استطاعتى أن أرى الآخرين ينعمون بثمرات فكرى ويتمثلونها غير أن موقفى سوف يزداد حزنا وغما وسيكـون مثلى مثل أولئك الآباء الذين اضطرهم فقرهم الى ارسال أبنائهم بعيدا عنهم فتركوهم تحت رعاية أناس آخرين . وأنا لا أنكر أننى تعرفت على **أمر مطلق للمعرفة والفهم** ، وهو أمر كان له تأثير كبير على كثير من الناس ، **لكن هذا الأمر لابد أن يصبح بطريقة حية جزء منى** . وأنا أدرك الآن أن هذه مسألة حاسمة : وهى ماتتعطش اليه نفسى تعطش صحارى افريقيا الى الماء ، فهذا بالفعل ماينقصنى . اننى أشبه ما أكون برجل استأجر منزلا وقام بتأثيث غرفه دون أن يواتيه الحظ فى العثور على المحبوبة التى تشاركه حياته : حلوها ومرها ، أفراحها وأتراحها . ولكى يواتينى الحظ فأعثر على الفكرة ( كان ينبغى على أن أقول : أن أعثر على نفسى ) لن يفيد فى شىء أن ألقى بنفسى فى الحياة أكثر من ذلك . وهذا ماكنت أقوم به بالفعل حتى الآن ، فقد كنت اعتقد أنه من الخير لى أن ألقى بنفسى فى دراسة القانون لكى أرهق ذهنى بمشكلات الحياة المعقدة المتشابكة . وهنا كنت ألتقى بمجموعة هائلة من التفصيلات التى أفقد نفسى فى دوامتها . وربما استطعت ان أكون من هذه الوقائع المعطاة كلا متنوعا عن السرقة مثلا ، وأن أتتبعها فى جانبها المظلم ( وهنا أيضا تتجلى روح المشاركة فى أعلى صورها ) . ولهذا السبب وددت أن أكون محاميا فى المحاكم العليا حتى اذا ماوضعت نفسى فى دور شخصى آخر استطعت أن أجد بديلا عن حياتى الخاصة ، وأن أجد فى التغير الخارجى لونا من التسلية . والحق أن هذا هو ماكان ينقضى لكى **أعيش حياة انسانية بمعنى الكلمة** . ( وليس حياة لاعلى أسس موضوعية كما يقولون ، أى شىء ليس لى على أية حال ، وانما المعرفة أو الفهم وحدها ) حتى أستطيع بذلك أن أرسى قواعد تطورى الفكرى على أسس ترتبط ارتباطا وثيقا بجذور حياتى العميقة وتنمو معها ، من خلال ماهو الهى ان صح التعبير ، حتى ولو كانت الدنيا كلها سوف

تنهار ، ان هـذا هو ماينقضنى وماتصبو اليه نفسى وما أكافح من أجله ٠
والا فان الانسان سوف يقترب من حافة الجنون بالغا مابلغ علمه :
فما الحقيقة ان لم تكن الحياة من أجل فكرة ٠٠٠ ؟ ! كل شىء فى البداية لابد أن يعتمد على مسلمة Postulate لكن فى اللحظة التى لاتعود هذه المسلمة خارجية عن الانسان أو بعيدة عنه ، لأنه يعيشها ـ عندئذ ، وعندئذ فقط لاتكون مسلمة بالنسبة له ٠

أليس مما يثلج صدرى ويشيع فى نفسى البهجة والسرور أن أجد أن نفرا من العظماء قد عثروا على تلك اللؤلؤة الثمينة التى من أجلها يبيعون كل شىء وحتى حياتهم نفسها ، وأن أراهم يسيرون فى الحياة بخطى ثابتة دون أن تكون لهم مهنة محددة أو وظيفة معينة ؟ ! انى اكتشفتم فى ذلك الطريق الوعر عازمين على بلوغ هدفهم ، وانى لأكن لهم احتراما عظيما حتى اذا لم يستطيعوا تحقيق ذلك العزم ٠ ان فعـــل الانســان الداخلى ، ذلك الجانب الباطنى ، الجانب الالهى فيه ، هو الذى يعنى كل شىء ، وليس تكديس المعلومات والمعارف ٠ لأن هذه كلها سوف تزاد يقينا(١) ، وعندئذ لن تكون المعلومات كلها خليطا من المعارف أو تفصيلات متناثرة لايجمعهـــا نظام ولانسق System ولانقطة مركزية واحدة تلتف حولها ٠ ولقد فتشت طويلا عن هذا المركز : فى بحر من الملذات ليس له قرار وفى هاوية المعرفة ، فتشت عبثا عن نقطة ألقى فيها بمرساتى ٠ ولقد شعرت بقوة لاراد لها : قوة اللذة التى تسلمنى كل منهـا الى لذة تاليـــة ، وأحسست بذلك الوجد الخادع الذى تستطيع اللذة أن تحدثه ، لكنى أحسست كذلك بالملل Ennui والسأم وذلك اللون من التشتت الذهنى الذى يعقب تلك الحالة ٠ لقد ذقت ثمـــار شـجرة المعـــرفة ، وكثيـرا ما استمتعت بذلك المـــذاق ! غير أن هذه المتعة لم تكن تبقى ألا لحظة المعرفة فحسب ، ثم تمضى دون أن تخلف بصماتها العميقة داخل نفسى ٠ وانه ليبدو لى اننى لم اشرب من كأس الحكمة ، لكنى سقطت فى هذه الكأس ، لقد بحثت ، بغير تذمر ، عن مبدأ أقيم عليه حياتى ، بأن حاولت أن أومن بأنه لما كانت الأشيـاء تسير

---

(١) ربما يوضح فكرة كيركجور هنا قول السيد المسيح « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم ٠٠ » متى ٦ : ٣٣ فالمهم هو الجوهر هو الحقيقة التى يتمثلها الانسان فى سلوكه وأفعاله ٠

وفق قوانين لاتتغير ولا تتبدل فانها لا يمكن أن تكون على نحو مخالف لما هى عليه الآن ٠

ولما كنت لاأستطيع أن أكيف الاشياء وأرتبها لتنسجم مع ذهنى فقد تواجعت عن هذه المهمة مدركا قدراتى الخاصة كالقس المنهمك الذى اعتزل الوعظ واكتفى بمعاش التقاعد ٠ فماذا وجدت ؟ ! لم أجد نفسى ، وهى التى كنت أبحث عنها ( وكنت أعتقد أنهـــا وضعت فى صندوق مغلق بقفل لولبى بحيث لو ضغطت عليه الظروف الخارجية فسوف ينفتح الصندوق من تلقاء نفسه ) ٠ وعلى ذلك فان أول شىء ينبغى على أن أتخذ فيه قرار هو البحث عن مملكة السماء والعثور عليها ٠ لكنهـا لما كانت جرما سماويا ، اذا ماتخيلناه فى عملية تكوينه لنفسه ـ فانه ينبغى على بادىء ذى بدء ـ لا أن أحدد مدى ضخامة سطحه الخارجى وما هو الجرم الآخر الذى يمكن أن يحركه ٠ بل ينبغى أولا وقبل كل شىء أن نترك القوى المركزية ، سواء الطاردة منها أو الجاذبة تنسج فى انسجام وجود هذا الجسـرم ، ثم ندع الباقى يسير فى مجراه ٠ كذلك : بالمثل من العبث أن نحدد للانسان أولا جميع الأسس والقواعد الداخلية والخارجية : ان الانسان ينبغى عليه أن يعرف نفسه أولا قبل أن يعرف أى شىء آخر ٠ وبعد أن يفهــم نفسه من الناحية الداخلية ، وأن يرى طريقه على هذا النحو ، فانه فى هذه اللحظة وحدها سوف تنعم حياته بالسلام وسوف يكون لها معنى ، وفى هذه الحالة وحدها سوف يتمكن المرء من التخلص من رفيق السفر البغيض والذى هو تهكم الحياة الذى يتجلى أوضح مايكون فى ميدان الفهم والمعرفة ٠ وسوف تكون البداية الحقيقية للفهم هى الجهل ( كما ذهب سقراط ) ، تماما مثلما أن البداية الحقيقية للعالم هى أن الله خلق الاشياء من العدم ٠

ورغم أننى مازلت بعيدا جدا عن بلوغ فهم كامل لنفسى فقد حاولت أن أحتفظ بفرديتى ـ مع احترام عميق لمعناها ـ مرتبطة بعلاقة العبادة بالله الذى أجهله ٠ محـــاولا أن أتجنب الاتصـــال الوثيق بتلك الظواهر التى تمارس قوتها الجذابة أثرا عظيما على نفسى ٠ كما حاولت أن أسيطر على هذه الظواهر وأن أدرسها دراسة فردية وأفحص أهميتها على حياة الناس، لكنى طوال الوقت كنت أحترس كالفراشة من الاقتراب من اللهب ٠ ولـــم يكن لدى سوى أقل القليل مما يمكن أن أخسره أو أربحه من حياة الناس

العادية · من ناحية : لأن مايسمى عادة بالحياة العملية لم يكن يعنينى الا قليلا ، ومن ناحية أخرى بسبب البرودة وعدم الأكتراث التى يعالجون بها أعمق العواطف والانفعالات الروحية فى الانسان · وقد زادتنى هذه الطريقة بعدا عنهم · ان أحدا من رفاقى وزملائى ـ باستثناء قلة ضئيلة جدا منهم ـ لم يكن له أثر خاص على · ان الحياة التى لاتكون واضحة لنفسها تكشف لامحالة عن سطح غير مستو · ان هؤلاء الزملاء قد توقفوا عند الوقائع الجزئية ، وتنافرها الظاهر ولم يكن لدى الرغبة فى أن أحلها فى اتفـاق أعلى أو أن أدرك الرابطة الضرورية التى تجمع بينهما · ومن ثم فقد كانت فكرتهم عنى باستمرار أحادية الجانب · وكانت النتيجة أننى لم أعد ألقى وزنا كبيرا أو صغيرا لما يقولون بل ابتعدت الآن عن تأثيرهم وأثرهم السيء المحتمل على نطاق حياتى · وهكذا عدت من جديد الى نفس النقطة حيث يتعين على أن أبـدأ حيـاتى بطريقـة مختلفـة · سـوف أركز الآن نظرة محـدقة الى داخـل نفسى وأبدأ فى العمل بجد واهتمام ، اذ بهـذه الطريقة وحدها أستطيع ، كالطفل أن أطلق على نفسى لفظ « أنا » مع أول فعـل واع أقوم به أستطيع أن أقول « أنا » بمعنى عميق ·

لكن الصبر ضرورى من أجـل الوصول الى تلك الغـاية فلن يستطيع الانسان أن يجنى فى الحال ثمار ما بذر من بذور ، وسوف أضـع فى ذهنى منهج ذلك الفيلسوف الذى أمـر تلاميذه بالصمت ثلاثة أيام وسوف يصلون جميعا ـ بعدها الى معرفة الصواب والحق · وليس فى استطاعة المرء أن يولم أو يحتفل دينيا فى الفجر وانما عندما تغيب الشمس · وكذلك فى عالم الروح من الضرورى أولا أن نعمل لبعض الوقت قبل ان تشع الأنوار وتشرق الشمس بكل بهائها · اذ على الرغم من أنه قيل ان الله يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويرسل المطر على العادل والظالم(*) · فليس ذلك كذلك فى عـالم الروح · وهكـــذا يسبق السيف العزل ـ فأنا أعبـر نهـر روبيكن Rubicon !

---

(*) اشارة الى قول السـيد المسيح : « صلوا لأجـــل الذين يسيئون اليـكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فانه يشـرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ·· » متى ٥ : ٤٥ ·

وتلك طريق تفضى بى ، بالتأكيد الى صراع ونزال(١) ، لكنى لن أستسلم ، ولن أحزن على الماضى ، ولم الحزن ؟ ! اننى سوف أعمل بكل طاقتى ولن أترك وقتا أضيعه فى الحزن كالرجل الذى وقع فريسة الرمال المتحركة التى غابت فيها قدماه فراح يضيع الوقت فى حساب مدى ما غاص من جسمه بالفعل ناسيا أن كل لحظة تمر عليه يغوص بالفعل أعمق وأعمق . سوف أغذ السير وأسرع الخطى فى الطريق الذى اكتشفته محييا كل من القاه على طول الطريق دون أن أنظر الى الوراء كما فعلت زوجة لوط(٢) ، لكنى سوف أتذكر أن ما ينبغى على أن أصارع من أجله هو المرتقى : الصعود الى قمة الهضبة(٣) .

## هكذا فهمت نفسى فى أعمالى الأدبية كلها

« أنا فرد شقى بأعمق معنى للكلمة تسمر بقوة ـ منذ أيامه الأولى فى هذا العذاب أو ذاك ، حتى وصلت الى حافة الجنون ، وهو شقاء لابد أن تكون جذوره العميقة كامنة فى عدم التناسب بين الجسد والروح . لأن الجسد لا علاقة له قط بالروح عندى (وهذا هو الأمر الخارق للمألوف) بل على العكس ربما بسبب العلاقة المشدودة الى حد التوتر بين الجسد والروح اكتسب ذهنى قوة ومرونة نادرتين .

رجل عجوز يحمل على كاهله كآبة وسوداوية هائلة (ولن أقول لماذا)

---

=

البحر الادرياتى وكان يشكل خط الحدود بين ايطاليا والمقاطعات ، ولم يستطع القادة الرومان بجيوشهم الجرارة عبور هذا النهر . ومن هنا اعتبر عبور قيصير نهر روبيكون عام ٤٩ ق.م عملا بطوليا ، واتخذت عبارة عبور نهر روبيكون « لتعنى القيام بخطوة حاسمة » .

(١) روبيكون Rubicon نهر صغير فى ايطاليا القديمة يصب فى

(٢) اشارة الى القصة التى رواها سفر التكوين عن تدمير « سدوم وعموراء » « بكبريت ونار من عند الرب من السماء » ، وقد خالفت زوجة لوط الأمر الالهى : « لا تنظر الى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة .. ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح .. » سفر التكوين الاصحاح التاسع عشر ١٧ و ٢٣ و ٢٦ .

(٣) هذا النص ماخوذ من « اليوميات » « ترجمة الكسندر درو ص ١٥ وما بعدها ـ وكذلك طبعة فونتانا ص ٤٤ وما بعدها .

عندى يمكن أن يحل بطريقـة أستطيع معها أن أحقق العام ٠ لكنـه شك فى امكان ذلك ٠ فسألته عما اذا كان يعتقـد أن ذهنى يمكن من خـلال اعمال الارادة أن يكون قادرا على اصلاح هذا التنافر الاساسى واعادة تشكيله ٠ لكنه شك أيضا فى ذلك ٠ ولم ينصحنى حتى بأن أطلق العنان لارادتى كلها ـ وكانت لديه فكرة عنها ، والا فسوف أمزق كل شىء الى أشلاء ٠

« منذ هـذه اللحظة اخترت : اخترت هذا التنافر المحزن بعذابه المنتظر (الأمر الذى سوف يدفع بلا شك كثيرين ممن لديهم الاحساس الكامن لفهمه ـ الى الانتحار) ولقد كنت أنظر اليه دائمـا على أنه شوكة فى الجسد : حدى وصليبى ٠ واعتبرته المهر الغالى الذى باعنى به الله القادر على كل شىء ،

قوة عقلية ، لا نظير لها بين المعاصرين · ولم يملأ الغرور وجودى لأنه كان **ملتصقا بالتراب بالفعل** · حتى لقد أصبحت رغبتى ألما مرا وهوانا يوميا ·

« ولقد فهمت نفسى ـ دون أن ألجا الى الافشاء بشىء ـ فى أن على أن أقوم بالتأكيد على أهمية العام فى عصر فاسد منحط ، وأن أجعله محبوبا ومقبولا عند الآخرين جميعا الذين يقدرون على تحقيقه ، وان انحرف بهم الطريق لجريهم وراء الشاذ والخارق للمألوف · ولقد أدركت واجبى على أنه يشبه ذلك الرجل التعس الذى يحب الناس ويرغب فى مساعدتهم ليكونوا سعداء » ·

« لكن لما كانت مهمتى فى الوقت نفسه متواضعة ومحاولة ورعة لأن أقوم بشىء طيب لاصلاح ما ارتكبت من أخطاء فقد راعيت بصفة خاصة ألا يخدم جهدى كبريائى وغرورى أعنى أننى ينبغى على ألا أخدم الفكرة أو الحقيقة بتلك الطريقة التى تجعلنى أحصل على امتيازات دنيوية نظير هذه الخدمة · ولهذا فقد كنت على يقين أننى أعمل بعدم تذمر وباذعان حقيقى » ·

« ولقد اعتقدت كذلك ابان عملى أننى تعلمت أن أفهم على نحو أفضل ارادة الله بالنسبة لى : اننى أحمل نير الآلام الذى وضعه الله فوق كاهلى وربما لهذا السبب أنجزت ما هو مستثنى ·

« ان الجدارة التى أستحقها فى الأدب **ترجع الى أننى** : حددت السمات الحاسمة لمحيط الوجود البشرى كله بوضوح جدلى وعلى نحو أصيل لم يسبقنى اليه أحد من قبل على حد علمى · كلا ! ولم تكن بين يدى كتب أستعين بها أو استمد منها النصيحة · **والسبب الثانى** هو الفن الذى استخدمته فى توصيل هذه الفكرة أعنى الصورة التى عرضتها فيها أو الانجاز المنطقى · لكن لا أحد لديه الوقت الكافى ليقرأ ، أو ليدرس على نحو جاد · والى هذا الحد فان انتاجى حتى هذه اللحظة ضائع مثلما تضيع أطباق الطعام الشهية الفاخرة أمام الفلاحين ·

The Journals, P. 169 - 171 (Oxford).

The Journals, P. 106 - 108 (Fontana).

* * *

« أبانا الذى فى السموات ! لا تكن مع الخطايا عونا علينـا ، بل كن عونا لنـا على خطايانا ، حتى لا نذكر ذنوبنا كلمـا فكرنا فيك ، بل نتذكر غفرانك ، عندئذ تمحو حلاوة الغفران مرارة الخطيئة لأن الله محبة ! » ٠
The Journals, P. 217 (Oxford).

« أبانا الذى فى السـموات ! افتح مصـادر عينى ، واجعـل سـيل الدموع ينهمر ، ليغسل حياتى الماضية كلها ، تلك التى لم تكن فاضلة أمام عينيك ! » ٠

نفس المرجع السابق ص ٦٩

« أنا ذابل شاحب للغاية ، وبلا فرحـة حتى أننى لا أجـد شيئا يملأ نفسى ، بل لا أرى شيئا يمكن أن يشبعها ٠ آه ! حتى ولا غبطة السماء ! »
نفس المرجع ص ٨٥ ٠

« فى استطاعتى أن أشك فى كل شىء ، نعم فى كل شىء » ص ٨٨ ٠

« شكى مرعب وفظيع ولا شىء يمكن أن يحتويه » ص ٨٧ ٠

* * *

« يظهر أن مهمتى هى أن أكون عارضا للحقيقة بقدر ما أكشف عنها ، محطما فى الوقت ذاته كل سلطة ممكنة » ١٨٤٣ ٠

* * *

كتب فى ١٩ أبريل ١٨٤٨ ٠

« لقد تغير وجودى الداخلى كله ، فلم أعد مغلقا على نفسى : انكسر القيد ولابد أن أتكلم ، لقد منحنى الله القادر على كل شىء : النعمة ! » ٠
ثم كتب فى ٢٤ أبريل ١٨٤٨ ٠
« كلا ! كلا ! صمتى وسرى لا يتحطمان ! » ٠

* * *

« لن يستطيع أحـد أن يهجس بما يدور فى داخلى ، تلك هى حيـاتى سوء تفاهم مستمر ٠٠ الكل يكرهنى ! »

* * *

« قد يكون السر على درجة كبيرة من الرعب حتى أن صاحبه الذى يطويه بين جنباته لا يستطيع أن يتحدث عنه لا الى نفسه ولا الى الآخرين • لأنه سيكون فى هذه الحالة كمن يرتكب خطيئة جديدة ـ والمرء عندما يرتكب أمرا مرعبا لا يكون ملكا لنفسه بعد ذلك •• » •

* * *

« العباقرة مثلهم مثل العاصفة يأتون فى اتجاه معاكس للريح ويرعبون الناس ، لكنهم ينظفون الجو » ••

* * *

« مهمة الرسول أن يعمل على نشر المسيحية ، وأن يضم اليها أناسا •• فى حين أن مهمتى هى أن أنزع عن الناس الوهم بأنهم مسيحيون » •

* * *

« دعونى أتنفس الايمان بحرية ! » •

« يوجد فينا ينبوع متدفق نستطيع منه أن نصيخ السمع للخرير الهادىء ، الهادىء والعميق فى آن معا ، عندما يخلد الكون كله الى الراحة والسكون ـ فى هذا الخرير ، وفى هذا الينبوع يوجد الله » ! ١٨٤٩ •

* * *

« أحيانا يكون من الصحة أن يظل الجرح مفتوحا : فالجرح المفتوح قد يفيد صحيا وقد يكون من الضرر أن يلتئم ! » •

* * *

## ثلاثة أشياء أشكر الله عليها

١ ـ اننى لم أهب الحياة لانسان قط •

٢ ـ أنه منعنى من أن أصبح قسيسا •

٣ ـ أننى عرضت نفسى ، بارادتى ، لشتائم صحيفة « القرصان » •

اليوميات ترجمة سميث ص ٣٠٢

# القسم الثانى

## علاقته بريجينا أولسن
## ورأيه فى المرأة

**٨ مايو ١٨٣٧ :**

« آه يالهى ! كيف يستطيع الانسان أن ينسى بسهولة تلك القـرارات التى عزم عليها ! لقد عدت مرة أخرى مؤقتا الى هذا العالم لبعض الوقت · آه ! ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه(١) · لقـد حاولت اليـوم ٨ مايو ١٨٣٧ مـرة أخـرى أن أنسى نفسى لا فى ضجيج العـالم وضوضائه ، فهذا بديل لاغناء فيه ، بل بأن أحاول أن أذهب الى آل روردام ·· Rordams ، وأن أتحدث مع بوليت Bolette · لكن ملاك الرب وقف فى طريقى حائلا على نحـو ما يحول دائما بينى وبين كل فتاة بريئة شاهرا سيفا من نار ! اشـكرك يالهى لأنك غمرتنى برحمتك ولم تتركنى أصـاب بالجنون ! لم أكن خائفا على هـذا النحو ·· أشكرك مـرة أخـرى لأنك استجبت الى ·

« اليوم يتكرر نفس المنظر من جديد ، رغم أننى ذهبت الى آل روردام وشكرا لك يالهى ـ لماذا يستيقظ هـذا الشـعور الآن ـ آه ! كم أشـعر بالوحـدة(٢) · آه ! ملعون ذلك المتعجرف الذى يرضى بالوحـدة ـ الكل سوف يحتقرنى الآن ـ لكنك أنت يالهى لاترفع يدك عنى الآن ـ دعنى أحيا وأكون افضل مما أنا عليه ·· » ·

The Journals, P. 54 - 55 (Fontana).

* * *

**٢ فبراير عام ١٨٣٩ :**

« آه ! ريجينا ياملكية قلبى ! يامن تختبئين فى أعمق أعماق فؤادى ! فى أكثر أحلام حياتى عظمة ! هناك على بعـد متساو من السماء والجحيم

---

(١) اشارة الى عبـارة السـيد المسيح الشهيرة انظر انجيل مرقس الاصحاح الثامن : ٣٦ ·

(٢) تعتقد ريجينا أن هـذه التدوينة كتبت نتيجة أول لقاء لهما وما أحدثه كل منهما من انطباع على الآخر ـ قارن اليوميات حاشية رقم ٢ من طبعة فونتانا ·

توجد ألوهية مجهولة ! آه ! هل أصدق حقا حكايات الشعراء التى تقــول ان المرء عندما يرى محبوبته لأول مرة يتخيل أنه سبق له أن رآها منذ مدة طويلة · وأن الحب كله مثــل المعــرفة كلها ليست الا تذكرا · وأن الحب أيضا له فى الفرد نبواته ، وأنواعه وأساطيره ، وعهده القــديم ؟ ! أينما يممت وجهى لا أرى فى وجه أى فتاة الا آثار جمالك · لكن يبدو لى أنه ينبغى على أن امتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى أن أعثر على جمــال يساوى جمالك ! وأنه ينبغى على أن أبحر حول العالم كله حتى أعثر على المــكان الذى أفتقده ، والذى يتجه نحوه أعمق أسرار وجودى كله ـ وفى اللحظة التالية سوف أجدك قريبة منى ، حاضرة بجوارى تملئين روحى بقوة حتى نيتغير كيانى وأتمنى لو كنت معى هنا ·

أنت ياالله الحب الأعمى ! هــلا كشفت لى ما تراه مخبوًا فى ضمير الغيب ·· ؟ ! هل سأجد ما أبحث عنه هنا فى هذا العالم ، هل سوف أخبر خاتمة المقدمات الغريبة لحياتى كلها ، هل سأضمك بين أحضانى ، أم : أن الأمر هو تقدم الى الامام ؟ ··

The Journals, P. 61 - 62 (Fontana).

* * *

علاقتى « بهــا » :

٢٤ أغسطس ١٨٤٩ ·

« ريجينا أولسن ـ رأيتها لأول مرة فى منزل آل روردام ·· Rordams حقا لقــد رأيتها هناك من قبل لــكنى لم أكن أعرف شيئا عن أسرتها (فقــد كنت بمعنى ما مسئولا عن شعور معين نحــو بوليت روردام ، فقد كان لها فى وقت مبكر تأثير ما على ، وربما كان لى عليهــا نفس التأثير لكن ذلك كله كان بريئا وعلى نحو عقلى ) ·

« وحتى قبــل وفاة والدى كنت قد اتخذت قرارا نحوها · ولقد مات أبى (٩ أغسطس ١٨٣٨) فانشغلت فى الدراســة استعدادا للامتحــــان ، وخلال هذه الفترة كلها تركتهــا تنفذ الى أعماق كيانى · ثم دعيت لزيارة

أسرتها ، وذهبت بعد ذلك الى جوتلند ، وربما استطعت أن أقول اننى كنت خلال ذلك أغازلها بأن أعيرها كتبا أو أشير عليها بقراءة فقرات معينة ٠

وعدت فى أغسطس ، وكنت أستغل الفترة من ٩ أغسطس حتى بداية سبتمبر فى الدنو منها بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ٠

وفى ٨ سبتمبر غادرت منزلى ، وأنا عازم على أن أضع حدا لهذا الموضوع ٠ والتقيت بها فى الشارع أمام منزلها ٠ وأخبرتنى أنه لايوجد أحد فى المنزل ، واعتبرت ذلك دعوة لى فغامرت بانتهاز الفرصة التى كنت أريدها ٠ وذهبت معها الى البيت وجلسنا وحدنا فى غرفة المعيشة ٠ وعندما وجدتها مضطربة لوجودنا وحدنا رجوتها أن تعزف على البيان كما كانت تفعل من قبل فى المرات السابقة ٠ وبدأت تعزف ٠ لكن ذلك لم يغير من الامر شيئا ، وفجأة تناولت النوتة الموسيقية وأغلقتها على نحو لا يخلو من عنف وألقيت بها على البيان وأنا أقول « آه ! لم تعد تعنينى الموسيقى فى شىء ، انما أنت من أبحث عنها ! أنت من كنت أبحث عنها منذ عامين ! » ٠ وظلت صامتة ولم أفعل شيئا لكى أحركها ٠ لكنى حذرتها من نفسى ، حذرتها من مزاجى السوداوى ٠ وعندما تحدثت عن شليجل Schlegel قلت ٠ « فلنضع هذه العلاقة بين قوسين ، وقبل كل شىء فالأولوية لى »٠٠ ( ملحوظة : لم نتحدث عن شليجل الا يوم ١٠ سبتمبر ، أما يوم ٨ فلم نذكر عنه شيئا ) ٠

ظلت صامتة تماما ٠ وأخيرا تركتها وغادرت المنزل لاننى كنت أخشى أن يحضر أحد ويرانا معا ويراها مضطربة على هذا النحو ٠ وذهبت فى الحال الى والدها المستشار أولسن وعرفت أننى كنت قد أثرت فيها تأثيرا شديدا ، ولذا خشيت أن يساء فهم زيارتى أو أن أسىء الى سمعتها ٠ لم يقل والدها شيئا لا بالايجاب ولا بالسلب ، لكنه لم يكن يمانع فيما اعتقد وطلبت لقاءها ٠ والتقيت بها بعد ظهر العاشر من سبتمبر ولم أقل كلمة واحدة لاقناعها ولكنها هى التى قالت : نعم !

وفى الحال وسعت علاقتى بالاسرة كلها ، وحولت براعتى نحو أبيها الرجل الذى أحببته باستمرار ٠

لكنى داخليا ، شعرت فى اليوم التالى أننى قمت بخطوة خاطئة ،

عائيت دون أن أتكلم ويبدو أنها لم تلحظ شيئا بل على العكس كانت روحها مرتفعة ·

ولقد كان ذلك خطرا بمعنى ما · فقد اعتقدت أنها لو لم تكن قد تأثرت تأثرا عميقا أكثر مما تكشف عنه كلماتها : « لو ظننت انى لم آت اليها الا بحكم العادة لفسخت الخطوبة فى الحال » · فلو لم تكن قد تأثرت تأثرا عميقا ، اذن ، لأنقذت ، واستجمعت قواى من جديد ، وبمعنى آخر فلابد لى من أن أعترف بضعفى وبأنها أربكتنى بعض الوقت ·

ثم حشدت قواى كلها للعمل ، والحق أنها انهارت وحدث العكس تماما فقد منحتنى نفسها تماما ، لقد كانت تعبدنى · وانا أحمل ، الى حد ما ، وزر ذلك ، ففى الوقت الذى أدركت فيه صعوبة الموقف بوضوح كامل وأدركت أننى لابد أن استخدم أقصى طاقتى لكى انفجر من خلال سوداويتى اذا لزم الأمر ـ قلت لها : « استسلمى لى ، ان كبرياءك واعتدادك بنفسك يجعل كل شىء سهلا أمامى » · وكانت تلك كلمات صادقة تماما وأمنية بالنسبة لها وان كانت سوداوية خائنة غادرة بالنسبة لنفسى(*) ·

والآن استيقظ من جديد مزاجى السوداوى ، ولقد كان اصلاحها لى يلقى بعبء « المسئولية » كلها على كاهلى ، فى حين أن غرورها كان فى كثير من الأحيان يعفينى من المسئولية · ولقد اعتقدت ، وهذا هو رأيى · ان ذلك لم يكن سوى عقاب من الله ·

ليس فى استطاعتى أن أحدد بوضوح ما هى الانطباعات العاطفية التى خلفتها ريجينا فى أعماقى · لكن ثمة شىء مؤكد : أنها وهبتنى نفسها ، وكانت تقريبا تعبدنى وتطلب منى أن أحبها مما أثر فى وحرك مشاعرى لحد أننى على وشك أن اغامر بكل شىء من أجلها اما الى أى حد كنت أحبها فهذا ما تكشف عنه واقعة اننى حاولت باستمرار أن أخفى عن نفسى مدى تأثيرها على نفسى وهو موضوع لم يكن يرتبط بالانفعالات

---

(*) لكنها الى حد ما كانت ترتاب فى حالتى لأنها كثيرا ما كانت تجيب « أنت لست سعيدا قط ، ومن ثم يتساوى عندك بقيت معك أم لم أبق » · ولقد قالت لى أيضا ذات مرة انها لن تطلب منى شيئا على الاطلاق لو انها ظلت معى فحسب ·

الجياشة · لو لم أكن تائبا نادما ، لو لم تكن لى حياة ماضية Vita ante acta لو لم اكن سوداويا ، لكان ارتباطى بها قد جعلنى سعيدا أكثر مما كنت أحلم فى أى يوم من الأيام · لكن لما كنت ، ويالالاسف ! ·· على نحو ما أنا عليه ، فان على أن اقول أننى يمكن أن أكون سعيدا فى شقائى بدونها أكثر مما لو كانت معى · لقد أثرت فى وحركت مشاعرى . ولقد كنت أحب ، بل اكثر من ذلك ، أن أفعل لها كل شىء ·

لكن هناك احتجاجا الهيا وهذا ما فهمته ، العرس · وكان على أن أخفى عنها ذلك كله والا لاقامت الأمر كله على أساس غير سليم ··

كتبت لها رسالة وأعدت خاتم الخطوبة · والرسالة موجودة بنصها كلمة كلمة تحت عنوان « تجربة سيكولوجية »(*) · وبكل ما أستطيع من قوة جعلت علاقتى بها مجرد تاريخ فحسب فلم أتحدث لأحد عنها قط ، ولا لشخص واحد · وبقيت أنا صامتا صمت القبر · وما أن يصل الكتاب اليها حتى أود أن تنتبه اليه ·

لماذا فعلت ؟ بيأسها النسائى اجتازت الحدود ، لقد كانت تعرف بوضوح اننى سوداوى المزاج ، وأن قلقى يدفعنى الى الحدود القصوى · حدث العكس · لقد أوصلتنى الى النقطة التى يدفعنى فيها القلق الى الحد الأقصى ، وهذا شىء مؤكد ، لكنى عندئذ كنت أرغم طبيعتى كلها بطاقتى الهائلة على التخلص منها : لم يكن ثما ما يمكن عمله سوى شىء واحد هو أن أصدها بكل قوتى ·

وخلال شهرين من الخداع راعيت أن أكون فى غاية الحذر فى حديثى المباشر معها من حين لآخر فكنت اقول لها : أرجو أن تسلمى ، وتتركنى أذهب ، انت لن تتحملى ذلك · وكانت تجيب بانفعال أنها يمكن أن تتحمل أى شىء ماعدا تركى لها ·

كذلك حاولت أن أعطى الانطباع بأنها هى التى فسخت الخطبة حتى أجنبها كل اهانة · لكنها رفضت قائلة : ان كنت سأتحمل الأخرى (اى

---

(*) فى كتابه « مراحل على طريق الحياة » بقلم الأخ الساكت ·

فسخ الخطوبة) فسوف اتحمل هذه أيضا (اى أن يكون هـو السبب) • ثم قالت بطريقة لا تخلو من نغمة سقراطية فى حضـورها لن يلاحظ أحد شىء ولن يفوه بكلمة أما ما يقوله الناس فى غيابها فهى لاتكترث به •

انها لحظة عذاب مرعب أن تكون على هـذا النحو من القسوة وعلى هذا القدر من الحب كما فعلت أنا • لقد ناضلت كما تناضل النمرة ، ولو لم أكن مؤمنا بأن الله قد أصدر قرار* الرفض •• Veto لكانت قد انتصرت •

وعنـدما تركتها ذهبت مباشرة الى المسرح لانى كنت اريد أن أقابل صديقى اميل بويزن •••• Emil Boesen (وهذا هو السبب الذى من أجله شاعت أقاويل فى كوبنهاجن تقـول اننى نظرت فى ساعتى وسألت أسرتها عما اذا كانوا يريدون شيئا أكثـر من ذلك أو ما اذا كان فى ذهنهم شيئـا يريدون أن يقولوه فليتفضلوا بسرعة لانى ذاهب الى المسرح ) •

انتهى العرض ، وما أن تركت مقعدتى حتى جاءنى المستشار أولسن Olsen وقال : « هل يمكن أن أتحدث معك قليلا ؟ » ، وذهبنا سويا الى منزله • وقال والدها « سوف يكون فى ابتعادك عنها موتها ، انها فى يأس كامل « فأجبته » : سوف أذهب وأخفف عنها ، لـكن كل شىء انتهى • فقال « أنا رجل يحترم نفسه ، وقـد يصعب على أن أقـول لك لاتفسخ خطبتك بابنتى ، لكنى أرجوك الا تتركهـا » • ولقـد كان بالفعل رجـلا نبيلا طيب القلب ولقـد تأثرت بكلامه تأثرا عميقـا ، لـكنى لم أترك نفسى انزلق مع حديثـه بحديث يقنعنى ، وبقيت مع الاسرة حتى العشـاء • وتحدثت معها وأنا خارج • وفى صبيحة اليـوم التالى تلقيت منه رسالة يقـول لى فيها ان ابنته لم تنم طول الليل ، ويطلب منى أن أذهب لأراها ، وذهبت وحاولت اقناعها ، فسألتنى : « ألن نتزوج أبدا ؟ وأجبت : « نعم ! ربما بعـد عشر سنوات عندما أكون قد أنغمست فى طيش الشباب ، عندئذ سوف أحتاج الى دماء شابة لتجدد لى شبابى » • ولقد كانت تلك قسـوة ضرورية • عندئذ قالت لى : « سامحنى فيمـا سببته لك من ألم » وأجبت « أننى أنا الـذى ينبغى أن أطلب منك الغفران والسماح » • فقالت : « أوعدنى أن تفكر فى » فوعدتها • فقالت « قبلنى » ففعلت بلا عاطفة • ياأرحم الراحمين !

وهكـذا افترقنا حيث قضيت الليـل كله أنتحب فى فراشى ، لـكنى

تصرفت تصرفا عاديا فى اليوم التالى بروح أفضل عن ذى قبل • وكان ذلك ضروريا • وعندما أخبرنى شقيقى أنه يريد الذهاب الى أسرتها ليبين لهم اننى لم أكن نذلا ، أجبته « لو ذهبت الى هناك فسوف أقتلك برصاصة ». وسافرت الى برلين وعانيت كثيرا اذ كنت أفكر فيها كل يوم وحتى الآن حافظت على وعدى لها كما كنت أصلى من أجلها مرة أو مرتين فى اليوم على الاقل ، بالاضافة الى مرات أخرى كثيرة كنت أفكر فيها •

ولم أمكث فى برلين سوى ستة أشهر مع أن نيتى فى البداية كانت أن أبقى سنة ونصفا • وعودتى الى كوبنهاجن بهذه السرعة لابد أنها لفتت نظرها • ولقد كان • فوقفت تنتظرنى بعد أن انتهى الاسقف مينستر من ألقاء عظته يوم الأحد الأول بعد عيد الفصح • لكنى رفضت وكنت عازما على صدها • ولم أكن أود لها أن تعرف أننى كنت أفكر فيها عندما كنت غائبا • وفضلا عن ذلك فقد عرفت من سيبرن Sibbern أنها قالت انها لا تطيق رؤيتى ، لكن الأمر لم يكن على هذا النحو عندما رأيتها وأن كنت مضطرا الى الاعتقاد بأنها لا تريد أن تتحدث معى •

بالنسبة لبقية الأحداث : فقد اتخذت فيما يبدو أعظم خطوة حاسمة فى حياتها تحت رعايتى ، وبعد قليل من خطبتها الى شليجل Schlegel اكتشفت وجودى فى احدى الكنائس ولم أستطع أن أتجنب النظر اليها فأومأت لى برأسها مرتين ورددت عليها وهذا يعنى « ينبغى عليك أن تتخلى عنى فأومأت وكذلك فعلت أنا على نحو ما يفعل الأصدقاء بقدر الامكان » •

وبعد أن تمت خطبتها الى شليجل عام ١٨٤٣ قابلتنى فى الطريق وحيتنى كأصدقاء وبطريقة ودية بقدر المستطاع • ولم أستطع أن أفهمها لأننى لم أسمع عن الخطوبة لقد نظرت اليها نظرة فاحصة فحسب ثم هززت رأسى محييا • ومن المؤكد أنها كانت تعتقد أننى عرفت بموضوع الخطوبة وتطلب منى الموافقة عليها •

وعندما نشر اعلان الزواج عام ١٨٤٧ كنت موجودا فى الكنيسة •

The Journals, P. 69 - 75 (Fontana).

* * *

**فى ٢٣ يناير ١٨٤١ :**

كتب اليها كيركجور مهنئا بعيد ميلادها الثامن عشر •

أتمنى من اللــه أن يبعث اليك بعــام جديد سعيد كثير البسمات قليل الدموع ! لقــد أرسلت لك مع خطابى هذا منــديلا ، أردت أن تضعيه تحت وسادتك حتى اذا ما استيقظت من نومك ذات ليلة ، فجــأة ، مذعورة ، من حــلم مؤلم ، وعجزت عن السيطرة على دموعك ، عنــدئذ جففيهــا بهــذا « القماش الكتانى » ثم تذكرى اننى أنا الذى أرسلته اليك ، واننى كنت أود لو كفكفت لك الدمع بنفسى .. !

أما حين تكونى مسرورة مطمئنة كأرملة فقيرة تبرعت بكل ما عنــدها فأصبحت أغنى من العالم كله ، عندئذ اسندى رأسك الى الوسادة نفسها ، وسوف يذكرك هــذا القماش الكتانى بى أيضــا ، سوف يذكرك بأنك كنت الشخص الوحيــد الذى كفكف دموعى ، كما أنه سوف يذكرك أيضــا بأنك كنت الانســانة الوحيـــدة التى رأت تلك الدموع . ومن ثم فحين تتمنين لنفسك يكون من الســهل عليك أن تشاهدى صــورتى مطبوعة على هــذا القماش . لقـــد جففت فرونيكا Veronica القدسة عرق المسيح بقماش غال من الكتـــان ومكافأة لها على ذلك انطبعت صــورة المسيح على هــذا القماش ، وحين طبقته خمس مرات وجدت فى حوزتها خمس صور للمسيح(*) . ولابد لــكى تكونى قادرة على رؤية صورتى على هــذا القماش ـ لابد أن تصوريها بنفسك وهذا ما أعرف أنك قادرة على القيام به ، أواه ! لاتصورى صــورتى كشخص قلق مضطرب لايعرف السلام والسكينــة شخص يسكنه حزن دفين كالروح القلقة التى تحــوم هنا وهناك ! وانما صوريها كشخص طيب رقيق يملؤه الامل والثقــة ، ومهما يكن من أمــر ، فانا لا أود لهــذا القماش أن يفارق مخدعك ..

المخلص

س. ك.

---

(*) كانت فرونيكا تتابع المسيح وهو فى طريقه الى الصلب وأشفقت عليــه والعرق يتصبب منه فجففت له وجهه بمنديلها ومكافأة لهــا انطبعت صورة السيد المسيح على المنــديل واسم فرونيكا نفسه يدل فى الأصل على الصورة التى انطبعت فهو مكون من مقطعين Vera أى حق و icon أى صورة فتكون كلمة فرونيكا تعنى « الصورة الحقة » .

كتب كيركجور وصيته الأخيرة الى شقيقه بطرس ووضعها فى مظروف كتب عليه : « الى شقيقى بطرس : يفتح بعد وفاتى » ٠

« أخى العزيز :

وصيتى بالطبع أن ترث خطيبتى السابقة مدام ريجينا شليجل الميراث الضئيل الذى تركته ، فاذا لم تشـأ أن تأخـذه لنفسها فاننى أرجو أن تقوم هى بتوزيعه على الفقراء ٠

اما ما أرغب فى قوله ، وفى الافصاح عنه هو أننى أعتقد أن الخطوبة كانت ومازالت بالنسبة لى رابطـة كالزواج تماما ٠ ومن ثم فان ممتلكاتى الخاصة لابد أن تؤول اليها تماما كما لو كانت قد تزوجتها(*) ٠

« لقـد أحببتها كثيرا : وكم كانت خفيفة كأنها طائر ! لكنهـا أيضـا كانت صلبـــة كما لو كانت فكرة ! كنت أتركهـــا ترتفع ، فتعلو ، وتعلو ! ثم أمد يدى لتحط عليهـا وهى ترفرف وتنطق باسمى ! لقـــد نسيت ، ولم تعرف قط أننى أنا الذى جعلتها خفيفــة ! وكانت فى لحظات أخـرى تلقى بنفسها تحت قدمى ولا تريد الا ان تتأملنى ، وتنسى كل شىء » !

**كتب عام ١٨٤٣ يقول :**

« بدأت محبا وانتهيت موجها للضمير ، لن أجعل أبدا مما هو مقدس خادما لحبى لقد كنت أحنى الرأس لــكى أبحث فى الوقت نفسه عن وجود آخر تحت العنصر الدينى ٠٠ » ٠

* * *

« اننى أعتقد ، بحق ، ان علاقتى بهـا يمكن أن تسمى باسم « الحب البائس » اننى أحبهـا وهى لى ، وأمنيتها الوحيدة أن أظل بالقرب منها ٠ وأسرتها ترجو منى ذلك وتلك أعظم أمنياتى كلهـا ٠ ورغم ذلك ينبغى على أن أرفض ٠ ومن أجل أن يسهل الأمر عليها أجهـدت نفسى حتى أحملهـا

---

(*) رفضت ريجينـا وزوجهـا القيـــام بتوزيع الثـروة على فقراء الدانيمارك حتى دون أن يعلما مقدارها ٠

على الاعتقاد بأنى لست سوى مخادع وقح لا أهمية له ٠٠ وذلك حتى يسهل عليها أن تكرهنى ٠٠ » ٠

* * *

« لقد كانت أمنيتى الوحيدة هى القدرة على البقاء بجانبها ٠ ولكن فى اللحظة التى شعرت عندها بأن الأمر سينحرف انحرافا سيئا ـ ويالها من لحظة فقد جاءت متأخرة جدا ـ أزمعت أن أدفعها الى الاعتقاد بأننى لا أحبها ٠ وها أنذا الآن مكروه من الجميع لعدم اخلاصى ٠٠٠ وهو سبب ظاهر فى شقائها ٠٠٠ فى حين اننى كنت مخلصا فى قرارى شأنى معها دائما ٠٠٠ » ٠

## القلق هو الذى قادنى الى الافراط

**برلين فى ١٧ مايو ١٨٤٣ :**

لو كان عندى ايمان لبقيت الى جانب ريجينا ، شكرا لله ، وليتمجد اسمه ! فانا أعرف ذلك الآن : لقد كنت على حافة الجنون فى تلك الأيام ، لكنى استطيع أن أقول اننى تصرفت نحوها تصرفا سليما من الناحية الانسانية ٠ ربما قيل أنه كان ينبغى على الا أقدم على خطبتها أصلا ، غير أننى منذ أن خطبتها وأنا أتصرف نحوها بأمانة ٠ ولقد أحببتها من وجهة نظر جمالية بمعنى أسمى بمراحل من حبها لى ، ولهذا عاملتنى بكبرياء فى البداية ثم أرعبتنى بصرخاتها بعد ذلك ، لقد بدأت منذ قليل فى كتابة قصة أطلقت عليها اسم « مذنب ٠٠ ؟ غير مذنب ؟ » وسوف تتضمن هذه القصة أشياء يندهش لها العالم ، لأننى خبرت تجربة الشعر فى السنة والنصف التى خطبتها فيها أكثر من خبرة جميع القصص مجتمعة ٠ لكنها كانت تجربة مستحيلة بالنسبة لى ، ولم أكن أرغب فى أن تتبخر علاقتى معها فى الشعر فقد كانت واقعا يختلف عن ذلك اتم الاختلاف ، فريجينا لم تتحول الى أميرة من أميرات الجن الخرافية بل انها كان يمكن أن تكون زوجتى ٠ آه ياالهى : لقد كانت هذه هى رغبتى وأمنيتى الوحيدة لكن كان على أن أتخلى عنها ٠٠

## صفحة ممزقة من اليوميات

.... لابد أن يكون ذلك قد حدث بالقطع . لكن عندما يتعلق الأمر بالزواج فان كل شيء لا يمكن أن يباع كما هى الحال حين تهبط المطرقة (حين تباع الأشياء فى المزاد العلنى ! ) اذ اللهم هنا هو الامانة ، قليل من الامانة تجاه الماضى . هنا أيضا كانت شهامتى واضحة ..

لو لم أكن قد فضلتها على نفسى ، كزوجتى فى المستقبل ، لو لم أكن فضلت كرامتها على كرامتى لكان على فى هذه الحالة أن أظل صامتا وأن أحقق رغبتى ورغبتها ونتزوج . وهناك ألوان كثيرة من الزواج تخفى حكايتها على هذا النحو . لكنى لم أرد أن يحدث ذلك ، اذ لو كنت قد تزوجتها وأخفيت عنها كل شىء لتحولت الى خليلة وليست زوجة وربما كنت قتلتها : لكنى من ناحية أخرى لو كنت قد فسرت لها كل شىء اذن لأشركتها فى أمور مرعبة : علاقتى بأبى ، ومزاجه السوداوى ، والليل الأبدى الذى يعوى داخل نفسى ، ضلالى ، ألوان اللذة والافراط التى قد لا تكون أمام الله مرعبة الى هذا الحد ، ذلك لأن القلق هو الذى قادنى الى الافراط ، وعندما بحثت عن شىء أتعلق به : اهتز الانسان الوحيد الذى كنت أحترمه لقوته وقدرته .. » .

اليوميات درو ص ١٢١ ـ ١٢٢

## المرأة عامل اذلال للرجل

« كل شىء يعتمد على النساء ، رائع ! كن على يقين اذن أن كل شىء يعتمد على تفاهات ، ولغو فارغ ، أو انه يعتمد (ان شئنا أن نتحدث بطريقة مهذبة) على العلاقات الجنسية . حتى الآن فى استطاعتنا أن نقول ان النساء جعلن الحياة الاجتماعية أكثر نبلا : فلم نعد نقتل أحدا ولم نعد نشرب الخمر ولم نعد نقيم الحفلات الصاخبة كما كان يفعل أولئك الأبطال القدامى ـ وتحولت الشهوة فأصبحت مهذبة وأخفينا التلميحات حول العلاقات الجنسية . وهذا هو معنى النبالة الاجتماعية .. !

على هذا النحو عرضت شخصياتى المختلفة للموضوع ، ومن ثم فان الهجوم العنيف الذى شنه « شوبنهور » على المرأة ينبغى ألا يلام عليه . فمهمة المرأة هى اذلال الرجل وجعله شيئا تافها .

المرأة تذل الرجل ، وفى استطاعة المرء أن يقول بصفة عامة ان الرجل المتزوج يشـعر فى قرارة نفسه بالخزى والخجل ، لأنه أصبح أحمق ، فكل الأحاديث الطنانة أيام الحب ، وكل ما كان يدور حـــول الجميلة وتجسيد الجمال والنعمة وامتلاكها الذى هو قمة السعادة انتهى الى ذعر كاذب · وتلك أول ضــربة يتلقاها الرجل ··· والضربة الثانية التى يتلقاها الرجل أنه وحبيبة القلب « جوليات » (التى كان لهـا بدورها نفس تجربته) يتفقان على أن يبقى هذا الموضوع سـرا بينهما بحيث يخفيان الدقيقة عن العالم كله ـ يتفقــان على الكذب فيقولان الزواج هو السـعادة الحقيقيـة وانهما بصفة خاصـة سعيدان غاية السعادة ··· ومواصلة الكذب تهبط بالرجل الى أحط درك ، لـكن الأمـر مختلف بالنسبة للمرأة ، فقد ولـدت كاذبة ، فهى مخلوق لا يكون سعيدا قط اذا لم تكن هناك ولو كـذبة صغيرة ، وفى استطاعتك أن تكون على يقين قبليا a priori أنه عنـــدما يتعلق الأمر بالمرأة فسوف يكون هنـاك باستمرار كـذبة صغيرة · وبمعنى ما نستطيع أن نقول انها بريئة بالنسبة لهـذا الموضوع ، فهى لاتستطيع أن تفعل ازاءة شيئا ولايمكن للمرء أن يفكر فى أن يغضب من هذا الكذب ، بل على العكس يستطيع ان ينظر اليـه على أنه فى أعلى درجة خاصيـة محبوبة ، كذلك هو قدرها الطبيعى الذى تستخدم فيه معظم دهائها لاضعاف الرجل ·

وكلما سارت القصة ، أعنى قصة الزواج ، دخلت فيها مع المرأة كل حماقات التناهى والمادية والأنانية التى هى من خصائص المرأة · لأنهـا بوصفها زوجة ، وأما ـ آه !

ها هنا أنانية لا يكمن للرجل أن يتصـورها على الاطلاق ، ولقد غلفها المجتمع بمزايا وسماها حبا ، لـكن لا ! الواقع أنها أعظم قدر من الأنانية وحب الذات ، لاتبدأ ، وهذا صحيح تحب نفسـها لكنها من خـلال حبهـا لزويها حبا أنانيا ، وحبها لكل من ينتمى اليها تنتهى الى حب ذاتها · ومنذ هـذه اللحظة نجـد ان الأفـكار وجميع التطلعات العليا اللامتناهية تنادى الرجـــل ·

وتختلف المرأة اختلافا تاما عن الرجل من حيث أنها ترتبط ارتباطا خطرا بالتناهى ، وفى حياتهـا لحظات تعطى انطباعا خادعا بأنهـا ترتبط

باللامتناهى ، وهى اللحظات التى يقع فيها الرجل فى الشرك · وهى كزوجة متناهية تماما ·

وهذا هو السبب الذى جعل الكنيسة تركز على أهمية احتفاظ المرأة بعذريتها أكثر من الرجل ، وكرمت الراهبة أكثر من الراهب · لأن المرأة عندما تتخلى عن هذه الحياة الدنيا وتقلع عن الزواج فانها تتخلى عن الكثير أكثر من الرجل » ·

The Journals : The Last Years P. 68 - 70.

## آخر خطوة فى الاشارة « اليها »

**نوفمبر ١٨٤٩ :**

« لم تتغير رغبتى فى أن تهدى كتبى بعد موتى اليها والى المرحوم والدى · انها سوف تنتمى الى التاريخ ، لكن كل شهرتى أعنى وصيتنا سوف تكون مشتركة سوف تنتمى اليك « ياعزيزتى الصغيرة ريجينا » ·

سوف يكون وجودى ، على نحو مطلق مؤكدا لحياتها ، ويمكن أيضا أن ينظروا الى أعمال كمؤلف على انها نصب تذكارى أقيم تكريما وتشريفا لها · سوف آخذها لندخل التاريخ معا ، وانا بكل ما لدى من مزاج سوداوى ليست لى سوى رغبة واحدة أن أسحرها · وهناك لن تنكرنى ، هناك سوف أمشى بجوارها مثل سيد الاحتفال ، أقودها بنصر وأنا أقول : افسحوا مكانا صغيرا لها من فضلكم ، لعزيزتى الصغيرة ·· ريجينا !

لم يكن من الممكن أن أدخلها التاريخ على أنها زوجتى ، وهذا موضوع لايمكن أن يناقش · كان يمكن أن تكون « مدام فلان » ، لكنها لن تكون فى هذا الوقت : حبيبتى ! لابد أن تروى على أنها قصة حب تعسة فى الوقت الذى ستظل فيه عندى : حبيبتى « التى أدين لها بكل شىء » ·

* * *

## المرأة والرجل

المرأة هى الانانية مجسدة ·

واشتياقها وتحرقها الى الرجل ليس سوى أكثر ولا أقل من أنانيتها ·

ولاتعرف المرأة نفسها انها أنانية ، أو أن هذا الاخلاص والتفـــانى الذى تدعيه للرجــل ليس ســوى أنانية ، انها باستمرار لغز امام نفسها ، والطبيعة تخفى بدهاء هذا السر عنها ، اذ تتخذ الانانية صورة الاخلاص والتفانى ، ولو قدر للمرأة أن تعرف كم هى أنانية ، لما أصبحت أنانية ٠

قصة الرجل والمرأة كلها عبارة عن مكيدة نسجت خيوطها بطريقة خفية انها مؤامرة قصد بها تدمير الرجل كروح ٠ والرجل فى الأصل ليس أنانيا لكنه يصبح كذلك لكى ينتقم لنفسه عندما يواتيه الحظ ويتحد بامرأة ، وهذا الاتحاد الذى يعرف بصفة عامة باسم : الزواج ٠٠ وما أن يدخــل الرجل فى هذه الشركة حتى يفقد تماما كل ما هــو سام ٠ وهذا هو السبب الذى جعل المسيحية ،وكل وجهات النظر العميقة عن الحياة تلقى بالشك والريبة حول العلاقة بالجنس الآخر ! لانها تفترض أنك عنــدما تذهب الى التعامل مع الجنس الآخر فان ذلك يعنى : انحطاط الرجل ٠

وهذا هو السبب فى أننا نسمع عند اللصوص والمستويات الدنيا من البشر أن واجب كل انسان هو أن يتزوج وأن الزواج هو الحياة الشريفة الحقيقية ٠٠٠ » ٠

The Journals : The Last Years P. 92 - 93 Eng. Trans by R. G. Smith.

## الجنس الضعيف

« تستفيد المرأة من العويل والنحيب وماشابه ذلك ، اذ بمساعدتها تعانى أقل مما يعانى الرجل الصامت الكتوم ٠ وقد تغرى هذه الحقيقة المرء لأن يقول أن المرأة هى الجنس الأقوى ، لأنه اذا كان من خصائص القوة أن يدافع المرء عن نفسه ضد العذاب ، فان المرأة فى هذه الحالة تكون أفضل من الرجل ٠

لكن الحقيقة هى أن القوة تكمن فى القدرة على قبول العذاب وتحمله، فى حين ان الضعف يكمن فى الدفـــاع عن النفس بكل وسيلة ممكنة ضد العذاب ٠ ان ضعف المرأة كامن فى انها تبدأ فورا فى التضـــرع والبكاء والأنات دفاعا عن نفسها ضد العذاب ، ان ضعفها يكمن على وجه الدقة فى أنها تستطيع بواسطة النحيب والعويل أن تخفف من العذاب والمعاناة ،

فى حين تكمن قوة الرجل فى انه لايملك أية وسيلة للتخفيف من العذاب أو التلطيف من المعاناة · وبالتالى فبفضل هـذه القوة ـ وتلك مفارقة ـ يصل الى عذاب أكبر من عذاب الجنس الآخر الضعيف ، لكنها فى الواقع ليست مفارقة أكثر من الحقيقة التى تقول ان الصحة مطلب ضرورى وشرط اساسى يسبق المرض ، فهناك مرض ليسوا من الصحة بالقدر الكافى الذى يوقعهم فى المرض !

·· لو كنت أبا وكانت لى ابنة أغواها مغو ، فاننى لن أتخلى عنها على الاطلاق لكن لو كان لى ابن وأصبح صحفيا فسوف أقول اننى فقدته !

* * *

نفس المرجع السابق ص ٩٨

# القسم الثالث

## الكنيسة القائمة ، ورأيه فى رجال الدين
## والتــدين المزيف

## الواقـــع

« كيف يمكن أن نصـل الى الـواقع ؟ ! بسيط جدا : بأن نتحدث بطريقة معينة مع أناس معينين نعيش بينهم ٠

خذ مثلا : فى كل عصر يوجد مجرمون تعاقبهم السلطات ، وهناك أيضا مجرمون ( ولما كان العالم يزداد فسادا فقد أضبحت لهـم الغلبة ) لاتعاقبهم السلطات ٠ وهكذا نجد فى عصرنا لاسيما فى عصرنا لاسيما فى المدن الكبرى ، سيادة لرذيلة اسمها : القذف وتشويه سمعة الآخرين ! تخيل الآن قسا ، أراد أن يقوم بواجبه : ان عليـه فى هذه الحالة أن يكون شاهدا على رذائل عصره ، لكن معظم القساوسة يتهربون من هذه المهمة ـ وهكذا لايصلون الى الواقع ٠٠ !

Last Years P. 315.

## الكنيسـة القائمـة

« التهمة التى أوجهها الى الكنيسة القائمة هى أن كل شىء يبنى على كذب : عبادة الله ليست سوى سخرية من الله ، والمشاركة فيها جريمة ٠ وفى الوقت ذاته فاننى أود أن أسوق أتهـامـا أعظم بأن أبين أن الكنيسة القائمة نفسها تعرف أن كل شىء يقوم على الكذب ، وأن هذا هو السبب فى عدم القيام بأى فعل ٠

آه ! أنه لأمر مرعب حقا أن يفكر المرء فى الأعماق التى هوت إليها الكنيسة القائمة ، والى أى حد بلغت التفاهة والنزعة ( المادية ) والقدرات ( المتوسطة ) وألوان الكذب !

لكن لهـذا السبب نفسه ـ وستشع هـذه الحكمة البارعة للكنيسة القائمة على مجرى الزمن ! ـ دفن المطران مينستر على أنه شـاهد على الحقيقية ، بل على أنه أحد الشهود العدول على الحقيقية ! » ٠

The Last Years P. 307.

١٢ مايو ١٨٥٥

الوضع المسيحى فى الدنمارك هو أن الكل مسيحيون ! وان الدنمارك دولة مسيحية ! هذا شىء أول ·

والشىء الثـــانى هو أن نسأل أى لون من المسيحية ؟ أهى مسيحية العهد الجديد ؟ ان المسيحية يمكن أن توصف بطرق شتى فهى مثلا سيطرة النظرة الأبدية وغلبتهـــا على الفظرة الزمانيـــة وهى تمسك الانســـان بما هو أبدى ، ونسيانه كل ماهو دنيوى فينظر اليه على أنه« ضاع » ، ومن ثم يعرض نفسه للعذاب والاضطهاد من أجل ماهو أبدى وعلى ضوء هذا التفسير فلننظر مرة أخرى الى الحياة فى الدنمـــارك فى الدولة المسيحية حيث يعيش المسيحيون وحيث نكون جميعا مسيحين :

لنجد مجتمعا مسيحيا تعيش فيه مجموعة من القساوسة يحلفون أغلظ الايمان(١) · ولمدة $\frac{3}{4}$ ساعة فقط لاغير كل يوم أحد يتعلم الناس من هؤلاء القساوسة أن المسيحية هى نبذ العالم والاقلاع عن كل ماهو دنيوى ـ ثم بقية ساعات يوم الأحد ، وبقية أيام الاسبوع كلها ـ يتعلم هؤلاء القساوسة أنفسهم من هؤلاء الناس وبصفة خاصة عن طريق الأمثلة ( والأمثلة كما تعرف تختلف فى أثرها اختلافا كبيرا عن الكلمات ) أن المسيحية ، وكذلك حياة الانسان الجادة هى : الكفاح من أجل الدنيا ! ··· » ·

Last Years : P. 341.

« احذوروا القساوسة ، أولئك الذين يسيرون فى أردية طويلة ويضعون زيا رسميا ويقلبون المسيحية الى عكس ماأراد المسيح ! » ·

تخلصوا من المسيحية الرسمية ، وافتحوا الباب ليدخل الاضطهـاد تلك هى اللحظة التى ستعود فيها المسيحية الى الوجود ! » ·

---

(١) أى عكس ماطلب المسيح : « أقول لكم لا تحلفوا البتة ·· » متى ٥ : ٣٤

## الايمـــان

« لايعرف الايمان فى العهد الجديد على نحـــو عقلي بل على نحو أخلاقى : انه يشير الى علاقة شخصية بين الله والانســان · والايمـــان ( كتعبير عن الاخلاص ) مطلوب على أنه اعتقاد ضد الفهم ، انه أعتقاد لايرى الانسان من خلاله ولهذا يتحدث الرسول عن **طاعة الايمان** ( رسالة بولس الى أهل رومية ١ : ٥ ) ·

ولقد أتى الخلط من أن تصور الايمـــان جـــاء من فـلاسفة مدرسة الاسكندرية ، كما أن القديس أوغسطين نفسه قد خلط تصور الايمــــان بالتعريف الذى استمده مباشرة من أفلاطون ( فى الجمهورية ) ·

Last Years P. 336.

## العالم المسيحي يكافح من أجـل المثل الأعلى

« نحن نضحك من الرجل الذى يبحث عن منظاره بينما يضعه بالفعل فوق أنفه !

غير أن كفاح العالم المسيحى يثير ضحكا أكثر وسخريـة أعظـــم ! فالحقيقة بصدد المثل الأعلى المسيحى هى أنه وجد فى المسيح ، الذى عاش بين الناس وقدم لهم الأنموذج » ـ وهذا المثل الأعلى مرتبط بشخصية فرد ، وبالتالى فأى حديث عن الكفاح من أجل المثل الأعلى يرتبط به ولكى يفعل المرء ذلك عليه أن يضع نفسه فى أول الطريق المفضى الى وجود هذا المثل الاعلى ، ان علينا أن نعود اليه لو أردنا الكفاح حقا !

لكن العالم المسيحى قلب الأمر على النحو التالى : المثل الأعلى ، أو النموذج الذى على غراره تكون مسيحيا هو هدف يقع فى المستقبل وعلى مسافة بعيدة منا ، وهذا الهدف هو ماينبغى علينا ان نكافح من أجله !

Last Years P. 336.

* * *

## النفـــاق

« القاعدة العامة فى كل اتصال دينى هى أن يكون صادقا · ولم ؟ لأن المطلب الدينى يستهدف الفعل ، أى العمل بناء على ماقيل · وتلك هى على وجه الدقة الحركة التى تميز ماهو دينى عما هو جمالي ، فما هو جمالي ،

حسى يقود الى الكآبة انه يأتى سريعا ويزول سريعا ، فهو لحظة ويستغرق لحظة . أما المجال الدينى فهو اللحظة التالية : هو اللحظة الحاسمة ، أن عليها يبنى ما سأفعله ، واذا لم أنتبه الى ذلك جيدا فاننى أكون قد غيرت هذه اللحظة سواء فى الكنيسة أو فى ترتيلة غنائية ـ غيرتها الى متعة حسية جمالية .

وهذا هو السبب فى أن كل مايقال أو يغنى فى الكنيسة ينبغى أن يكون صادقا وليس عظيما أو رائعا أو ساحرا ... وما الى ذلك ، لا الى الحد الذى يجعلنى أبكى ويجعل دقات قلبى تزداد ، لا ! بل أن المهم هو أن يرتبط ارتباطا وثيقا بقدر الامكان بالعمل ، أعنى **بما سوف أفعله بناء عليه..**
Last Years P. 312.

## ملاحظات صغيرة

### المسيحى يخاف من الناس

٢٣ سبتمبر ١٨٥٥

تصور العهد الجديد للرجل المسيحى هو أنه الرجل الذى يخاف من لله لا من الناس(*) ، وهذا يتطلب كل مالدى المسيحى من صراع ، لكن ما أن يصبح الرجل مسيحيا لخوفه من الناس حتى تختفى المسيحية . ولهذا السبب فان المرء يرى أنه من اللغو الاعتقاد بأن المسيحية الحقة انما توجد فى « الكنيسة » حث يلتقى عدد كبير من الناس ! فلا شىء ضد روح المسيحية من مثل هذا القول خيث الاعتقاد الحيوانى فى عدد الناس !
Last Years P. 357.

### حقيقة الأمر مع المطران مينستر

« لقد كان مينستر ، كشخصية ، ضعيفا ، لكنه كان لديه فى الوقت نفسه احساس عارم ، ومذاق قوى للاستمتاع بالحياة ، لافقط بالمتع البسيطة ، بل بالمتع النقية الخالصة ، وبأنقى المتع جميعا وهى : أن يكرمه الناس ، ويقدرونه ، ويحترمونه بوصفه رجلا جادا ، رجلا ، له شخصية ، رجل مبادىء يقف كالطود الشامخ عندما يهتز كل شىء ..

(*) « فأجاب بطرس والرسل : وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » أعمال الرسل ، الاصحاح الخامس : ٢٩ .

ولقد كان يمتلك قدرات عقلية عظيمة فهو متحدث لامثيل له ، وهو ذكي حاذق على نحو بارز ٠

هذه الصفات مجتمعة هي المطران مينستر ، وهذه الصفات مجتمعة أيضا هي التي أحدثت ـ من وجهة نظر مسيحية ـ خلطا واضطرابا لجيل بأسره ! ٠ لأن ضعف شخصيته لم يظهـــر الى النور قط ، بل كان يغطيه ذكاؤه وحذفه ، ولم ير أحد قط استمتاعه بالحياة ، وانما كان ينظر اليه على انه حرية ورعة للروح ، وذلك نقاء جديد ! ، في مقابل قلق التقى ٠٠

ان ما يجعل مثل هذا الحذق على هذه الدرجة من الخطـورة ( وهو مايمكن البرهنة عليه من مواعظه ) هو أنك قد لاتجد في أي جيل رجلا له مثل هـذه النظرة البوليسية المدققـة ( والمسيحية ) يستطيع أن يرى على نحو قاطع الغش والنصب ويشير اليهما ٠ فهاهنا نظرية خالصة لكنهـا خداعة لدرجة أنك لاتستطيع أن تعثر في أي مكان وبأية طريقة على نقطة واحدة لم تغير فيها هذه الحذاقة من العنصر المسيحي ٠

وعلى هذا النحو كان عليه أن يقول كلمات وعظات هامة جلبت الخلط والاضطراب الى المسيحية ٠ لكن في الجانب الآخر للمتحدث أعني حياته كان حذقه البارز أيضا عونا له ٠ وفيما بين ساعات الصمت والهدوء حيث يقف واعظا في الكنيسة ، وبين حياته الشخصية يوجد صدع عميق ، لكنه كان يعرف ببراعته الفائقة كيف يحول ـ موضوعيا ـ دون أن يلتقيا ، وكيف يبقى باستمرار على وجود مســـافة بينه وبين كل شيء ، وكل موقف أو حادث يمكن أن يكشف عن حقيقة وضعه كرجل جاد وبين الشخصية العالية التي ترفعها « الساعات الهادئة » في الكنيسة ، ساعات الوعظ وتجعل كل انسان يحترمه ٠

هكذا كان المطران مينستر دون مواربة ودون أن اخفي شيئا ، وانني لأعترف انني فتنت به بعض الوقت ـ للاسف ! فتلك هي طبيعتنا البشرية ـ لكن من ناحية أخرى كان حكمي عليه منذ الدقيقة الأولى هو نفسه حكمي عليه الآن ٠٠٠

The Journals : The Last Years P. 325.

* * *

« ليس لديك فكرة عن النبات المسموم الذى كانه مينستر ! ليس لديك فكرة عن الفساد الذى نشره حوله ، لقد كان صنما ، وكان يحتاج لتحطيمه الى قوة عظيمة ، وكان يمكن للصراع أن يكون مميتا ـ وتلك كانت الحال مع الكلب الذى انتصر على الخنزير البرى ! » ٠

## الشخصى والرسمى

١٧ مايو ١٨٥٥

« تعتمد المسيحية على تلك النظرة الى الوجود الانسانى التى تقول ان أى خلاص يتوقف على أن تكون لك شخصية أو أن تصبح شخصية ٠ وبالتالى فكل من أراد أن يعلم الناس المسيحية : ممنوع عليه بكل الطرق أن يهرب الى الموضوعية ، أو أن يخفى شخصيته ٠ لكن كل مايقـوله وكل مايعمله لابد أن يؤكد شفافيته الشخصية الخالصة أعنى : أن تكون حياته هى تعاليمه ٠٠

Last Years, P. 343.

* * *

« القساوسة هم من اكله لحوم البشر ، والحق انهم من ذلك الصنف الكريه ! »

* * *

« القساوسة ممثلون هزليون ، بل هم الأكثر احتقارا من الممثلين الهزليين ، انهم لصوص يسرقون رأس المال المقدس ، انهم لصوص يسرقون الشهداء ، انهم يأكلون جثث الشهداء ٠٠ القساوسة هم اكثر الناس فساءا ٠٠ ! » ٠

* * *

« أنا لاأريد الا الأمانة ٠٠ وحيثما تكون الأمانة : أكون ! »

* * *

## مسيحية العالم المسيحي

٢ يوليو ١٨٥٥

على هذا النحو يربى الطفل فى العالم المسيحى : انه يخرج فى هدوء تام الى العالم حيث يقال له : هناك فى السماء اله قادر على كل شىء ، فلو صادفتك متاعب فى هذه الدنيا أو أمور سيئة ، فما عليك الا أن تصلى له ، وسوف تجد أنه يعينك عليها ·

والحق أن القول بأن هـذه هى المسيحية ليس سـوى كذب ممقوت · كلا ! ان المسيحية هى تلك التى تقول : يوجد فى السماء اله حب قادر على كل شىء ، يحب ويريد أن يحب وهو لهذا الغرض يريدك أن تموت ، فهو عدوك اللدود ، انه يكره كل ماتحبه حبا مباشرا · ان عليك ، ان استطعت وان كنت ذكيا ، أن تحدثه عما تريد وعما تخافه لأنه يجب فقط أن يساعدك ـ على أن تموت !

ومع ذلك فمن الواضح أن الانحراف الذى طرأ على المسيحية كان من الطراز الأول اذ كان لابد للمعيشة الكاذبة ، معيشة آلاف من الافراد والعائلات ـ ان تزدهر ·

هكذا يربى الطفل فى العالم المسيحى فيقال له : « أبوك وأمك شخصان يحبهما الله ويرضى عنهما ، غير أن حكاية مولدك بصفة خاصة بوصفها انجازا لهما هى شىء يرضى عنه الله تماما » ·

كذب ممقوت !

« ان هذا الانجاز هو جريمة من وجهة النظر المسيحية ، انه جريمة فى عين الله ، وتزداد حقارة الجريمة لأن من ارتكبوها ، ومن يهمهم الأمر، لايعانون منها ، وانما الذى يعانى منها هو شخص برىء ، قذف به ، عن طريق الميلاد ، بين زمرة المجرمين القائمين فى صميم الوجود البشرى ·

ومع ذلك فان من الواضح أن الانحراف الذى طرأ على المسيحية لابد أن يكون انحرفا من الطراز الأول !

Last Years P. 346.

* * *

٢ يوليو ١٨٥٥

أن تكون مسيحيا هو أكثر ألوان العذاب رعبا ، انه يعنى ، ولابد أن يعنى ، أن يكون لك جحيمك هنا على الأرض !

ماالذى يرتعد منه الأنسان ٠٠ ؟ بالتأكيد هو الموت ، وقبل أى شىء أخر هو : سكرات الموت التى يتمنى أن تكون قصيرة بقدر المستطاع !

لكن « أن تكون مسيحيا » يعنى أن تكون فى حالة موت : فلا تكترث بالعالم وأن تكره نفسك ، وأن تعيش أربعين سنة على هذه الحال !

وليس ذلك فحسب ، بل هناك ما هو أخطر :

ان الذين يلتفون حـــول فراش المحتضر لا يضحكون منه عـــادة ، ولا يكرهونه ، ولا يلعنونه ، ولا يشمئزون منه لانه يرقد فى الفراش يعانى ألم الموت ٠ أما أنت فسوف تعانى هذه الأمور جميعا فهى جزء من كونك مسيحيا وهى تظهر من تلقاء نفسها فهى التعبير عن المسيحية الحقـة فى هذا العالم ٠

ثم تأتى بعد ذلك الغواية ، ويأتى معها امكان العثرة فى كل لحظة ، العثرة التى لاتفهم أن هذا هو الحب الالهى ، وهذا هو حب الله الذى تعلمه المرء من طفولته ولاشىء غيره !

ومع ذلك فالله محبة ، ومحبة لانهاية لها ، لكنه لايمكن أن يحبك الا اذا كنت رجلا يموت ! ومع ذلك فهذا فضل الهى ، وفضل لامتناه : أن يتحول العذاب الأبدى الى عذاب زمانى !

لكن ويل للكذبة الخائنين ! ويل لهـــم : أولئك الذين استحوذوا فى أيديهم على مفاتيح السماء ! فوقفوا على الأبـواب دون أن يدخلـــوا هم أنفسهم ولايسمحوا لغيرهم بالدخول !

Last Ysars P. 347 - 8.

« كل الجهود تبذل لتكوين دولة مسيحية ، وأمة مسيحية ، هى مجهودات غير مسيحية ، بل هى ضد المسيحية ! لأن أى جهد من هذا القبيل لابد أن يتم على حساب التقليل والتهوين من تعريف الرجل المسيحى ، وبالتالى فهو ضد المسيحية ، وهو نتيجة لاقرار الدعوى الزائفة القائلة بأننا جميعا مسيحيون ، وأنه من السهل جدا على الانسان أن يكون مسيحيا .

المسيحية هى سيادة « واجباتنا تجاه الله » ـ فى حين أنه قد تقرر منذ أمد بعيد أنه ليس لله واجبات علينا ، وتقرر مع ذلك أننا نحن جميعا مسيحيون . والحق أن هذا بالضبط هو مايتألف منه العالم المسيحى اليوم ، لكن كل الصراعات التى ذكرها العهد الجديد سوف تغدو مستحيلة ما لم تكن لنا واجبات تجاه الله ! » .

**Last Years P. 334.**

* * *

يقول كيركجور ( اليوميات ٨٣٩ )

« ان الوحى المسيحى لايعبر فحسب عن شىء لا يقدمه الانسان لنفسه ، لكنه يعبر كذلك عن شىء لم يطرأ قط على ذهن انسان ، لافكرا ولاخيالا ، ولا ماشئت من أسماء ! » .

* * *

« قال السيد المسيح : الذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه ، وأظهر له ذاتى ( يوحنا : ١٤ : ٢١ ) غير أن ذلك يصدق على كل شىء وفى كل مكان ، فالشىء الذى يحبه المرء يظهر له نفسه ، والحقيقة تظهر نفسها لكل من يحبها .. الخ . ومن السهل أن يعتقد المرء أن المحب هو المتقبل السلبى وان المحبوب ، أو مايظهر نفسه هو الايجابى لأنه يصل اليه ، لكن الحقيقة أن المتقبل لأنه محب فان الشىء الذى يحبه يظهر له بسبب أنه هو نفسه يتحول الى شبيه بالمحبوب ، فالطريق الاساسى للفهم هو أن تصير كالمحبوب ، لأن المرء لايفهم الا بمقدار مايصبح متحدا مع الشىء الذى يحبه » .

اليوميات ترجمة درو ص ٢٧٤

يبدو أن هـذا هو الموضوع الذى تمعنت فيـه كثيرا ، لكنى هنا أيضا تملكنى الشك وترديت فى صعوبات كثيرة ، وقابلت معضلات أكثر · ويبدو لى أن المسيحية تقدم فى هذا الميدان متناقضات بلغت من الضخامة حدا عاقت معه ، على الاقل ، وجود النظرة الواضحة · ولقد نشأت فى وسط محافظ لـكنى ما أن بدأت أفـكر لنفسى حتى بـدا ذلك الصنم الضخم ( الكنيسة ) يترنح أمامى شيئا فشيئا ، وأنا أقول بقوة انه صنم ضخـم أو تمثال هائل فهو مجموعة ضخمة من العناصر تجمعت على مدى العصور واندمجت فيما بينها حتى أصبح من الصعب الاقتراب منها ··· »

اليوميات ترجمة درو ص ٨ ( اكسفورد )

* * *

« الله روح : فاذا أنت لم ترد أن يكون الله أباك ، فلن يكون اباك ، انه لايستطيع ذلك ولاهو يريده » ( عام ١٨٥١ )

* * *

« الوعظ الرسمى قد عرض الدين بطريقة مزيفة عندما ذهب الى القول بأن المسيحية ليست سواء ، عزاء وسعادة ، ··· الخ · وبالتالى كان للشك ميزة ، هى أن يكون قادرا على أن يقـول بأنفه : أنا لا أريد أن أكون سعيدا عن طريق الوهم ··

لو كانت المسيحية قد عرضت بطريقة صحيحة على أنهـا عذاب أو معاناة تزداد كلما تقدم المرء فيها : لكنا قد نزعنا سلاح الشك أو على أية حال ، لكنا قد أضعنا عليه الفرصة فى أن يكون ألما أعلى فى الوقت الذى نستطيع فيه تجنبه · »

Fontana P. 209.

* * *

« أنا أود أن أتخلص من « القسيس » حتى تزدهر المسيحية ، فمادام هناك قساوسة فسوف تكون المسيحية مستحيلة ·

واذا كان المفكر الحر الذى يكره المسيحية كراهية عمياء يفترض فى

أدب جم أن القساوسة المسيحيين يؤدون واجبهم ، فأنى أقول انهم حلفاء مع فارق واحد : ان القساوسة هم أكثر أعداء المسيحية خطرا ٠٠٠ » !

Last Years P. 365.

* * *

« وهذا هو السبب فى أن ملايين المسيحيين يعيشون فى العالم المسيحى ، لأن « القس » ينظر اليه على أنه الرجل الذى يعرض المسيحية فى أعلى صورها ، وداخل هذه الحدود يكون الفرد مسيحيا ، حتى أنه ليصبح من التجديف أنيحاول المرء أن يكون مسيحيا أفضل من القسيس !

كلا ! كل من يتخيل أنه أصبح مسيحيا داخل الحدود التى يرسمها القسيس فى عظاته بحيث يسير مع الجماهير ، ويندمج مع القطيع الذى يحدده القسيس هو رجل يغش نفسه !

لقد كان مسيحيو العصور الأولى يعتقدون أن مهمتهم بالدرجة الأولى هى القفز وراء الاسوار التى يضعها « القسيس » وتلك هى أبسط وأسهل بداية يمكن أن يبدأ منها الانسان »

Last Years P. 366.

* * *

« مهمة الرسول أن يعمل على نشر المسيحية ، وأن يضم اليها أناسا ٠٠

٠٠ فى حين أن مهمتى أن أنزع من الناس الوهم بأنهم مسيحيون ٠٠ » ٠

## رجل الدين يعظ

« كان القسيس يلقى عظاته يوم الأحد الماضى فيقول للناس : » ينبغى عليكم الا تثقوا فى هذه الدنيا ، ولاتثقوا فى الناس ، بل لا تثقوا حتى فى انفسكم ! ثقوا بالله وحده ، لأن الانسان لايستطيع أن يفعل لنفسه شيئا ٠«ولقد فهمنا جميعا كلامه ،لأن مافيها منمعانى أخلاقية ،وأخلاقية – دينية يسهلجدا فهمه ، لكنه من ناحية أخرى يصعب جدا عمله وتنفيذه ٠ ان الطفل الصغير قادر على فهمها ، والفرد البسيط العادى ، قادرا أيضا على فهمها كما قيلت بالضبط ، لكن العمل ؟ لانستطيع أن نقوم بشىء منه على الاطلاق ! ان ذلك كله يفهم يوم الأحد بخشوع ورهبة يفهم نظريا فقط ٠ لكن يوم الاثنين

يكون من الصعب للغاية أن نقول أن هذا الوعظ وتلك المعـــانى الأخلاقية كانت تتعلق بهذا الفرد الجزئى ، وبهذا الوجود العينى النسبى الذى تقع فيه حياة الفرد اليومية ، حيث يتعرض الرجل القوى لغواية النسيـــان : نسيان التواضع ! كما يتعرض الرجل المتواضع لغواية الخلط بين تواضعه أمام الله ومراعاة الاحترام لمن هـم أعلى منه · وعندمـــا يجأر القسيس بالشكوى من أن الناس لايعملون بنصائحه ، فاننا نستطيع كذلك أن نفهم مايقول · غير أن هذا الفهم يصبح بالغ الصعوبة فى اليوم التالى حتى أن الشخص المعنى يشارك هو نفسه فى الأثم فى هذه الحـــالة الجزئية · عندئذ يضيف القسيس « تلك حقيقة ينبغى عليكم باستمرار تذكرهـــا » · ونحن جميعـا نفهم ذلك لأن الكلمات الفخمـــة التى تقـول : « **كل شىء** » يسهل **باستمرار** فهمها ، لكن الشىء البالغ الصعوبة هو أن تفعلها ، هو أن تفعل فى العالم شيئا بصفة مستمرة ··· وفى كلام القسيس اشارة الى شىء يوجه الانتباه على نحو غير مباشر الى هذه الصعوبة ، بل أن هناك بعض الأمور قد وضعت بطريقة تشير الى أنه هو نفسه يصعب عليه تنفيذها باستمرار ، أو أنه قد فعلها قط من قبل !

اليوم هـو يوم الاثنين ولدى الجاسوس(*) فسحة من الوقت ليخرج ويتصل بالناس بأولئك الذين كان القسيس يعظهم ويلتقى بواحد منهـم ويدور نقاش يوجهه الجاسوس الى النقطة التى يريدها ويقول : « هذا كله صحيح تماما · لكن لايزال هناك شىء لاتستطيع أن تعمله ، فأنت لاتستطيع أن تبنى قصرا بأربعة أجنحة ، وطوابق من الرخام » ···· ويجيب الآخر : « كلا ! أنت على حق تماما فى ذلك · وكيف يكون فى استطاعتى أن أفعل ذلك ودخلى يسد بالكاد حاجاتى الضرورية وربما استطعت أن أقتصد منه قدرا ضئيلا كل عام لكنى بالقطع لاأملك المال الذى يمكننى من اقامه قصر ، ثم اننى الى جانب ذلك لاأفهم شيئا فى مهنة البناء » · ويتضح من ذلك أن هذا الرجل لايملك القوة فيتركه الجاسوس لغيره ·

يلتقى بعد ذلك بشخص عظيم الأهميـة فيتملق غروره وكبرياءه ثم

(*) هو الشخص الذى يرسله يوحنا كليماكوس ليرى التدين الزائف عند الناس وعند رجل الدين فى آن معا !

يتحول النقاش الى مسألة بناء القصر : « لكن قصرا ذا أربعة أجنحة وطوابق من الرخام سوف يكون باهظ التكاليف بالنسبة لك ؟ » فيجيبه الآخر : » ماذا تقول ؟ ! يبدو أنك نسيت أننى بالفعل أسكن فى مثل هذا القصر الذى وصفته تماما ! « • هذا شخص ، اذن لديه القدرة والقوة فيتركه الجاسوس وهو يبعث بأحر التهانى لهذا الرجل القوى ! ثم يلتقى الجاسوس بعد ذلك بشخص ثالث ويدير معه الحوار حول نفس موضوع القصر كما حدث مع الشخصين السابقين ، فيقول الرجل هذه الملاحظات : « أجل » ، ان المصير المخصص لهذا البشر غريب حقا ! فقدراتهم وامكاناتهم تختلف على نحو متزايد : فهذا قادر على أن يفعل الكثير والآخر لايستطيع أن يفعل الا أقل القليل • ومع ذلك فكل موجود بشرى كان يصبح قادرا على أن ينجز شيئا مالو أنه تعلم من التجربة والمعرفة المتاحة للعالم أن يلزم مجاله وحدوده »(**) •••

« حاشية ختامية غير علمية » ص ٤١٧ ـ ٤١٩ •

* * *

لقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها ، فكما أنها تقوم برصف الطرق واقامة الجسور ، وتنظيم مياه المجارى ••• الخ فانها فى الوقت نفسه أقامت مؤسسة مهمتها سعادة العالم الآخر بأبخس الأثمان •• ! » •

* * *

« الراعى البروتستانتى فى زماننا لا سيما فى الدانيمارك هو واعظ خصوصى تدفع له ليخطب بحماس متدفق ويقول ، تقريبا ، كل مايخطر على باله ! »

Last Years P. 254.

* * *

---

(**) معنى ذلك ان الناس جميعا يتجهون الى الدنيا خلافا لما كانوا يستمعون اليه فى الكنيسة !

# القسم الرابع

## أسلوب كيركجور

النصوص فى هذا القسم مأخوذة كلها من المجلد الأول من كتابه الشهير « اما ... أو » ص ١٩ حتى ص ٤٠ من الترجمة الانجليزية بقلم ديفيد سوينسن وهى تتألف من مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة وتنتهى بمحاضرة فى النشوة والوجد » – وهى بصفة عامة تمثل على نحو جميل ورائع أسلوب كيركجور الذى يسوده العاطفة الجياشة والانفعالات والسخرية والتهكم فى كثير من الأحيان حتى ليسخر من نفسه ، ومن حياته، ومن تركيبه البدنى الشائه !

## حـــكم وأقوال مأثورة

يقول كيركجور نفسه فى « الحاشية » : « ان أول فقرة فى هذه الأقوال المأثورة تضع شرحا فى الوجود ، فى صورة عذاب الشاعر ..»(١) . والحق أن كيركجور في هذه الفقرة يصف دوره كشاعر بل يصف انتاجه الأدبى كله ، وهو يريد أن يقول ان مؤلفاته ليست سوى ألحان عذبة يعبر فيها عن آلامه وأحزانه ويعتصر فيها نفسه ليقدمها الى الناس الذين يتلذذون بهذه الآلام(٢) . وهو لهذا يبدأ فيتساءل عن تعريف للشاعر :

[ ١ ] « من هو الشاعر . ؟ ! انه انسان شقي تعس ، يخفى في صدره عذابا عميقا ، ولكن شفتيه خلقتا على نحو يجعل الأنات والآهات تتحول الى موسيقى ساحرة عذبة ان حظه هو حظ أولئك الضحايا الأشقياء الذين تعذبهم نار هادئة داخل تمثال الثور النحـــاسى الذى أعده الطـــاغية : فلاريس .... Phalaris »(٣) . لكن صرخاتهم لا تبلغ آذان الطاغية لتبث الذعر فى قلبه وانما تصل الى اذنيه لترن رنين الموسيقى العذبة ..

« ويلتفت الناس حول الشاعر وهم يقولون : « غن لنا مرة أخرى !

---

(١) S. Kierkegaard : Concluding, P. 226.

(٢) كان كيركجور يعتقد أن مؤلفاته كلها ليست سوى حـــوار مع النفس أو « مونولوج » داخلى طويل ـ يقول مثلا :

« اننى على نقيض غيـــرى من الوعاظ ، فبينما هـم يرهقون أنفسهم بمخاطبة الآخرين فانى لا أتحدث الا الى نفسى وحدها .. ! » انظر

S. Kierkegaard: The Journals Eng. Trans. by A. Dru Oxford University 1959.

(٣) تروى الأساطير أن فلاريس .. Phalaris طاغيـــة أجريجنتم Agrigentum كان يشـــوى المساجين فى مملكته بأن يضعهم داخـل ثور نحاسى ضخم ويوقد تحته نارا هادئة ، ثم توضع قصبتان تشبهان المزمار فى منخار الثور بطريقة فنية بارعة بحيث تتحول أنات المساجين وصرخاتهم حين تصل الى أذنيه الى نغمات وألحان موسيقية عذبة .

« وكأنهم يقولـــون له » تعذب من جديد ! ، مزق نفسك ! ، ولتزدد نفسك آلاما ، اجعل شفتيك تصوغ العذاب مرة أخرى على نحو مافعلت من قبل ، ان الانات والاهات تؤلمنا أما الموسيقى فهى ، وحدها ، التى تبهجنا ·· » · ثم يأتى النقاد سراعا ليقولوا : « ان هذا العذاب هو ماينبغى أن يحدث تماما طبقا لمبــادىء علم الجمال ·· ! » ـ « صدقنى اننى أفضل أن أكون راعى خنازير تفهمـــه الخنـــازير ، عن أن أكون شـــاعرا لا يفهمـــه الناس ·· ! »(٤) ·

وهو فى فقرة تالية لايطيق الناس جميعا لأنه لا أمل فيهـــم ويفضل الصغار فما زال يحدوه الرجاء بالنسبة لهم : ـ

[ ٢ ] « أنا أفضل أن أتحدث الى الأطفال ، اذ لايزال من الممكن أن يأمل المرء أن يصبحوا موجودات عاقلــة ، أمـــا أولئك الذين أصبحـــوا كذلك بالفعل ···· ـ ياالهى !(٥) ·

وأيضا :

[ ٣ ] « ما أسخف البشر ! انهم لم يستخدموا قط الحريات التى لديهم، ومع ذلك يطالبون بالحريات التى ليست عندهم : لديهـــم حرية التفكير ، لكنهم يطالبون بحرية الكلام ! » ·

ثم يسخر من الحياة ككل :

[ ٤ ] السن المتقدمة تحقق أحــلام الشباب ! انظر الى دين سويفت Dean Swift ،(٦)فى شبابه بنى مستشفى للأمراض العقلية ، وعندما

---

(٤) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 19.

(٥) ذكر سارتر عبارات مماثلة ـ قارن عدد خاص من « عالم الفكر » الذى صدر عن سارتر ·

(٦) دين سويفت ( ١٦٦٧ ـ ١٧٤٥ ) أديب انجليزى يعد أعظم كاتب ساخر فى الأدب الانجليزى فى النصف الأول من القرن الثامن عشر · ولد بأيرلندا لكنه قضى معظم حياته فى انجلترا حيث احتل مكانا مرموقا فى عالم الأدب والسياسة ، كان من رجال الكنيسة ، غير أنه كانت له أكثر من صلة غراميــة وعاطفية أشهرها مع تلميــذته « ستيلا » التى خلـــدها فى مؤلفه : « مذكرات الى استيلا » أشهر أعماله : رحلات جلفر « عام ١٧٢٦ ، أصيب بالجنون فى نهاية حياته ودخل المستشفى الذى بناه فى شبابه !

تقدمت به السن أصبح أحد نزلائها ··· ! »(٧) ·

وأيضا :

[ ٥ ] « هناك مناسبات معينة تجعل المرء يشعر بتعاسة لاتنتهى : كان يرى موجودا بشريا وحيدا تماما فى العالم ، على نحو مارأيت منذ أيام : فتاة فقيرة تسير وحدها فى طريقها الى الكنيسة لتثبيت العماد ! »

وهو يعتقد أن اللذة لايمكن أن تنفصل عن الألم ، وهذا ماسوف يجعل رجل الحواس يشعر فى النهاية بالمرارة والألم :

[ ٦ ] « هناك حشرات معروفةجيدا تموت فى نفس اللحظة التى تمارس فيها الجنس والتناسل · وتلك هى الحال مع كل فرح ومع كل متعة · ان اللحظة القصوى المفعمة بالمتعة مقرونة دائمــــا بالموت » · وهو مع ذلك ، يعترف بفضل الألم :

[ ٧ ] « أنا أقول عن ألمى مايقوله الرجل الانجليزى عن بيته : ان ألمى هو قلعتى : وكثير من الناس يعتبرون الألم من أفضل نعم الحياة ··»(٨) ·

ويحس أن جميع الطرق مسدودة أمامه :

[ ٨ ] « اننى أشعر بشعور لاعب الشطرنج عندما يصيح به الخصم : قف ! هذه القطعة لايمكن أن تتحرك ! »(٩) ·

ويرد ذلك الى سوء حظه الذى لايستطيع التغلب عليه :

[ ٩ ] « وأسفاه ! ان أبواب الحظ لاتفتح إلى الداخل ! ولذا فان المرء لايستطيع أن يجبرها على أن تنفتح اذا مادفعها بغضب ، لكنها تفتح الى الخارج ، ومن ثم فليس فى استطاعة المرء أن يفعل شيئا ··· ! » ·

---

(٧) ذكره أيضا فى اليوميات ·

(٨) كتب كيركجور هذه التدوينة فى يومياته أيضا يوم ١٢ فبراير عام ١٨٣٩ أنظر اليوميات ص ٦٢ من طبعة فونتانا ·

(٩) ذكر كيركجور هذه التدوينة نفسها فى يومياته بتاريخ ٢١ مايو ١٨٣٩ قارن ص ٦٣ من طبعة فونتانا ·

ويعبر عن طبيعته السلبية التى تهدم ولاتبنى : ـ

[ ١٠ ] « فى اعتقادى أن لـدى الشجاعة التى تجعلنى أشك فى كل شىء ، وفى اعتقادى أن لـدى الشجاعة التى تجعلنى أدخـل فى نزال مع أى شخص ، لكنى لاأملك الشجاعة التى تمكننى من أن « أعرف شيئـا » ، ولا الشجاعة التى تجعلنى أملك شيئا ٠٠ ! ٠

ويقول ، وكأنه يتذكر الأيام الأولى التى التقى فيها بريجينا أولسن :

[ ١١ ] « ليست هناك فترة فى عمر المرء أجمـل ولا أروع من الأيـام الأولى للحب حيث يجد المرء فى كل لقاء ، وفى كل نظرة ، شيئـا جديدا يسترجعه فى المنزل ويستمتع به ٠٠٠ » ٠

لكنه يستدرك بسرعة عائدا الى طبيعته السوداوية المتشائمة :

[ ١٢ ] « نظرتى الى الحياة لا معنى لها على الأطلاق ! ويبدو لى أن هناك روحا شريرة وضعت فوق أنفى منظارا احدى عدساته تكبر الأشياء على نحو مخيف ، والأخرى تصغر الأشياء بنفس الدرجة ٠٠ » ٠

وأيضا :

[ ١٣ ] « أصبحت الحياة بالنسبة لى اكثر مرارة عن ذى قبل ، لكنى مع ذلك ينبغى على أن أتجرعها كالدواء ببطء ونقطة نقطة ٠٠ ! » ٠

ويقول أيضا :

[ ١٤ ] « لا أحد يعود بعد الموت ٠ ولا أحد يدخل الدنيا بدون بكاء ٠ ولا أحد يسأل : متى تريد أن تدخل الى الحياة ، ولا أحد يسأل : متى ترغب فى الرحيل عنها ! » ٠

[ ١٥ ] « الزمان ينساب ، والحياة حلم ، والناس يقولون وهلم جرا ٠ لكنى لا الحظ شيئا من ذلك ، فالزمان ساكن ، وأنا معه ٠٠ » !

ويروى لنا كيف يمضى يومه :

[ ١٦ ] « عنـدما أستيقظ كل صباح أتجه فورا الى فراشى لأنام من

جديد ! لكن شعورى يكون أفضل فى المساء عندما ماأطفىء النور وأجذب اللحاف على رأسى ! عندئذ أجلس منتصبا فى فراشى من جديد ، وأنظر الى الغرفة برضا يفوق الوصف : وطابت ليلتك من تحت اللحاف ! »(١٠)٠

وأيضا :

[ ١٧ ] « أنا أقســـم وقتى كما يلى : نصف الوقت للنوم ، والنصف الآخر أحلم فيه ! اننى لا أحلم أبدا عندمـــا أنام اذ لابد أن يكون ذلك أمرا يرثى له ٠٠ ! »(١١) ٠

[ ١٨ ] « وعلى ذلك فلست سيدا لحياتى ، فأنا لست سوى خيط واحد فحسب بين خيوط كثيرة ينبغى أن تغزل داخل نسيج الحياة ! حسن جدا : حتى اذا لم يكن فى استطاعتى أن أغزل ، ففى استطـــاعتى على الأقل أن أقطع الخيط ٠٠ ! »(١٢) ٠

والنتيجة :

[ ١٩ ] « ما الذى أصلح له ؟ لاأصلح لشىء ، أو أنا أصلح لكل شىء ! تلك موهبة نادرة ، وانى لأتسائل هل سيقدرها العالم ٠٠ ؟ ! »(١٣) ٠

[ ٢٠ ] « ينبغى على المرء أن يكون غامضـــا ، لا بالنسبة للآخـــرين فحسب ، بل بالنسبة الى نفسه أيضا ! »(١٤) ٠

[ ٢١ ] « فرجيل Virgil الساحر(١٥) ، لكى يجدد شبابه ، قطع نفسه أشلاء ، ووضعها فى قدر يغلى لمدة أسبوع ، ثم استأجر رجلا يراقب القدر حتى لا يختلس متطفل النظر الى المرجل ٠ لكن المـــراقب لم يستطع مقاومة الاغراء ، وكان ذلك بعد فوات الأوان ، فقد اختفى « فرجيل » وهو

---

(١٠) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 25.

(١١) Ibid, P. 27.

(١٢) Ibid P. 30 - 31.

(١٣) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 26.

(١٤) Ibid, P. 26.

(١٥) طوال العصور الوسطى كان ينظر الى الشـــاعر الرومانى فرجيل Virgil على أنه ساحر ومشعوذ !

يصرخ كالطفل الصغير · وأنا بالمثل اختلست النظر الى القدر مبكرا جدا ، قدر الحياة وتطورها التاريخى ، ومن المرجح ألا أكون قادرا أن أصبح شيئا أكثر من طفل ··· ! »(١٦) ·

[ ٢٢ ] « دع الآخــرين يشكون من أن هــذا العصر هو عصر شرور وآثام · أما أنا فأشكو من أنه عصر تعس لأنه بلا عاطفة أفكار الناس فيه رقيقة هشة كالنسيج الهش ، والناس أنفسهم يرثى لهم : أفكارهم أتفه كثيرا من أن تكون شريرة أو اثمة ·· ! »(١٧) ·

[ ٢٣ ] روحى مثقلة حتى أن الفكر لم يعد قادرا على مقاومتها · كما لاتستطيع أية خفقة من جناح أن تساعدها على النهوض فى الهواء · ولو أنها تحركت فلكى تنزلق الى الأرض كسرب منخفض من الطيور يشعر بدنو عاصفة رعديــة : فوق صدرى يعشعش الهــــم والقلق الذى ينبىء بقدوم زلزال ·· ! »(١٨) ·

[ ٢٤ ] « حدث أن اندلعت النيران فى أحد المسارح وظهر المهرج ليحذر الناس فظنوا أنها دعابة وصفقوا له ! فأعاد تحذيره لكنهم صاحوا فيه ! وأنا بالمثل أعتقد أن العالم سوف يصل الى نهايته وسط تصفيق عام من جميع المفكرين الذين يعتقدون أنها مجرد نكتة أو دعابة ! »(١٩) ·

[ ٢٥ ] « أفضل برهان على بؤس الوجود ، هو البرهان المستمد من تأمل أمجاده ·· ! »(٢٠) ·

[ ٢٦ ] « ياله من مصير بائس ! عبثا تحاول أن تعيد رسم تجاعيد وجهك كالبغى العجوز ! عبثا تحاول أن تقرع أجراسك الحمقى ! أنك ترهقنى ! دائما نفس الشيء : لا اختلاف ، دائما خمر قديم فى زقاق جديدة ! تعال ،

---

(١٦) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 76.
(١٧) S. K. "Either..or", Vol. 1, P. 27.
(١٨) Ibid, P. 28.
(١٩) Ibid, P. 30.
(٢٠) Ibid, P. 28.

نم ومت ! لا تعد بشىء وسوف يكون لديك كل شىء ! »(٢١) ٠

وخلف السخرية يلمع بريق ملكة نقدية لاذعة يقول عن الفلسفة :

[ ٢٧ ] مايقوله الفلاسفة عن الواقع Reality مخيب للرجاء تماما كاللافتة التى تراها على نافذة محل تقول : « هنا كواء » ٠ ولكنك عندما تحمل ملابسك وتذهب لكيها تجد أنك أحمق : لأن اللافتة لم تكن سوى لافتة معدة للبيع فحسب ! »(٢٢) ٠

ويقول عن حبه للعزلة والانطواء :

[ ٢٨ ] ليس لى الا صديق واحد فحسب ذلك هو الصدى ٠٠ Echo ولم كان الصدى صديقى ؟ لأنى أحب آلامى وهو لايسلبنى اياها ٠ وليس لى سوى شخص واحد أودعه سرى : ذلك هو صمت الليل ! ولم كان مستودع سرى ٠٠ ؟ ! لأنه يصمت ٠٠ ! »(٢٣) ٠

٢٩ ــ « الكفاح الاجتماعى وما يحض عليه من تعاطف جميل ينتشر رويدا رويدا : ففى مدينة ليبزج ٠٠ Leipzig تشكلت جمعية أخذ أعضاؤها على أنفسهم أوثق العهود ألا يتعاطفوا مع الخيل المتقدمة فى السن وأن يأكلوا لحمها ٠٠ ! »(٢٤) ٠

٣٠ ــ « تقول الأسطورة ان بارمينسكوس ٠٠٠ Parmeniscus فقد القدرة على الضحك حين كان فى كهف ترفوينوس ٠٠ Trophonius لكنه استردها فى جزيرة « ديلوس ٠٠ Delos » عندما رأى كتلة من الصخر بغير شكل معروضة على أنها صورة للالهة ليتو ٠٠ Leto وهذا ــ ما حدث لى ، فعندما كنت صغيرا نسيت فى كهف « ترفونيوس ٠٠ » كيف أضحك ٠ وعندما كبرت فتحت عينى وأدركت الواقع عندئذ بدأت أضحك ٠ ومنذ ذلك التاريخ لم أتوقف عن الضحك ! فقد عرفت أن معنى الحياة هو أن تؤمن من معيشتك ، وأن هدف الحياة : أن يبلغ المرء منصبا

---

(٢١) S. K. "Either..or", Vol. 1, P. 99.
(٢٢) Ibid, P. 31.
(٢٣) Ibid, P. 33.
(٢٤) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 33.

رفيعا ، وأن الحب هو أن تحلم بالزواج من وريثة ، وأن الصداقة هى المساعدة فى المتاعب المالية ، وان الحكمة هى ما تقره الأغلبية • وأن الحماسة هىتدبيج خطبة • وأن الشجاعة هى أن تخاطر فتفقد عشرة دولارات ، وأن الرقة هى أن تقول على مائدة الطعام : « أهلا ومرحبـــا ! » ، وأن التقوى هى أن تذهب مرة كل عام للتنـــاول من العشـــــاء الربانى ! عرفت ذلك كلــه ، وضحكت •• »(٢٥) •

٣١ ـ حياتى لامعنى لها على الاطلاق ، عندما أستعرض مراحلهـا المختلفة أجد أنها تشبه كلمة •• Schnur فى القاموس ، فهى تعنى أولا خيط وتعنى ثانيا زوجة الابن ( الكنة ) ، والشيء الوحيد الذى ينقصها هو أن تعنى ثالثا جمل ، ورابعا منفضة للنفايات ! »(٢٦) •

٣٢ ـ « حياتى تشبه الليل الأبدى ! عنـدما أموت فى النهاية سوف يكون فى استطاعتى أن أقــول مع أخيل •• Achilles : « لقـــد أنجزت دورك وكنت لى الحارس الليلى ! »(٢٧) •

٣٣ ـ « ربما كان استطـــاعتى أن أصل الى معرفة الحقيقة ، أمـا السعادة فاننى يقينا لن أبلغها ، فماذا أفعل ؟ ! يقول النــاس : عليك أن تنجز شيئا فى العالم ، أينبغى على ، اذن ، أن أنشر حزنى فى العالم ، وأن أسهم فى تقديم برهان جديد على بؤس الوجود وشقائه وأن اكتشف عيبا فى الحياة البشرية لم يلحظه أحد حتى الآن •• ؟ ! ربمـــا ظفرت فى هذه الحالة بمكافأة نادرة هى أن تصبح شهيرا كالرجل الذى اكتشف بقعا على سطـــح المشتـــرى •• Jupiter ، لكنى ، مع ذلك أفضـــل أن أظـــل صامتا •• ! »(٢٨) ••

٣٤ ـ « الحياة فارغة ولامعنى لها ، نحن نذهب لندفن رجلا ، نتبعه الى القبر ، ثم نهيل عليه ثلاث حفنات من التراب ، نركب عربة الى المدفن ،

---

(٢٥) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 33.
(٢٦) Ibid, P. 35.
(٢٧) Ibid.
(٢٨) "Eiteh..or", Vol. 1, P. 34.

ونركب عربة أخرى نعود بها الى البيت • ويكون عزاءنا الظن أن أمامنا حياة طويلة ؟ ! وكم تطول حياة تبلغ سبعين عاما •• ؟ ! لم لاننهيها نحن فى الحال ؟ ! لم لانبق ونخيطو معه الى القبر ، ثم نجرى قرعة لنرى من ذا الذى سيتصادف ويكون أتعس موجود بحيث يكون هو الذى يهيل آخر ثلاث حفنات من التراب على آخر ميت •• ؟ ! »(٢٩) •

٣٥ ـ « ليس هناك شيء أكثر خطورة على من الذكرى ! اللحظة التى أتذكر فيها بعض العلاقات هى اللحظة التى أتوقف فيها عن الوجود • ويقول الناس ان الفراق يحيي الحب • وهذا حق • لكنه يحييه بطريقة شاعرية تماما ، والحياة التى تعيش برمتها فى الذكرى هى التى يمكن تصورها على أكمل وجه ، فالذكرى تشبع على نحو أكثر ثراء من الواقع ، وتمتلك من الأمان ما لايمتلكه أى واقع • ان الحياة التى نتذكرها قد انتقلت بالفعل الى الأبدية ولم يعد لها علاقة بما هو زمانى •• »(٣٠) •

٣٦ ـ « سوف يكون المرء بالغ السذاجة لو ظن أنه يستطيع أن يغير قدره لو أنه أخذ يصيح ويصرخ فى العالم ، من الأفضل أن يتقبل الاشياء كما تقع ودون أن يحدث ضجة • »(٣١) •

ويتهكم كيركجور من نفسه ولاسيما تكوينه الجسمى الشائه : ـ

٣٧ ـ « عدم التناسب فى تكوينى الجسمى يرجع الى أن قوائمى الأمامية قصيرة أكثر ممايتبغى ، فأنا مثل حيوان الكنجارو •• **Kangaroo** يتكون جسمى من قوائم أمامية قصيرة جدا ، وأرجل خلفية طويلة جدا • وعندما أجلس أكون عادة فى سكون تام • لكنى اذا تحركت ترتب على ذلك أن أقفز قفزة كبيرة تثير ذعر جميع أولئك الذين أرتبط معهم بروابط القربى أو الصداقة ! »(٣٢) •

وتنتهى هذه الأقوال المأثورة بمحاضرة يسميها كيركجور « اما •• أو محاضرة فى النشوة Either..or: An ecstatic Lecture يعرض فيها

---

(٢٩) Ibid, P. 28 - 29.

(٣٠) S. K. "Either..or", Vol 1, P. 31 - 32.

(٣١) Ibid, P. 32.

(٣٢) S. K, Either..or Vol. 1, P. 35.

مجموعة من البدائل لكى يختار القارىء من بينها مايروقه وليس فيهـا فى الحقيقة أى لون من الاختيار ، ولعل وجود البدائل ، وكـذلك عنوانهـا « أما ٠٠ أو » هو الذى جعل هيس ٠٠ Heiss يقول عن هذه المحاضرة انها تمثل اللحن الاساسى الذى يتردد طوال الكتاب(٣٣) ٠

ويبدأ كيركجور هذه المحاضرة بما يمكن أن نسميه بعمومية الاسف أو الندم الذى يسوقه عن الزواج ، والمرأة ، وما فى العالم بصفة عامة ٠ « لو أنك تزوجت فسوف تندم ، واذا لم تتزوج فسوف تندم أيضـا ٠ فاذا تزوجت أو لم تتزوج فسوف تندم فى الحـالتين ٠ وسواء تزوجت أم لم تتزوج فسوف تندم فى الحالتين ٠٠ »(٣٤) ٠

وتتكرر نفس النغمة بالنسبة للعالم أيضا :

« أضحك من حماقات وسخافات العالم وسوف تندم ، ابك عليهـا وسوف تندم أيضا فاذا ماضحكت أو بكيت على سخافات العالم وحماقاته فسوف تندم فى الحالتين ٠٠ ! »(٣٥) ٠

وكذلك بالنسبة للمرأة :

ثق فى المرأة وسوف تندم ، لاتثق فيها وسوف تندم أيضا ، وسواء عليك وثقت فى المرأة أم لم تثق فيها فسوف تندم فى الحالتين ! »(٣٦) ٠

« اشنق نفسك وسوف تندم ، لا تشنق نفسك وسوف تندم أيضـا ، سواء شنقت نفسك أم لا فسوف تندم فى الحالتين ! »(٣٧) ٠

ثم يقول كيركجور معلقا هذا الندم « الكلى » : « أيها السادة : هذا

---

(٣٣) R. Heiss op cit., P. 235.

(٣٤) س ٠ كيركجور « اما ٠٠ أو » مجلد ١ ص ٣٧ وهو يروى فى هامش النسخة الاصلية أن ديوجنس اللايرتى كان ينسب الى سقراط عبارة مماثلة عن الزواج !

(٣٥) S. K. Either..or Vol. 1, P. 37.

(٣٦) Ibid.

(٣٧) Ibid, P. 38.

هو جوهر وملخص كل فلسفة ! ٠ »(٣٨) وعلى الرغم من أن هذه المحاضرة خاصة « بالنشوة » فانها تتضمن سخرية واضحة من الفلسفة الهيجلية ٠ فهو يقول ساخرا من الهيجلية :« ان فلسفتى على أقل تقدير يسهل فهمها فليس لها سوى مبدأ واحد ، وحتى هذا المبدأ الواحد فأنا لا أنطلق منه لأننى لو فعلت فسوف أندم ، واذا لم أفعل فسوف أندم أيضـــا ، ولو بدا لأحـد من مستمعى الكرام أننى فعلت شيئا من ذلك ، فان هذا لايبرهن الا على شىء واحد هو أن هذا المستمع ليست له موهبة فلسفية ، ولو بدا فى حجتى أى لون من ألوان التقدم فان ذلك يبرهن على الشىء نفسه ! ٠ أما أولئك الذين فى استطاعتهم متابعتى رغم أننى لا أقوم بأى تقدم ، فاننى سوف اكشف لهم الآن عن الحقيقة الأبدية التى بفضلها تظل هذه الفلسفة داخل ذاتها دون أن تسمح بأية فلسفة أعلى ، لأننى اذا ماتقدمت من المبـــدأ الذى أومن به فسوف أجد أنـــه من المستحيل على أن أتوقف ، لأننى اذا ماتوقفت فينبغى على أن أندم ، واذا لم أتوقف فينبغى أن أندم كذلك ! لكن اذا لم أبدأ أصلا فاننى لن أتوقف أبدا لأن انطلاقى الأبدى متحد فى هوية وحدة مع توقفى الأبدى : ولقد أوضحت التجربة أنه ليس من الصعب على الفلسفة اطلاقا ، أن تبدأ ، بل على العكس تماما انها تبدأ من العدم وبالتـــالى تستطيع أن تبدأ باستمرار لـكن المشكلة عنـد الفلسفة ، وعنـد الفلاسفة معا ، هى أن تتوقف ، ولقد تجنبت هذه المشكلة فى فلسفتى اذ لو ظن ظان أننى عندمـا أتوقف الآن فاننى أتوقف حقيقة فـــان ذلك يبرهن على أنه تعوزه البصيرة النظرية ، لاننى لم أتوقف الآن وانما توقفت عندما بدأت ٠ وهذا يعنى أن فلسفتى تتمتع بميزة خاصة هى الايجـاز ، كذلك من المستحيل تنفيدها ، اذ لو ناقضنى أحد فسوف يكون لى الحق ، بغير شك ، أن أقـــول عنه أنـه مجنون ٠ وهكذا نجد أن الفيلسوف لايعيش باستمـــرار من وجـــهة نظر الأبدية ٠٠ ، لكنه يعيش كذلك لبضع ساعات فحسب ٠٠ »(٣٩) ٠

٠وواضح أن الفلسفـة التى يقصدها كيركجـــور فى هذه الفقرة هى الفلسفة الهيجلية ، وهو يتهكـــم من البداية التى يبدأ منها هيجل لبنـــاء

---

(٣٨) Ibid, P. 38

(٣٩) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1,

مذهبه ، اذ يعتقد كيركجور أن هذه هى احدى المشكلات التى واجهت هيجل ولم يستطع التغلب عليهـــا فانتهى الى الغائها زاعمـــا أن مذهبه لن يبدأ من افتراضات سابقـة لكنه يبـدأ بداية مطلقة ، بداية موضـوعية خالصة هى ماأطلق عليه اسم « الوجود الخالص » الذى لايدنى العدم . لـكن اذا كان هيجل نفسه يعترف بأى الفكر حركة لا متناهية فكيف استطاع هو ، فيمـا يقول كيركجور ، أن يوقف هذه الحركة لكى يبدأ مذهبه .. ؟ « كلا ! ليس ثمة شىء اسمه بداية بلا افتراضات سابقة ، لأنه حتى اذا لم نفترض شيئا آخر على الاطلاق ، فان الفعـل الذى أجرد فيـه هذه البداية من جميـع الافتراضات الأخرى هو نفسه مفترض .. »(٤٠) تلك هى المشكلة البداية التى يسخر منها كيركجور فى الفقرة السابقة ، وهى فى رأية كعب أخيل فى الفلسفة الهيجلية(٤١) وتحتوى المحـــاضرة على خليط من التأملات والسخريات الأخرى التى يطلقها كيركجور هنا وهناك ، فهو أحيانا يصف نفسه بأنه أتعس انسان ، وأنه كان يتمنى الموت مبكرا ، ويتخيل نفسه وقد مات طفلا صغيرا وحمله أبوه ظهر يوم من أيام الآحاد الى المقابر ليدفنه وهو يتمتم ببضع كلمات لايفهما الا هو ! ويقول انه لم يكن سعيدا فى يـوم من الأيام قط ! ومع ذلك فهو يبدو للناس كما لو كانت السعادة تصحبه فى الحل والترحال : « بل انه يسير بين الناس سعيدا مرحا كمالو كان اله ! حتى أن النـــاس يحسدونه على سعـــادته ، عندئذ يضحك منهم !(٤٢)وتنتهى المحاضرة بتخيله أنه صعد الى السماء :

« حدث لى شيئا رائع فقد صعدت الى السماء السابعة حيث وجدت الآلهة يعقدون اجتماعا ، وبنعمة الهية خاصة سمح لى بأى أبدى رغبة . لكن عطارد قال : « اطلب شيئا واحـــدا فقط : الشباب ، أو الجمـال ، أو القوة ، أو طول العمر ، أو غادة جميلة ، أو أى شىء آخر . لكن اختر شيئا واحدا فقط » . ولقد شعرت للحظة بالحيرة والضياع ثم وجهت خطابى الى

---

(٤٠) S. Kierkegaard : The Journals P. 134 Eng. Trans. by A. Dru.

(٤١) Jean Wahl : Etudes Kierkegaardiennes, P. 117.

(٤٢) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 39.

الآلهة قائلا : « لقد اخترت شيئا واحدا هو أن يكون الضحك مصاحبا لى باستمرار ٠ ! » لم يقل أحد منهم شيئا ، لكنهم استغرقوا فى الضحك ! وبذلك استنتجت أن رغبتى قد قبلت وأن الآلهة تعرف كيف تعبر عن رأيها ٠٠ ! »(٤٣) ٠

(٤٣) S. K. Ibid, P. 41 - 42.

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

١٩٨٢/٢٤٨٤م

الترقيم الدولى

٩٧٧ ـ ٧٣٢٢ ـ ٧٢ ـ ٠

دار الثقافة للطباعة والنشر

٢١ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة